تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد السادس

حققه وخرج أحاديثه

محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش

دار طيبة للنشر والتوزيع
الرياض ـ شارع عسير ـ ص. ب : ٧٦١٢
تليفون : ٤٣٥٩٧٤٠ / ٤٣٥٤٩٣٧

حقوق الطبع محفوظة
١٤١١هـ

تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ النُّورِ

سُورَةُ النُّورِ

مدنية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

﴿سورة﴾، أي: هذه سورة، ﴿أنزلناها وفَرَضْناها﴾، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «وفرَّضناها» بتشديد الراء، وقرأ الآخرون بالتخفيف؛ أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل بها. وقيل: معناه قدرنا ما فيها من الحدود، والفرض: التقدير، قال الله عزّ وجلّ: «فنصف ما فرضتم» (البقرة ـ ٢٣٧)، أي: قدرتم، ودليل التخفيف قوله عزّ وجلّ : «إن الذي فرض عليك القرآن» (القصص ـ ٨٥)، وأما التشديد فمعناه:/ وفصلناه وبيناه. وقيل: هو بمعنى الفرض الذي هو بمعنى الإيجاب أيضاً، والتشديد للتكثير لكثرة ما فيها من الفرائض، أي: أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة. ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾، واضحات، ﴿لعلكم تذكرون﴾، تتعظون . ٣٤/أ

قوله عزّ وجلّ : ﴿الزانيةُ والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلدةٍ﴾، أراد إذا كانا حرين بالغين عاقلين بكرين غير محصنين «فاجلدوا»: فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة، يقال جلده إذا ضربَ جِلْدَه، كما يقال رأَسَه وبطَنَه، إذا ضرب رأسه وبطنه، وذكر بلفظ الجلد لئلا يبرح ولا يضرب

---

(١) مدنية كلها بإجماع العلماء، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة النور بالمدينة، وأخرج عن ابن الزبير مثله . انظر: الدر المنثور: ١٢٤/٦، زاد المسير: ٣/٦ .

﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

بحيث يبلغ اللحم، وقد وردت السنة أنه يجلد مائة ويغرب عاماً[١] وهو قول أكثر أهل العلم، وإن كان الزاني محصناً فعليه الرجم، ذكرناه في سورة النساء[٢].

﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾، رحمة ورقة، وقرأ ابن كثير «رأَفة» بفتح الهمزة ولم يختلفوا في سورة الحديد أنها ساكنة لمجاورة قوله ورحمة، والرأفة معنى في القلب، لا ينهى عنه لأنه لا يكون باختيار الإنسان.

روي أن عبدالله بن عمر جلد جارية له زنت، فقال للجلاد: اضرب ظهرها ورجليها، فقال له ابنه: لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله، فقال يابنيّ إن الله عزّ وجلّ لم يأمرني بقتلها وقد ضُربت فأوجعت[٣].

واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: لا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها، وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي. وقال جماعة: معناها ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب ولكن أوجعوهما ضرباً، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن، قال الزهري: يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب. وقال قتادة: يجتهد في حد الزنا ويخفف في الشرب والفرية.

﴿في دين الله﴾، أي: في حكم الله، ﴿إنْ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾، معناه أن المؤمن لا تأخذه الرأفةُ إذا جاء أمر الله تعالى.

﴿وليشهدْ﴾، وليحضر، ﴿عذابهما﴾ حدَّهما إذا أقيم عليهما ﴿طائفة﴾، نفر، ﴿من المؤمنين﴾، قال مجاهد والنخعي: أقله رجل واحد فما فوقه، وقال عكرمة وعطاء: رجلان فصاعداً. وقال الزهري وقتادة: ثلاثة فصاعداً. وقال مالك وابن زيد: أربعة بعدد شهود الزنا.

قوله عز وجل: ﴿الزاني لا ينكح إلّا زانيةً أو مشركةً والزانيةُ لا ينكحها إلا زانٍ أو مشركٌ وحُرِّم ذلك على المؤمنين﴾، اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها، فقال قوم: قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر، وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن، وهنَّ يومئذ أخصب

(١) أخرج البخاري في الشهادات، باب: شهادة القاذف والسارق والزاني: ٢٥٥/٥ عن زيد بن خالد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «أنه أمر فيمن زنى ولم يُحصن بجلدِ مئةٍ وتغريب عام».

(٢) انظر فيما سبق: ١٨١/٢-١٨٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٧/١٨ وانظر: الدر المنثور: ١٢٥/٦-١٢٦.

أهل المدينة، فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية[1] ﴿وحُرّم ذلك على المؤمنين﴾ أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات، وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري والشعبي، ورواية العوفي عن ابن عباس.

وقال عكرمة: نزلت في نساء بمكة والمدينة، منهن تسع لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بها، منهنّ أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مأكلة، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة، فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله ﷺ في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه، فأنزل الله هذه الآية[2].

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، وكانت بمكة بغي يقال لها عناق، وكانت صديقة له في الجاهلية، فلما أتى مكة دعته عناق إلى نفسها، فقال مرثد: إن الله حرّم الزنا، قالت: فانكحني، فقال: حتى أسأل رسول الله ﷺ، قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: يارسول الله أنكح عناقاً؟ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد شيئاً، فنزلت: ﴿والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ فدعاني فقرأها عليّ وقال لي: لا تنكحها[3].

فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصاً في حق أولئك دون سائر الناس.

وقال قوم: المراد من النكاح هو الجماع، ومعناه: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة، والزانية لا تزني إلا بزان أو مشرك، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم. ورواية الوالبي عن ابن عباس، قال يزيد بن هارون: إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك، وإن جامعها وهو مُحرِّم فهو زان، وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول: إذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان أبداً. وقال الحسن: الزاني المجلود لا ينكح إلا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها إلا زان مجلود. قال سعيد بن المسيب وجماعة: إن حكم الآية منسوخ، فكان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية فنسخها قوله تعالى: «وأنكحوا الأيامى منكم» فدخلت الزانية في أيامى المسلمين[4].

---

(١) قطعة من حديث عزاه السيوطي في الدر: (١٢٧/٦) لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد: ١٥٩/٢ وانظر: أسباب النزول للواحدي ص ٣٦٤–٣٦٦، تفسير الطبري: ٧١/١٨.

(٣) أخرجه أبو داود في النكاح، باب: قوله تعالى: «الزاني لا ينكح إلا زانية» ٦/٣، والترمذي في تفسير سورة النور: ٢١/٩–٢٣ وقال: «هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه»، والنسائي في النكاح، باب: تزويج الزانية ٦٦/٦–٦٧ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وصححه الحاكم ١٦٦/٢ وأقره الذهبي، والطبري: ٧١/١٨.

(٤) ذكر هذه الأقوال الطبري: ٧٤/١٨–٧٥ ثم قال مرجحاً:
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بالنكاح في هذا الموضع: الوطء، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات، وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك، وأن الزاني من المسلمين =

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ④﴾

واحتج من جوز نكاح الزانية بما أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التيمي، أخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أخبرنا أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ، أخبرنا الحسن بن فرج، أخبرنا عمرو بن خالد الحراني، أخبرنا عبيدالله عن عبدالكريم الجزري، عن أبي الزبير، عن جابر، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله إنّ أمرأتي لا تدفع يَدَ لامِس ؟ قال: طلقها، قال: فإني أحبها وهي جميلة، قال: استمتع بها. وفي رواية غيره «فأمسكها إذاً»(١) .

٣٤/ب وروي أن عمر بن الخطاب ضرب رجلاً وامرأة / في زنى وحرَّض أن يجمع بينهما فأبى الغلام(٢) .

قوله عزّ وجلّ : **﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾**، أراد بالرمي القذف بالزنا، وكلُّ من رمى محصناً أو محصنة بالزنا، فقال له: زنيت أو يازاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة، إن كان حراً، وإن كان عبداً فيجلد أربعين، وإن كان المقذوف غير محصن، فعلى القاذف التعزير .

وشرائط الإحصان خمسة: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنى، حتى أن من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته وامتد عمره فقذفه قاذف فلا حدّ عليه. فإن أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه سقط الحدّ عن القاذف، لأن الحد الذي وجب عليه حد الفرية وقد ثبت صدقه .

وقوله : **﴿والذين يرمون المحصنات﴾**، أي: يقذفون بالزنا المحصنات، يعني المسلمات الحرائر العفائف **﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾** يشهدون على زناهنّ **﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾**، أي: اضربوهم ثمانين جلدة. **﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾** .

= حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان. فمعلوم إذْ كان ذلك كذلك، أنه لم يُعْنَ بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة. وإذ كان ذلك كذلك، فبيّنٌ أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا، أو بمشركة تستحله .

(١) أخرجه أبو داود في النكاح، باب: النهي عن تزويج من لم يلد من النساء: ٣/٥، والنسائي في النكاح، باب: تزويج الزانية: ٦/٦٧-٦٨، وفي الطلاق، باب: ما جاء في الخلع: ٦/١٧٠ وقال: «هذا الحديث ليس بثابت، وعبدالكريم ليس بالقوي، وهارون بن رئاب أثبت منه وقد أرسل الحديث، وهارون ثقة وحديثه أولى بالصواب من حديث عبدالكريم .

وقال السندي في حواشيه على النسائي: «وقيل: هذا الحديث موضوع، وردَّ بأنه حسن صحيح، ورجال سنده رجال الصحيحين، فلا يلتفت إلى قول من حكم عليه بالوضع والله أعلم» .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف: ٧/٢٠٣-٢٠٤، وسعيد بن منصور في السنن: ١/٢٢٤، والبيهقي: ٧/١٥٥ .

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦﴾

﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلَحُوا فإن الله غفور رحيم﴾، اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة، وفي حكم هذا الاستثناء: فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف، وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته قُبلت شهادته، سواء تاب بعد إقامة الحدّ عليه أو قبله. لقوله تعالى : «إلا الذين تابوا»، وقالوا: الاستثناء يرجع إلى الشهادة وإلى الفسق، فبعد التوبة تقبل شهادته، ويزول عنه اسم الفسق. يروى ذلك عن ابن عباس وعمر، وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاووس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبدالعزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي .

وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبداً وإن تاب، وقالوا: الاستثناء يرجع إلى قوله: ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾، وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي، وقالوا: بنفس القذف لا ترد شهادته مالم يحدّ .

قال الشافعي: وهو قبل أن يُحَدَّ شر منه حين يحد، لأن الحدود كفارات، فكيف يردونها في أحسن حاليه ويقبلونها في شر حاليه .

وذهب الشعبي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة، وقال: الاستثناء يرجع إلى الكل .

وعامة العلماء على أنه لا يسقط بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط، كالقصاص يسقط بالعفو، ولا يسقط بالتوبة .

فإن قيل: إذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله ﴿أبداً﴾ ؟ .

قيل: معناه لا تقبل شهادته أبداً ما دام مُصِرّاً على قذفه، لأن أبد كل إنسان مدته على ما يليق بحاله. كما يقال: لا تقبل شهادة الكافر أبداً: يراد ما دام كافراً[1] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾، أي: يقذفون نساءهم، ﴿ولم يكن لهم شهداءُ﴾، يشهدون على صحة ما قالوا، ﴿إلا أنفسُهم﴾، أي: غير أنفسهم، ﴿فشهادةُ أحدِهم أربعُ شهاداتٍ بالله إنه لمن الصادقين﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: «أربع شهادات» برفع العين على خبر الابتداء، أي: فشهادة أحدهم التي تدرأ الحد أربع شهادات، وقرأ الآخرون بالنصب، أي: فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين .

---

(١) انظر تفصيلاً لهذه الأقوال مع الترجيح عند الطبري: ١٨/٧٦-٨١ .

﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٧﴾

﴿والخامسةُ أنّ لعنةَ الله عليه إن كان من الكاذبين﴾، قرأ نافع ويعقوب «أنْ» خفيفة وكذلك الثانية «لعنةُ الله» رفع، ثم يعقوب قرأ «غضبُ» بالرفع، وقرأ نافع «غضِبَ» بكسر الضاد وفتح الباء على الماضي «اللهُ» رفع، وقرأ الآخرون «أنّ» بالتشديد فيهما، «لعنة» نصب، و«غضَب» بفتح الضاد على الإسم، «الله» جر، وقرأ حفص عن عاصم «والخامسةَ» الثانية نصب، أي: ويشهد الشهادة الخامسة، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره في أن كالأولى.

وسبب نزول هذه الآية ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن عويمر العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري فقال له: ياعاصم أرأيت لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي عن ذلك ياعاصمُ رسولَ الله ﷺ، قال: فسأل عاصم رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ، فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال له: ياعاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ فقال عاصم لعويمر، لم تأتني بخير، قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألته عنها، فقال عويمر، والله لا أنتهي حتى أسأله عنها، فجاء عويمر ورسول الله ﷺ وسط الناس فقال: يارسول الله أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل فيك وفي صاحبتك فاذهب فأتِ بها»، فقال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ، فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر: كذبتُ عليها يارسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ.

قال مالك قال ابن شهاب: فكانت تلك سنة المتلاعنين[1].

وقال محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا الأوزاعي، أخبرنا الزهري بهذا الإسناد بمثل معناه وزاد: ثم قال رسول الله ﷺ: «انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين
عظيم الإليتين، خدلج الساقين، فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به / أحيمر كأنه ٣٥/أ
[وجوه][2] فلا أحسب عويمر إلا قد كذب عليها» فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب ما جاء في اللعان برقم (٣٤): ٢/٥٦٦-٥٦٧، وأخرجه البخاري في الطلاق، باب: اللعان ومن طلق بعد اللعان: ٩/٤٤٦ وفي مواضع أخرى، ومسلم في أول باب اللعان، برقم: (١٤٩٢) ٢/١١٢٩-١١٣٠، والمصنف في شرح السنة: ٩/٢٥٠.

(٢) في «ب» وحرة: والوَحَرَة: دُوَيبَّة شبه الوزغة تلزق بالأرض جمعها وَحَرٌ، ومنه وَحَر الصدر، وهو الحقد والغيظ، سمي به لتشبثه بالقلب، ويقال: فلان وَحِرُ الصدر: إذا دبت العداوة في قلبه كدبيب الوَحَرة.

ﷺ من تصديق عويمر[1]. فكان بعد ينسب إلى أمه .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا محمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا أحمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا ابن أبي عدي، عن هشام بن حسان، أخبرنا عكرمة، عن ابن عباس، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند رسول الله ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ : «البينةُ أو حدٌّ في ظهرك»، فقال: يارسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة وإلّا حدٌّ في ظهرك»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحدّ، فنزل جبريل وأنزل عليه : **﴿والذين يرمون أزواجهم﴾** فقرأ حتى بلغ **﴿إنْ كان من الصادقين﴾** فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليهما، فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب»؟ ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها موجبة، قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي ﷺ: «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين[2]، سابغ الإليتين[3]، خدلج الساقين[4]، فهو لشريك بن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن»[5] .

وروى عكرمة عن ابن عباس: قال لما نزلت: **﴿والذين يرمون المحصنات﴾** الآية. قال سعد ابن عبادة: لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب، وإن قلت ما رأيت إن في ظهري لثمانين جلدة، فقال رسول الله ﷺ: «يامعشر الأنصار ألا تسمعون ما قال سيدكم»؟ قالوا: لا تلمه، فإنه رجل غيور، ما تزوج امرأة قط إلا بكراً، ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها، فقال سعد: يارسول الله بأبي أنت وأمي والله إني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرتك، فقال النبي ﷺ: «فإن الله يأبى إلا ذلك»، فقال صدق الله ورسوله، قال: فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقةٍ له، فرأى رجلاً مع امرأته يزني بها، فأمسك حتى أصبح، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري في الطلاق، باب: التلاعن في المسجد: ٩/٤٥٢-٤٥٣، والمصنف في شرح السنة: ٩/٢٥٢ .

(٢) شديد سوادهما .

(٣) تام الإليتين، عظيمهما .

(٤) عظيمهما .

(٥) أخرجه البخاري في تفسير سورة النور، باب: «ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين» ٨/٤٤٩ وفي مواضع أخرى، والمصنف في شرح السنة: ٩/٢٥٩-٢٦٠ .

يارسول الله إني جئت أهلي عشاءً فوجدت رجلاً مع امرأتي، رأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما أتاه به، وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه، فقال هلال: والله يارسول الله إني لأرى الكراهية في وجهك مما أتيتك به، والله يعلم إني لصادق وما قلت إلّا حقاً، وإني لأرجو أن يجعل الله لي فرجاً، فهمّ رسول الله ﷺ بضربه، فقال: واجتمعت الأنصار فقالوا ابتُلِينا بما قال سعد، يجلد هلال وتبطل شهادته، وإنهم لكذلك، ورسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه، إذْ نزل عليه الوحي، فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل عليه، حتى فرغ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾، إلى آخر الآيات فقال رسول الله ﷺ : «أبشر ياهلال فإن الله قد جعل لك فرجاً» فقال: لقد كنت أرجو ذلك من الله، فقال رسول الله ﷺ: أرسِلوا إليها، فجاءت، فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قيل لها فكذّبتْ، فقال رسول الله ﷺ: إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟ فقال هلال: يارسول الله بأبي أنت وأمي قد صدقتُ وما قلت إلّا حقاً، فقال رسول الله ﷺ لاعِنُوا بينهما، فقيل لهلال: اشهدْ، فشهدَ أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، فقال له عند الخامسة: ياهلال اتقِ الله، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس، وإن هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب، فقال هلال: والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله ﷺ، فشهد الخامسة: أنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ثم قال للمرأة: اشهدي، فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، فقال لها عند الخامسة ووقفها: اتقي الله فإن الخامسة موجبة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس، فتلكأت ساعة وهمّتْ بالاعتراف ثم قالت: والله لا أفضح قومي، فشهدت الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ففرّق رسول الله ﷺ بينهما(1)، وقضى بأن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها، ثم قال رسول الله ﷺ: إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه»، فجاءت به غلاماً كأنه جمل أورق، على الشبه المكروه، وكان بعد أميراً على مصر، لا يدري من أبوه.

وقال ابن عباس في سائر الروايات، ومقاتل: لما نزلت: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ الآية، فقرأها رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري فقال : جعلني الله فداك، إن رأى رجل منّا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جُلدَ ثمانين جلدة، وسماه المسلمون فاسقاً، ولا تقبل شهادته أبداً، فكيف لنا بالشهداء ونحن إذا التمسنا الشهداء كان الرجل فرغ من حاجته ومرَّ ؟ وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر، وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس بن محصن،

(1) أخرجه مسلم في اللعان، برقم (١٤٩٨): ٢/١١٣٥، وأخرج بعضه المصنف في شرح السنة: ٩/٢٦٥ .

فأتى عويمر / عاصماً وقال: لقد رأيت شريك بن السمحاء على بطن امرأتي خولة، فاسترجع عاصم، ٣٥/ب
وأتى رسول الله ﷺ في الجمعة الأخرى، فقال: يارسول الله ما أسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سألت في الجمعة الماضية في أهل بيتي، فأخبره وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بني عمٍّ عاصمٍ، فدعا رسول الله ﷺ بهم جميعاً، وقال لعويمر: «اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها بالبهتان» فقال: يارسول الله أقسم بالله إني رأيت شريكاً على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر، وإنها حبلى من غيري، فقال رسول الله ﷺ للمرأة: «اتقي الله ولا تخبري إلا بما صنعت» فقالت: يارسول الله إن عويمراً رجل غيور، وإنه رآني وشريكاً يطيل السمر ونتحدث، فحملته الغيرة على ما قال، فقال رسول الله ﷺ لشريك: «ما تقول»؟ فقال: ما تقوله المرأة كذب، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ الآية، فأمر رسول الله ﷺ حتى نودي الصلاة جامعة، فصلى العصر ثم قال لعويمر: قم، فقام فقال: أشهدُ بالله بأن خولة لزانية وإني لمن الصادقين، ثم قال في الثانية أشهد إني رأيت شريكاً على بطنها، وإني لمن الصادقين، ثم قال في الثالثة أشهد بالله إنها حبلى من غيري وإني لمن الصادقين، ثم قال في الرابعة أشهد بالله إني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين، ثم قال في الخامسة: لعنة الله على عُويمر ـ يعني نفسه ـ إن كان من الكاذبين فيما قال، ثم أمره بالقعود، وقال لخولة: قومي فقامت، فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وإن عويمراً لمن الكاذبين، ثم قالت في الثانية أشهد بالله أنه ما رأى شريكاً على بطني وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الثالثة أشهد بالله إني حبلى منه وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الرابعة أشهد بالله إنه ما رآني قط على فاحشة وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة ـ تعني نفسها ـ إن كان من الصادقين. ففرّق رسول الله ﷺ بينهما، وقال لولا هذه الأيمان لكان لي في أمرهما رأي، ثم قال: «تحينوا بها الولادة فإن جاءت به [أصيهب][(١)] [أثيبج][(٢)] يضرب إلى السواد فهو لشريك، وإن جاءت به أورق[(٣)] جَعْداً جُمالياً[(٤)] خدلجَّ الساقين[(٥)] فهو لغير الذي رُميت به». قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق الله بشريك[(٦)].

والكلام في حكم الآية: أن الرجل إذا قذف امرأته فموجبه موجب قذف الأجنبي في وجوب الحدِّ عليه إن كانت محصنة، أو التعزير إن لم تكن محصنة، غير أن المخرج منهما مختلف؛ فإذا قذف

---

(١) الأُصيهب: تصغير الأصهب، وهو الذي يعلوه صهبة، وهي كالشقرة، وفي «أ»: «بأصهب» بدلاً من «به أصيهب».

(٢) الأُثيبج: تصغير الأثبج، وهو الناتىء الثبج، والثبج: ما بين الكاهل ووسط الظهر وفي «أ» جاءت العبارة: «أسلح أسحب».

(٣) أورق: يميل لونه للون الرماد.

(٤) جُمالياً: الجمالي: العظيم الخلق، شبه خلقه بخلق الجمل.

(٥) الخدلج: العظيم الساقين.

(٦) أخرجه الطبري مختصراً: ٨٤/١٨.

﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٩﴾

أجنبياً يقام الحدُّ عليه، إلا أن يقيم أربعة من الشهود على زناه، أو يقرَّ به المقذوف فيسقط عنه حد القذف، وفي الزوجة إذا وجد أحد هذين أو لاعَنَ يسقط عنه الحد. فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة، لأن الرجل إذا رأى مع امرأته رجلاً ربما لا يمكنه إقامة البينة عليه ولا يمكنه الصبر على العار، فجعل الله اللعان حجة له على صدقه، فقال تعالى: «فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين»، وإذا أقام الزوج البينة على زناها أو اعترفت بالزنا سقط عنه الحد واللعان، إلا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه.

وإذا أراد الإمام أن يلاعن بينهما يبدأ فيقيم الرجل ويلقنه كلمات اللعان، فيقول: قل أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا، وإن كان قد رماها برجل بعينه سماه بعينه باللعان، وإن رماها بجماعة سماهم، ويقول الزوج كما يلقنه الإمام، وإن كان ولد أو حَمْل يريد نفيه يقول: وإن هذا الولد أو الحمل لمن الزنا ما هو مني، ويقول في الخامسة: عليَّ لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة، وإذا أتى بكلمة منها من غير تلقين الحاكم لا تكون محسوبة، فإذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين زوجته وحرمت عليه على التأبيد، وانتفى عنه النسب وسقط عنه حد القذف، ووجب على المرأة حد الزنا، إن كانت محصنة ترجم، وإن كانت غير محصنة تجلد وتغرب، فهذه خمسة أحكام تتعلق كلها بلعان الزوج.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ويدرأ﴾، يدفع، ﴿عنها العذابَ أن تشهدَ أربعَ شهاداتٍ بالله إنه لمن الكاذبين﴾.

﴿والخامسةَ أنَّ غَضَبَ الله عليها إن كان من الصادقين﴾. وأراد بالعذاب الحدَّ، كما قال في أول السورة: «وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين» أي: حدَّهما، ومعنى الآية: أن الزوج إذا لاعَنَ وجب على المرأة حد الزنا، وإذا وجب عليها حدّ الزنا بلعانه فأرادت إسقاطه عن نفسها فإنها تلاعن، فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربعَ شهاداتٍ بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به، وتقول في الخامسة عليَّ غضبُ الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به.

ولا يتعلق بلعانها إلا حكم واحد وهو سقوط الحد عنها، ولو أقام الزوج بينة على زناها فلا يسقط الحد عنها باللعان.

وعند أصحاب الرأي: لا حدّ على من قذف زوجته، بل موجبه اللعان، فإن لم يلاعن يحبس حتى يلاعن، فإذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة عن اللعان حبست حتى تلاعن

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

وعند الآخرين اللعان حجة على صدقه، والقاذف إذا قعد عن إقامة الحجة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الأجنبي إذا قعد عن إقامة البينة .

وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب، وهما لا يحصلان إلا بلعان الزوجين جميعاً، وقضاء القاضي .

وفرقةُ اللعان فرقة فسخ عند كثير من أهل العلم وبه قال الشافعي، وتلك الفرقة متأبدة حتى لو كذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه دون ما له، فيلزمه الحد ويلحقه الولد / ولكن لا يرتفع ٣٦/أ
تأبيد التحريم .

وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فإذا كذب الزوج نفسه جاز له أن ينكحها .

وإذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم. وعند أبي حنيفة إذا أتى بأُكثر كلمات اللعان قام مقام الكل في تعلق الحكم به .

وكل من صح يمينه صح لعانه حراً كان أو عبداً، مسلماً أو ذمياً، وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن، وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي وأكثر أهل العلم. وقال الزهري والأوزاعي وأصحاب الرأي: لا يجري اللعان إلا بين مسلمين حرّين غير محدودين، فإن كان الزوجان أو أحدهما رقيقاً أو ذمياً أو محدوداً في قذف فلا لعان بينهما .

وظاهر القرآن حجة لمن قال يجري اللعان بينهما، لأن الله تعالى قال: **﴿والذين يرمون أزواجهم﴾**، ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره كما قال : «الذين يظاهرون من نسائهم» (المجادلة ـ ٢)، ثم يستوي الحر والعبد هنا في الظهار، ولا يصح اللعان إلا عند الحاكم أو خليفته .

ويغلَّظ اللعان بأربعة أشياء: بعدد الألفاظ، والمكان، والزمان، وأن يكون بمحضر جماعة من الناس. أما الألفاظ المستحقة فلا يجوز الإخلال بها، وأما المكان فهو أن يلاعن في أشرف الأماكن، إن كان بمكة فبين الركن والمقام، وإن كان بالمدينة فعند المنبر، وفي سائر البلاد ففي المسجد الجامع عند المنبر، والزمان هو أن يكون بعد صلاة العصر، وأما الجَمْع فأقلهم أربعة، والتغليظ بالجمع مستحب، حتى لو لاعَنَ الحاكم بينهما وحده [جاز][1]، وهل التغليظ بالمكان والزمان واجب أو مستحب؟ فيه قولان .

قوله : **﴿ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمتُهُ وأن الله توابٌ حكيم﴾**، جواب لولا محذوف، يعني لعاجلكم بالعقوبة، ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحدَّ باللعان، وإن الله تواب يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة، حكيم فيما فرض من الحدود .

---

(١) ساقط من « أ » .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**إنّ الذين جاؤوا بالإفكِ عُصْبَةٌ منكم**﴾ الآيات، سبب نزول هذه الآية ما أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبدالعزيز بن عبدالله، أخبرنا إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة رضى الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكلهم حدثني طائفةً من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبتَ له اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل رجلٍ منهم الحديثَ الذي حدثني عن عائشة، وبعضُ حديثهم يُصدّق بعضاً.

قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه وأيهنّ خرج سهمها خرج بها النبي ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أُنزل الحجاب، فكنت أُحمل في هودج وأُنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عِقْدٌ لي من جزع ظفار[1] قد انقطع فرجعت، فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه. قالت: وأقبل الرَّهطُ الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العُلْقَةَ[2] من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطّل السُّلَمي ثم الذَّكْواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني،

---

(١) جزع: خرز معروف في سواده بياض كالعروق، قال ابن القطاع: هو واحد لا جمع له، وقال ابن سيده: هو جمع واحدة جزعة وهو بالفتح.

(٢) ما يُتبلغ به من العيش.

فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطىء على يدها، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول .

قالت: فهلك من هلك، وكان الذي تولى كبر الإفك عبدالله بن أُبَيّ بن سلول، قال عروة أُخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه .

وقال عروة أيضاً: لم يسم من أهل الإفك أيضاً إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة، كما قال الله تعالى: ﴿**والذي تولى كبره**﴾ قال: عبدالله بن أُبي بن سلول، قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال :

فـإنَّ أَبِي ووالدَتِي وعِـرضي لِعِرْضِ محمـدٍ منكـم وِقَـاءُ

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلِّم ثم يقول كيف تيكم ؟ ثم ينصرف، فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت، فخرجت مع أم مِسطح قِبَل المناصع وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنف قريباً من بيوتنا، وأمْرنا أمر العرب الأول في التبرُّز قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف / أن نتخذها عند بيوتنا . ٣٦/ب

قالت: فانطلقت، أنا وأم مِسطح ـ وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبدمناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أُثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مِسطح قِبَل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرتْ أمُ مِسطح في مِرْطها، فقالت: تعسَ مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدراً ؟ فقالت: أي هَنْتاه[1] أوَلم تسمعي ما قال ؟ قالت فقلت: ما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ، ثم قال: كيف تيكم ؟ فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبويّ ؟ قالت: وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قِبَلِهما، قالت: فأذِن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أُمَّتاه ماذا يتحدث الناس ؟ فقالت: يابنية هوِّني عليك فوالله لقلَّ ما كانت امرأة قط رَضيّة[2] عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت فقلت: سبحان الله أوَ لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت : فبكيت

---

(١) أي: حرف نداء للبعيد، وقد يستعمل للقريب حين ينزل منزلة البعيد، وهنتاه: بفتح الهاء وسكون النون وقد تفتح بعدها مثناة وآخرها هاء ساكنة، وقد تضم: أي هذه، وقيل: امرأة، وقيل: بلهى، كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس .

(٢) في «ب» وضيئة .

تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل [بنوم][(١)]، ثم أصبحت أبكي .

قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي فقال: يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسلِ الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بَرِيْرَةَ، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصُه أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله .

قالت: فقام رسول الله ﷺ [من يومه][(٢)] فاستعذر من عبدالله بن أُبيّ وهو على المنبر، فقال: يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على أهلي إلا معي، قالت: فقام سعد ابن معاذ أخو بني عبدالأشهل، فقال أنا يارسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: وقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبتَ لعَمْر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببتَ أن يقتل، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنّه، فإنّك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: فثار الحيّان الأوسُ والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا ورسولُ الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، [قالت وأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم][(٣)]، ولا يرقأ لي دمع حتى إني لأظنُّ أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي، وأنا أبكي فاستأذنتْ عليّ امرأة من الأنصار فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي .

قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يُوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد ياعائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه .

---

(١) ساقط من « أ » .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) ساقط من « أ » .

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته فاض[1] دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال، فقالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف حين قال: «فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون» (يوسف ـ ١٨)، ثم تحولت واضطجعت على فراشي وأنا أعلم والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي[2] فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان، وهو في يوم شاتٍ، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: ياعائشة أما والله فقد برأك الله، قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه فقلت: والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله، قالت: وأنزل الله تعالى: «إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم» العشر الآيات، فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ إلى قوله ﴿غفور رحيم﴾، قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجّع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

٣٧/أ قالت / عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يارسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً، قالت عائشة، وهي التي تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع، قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط، قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط. قالت:

---

(١) في «ب»: قلص.
(٢) ساقط من «أ».

ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله[1] .

ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيى بن بكير، أخبرنا الليث عن يونس عن ابن شهاب بإسناد مثله، وقال: وإنْ كنتِ ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه، إلى قوله: فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك[2] .

ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي فسأل عني خادمتي، فقالت: لا والله ما علمت عليها عيباً إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها، فانتهرها بعض أصحابه، فقال: اصدقي رسول الله حتى أسقطوا لها به، فقالت: سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، وفيه قالت: وأُنزل على رسول الله ﷺ، فرُفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه، ويقول: أبشري ياعائشة فقد أنزل الله براءتك، فقال لي أبواي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمده ولا أحمد أحداً، ولكن أحمد الله الذي برأني، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه[3] .

أما تفسير قوله: ﴿إنّ الذين جاؤوا بالإفك﴾ بالكذب، والإفكُ: أسوأ الكذب، سُمي إفكاً لكونه مصروفاً عن الحق، من قولهم: أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه، وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه، ﴿عصبة منكم﴾ أي: جماعة منهم عبدالله بن أُبيّ بن سلول، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، زوجة طلحة بن عبيد الله، وغيرهم، ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾، ياعائشة وياصفوان، وقيل: هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي ﷺ ولصفوان، يعني: لا تحسبوا الإفك شراً لكم، ﴿بل هو خير لكم﴾، لأن الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم .

﴿لكل امرىء منهم﴾، يعني من العصبة الكاذبة ﴿ما اكتسبَ من الإثم﴾، أي: جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه، ﴿والذي تولى كِبْرَهُ﴾، أي: تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه، قرأ يعقوب «كُبره» بضم الكاف، وقرأ العامة بالكسر، قال الكسائيّ: هما لغتان. قال الضحاك: قام بإشاعة الحديث، وهو عبدالله بن أُبيّ بن سلول .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب حديث الإفك: ٤٣١/٧ــ٤٣٥، وفي تفسير سورة النور: ٤٥٢/٨ــ٤٥٥، وفي الشهادات: ٢٦٩/٥ــ٢٧٢ وفي مواضع أخرى .
وأخرجه مسلم في التوبة، بابٌ في حديث الإفك وقبول توبة القاذف برقم (٢٧٧٠): ٢١٢٩/٤ــ٢١٣٦ وأخرج المصنف أوله في شرح السنة: ١٥٣/٩ .

(٢) في الموضع السابق من كتاب التفسير، سورة النور: ٤٥٢/٨ــ٤٥٥ .

(٣) في رواية البخاري معلقاً بصيغة الجزم، باب «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة...» ٤٨٨/٨، ومسلم في التوبة أيضاً: ٢١٣٧/٤ــ٢١٣٨ .

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ﴾

وروى الزهري عن عروة عن عائشة ﴿والذي تولى كبره منهم﴾ قالت: عبدالله بن أُبيّ بن سلول[1]، والعذاب الأليم هو النار في الآخرة.

وقد روى ابن أبي مُليكة عن عروة عن عائشة في حديث الإفك قالت: ثم ركبت وأخذ صفوان بالزمام فمررنا بملأ من المنافقين، وكانت عادتهم أن ينزلوا منتبذين من الناس، فقال عبدالله بن أُبيّ، رئيسُهم: مَنْ هذه؟ قالوا: عائشة قال: والله ما نَجَتْ منه وما نجا منها، وقال: امرأةُ نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها[2]. وشرع في ذلك أيضاً حسان، ومسطح، وحمنة، فهم الذين تولوا كبره.

وقال قوم: هو حسان بن ثابت.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا بشر بن خالد، أخبرنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحاك عن مسروق قال: دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعراً يشبب بأبيات له، وقال:

حصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَـةٍ　　وتُصبحُ غَرْثَى من لُحومِ الغوافِلِ[3]

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك، قال مسروق فقلت لها: لِمَ تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى: ﴿والذي تولى كبرهُ منهم له عذاب عظيم﴾؟ قالت: وأي عذاب أشد من العمى[4]، وقالت: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ[5].

ويروى أن النبي ﷺ أمر بالذين رَمَوْا عائشة فجُلِدُوا الحدَّ جميعاً ثمانين ثمانين[6].

قوله عزّ وجلّ: ﴿لولا﴾، هلاّ، ﴿إذْ سمعتمون ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾، بإخوانهم، ﴿خيراً﴾، قال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة، نظيره قوله تعالى: «ولا تقتلوا

---

(١) انظر: البخاري ٨/٤٥٠، ٤٥٢، صحيح مسلم: ٤/٢١٣١.
(٢) انظر: فتح الباري ٨/٤٦١.
(٣) الحصان: العفيفة، والرزان: الرزينة الثابتة التي لا يستخفها الطيش. وتُزَنّ: ترمى وتتهم. والريبة: التهمة والشك. وغَرْثَى: جائعة، يريد لا تغتاب النساء، والغوافل: جمع غافلة، وهي التي غفل قلبها عن الشر.
(٤) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٣/٢٧٣): «ثم الأكثرون على أن المراد بذلك ـ الذي تولى كبر الإفك ـ إنما هو عبدالله ابن أُبيّ بن سلول ـ قبّحه الله تعالى ولعنه ـ وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث. وقال ذلك: مجاهد وغير واحد.
وقيل: بل المراد به حسان بن ثابت، وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب، وأحسن مآثره أنه كان يذبُّ عن رسول الله ﷺ بشعره...».
(٥) أخرجه البخاري في التفسير، باب: «ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم» ٨/٤٨٥.
(٦) انظر: فتح الباري: ٨/٤٧٩، زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم: ٣/٢٦٣-٢٦٤.

﴿مُّبِينٌ ۝١٢ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٣ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٤﴾

أنفسكم» (النساء ـ ٢٩)، «فسلموا على أنفسكم» (النور ـ ٦١). ﴿**وقالوا هذا إفك مبين**﴾، أي كذب بيّن.

﴿**لولا جاءوا عليه بأربعة شهداءَ**﴾ أي: على ما زعموا، ﴿**فإذْ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون**﴾.

فإن قيل: كيف يصيرون عند الله كاذبين إذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت؟

قيل: «عند الله» أي: في حكم الله وقيل: معناه كذّبوهم بأمر الله وقيل: هذا في حق عائشة، ومعناه: أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي.

﴿**ولولا فضلُ الله عليكم ورحمتُهُ في الدنيا والآخرة لمسَّكم فيما أفضتم**﴾، خضتم، ﴿**فيه**﴾، من الإفك، ﴿**عذاب عظيم**﴾، قال ابن عباس أي: عذاب لا انقطاع له، يعني: في الآخرة، لأنه
٣٧/ب ذكر عذاب الدنيا من قبل، فقال تعالى: «والذي تولى / كبره منهم له عذاب عظيم»، وقد أصابه، فإنه جُلد وحُدَّ. وروت عمرة عن عائشة أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية حدّ أربعة نفر: عبدالله ابن أُبيّ، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش[1].

---

(١) أخرج الترمذي عن عائشة قالت: «لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم». تفسير سورة النور: ٩/٣٧، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق».

ووقع تسمية هؤلاء الثلاثة: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش عند أبي داود في الحدود، باب في حد القذف: ٦/٢٨٣، وعزاه المنذري للنسائي وقال: «وقد أسنده ابن إسحاق مرة، وأرسله أخرى».

وأخرجه ابن ماجه في الحدود، باب حد القذف: ٢/٨٥٧.

وانظر: تفسير ابن كثير: ٣/٢٧٢.

وأخرج الطبراني عن سعيد بن جبير مثل حديث عائشة الذي ساقه المصنف، وقال الهيثمي: «وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد: ٧/٨٠.

وانظر: فتح الباري: ٩/٤٨١، تحفة الأحوذي: ٩/٣٧.

وأخرج البزار وابن مردويه بسندٍ حسن، عن أبي هريرة، وفيه: فحدَّ رسول الله ﷺ مسطحاً، وحمنة، وحسان.

انظر: الدر المنثور: ٦/١٤٦، وراجع: زاد المعاد: ٣/٢٦٣-٢٦٤.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ
هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ
بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿**إِذْ تلقَّوْنه**﴾، تقولونه، ﴿**بألسنتكم**﴾، قال مجاهد ومقاتل: يرويه بعضكم عن بعض. وقال الكلبي: وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقياً، وقال الزجّاج : يلقيه بعضكم إلى بعض، وقرأت عائشة «**تَلِقُونه**» بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق وهو الكذب، ﴿**وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيِّناً**﴾، تظنون أنه سهل لا إثم فيه، ﴿**وهو عند الله عظيم**﴾، في الوزر .

﴿**ولولا إذْ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلَّمَ بهذا سبحانك**﴾، هذا اللفظ هاهنا معناه التعجب، ﴿**هذا بهتان عظيم**﴾،أي: كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمته. وفي بعض الأخبار أن أم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري: أما بلغك ما يقول الناس في عائشة ؟ فقال أبو أيوب: سبحانك هذا بهتان عظيم[1]، فنزلت الآية على وفق قوله .

﴿**يعظكم الله**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحرّم الله عليكم، وقال مجاهد: ينهاكم الله. ﴿**أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين**﴾ .

﴿**ويبين الله لكم الآيات**﴾، في الأمر والنهي، ﴿**والله عليم**﴾ بأمر عائشة وصفوان، ﴿**حكيم**﴾، حكم ببراءتهما .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة**﴾، يعني: تظهر، ويذيع الزنا، ﴿**في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة**﴾، يعني عبدالله بن أُبيّ وأصحابه المنافقين، والعذاب في الدنيا الحدُّ، وفي الآخرة النار، ﴿**والله يعلم**﴾، كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله، ﴿**وأنتم لا تعلمون**﴾ .

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٣٧٣)، وانظر الطبري: ١٨/٩٦، والدر المنثور: ٦/١٥٩، فتح الباري: ٩/٤٧٠ .

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ
بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢١ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟
وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢﴾

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنّ الله رؤوف رحيم﴾، جواب **﴿لولا﴾** محذوف، أي: لعاجلكم بالعقوبة، قال ابن عباس: يريد مسطحاً، وحسان، وحمنة.

قوله عزّ وجلّ: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خُطواتِ الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء﴾**، أي: بالقبائح من الأفعال، **﴿والمنكر﴾**، ما يكرهه الله عز وجل، **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى﴾**، قال مقاتل: ما صلح. وقال ابن قتيبة: ما طهر، **﴿منكم من أحد﴾**، والآية على العموم عند بعض المفسرين، قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد. وقال قوم: هذا الخطاب للذين خاضوا في الإفك، ومعناه: ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: ما قبل توبة أحد منكم، **﴿أبداً ولكن الله يزكي﴾**، يُطهِّر، **﴿من يشاء﴾**، من الذنب بالرحمة والمغفرة، **﴿والله سميع عليم﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ولا يأْتَلِ﴾**، أي: ولا يحلف، وهو يفتعل من الألية وهي القسم، وقرأ أبو جعفر: «يتألّ» بتقديم التاء وتأخير الهمزة، وهو يتفعل من الألية. **﴿أولوا الفضل منكم والسّعة﴾**، يعني أبا بكر الصديق **﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾**، يعني مسطحاً، وكان مسكيناً مهاجراً بدرياً ابن خالة أبي بكر، حلف[1] أبو بكر أن لا ينفق عليه، **﴿وليعفوا وليصفحوا﴾**، عنهم خوضهم في أمر عائشة، **﴿ألا تحبُّون﴾**، يخاطب أبا بكر، **﴿أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾**، فلما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال: بلى أنا أحب أن يغفر الله لي، ورجع

(١) ساقط من «أ».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً(١).

وقال ابن عباس والضحاك: أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعوهم، فأنزل الله هذه الآية(٢).

قوله عزّ وجلّ: **﴿إنّ الذين يرمون المحصنات﴾**، العفائف، **﴿الغافلات﴾**، عن الفواحش، **﴿المؤمنات﴾**، والغافلة عن الفاحشة أي: لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكانت عائشة كذلك، قوله تعالى: **﴿لُعنوا في الدنيا والآخرة﴾**، عذبوا بالحدود وفي الآخرة بالنار، **﴿ولهم عذاب عظيم﴾**، قال مقاتل: هذا في عبدالله بن أُبيّ المنافق. روي عن خصيف قال: قلت لسعيد بن جبير: من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة؟ فقال ذلك لعائشة خاصة(٣).

وقال قوم: هي لعائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات. روي عن العوام بن حوشب عن شيخ من بني كاهل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذه في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة ليس فيها توبة، ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ: **﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾** إلى قوله: **﴿إلاّ الذين تابوا﴾** فجعل لهؤلاء توبة، ولم يجعل لأولئك توبة(٤).

وقال الآخرون: نزلت هذه الآية في أزواج النبي ﷺ وكان [ذلك](٥) حين نزلت الآية التي في أول السورة **﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾** إلى قوله: **﴿فإن الله غفور رحيم﴾** فأنزل الله الجلد والتوبة(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير: باب: «لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم» ٨/٤٥٥، ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم (٢٧٧٠): ٤/٢١٢٩-٢١٣٦.

(٢) أخرجه الطبري: ١٨/١٠٢-١٠٣.

(٣) عزاه السيوطي: (٦/١٦٤) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني.
قال الهيثمي (٦/٧٩): رواه الطبراني وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف.

(٤) قال الهيثمي (٦/٨٠): «رواه الطبراني بأسانيد، وفي هذا الإسناد راوٍ لم يسمَّ، وبقية رجاله ثقات، وهو أمثلها».

(٥) في «ب» كذلك حتى.

(٦) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٨/١٠٤-١٠٥ ثم قال مرجحاً: «وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها».

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿**يوم تشهد**﴾، قرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدم الفعل، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿**عليهم ألسنتهم**﴾، وهذا قبل أن يختم على أفواههم، ﴿**وأيديهم وأرجلهم**﴾، يروى أنه (تختم)[1] الأفواه فتتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا. وقيل: معناه تشهد ألسنة بعضهم على بعض وأيديهم وأرجلهم، ﴿**بما كانوا يعملون**﴾.

﴿**يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق**﴾، جزاءهم الواجب. وقيل: حسابهم العدل. ﴿**ويعلمون أن الله هو الحق المبين**﴾، يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا. قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن عبدالله بن أُبيّ كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق / المبين. ٣٨/أ

قوله عزّ وجلّ: ﴿**الخبيثات للخبيثين**﴾، قال أكثر المفسرين: الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس. ﴿**والخبيثون**﴾، من الناس، ﴿**للخبيثات**﴾، من القول، [والكلام][2]، ﴿**والطيبات**﴾، من القول، ﴿**للطيبين**﴾، من الناس، ﴿**والطيبون**﴾، من الناس، ﴿**للطيبات**﴾، من القول، والمعنى: أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس والطيب لا يليق إلا بالطيب من الناس، فعائشة لا يليق بها الخبيثات من القول لأنها طيبة رضي الله عنها فيضاف إليها طيبات الكلام من الثناء الحسن [وما يليق بها][2].

وقال الزجاج: معناه لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء، وهذا ذم للذين قذفوا عائشة، ومدح للذين برؤوها بالطهارة.

قال ابن زيد: معناه الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء [أمثال عبدالله بن أُبيّ والشاكّين في الدين][3]، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب ﷺ.

---

(١) في «ب»: يختم على.
(٢) زيادة من «ب».
(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿أولئك مبرءون﴾، يعني: عائشة وصفوان ذكرهما بلفظة الجمع كقوله تعالى: «فإن كان له إخوة» (النساء ــ ١١) أي: إخوان. وقيل: «أولئك مبرؤون» يعني الطيبين والطيبات منزهون، ﴿مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾، فالمغفرة هي العفو عن الذنوب، والرزق الكريم: الجنة.

ورُوي أن عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها، منها أن جبريل أتى بصورتها في سَرَقَةٍ[1] من حرير، وقال هذه زوجتك. وروي أنه أتى بصورتها في راحته وأن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها، وقبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجرها، ودفن في بيتها، وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحافه، ونزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة خليفة رسول الله ﷺ وصديقه، وخلقت طيبة، ووُعدت مغفرة ورزقاً كريماً[2].

وكان مسروق إذا روى عن عائشة يقول: حدثتني الصدِّيقة بنت الصدِّيق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السماء[3].

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تَستَأْنِسُوا وتسلِّموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكَّرون﴾، قيل: معنى قوله: ﴿حتى تستأنسوا﴾ أي: حتى تستأذنوا [وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا][4] ويقول: تستأنسوا خطأ من الكاتب[5]. وكذلك كان يقرأ أُبيّ ابن كعب، والقراءة المعروفة تستأنسوا وهو بمعنى الاستئذان.

وقيل: الاستئناس طلب الأنس، وهو أن ينظر هل في البيت إنسان فيؤذنهم إني داخل.

وقال الخليل: الاستئناس الاستبصار من قوله: آنست ناراً، أي: أبصرت.

وقيل: هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أو يتنحنح، يُؤذِن أهل البيت.

وجملة حكم الآية: أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد السلام والاستئذان.

واختلفوا في أنه يقدم الاستئذان أم السلام؟ فقال قوم: يقدم الاستئذان فيقول: أأدخل سلام

---

(١) شقة حرير بيضاء، والجمع، سَرَقٌ مثل: قَصَبَةٍ وقَصَب.

(٢) هذه المناقب التي ذكرها المصنف لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ثابتة بأحاديث صحاح، انظرها في: جامع الأصول لابن الأثير: ١٣٢/٩-١٤٣، كنز العمال: ١٣٣/١٢-١٣٨، الدر المنثور: ١٦٨/٦-١٧٠.

(٣) انظر: حلية الأولياء: ٤٤/٢.

(٤) ساقط من «أ».

(٥) انظر فيما سبق تعليقاً: ٣٠٩/٣، ٣١٠.

عليكم، لقوله تعالى: ﴿حتى تستأنسوا﴾، أي: تستأذنوا، ﴿وتسلموا على أهلها﴾ والأكثرون على أنه يقدم السلام فيقول: سلام عليكم أأدخل. وفي الآية تقديم وتأخير، تقديرها: حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا. وكذلك هو في مصحف عبدالله بن مسعود. وروي عن كلدة بن حنبل قال: دخلت على النبي ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: ارجعْ فقل: السلام عليكم أأدخل[1].

وروي عن ابن عمر أن رجلاً استأذن عليه فقال: أأدخل؟ فقال ابن عمر: لا، فأمر بعضهم الرجل أن يسلم فسلم فأذن له[2].

وقال بعضهم: إن وقع بصره على إنسان قدَّم السلام، وإلّا قدّم الاستئذان، ثم سلم، وقال أبو موسى الأشعري وحذيفة: يستأذن على ذوات المحارم، ومثله عن الحسن، وإن كانوا في دار واحدة يتنحنح ويتحرك أدنى حركة.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد عبدالله بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن سعيد الجريري، عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: سلّم عبدالله بن قيس على عمر بن الخطاب ثلاث مرات فلم يأذن له فرجع فأرسل عمر في أثره فقال: لم رجعت؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يُجَب فليرجع». قال عمر: لتأتين على ما تقول ببينة وإلا لأفعلن بك كذا وكذا غير أنه قد أوعده، قال: فجاء أبوموسى الأشعري ممتقعاً لونه وأنا في حلقة جالس، فقلنا: ما شأنك؟ فقال: سلمت على عمر، فأخبرنا خبره، فهل سمع أحد منكم من رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم كلنا قد سمعه، قال فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره بذلك[3].

ورواه بُسر بن سعيد عن أبي سعيد الخدري، وفيه: قال أبو موسى الأشعري: قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يُؤذن له فليرجعْ»[4].

قال الحسن: الأول إعلام والثاني مؤامرة، والثالث استئذان بالرجوع.

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب، باب: كيف الاستئذان: ٨/٥٦-٥٧، والترمذي في الاستئذان، ما جاء في التسليم قبل الاستئذان: ٧/٤٩٠-٤٩١ وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن جريج. ورواه أبو عاصم عن ابن جريج مثل هذا»، والإمام أحمد: ٣/٤١٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٢٨٤.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف: ١٠/٣٨٣، وذكره المصنف في شرح السنة: ١٢/٢٨٤.

(٣) انظر الرواية في الجامع للإمام معمر: ١٠/٣٨٠ وهو عند الشيخين كما سيأتي في التعليقة التالية.

(٤) أخرجه البخاري في الاستئذان، باب: التسليم والاستئذان ثلاثاً: ١١/٢٦-٢٧ وفي مواضع أُخرى، ومسلم في الآداب، باب الاستئذان برقم (٢١٥٣): ٣/١٦٩٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٢٨٠-٢٨١.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها**﴾، أي: إن لم تجدوا في البيوت أحداً يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها، ﴿**حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا**﴾، يعني: إذا كان في البيت قوم فقالوا: ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازماً، ﴿**هو أزكى لكم**﴾، يعني:
٣٨/ب الرجوع أطهر وأصلح لكم، قال قتادة: إذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب / فإن للناس حاجات، وإذا حضر ولم يستأذن وقعد على الباب منتظراً جاز.

وكان ابن عباس يأتي باب الأنصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج، ولا يستأذن، فيخرج الرجل ويقول: يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني، فيقول: هكذا أُمرنا أن نطلب العلم[(١)].

وإذا وقف فلا ينظر من شق الباب إذا كان الباب مردوداً:

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور، أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري، عن سهل بن سعد الساعدي أن رجلاً اطَّلع على النبي ﷺ من ستر الحجرة وفي يد النبي ﷺ مَدْرى[(٢)]، فقال: «لو علمت أن هذا ينظرني حتى آتيه لطعنت بالمَدْرى في عينيه، وهلْ جُعل الاستئذان إلّا من أجل البصر»[(٣)].

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن امرأ اطَّلَعَ عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح»[(٤)].

قوله تعالى: ﴿**والله بما تعملون عليم**﴾، من الدخول بالإذن وغير الإذن.

ولما نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق،

---

(١) أخرجه ابن عبدالبر بسنده مطولاً في جامع بيان العلم وفضله ص (١٤٠).

(٢) تطلق على نوعين: أحدهما: صغير يتخذ من آبنوس أو عاج أو حديد يكون طول المسلة يتخذ لفرق الشعر فقط، وهو مستدير الرأس على هيئة نصل السيف.
وثانيهما: كبير وهو عود مخروط من آبنوس أو غيره، وفي رأسه قطعة منحوتة في قدر الكف، ولها مثل الأصابع، أولاهن معوجة مثل حلقة الإبهام المستعمل للتسريح.

(٣) أخرجه البخاري في الديات، باب: من اطلع في بيت قوم ففقأوا عينه فلا دية له: ٢٤٣/١٢، ومسلم في الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره برقم: (٢١٥٦): ١٦٩٨/٣.

(٤) أخرجه البخاري في الديات، باب: من اطلع في بيت قوم ففقأوا عينه فلا دية له: ٢٤٣/١٢، ومسلم في الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره برقم: (٢١٥٨): ١٦٩٩/٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٥٤/١٠، والشافعي: ١٠١/٢.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله عزّ وجلّ:

﴿**ليس عليكم جُنَاحٌ أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة**﴾[1]، أي: بغير استئذان، ﴿**فيها متاعٌ لكم**﴾، يعني منفعة لكم. واختلفوا في هذه البيوت، فقال قتادة: هي الخانات والبيوت والمنازل المبنية للسابلة ليأووا إليها ويؤووا أمتعتهم إليها، جاز دخولها بغير استئذان، والمنفعة فيها بالنزول وإيواء المتاع والاتقاء من الحر والبرد.

وقال ابن زيد: هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالأسواق يدخلونها للبيع والشراء وهو المنفعة.

وقال إبراهيم النخعي: ليس على حوانيت السوق إذن.

وكان ابن سيرين إذا جاء إلى حانوت السوق يقول: السلام عليكم أأدخل؟ ثم يلج.

وقال عطاء: هي البيوت الخربة، والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول والغائط. وقيل: هي جميع البيوت التي لا ساكن لها لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان[2]، ﴿**والله يعلم ما تبدون وما تكتمون**﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**قل للمؤمنين يغضُّوا من أبصارهم**﴾، أي: عن النظر إلى مالا يحل النظر إليه. وقيل: «مِنْ» صلة أي: يغضوا أبصارهم. وقيل: هو ثابت لأن المؤمنين غير مأمورين بغض البصر أصلاً، لأنه لا يجب الغض عما يحل النظر إليه، وإنما أمروا بأن يغضوا عمّا لا يحل النظر إليه، ﴿**ويحفظوا فروجهم**﴾، عمّا لا يحل، قال أبو العالية: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام، إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه، ﴿**ذلك**﴾، أي: غض البصر وحفظ الفرج، ﴿**أزكى لهم**﴾، أي: خير لهم وأطهر، ﴿**إن الله خبير بما يصنعون**﴾، عليم بما يفعلون، روي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «ياعلي لا تُتبعِ النظرةَ النظرة فإنّ لك الأولى وليست لك الآخرة»[3].

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٧٥، وانظر: القرطبي: ١٢/٢١٣.

(٢) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٨/١١٣-١١٦.

(٣) أخرجه أبو داود في النكاح، باب: ما يؤمر به من غض البصر: ٣/٧٠، والترمذي في الأدب، باب: ما جاء في نظرة المفاجأة: ٨/٦١، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك، والدارمي في الرقاق، باب: في حفظ السمع: =

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

• وروي عن جرير بن عبدالله قال: سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: «اصرف بصرك»[(١)].

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا عبدالغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا زيد بن الحباب، عن الضحاك بن عثمان قال: أخبرني زيد بن أسلم، عن عبدالرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظرُ الرجلُ إلى عورةِ الرجلِ، ولا المرأةُ إلى عورةِ المرأةِ، ولا يُفضِي الرجلُ إلى الرجلِ في ثوبٍ واحد، ولا تفضي المرأةُ إلى المرأةِ في ثوبٍ واحد»[(٢)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وقل للمؤمنات يغضضنَ من أبصارهنّ**﴾، عمّا لا يحل، ﴿**ويحفظن فروجهن**﴾، عمن لا يحل. وقيل أيضاً: «يحفظن فروجهن» يعني: يسترنها حتى لا يراها أحد.

وروي عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعدما أُمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: احتجبا منه، فقلت: يارسول الله أليس هو أعمىً لا يُبصِرُنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَفَعَمْيَاوَان أنتما، ألستما تبصرانه»؟[(٣)].

= ٢٩٨/٢، وصححه الحاكم: ١٩٤/٢ على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والإمام أحمد: ٣٥٣/٥، ٣٥٧، وذكره المصنف في شرح السنة: ٢٣/٩.

(١) أخرجه مسلم في الآداب، باب: نظرة الفجأة برقم: (٢١٥٩): ١٦٩٩/٣، وذكره المصنف في شرح السنة: ٢٣/٩.

(٢) أخرجه مسلم في الحيض، باب تحريم النظر إلى العورات برقم (٣٣٨): ٢٦٦/١ والمصنف في شرح السنة: ٢٠/٩.

(٣) أخرجه أبو داود في اللباس، باب في قوله تعالى: «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن» ٦٠/٦-٦١، والترمذي في الأدب، =

قوله تعالى : ﴿ولا يُبدين زينتهن﴾، أي لا يظهرن زينتهن لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفية، وهما زينتان خفية وظاهرة، فالخفية: مثل الخلخال، والخضاب في الرجل، والسوار في المعصم، والقرط والقلائد، فلا يجوز لها إظهارها، ولا للأجنبي النظر إليها، والمراد من الزينة موضع الزينة .

قوله تعالى : ﴿إلّا ما ظهر منها﴾، أراد به الزينة الظاهرة .

واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها الله تعالى: قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان. وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: «خذوا زينتكم عند كل مسجد» (الأعراف ـ ٣١)، وأراد بها الثياب. وقال الحسن: الوجه والثياب. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف .

فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئاً منها غض البصر، وإنما رُخص في هذا القدر أن تبديه المرأة من بدنها لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة، وسائر بدنها عورة يلزمها ستره .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وليضربن بخُمُرِهِنَّ﴾، أي: ليلقين بمقانعهن، ﴿على جيوبهنّ﴾، وصدورهنّ
٣٩/أ [ليسترن بذلك شعورهنّ وصدورهنّ][1] وأعناقهن وأقراطهن. قالت عائشة / : رحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ﴾ شققن مروطهنّ فاختمرن بها[2] .

﴿ولا يُبدين زينتهنّ﴾ يعني: الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للأجانب، وهو ما عدا الوجه والكفين ﴿إلا لِبُعولَتِهِنَّ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار إلا لبعولتهن، أي إلا لأزواجهن، ﴿أو آبائِهِنَّ أو آباءِ بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهنّ أو بني أَخَوَاتِهِنَّ﴾، فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة، ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة، ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدنها غير أنه يكره له النظر إلى فرجها .

= باب: ما جاء في احتجاب النساء من الرجال: ٨/٦١ـ٦٢، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وعزاه المنذري للنسائي، وأخرجه الإمام أحمد: ٦/٢٩٦، وذكره المصنف في شرح السنة: ٩/٢٤ .

وقال أبو داود: «هذا لأزواج النبي ﷺ خاصة، ألا ترى إلى اعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم، وقد قال النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس: «اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده»، وانظر: عون المعبود: ١١/١٧٠ .

(١) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب: «وليضربن بخمرهن على جيوبهن» ٨/٤٨٩ .

قوله تعالى: ﴿أو نسائهنّ﴾ أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلّا ما بين السرة والركبة كالرجل المحرم، هذا إذا كانت المرأة مسلمة، فإن كانت كافرة فهل يجوز للمسلمة أن تنكشف لها؟

اختلف أهل العلم فيه، فقال بعضهم: يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء، وقال بعضهم: لا يجوز لأن الله تعالى قال: «أو نسائهن» والكافرة ليست من نسائنا ولأنها أجنبية في الدين، فكانت أبعد من الرجل الأجنبي. كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات[1].

قوله تعالى: ﴿أو ما ملكت أيمانهنّ﴾، اختلفوا فيها، فقال قوم: عبد المرأة محرم لها، فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً، وأن ينظر إلى بدن مولاته إلا ما بين السرة والركبة، كالمحارم وهو ظاهر القرآن.

وروي ذلك عن عائشة وأم سلمة، وروى ثابت عن أنس عن النبي ﷺ أنه أتى فاطمةَ بعبدٍ قد وهبه لها، وعلى فاطمة ثوب إذا قَنَّعَتْ به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطَّت رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى رسول الله ﷺ ما تَلْقى قال: «إنه ليسَ عليكِ بأسٌ إنما هو أبوكِ وغلامُكِ»[2].

وقال قوم: هو كالأجنبي معها، وهو قول سعيد بن المسيب، وقال: المراد من الآية الإماء دون العبيد. وعن ابن جريج أنه قال: أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أنه لا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون تلك المرأة المشركة أَمَةً لها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أو التابعين غير أُولي الإِرْبة من الرجال﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبوبكر «غيرَ» بنصب الراء على القطع لأن «التابعين» معرفة و«غير» نكرة. وقيل: بمعنى «إلا» فهو استثناء، معناه: يبدين زينتهن للتابعين إلّا ذا الإربة منهم فإنهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا إربة.

وقرأ الآخرون بالجر على نعت «التابعين» والإربة والأرب: الحاجة.

والمراد بـ «التابعين غير أولي الإربة» هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم إلا ذلك، ولا حاجة لهم في النساء، وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي. وعن ابن عباس أنه الأحمق العنِّين. وقال الحسن: هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن. وقال سعيد ابن جبير: هو المعتوه، وقال عكرمة: المجبوب. وقيل: هو المخنث. وقال مقاتل: الشيخ الهرم والعنين والخصي والمجبوب ونحوه.

---

(١) أخرجه الطبري: ١٢١/١٨، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٨٣/٦ لسعيد بن منصور والبيهقي وابن المنذر.

(٢) أخرجه أبو داود في اللباس، باب العبد ينظر إلى شعر مولاته: ٥٩/٦، قال المنذري: «في إسناده أبو جُميع، سالم بن دينار الهُجَيْمي البصري، قال ابن معين: ثقة، وقال أبو زرعة الرازي: مصري ليِّن الحديث، وهو سالم بن أبي راشد». وأخرجه البيهقي: ٩٥/٧، وصححه الألباني في الإرواء: ٢٠٦/٦.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أحمد بن الحسين الحيري، أخبرنا محمد ابن أحمد بن محمد بن معقل بن محمد الميداني، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنَّث، وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي ﷺ يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال النبي ﷺ: «ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلَنَّ عليكن هذا» فحجبوه[1].

﴿أو الطفل الذين لم يَظْهَرُوا على عوراتِ النساء﴾، أراد بالطفل الأطفال، يكون واحداً وجمعاً، أي: لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها. وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر، وهو قول مجاهد. وقيل: لم يطيقوا أمر النساء. وقيل: لم يبلغوا حدّ الشهوة.

﴿ولا يضربنَ بأرجلهنّ ليُعلمَ ما يُخْفِيْنَ من زِيْنَتِهِنَّ﴾، كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها، فنهيت عن ذلك.

﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾، من التقصير الواقع في أمره ونهيه. وقيل: راجعوا طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة، ﴿أيها المؤمنون لعلّكم تفلحون﴾، قرأ ابن عامر: «أيهُ المؤمنون» و«يآيهُ الساحر» و«أيهُ الثقلان» بضم الهاء فيهن، ويقف بلا ألف على الخط، وقرأ الآخرون بفتح الهاءات على الأصل.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا وهب بن جرير، أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة، عن أبي بردة أنه سمع الأغر يحدث عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم، فإني أتوب إلى ربي كل يوم مائة مرة»[2].

أخبرنا أبو الحسن عن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا محمد بن عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن حزيم الشاشي، أخبرنا أبو محمد عبد بن حميد الكشي، حدثني ابن أبي شيبة، أخبرنا عبدالله بن نمير، عن مالك بن مغول، عن محمد بن سوقة، عن نافع، عن ابن عمر قال: إنْ كنا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: «ربِّ اغفرْ لي، وتُبْ عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم» مائة مرة[3].

---

(1) أخرجه البخاري في اللباس، باب إخراج المتشبهين بالنساء عن البيوت، عن أم سلمة: ١٠/٣٣٣، ومسلم في السلام باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب، برقم (٢١٨١): ٤/١٧١٦، والمصنف في شرح السنة: ١٢/١٢٢.

(2) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، برقم (٢٠٧٢): ٤/٢٠٧٦، والمصنف في شرح السنة: ٥/٧١.

(3) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في الاستغفار: ٢/١٥١، والترمذي في الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه: ٩/٣٩٣، =

وجملة الكلام في بيان العورات: أنه لا يجوز للناظر أن ينظر إلى عورة الرجل، وعورته ما بين السرة إلى الركبة، وكذلك المرأة مع المرأة، ولا بأس بالنظر إلى سائر البدن إذا لم يكن خوف فتنة.

وقال مالك وابن أبي ذئب: الفخذ ليس بعورة لما رُوي عن عبدالعزيز بن صهيب عن أنس قال أجرى نبي الله ﷺ فرساً في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمس / فخذ نبي الله ﷺ، ثم حسر ٣٩/ب
الإزار عن فخذه حتى إني لأنظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ[(١)].

وأكثر أهل العلم على أن الفخذ عورة، لما أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن أبي كثير، عن محمد بن جحش، قال: مرّ رسول الله ﷺ على مَعْمَرٍ وفخذاه مكشوفتان، قال: «يامَعْمَرُ غطٌّ فَخِذَيْك، فإن الفخذين عورة»[(٢)] وروي عن ابن عباسٍ وجَرْهَد بن خويلد، كان من أصحاب الصفة، أن النبي ﷺ قال: إن الفخذ عورة»[(٣)].

قال محمد بن إسماعيل: «وحديثُ أنسٍ أسندُ، وحديث جَرْهَد أَحْوط»[(٤)].

أما المرأة مع الرجل فإن كانت أجنبيةً حرةً: فجميعُ بدنها في حق الأجنبي عورة، ولا يجوز النظر إلى شيء منها إلا الوجه والكفين، وإن كانت أمة: فعورتُها مثل عورة الرجل، ما بين السرة

= وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وابن ماجه في الأدب، باب الاستغفار، برقم (٣٨١٤): ١٢٥٣/٢، والإمام أحمد في المسند: ٢١/٢، وصححه ابن حبان برقم (٢٤٥٩) ص (٦٠٩) من موارد الظمآن، وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب ص (٢٥١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (١٧٩).
وانظر: مجمع الزوائد: ١١٣/٢، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٨٩/٢.

(١) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ما يذكر في الفخذ: ٤٧٩/١-٤٨٠ وفي مواضع أخرى، ومسلم في الجهاد، باب غزوة خيبر، برقم (١٣٦٥): ١٤٢٦/٤-١٤٢٧.
وذكره المصنف في شرح السنة: ٢١/٩.

(٢) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار: ٢٨٥/٢، والحاكم في المستدرك: ١٨٠/٤، والإمام أحمد في المسند: ٢٩٠/٥. وعلّقه البخاري: ٤٧٩/١، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١/٩.
قال الحافظ في الفتح: «وصله أحمد والمصنف في «التاريخ» والحاكم في «المستدرك»، كلهم من طريق إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبي كثير مولى محمد بن جحش عنه...».
وصححه بشواهده الشيخ الأرناؤوط في تعليقه على شرح السنة: ٢١/٩-٢٢.

(٣) أخرجه الترمذي في الاستئذان، باب ما جاء أن الفخذ عورة: ٧٨/٨-٧٩، وقال: «هذا حديث حسن، ما أرى إسناده بمتصل».
ورواه البخاري تعليقاً: ٤٧٨/١، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «وحديث جرهد موصول عند مالك في الموطأ، والترمذي وحسّنه، وابن حبان وصححه. وضعفه المصنف في التاريخ للاضطراب في سنده، وقدذكرت كثيراً من طرقه في تغليق التعليق».
وانظر: مشكل الآثار: ٢٨٥/٢-٢٨٦، شرح معاني الآثار: ٤٧٤/١.

(٤) في الموضع السابق: ٤٧٨/١.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

إلى الركبة، وكذلك المحارم بعضهم مع بعض. والمرأة في النظر إلى الرجل الأجنبي كهو معها. ويجوز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن امرأته وأمته التي تحل له، وكذلك هي منه إلا نفس الفرج فإنه يكره النظر إليه، وإذا زوج الرجل أمته حرم عليه النظر إلى عورتها كالأَمَة الأجنبية، وروي عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «إذا زوج أحدُكم عَبْدَهُ أَمَتَهُ فلا ينظرنَّ إلى ما دون السرةِ وفوقَ الركبةِ»(١) .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وأَنْكِحُوا الأيامى منكم﴾ «الأيامى»: جمع أيم، وهو من لا زوج له [من رجل أو امرأة، يقال: رجل أيم وامرأة أيمة، وأيم، ومعنى الآية: زوجوا أيها المؤمنون](٢) من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم، ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾، وهذا الأمر أمر ندب واستحباب .

يستحب لمن تاقت نفسه إلى النكاح ووجد أهبة النكاح أن يتزوج، وإن لم يجد أهبة النكاح يكسر شهوته بالصوم، لما أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن الحسين الطوسي، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفرايني، [أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن مسعود، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أيوب البجلي، أخبرنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان](٣) عن الأعمش عن عمارة بن عمير، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٤) .

وقال رسول الله ﷺ: «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم حتى بالسقط»(٥) .

---

(١) أخرجه أبو داود في اللباس، باب في قوله تعالى: «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن»: ٦١/٦، والبيهقي في السنن: ٢٢٦/٣ و٢٢٩، و٩٤/٧، والدار قطني: ٢٣٠/١. وحسَّنه الألباني في الإرواء: ٢٠٧/٢. وذكره المصنف في شرح السنة: ٢٥/٩ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٤) أخرجه البخاري في النكاح، باب قول النبي ﷺ: «من استطاع الباءة فليتزوج»: ١٠٦/٩، ومسلم في النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه، برقم (١٤٠٠): ١٠١٨/٢-١٠١٩، والمصنف في شرح السنة: ٣/٩ .

(٥) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف»: ١٧٣/٦ عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً .
قال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (١١٦/٣): «أخرجه صاحب «مسند الفردوس» من طريق محمد بن الحارث عن محمد بن عبدالرحمن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:... والمحمدان ضعيفان، وذكر البيهقي عن الشافعي أنه ذكره بلاغاً .

وقال ﷺ: «من أحب فطرتي فليستنّ بسنتي، ومن سنتي النكاح»[1].

أما من لا تتوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة له أفضل من النكاح [عند الشافعي رحمه الله، وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل][2].

قال الشافعي: وقد ذكر الله تعالى عبداً كرّمه فقال: «وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين» (آل عمران ـ ٣٩)، والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليه، وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن إلى النكاح.

وفي الآية دليل على أن تزويج النساء الأيامى إلى الأولياء؛ لأن الله تعالى خاطبهم به، كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات، لقوله عزّ وجلّ: ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾، وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم، روي ذلك عن عمر، وعلي، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وأبي هريرة، وعائشة، وبه قال سعيد بن المسيب، والحسن، وشريح، وإبراهيم النخعي، وعمر ابن عبدالعزيز، وإليه ذهب الثوري، والأوزاعيُّ، وعبدالله بن المبارك، والشافعي، وأحمد وإسحاق.

وجوز أصحاب الرأي للمرأة الحرة تزويج نفسها.

وقال مالك: إن كانت المرأة دنيئة يجوز لها تزويج نفسها، وإن كانت شريفة فلا.

والدليل على أن الولي شرط من جهة الأخبار: ما أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا محمد بن الحسن بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، أخبرنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا أبو عوانة عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «لا نكاح إلا بولي»[3].

= وفي الباب عن أبي أمامة أخرجه البيهقي.. وفيه محمد بن ثابت وهو ضعيف، وعن أنس صححه ابن حبان.. وعن حرملة ابن النعمان أخرجه الدار قطني في «المؤتلف والمختلف» وابن قانع في «الصحابة»، وفي مسند ابن مسعود من «علل الدارقطني» نحوه، وعن عياض بن غنم أخرجه الحاكم، وإسناده ضعيف.. وذكر ألفاظهم. وانظر: كشف الخفاء: ٣٨٠/١.

(١) أخرجه عبدالرزاق: ١٦٩/٦، وسعيد بن منصور: ١٣٨/١ عن عبيد بن سعد مرفوعاً، والبيهقي عن أبي هريرة: ٧٨/٧. قال الهيثمي في المجمع (٢٥٢/٤): «رواه أبو يعلى ورجاله ثقات إن كان عبيد بن سعد صحابياً وإلا فهو مرسل». وانظر: «المطالب العالية» لابن حجر: ٣٦/٢، «الكامل» لابن عدي: ٢٥٤٩/٧.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) أخرجه أبو داود في النكاح، باب في الولي: ٢٩/٣، والترمذي في النكاح، باب ما جاء: لا نكاح إلا بولي: ٢٢٦/٤ـ٢٢٧، وابن ماجه في النكاح برقم (١٨٨١): ٦٠٥/١، وصححه الحاكم: ١٦٩/٢، وابن حبان برقم (١٢٤٣) ص (٣٠٤)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣٩٤/٤.

قال الترمذي (٢٢٩/٤ـ٢٣٤): «وحديث أبي موسى حديث فيه اختلاف.. وساق الاختلاف في إسناده ثم قال: ورواية هؤلاء الذين رووا عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ: «لا نكاح إلا بولي» عندي أصح؛ لأن سماعهم من أبي إسحاق في أوقات مختلفة، وإن كان شعبة والثوري أحفظ وأثبت من جميع هؤلاء الذين رووا عن أبي إسحاق هذا الحديث...» ثم قال: «والعمل في هذا الباب على حديث النبي ﷺ: «لا نكاح إلا بولي» عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، منهم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن عباس، وأبو هريرة وغيرهم. =

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى الْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سعيد بن سالم عن ابن جريج، عن سليمان بن موسى، عن ابن شهاب، عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «أيما امرأةٍ نكحت نفسها بغير إذنِ وليها فنكاحُها باطلٌ، ثلاثاً، فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له»[(١)] .

قوله عزّ وجلّ : **﴿إنْ يكونوا فقراءَ يُغْنِهِمُ الله من فضلِهِ والله واسعٌ عليمٌ﴾**، قيل: الغنَى هاهنا: القناعة. وقيل: اجتماع الرزقين، رزق الزوج ورزق الزوجة. وقال عمر: عجبت لمن ابتغى الغنى بغير النكاح، والله عزّ وجلّ يقول : **﴿إنْ يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾**. [وروي عن بعضهم: أن الله تعالى وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى : **﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾**][(٢)]، وقال تعالى : «وإن يتفرقا يغنِ الله كلاً من سَعَتِه» (النساء ـ ١٣٠) .

﴿وليَسْتَعْفِفِ الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي: ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون مالا ينكحون به للصداق والنفقة، **﴿حتى يُغْنِيَهُمُ الله من فضلِهِ﴾** أي: يوسع عليهم من رزقه .

= وهكذا روي عن بعض فقهاء التابعين أنهم قالوا: لا نكاح إلا بولي. منهم سعيد بن المسيب والحسن البصري، وشريح وإبراهيم النخعي، وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم .
وبهذا يقول سفيان الثوري والأوزاعي ومالك وعبدالله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق .
وانظر: نصب الراية للزيلعي: ١٨٢/٣-١٨٤ .

(١) أخرجه أبو داود في النكاح، باب في الولي: ٢٦/٣-٢٧، والترمذي في النكاح: ٢٢٧/٤-٢٢٩، وقال: «هذا حديث حسن، وقد روى يحيى بن سعيد الأنصاري، ويحيى بن أيوب، وسفيان الثوري، وغير واحد من الحفاظ عن ابن جريج نحو هذا» . وأخرجه ابن ماجه في النكاح برقم (١٨٧٩): ٦٠٥/١، وصححه الحاكم: ١٦٨/٢ على شرط الشيخين، وابن حبان برقم (١٢٤٨)، ص (٣٠٥) من موارد الظمآن، والبيهقي: ١٠٥/٧، ١٠٧، والمصنف في شرح السنة: ٣٩/٩ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

قوله تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾، أي: يطلبون المكاتبة، ﴿مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم﴾، سبب نزول هذه الآية ما رُوي أن غلاماً لحويطب بن عبدالعزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، فأنزل الله هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار، ووهب له منها عشرين ديناراً فأدّاها، وقتل يوم حنين في الحرب(1).

والكتابة أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا من المال، ويسمي مالاً معلوماً، يؤدي ذلك في نجمين أو نجوم معلومة في كل نجم كذا، فإذا أديت فأنت حر، والعبد يقبل ذلك، فإذا أدى المال عتق، ويصير العبد / أحق بمكاسبه بعد الكتابة، وإذا أعتق بعد أداء المال فما فضل في ٤٠/أ
يده من المال، يكون له، ويتبعه أولاده الذين حصلوا في حال الكتابة في العتق، وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده إلى الرق، وما في يده من المال يكون لمولاه، لِما أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن نافع، أخبرنا عبدالله بن عمر كان يقول: «المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته [شيء»](2).

ورواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: «المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته](3) درهم»(4).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿فكاتبوهم﴾ أمر إيجاب، يجب على المولى أن يكاتب عبده الذي علم فيه خيراً إذا سأل العبد ذلك، على قيمته أو أكثر، وإن سأل على أقل من قيمته فلا يجب، وهو قول عطاء وعمرو بن دينار، ولما رُوي أنّ سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه فتلكأ عنهفشكا إلى عمر، فعلاه بالدرة وأمره بالكتابة فكاتبه(5).

وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه أمر ندب واستحباب.

ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي؛ لأنه عقد جُوِّز إرْفاقاً بالعبد، ومن تتمة الإرفاق أن يكون ذلك المال عليه إلى أجل حتى يؤديه على مهل، فيحصل المقصود، كالدية في قتل

(1) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٧٥)، الدر المنثور: ١٨٩/٦، تفسير القرطبي: ١٨٤/١٢.
(2) أخرجه مالك في الموطأ موقوفاً على ابن عمر، كتاب المكاتب، باب القضاء في المكاتب: ٧٨٧/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٧٣/٩.
(3) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(4) أخرجه أبو داود في العتاق، باب في المكاتب يؤدي بعض كتابته..: ٣٨٣/٥. قال المنذري: وفيه إسماعيل بن عياش وهو ضعيف، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٧٢/٩-٣٧٣.
(5) أخرجه الطبري: ١٢٦/١٨، وعبدالرزاق في «المصنف»: ٣٧٢/٨، وبمعناه عن قتادة عند البيهقي: ٣١٩/١٠، وعلقه البخاري: ١٨٤/٥. وانظر: فتح الباري: ١٨٦/٥-١٨٧.

الخطأ، وجبت على العاقلة على سبيل المواساة فكانت عليهم مؤجلة منجمة، وجوّز أبو حنيفة الكتابة على نجم واحد وحالّة[1].

قوله تعالى: ﴿إنْ علمتم فيهم خيراً﴾، اختلفوا في معنى الخير، فقال ابن عمر: قوة على الكسب. وهو قول مالك والثوري، وقال الحسن ومجاهد والضحاك: مالاً، كقوله تعالى: «إن ترك خيراً» (البقرة ـ ١٨٠) أي: مالاً، ورُوي أنّ عبداً لسلمان الفارسي قال له كاتبني، قال: ألك مال؟ قال: لا. قال: تريد أن تطعمني من أوساخ الناس، ولم يكاتبه[2].

قال الزجاج: لو أراد به المال لقال: إن علمتم لهم خيراً. وقال إبراهيم وابن زيد وعبيدة: صدقاً وأمانة[3]. وقال طاووس، وعمرو بن دينار: مالاً وأمانة[4].

وقال الشافعي: وأظهر معاني الخير في العبد: الاكتساب مع الأمانة، فأحب أن لا يمنع من كتابته إذا كان هكذا.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو الحسن بن علي بن شريك الشافعي، أخبرنا عبدالله بن محمد بن مسلم، أخبرنا أبو بكر الجوربذي، أخبرنا يونس بن عبدالأعلى، أخبرنا ابن وهب أخبرني الليث عن محمد بن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونهم: المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله»[5].

وحكى محمد بن سيرين عن عبيدة: «إن علمتم فيهم خيراً» أي: أقاموا الصلاة[6].

وقيل: هو أن يكون العبد بالغاً عاقلاً، فأما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصح. وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾، اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هذا خطاب للموالي، يجب على المولى أن يحط عن مكاتبه من مال كتابته شيئاً، وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة، وبه قال الشافعي.

---

(١) في «أ»: فعلّه.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف»: ٣٧٤/٨، والبيهقي: ٣٢٠/١٠.

(٣) أخرجه عبدالرزاق: ٣٧٠/٨، ٣٧١، والبيهقي: ٣١٨/١٠.

(٤) انظر: مصنف عبدالرزاق: ٣٧٠/٨، والبيهقي: ٣١٨/١٠.

(٥) أخرجه الترمذي في فضائل الجهاد، باب ما جاء في المجاهد والمكاتب والناكح..: ٢٩٦/٥، وقال: «هذا حديث حسن»، والنسائي في النكاح، باب معونة الله الناكح الذي يريد العفاف: ٦١/٦، وابن ماجه في العتق، باب المكاتب: ٨٤١/٢ـ٨٤٢، وصححه الحاكم: ١٦٠/٢، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٧/٩.

(٦) أخرجه عنه عبدالرزاق في المصنف: ٣٧١/٨.

ثم اختلفوا في قدره، فقال قوم: يحط عنه ربع مال الكتابة، وهو قول علي، ورواه بعضهم عن علي مرفوعاً[1]، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يحط عنه الثلث. وقال الآخرون: ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء[2]، وهو قول الشافعي .

قال نافع: كاتب عبدالله بن عمر غلاماً له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع عنه من آخر كتابته خمسة آلاف درهم[3] .

وقال سعيد بن جبير: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع إليه صدقته، ووضع من آخر كتابته ما أحب[4] .

وقال بعضهم: هو أمر استحباب. والوجوب أظهر .

وقال قوم: أراد بقوله: «وآتوهم من مال الله» أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات، بقوله تعالى : «وفي الرقاب» (التوبة ــ ٦٠) وهو قول الحسن وزيد بن أسلم[5] .

وقال إبراهيم: هو حث لجميع الناس على معونتهم[6] .

ولو مات المكاتب قبل أداء النجوم، اختلف أهل العلم فيه: فذهب كثير منهم إلى أنه يموت رقيقاً، وترتفع الكتابة، سواء ترك مالاً أو لم يترك، كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع. وهو قول عمر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وبه قال عمر بن عبدالعزيز، والزهري، وقتادة، وإليه ذهب الشافعي وأحمد .

وقال قوم: إن ترك وفاءً بما بقي عليه من الكتابة كان حراً، وإن كان فيه فضل، فالزيادة لأولاده الأحرار، وهو قول عطاء، وطاووس، والنخعي، والحسن، وبه قال مالك، والثوري، وأصحاب الرأي .

ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لأن عتقه معلق بالأداء، وقد وجد وتبعه الأولاد والاكتساب كما في الكتابة الصحيحة، ويفترقان في بعض الأحكام: وهي أن الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها مالم يعجز المكاتب عن أداء النجوم، [ولا تبطل بموت المولى، ويعتق بالإبراء

---

(١) أخرجه عبدالرزاق عن علي مرفوعاً: ٣٧٥/٧، والبيهقي: ٣٢٩/١٠، وأخرجه البيهقي من طريق آخر موقوفاً وقال: هذا هو الصحيح موقوف، وكذلك عبدالرزاق: ٣٧٦/٧، والطبري: ١٣١/١٨ .

(٢) انظر: الطبري: ١٣١/١٨، المصنف لعبد الرزاق: ٣٧٧/٨ .

(٣) أخرجه الطبري: ١٣١/١٨ .

(٤) أخرجه الطبري: ١٣١/١٨، وعبدالرزاق: ٣٧٧/٨، والبيهقي: ٣٣٠/٣ .

(٥) أخرجه الطبري: ١٣١/١٨ـ١٣٢ ورجح الطبري هذا القول وهو قول من قال: عني به إيتاءهم سهمهم من الصدقة المفروضة. انظر بالتفصيل: ١٣٢/١٨ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق عن إبراهيم: ٣٧٦/٨ـ٣٧٧ .

عن النجوم،][1] والكتابة الفاسدة يملك المولى فسخها قبل أداء المال، [حتى لو أدى المال][1] بعد الفسخ لا يعتق ويبطل بموت المولى، ولا يعتق بالإبراء عن النجوم، وإذا عتق المكاتب بأداء المال لا يثبت التراجع في الكتابة الصحيحة، ويثبت في الكتابة الفاسدة، فيرجع المولى عليه بقيمة رقبته، وهو يرجع على المولى بما دفع إليه إن كان مالاً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ولا تُكْرِهُوا فتياتِكم على البغاءِ إن أردنَ تَحَصُّناً**﴾ الآية، نزلت في عبدالله ابن أُبيّ بن سلول المنافق، كانت له جاريتان: معاذة ومسيكة، وكان يكرههما على الزنا بالضريبة يأخذها منهما، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية، يؤجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام / قالت معاذة ٤٠/ب
لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين، فإن يك خيراً فقد استكثرنا منه، وإن يك شراً فقد آن لنا أن نَدَعَه، فأنزل الله هذه الآية[2].

وروي أنه جاءت إحدى الجاريتين يوماً ببُرْدٍ وجاءت الأخرى بدينار، فقال لهما: ارجعا فازنيا، قالتا: والله لا نفعل، قد جاء الإسلام وحرّم الزنا، فأتيا رسول الله ﷺ وشكتا إليه، فأنزل هذه الآية[3]:

﴿**ولا تُكرهوا فتياتكم**﴾ إماءكم ﴿**على البغاء**﴾ أي: الزنا ﴿**إن أردن تحصناً**﴾ أي: إذا أردن، وليس معناه الشرط، لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا وإن لم يردن تحصناً، كقوله تعالى: «وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» (آل عمران ـ ١٣٩)، [أي: إذا كنتم مؤمنين][4] وقيل: شرط إرادة التحصن لأن الإكراه إنما يكون عند إرادة التحصن، فإذا لم ترد التحصن بَغَتْ طوعاً، والتحصن: التعفف.

وقال الحسن بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصناً ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء.

﴿**لتبتغوا عرض الحياة الدنيا**﴾، أي: لتطلبوا من أموال الدنيا، يريد من كسبهن وبيع أولادهن، ﴿**ومن يكرههنّ فإن الله من بعد إكراههن غفورٌ رحيم**﴾، يعني للمكرهات، والوزر على المُكرِه. وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال: لهن والله لهن والله.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) عزاه الواحدي في أسباب النزول ص (٣٧٧) للمفسرين، وساق روايات أن الآية نزلت في عبدالله بن أُبيّ كان يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً.. وهو في صحيح مسلم.

(٣) قاله مقاتل: انظر: أسباب النزول للواحدي ص٣٧٧ـ٣٧٨.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ
فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ
مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ولقد أنزلنا إليكم آياتٍ مُبيِّناتٍ**﴾، من الحلال والحرام، ﴿**ومثلاً من الذين خَلَوا من قبلكم**﴾، أي: شبهاً من حالكم بحالهم أيها المكذبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذبين، ﴿**وموعظةً للمتقين**﴾، للمؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**اللهُ نورُ السمواتِ والأرض**﴾، قال ابن عباس: هادي أهل السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من الضلالة ينجون.

وقال الضحاك: منوّر السموات والأرض، يقال: نوّر السماء بالملائكة ونوّر الأرض بالأنبياء.

وقال مجاهد: مدبر الأمور في السموات والأرض[1].

وقال أُبيّ بن كعب والحسن وأبو العالية: مزّين السموات والأرض، زيّن السماء بالشمس والقمر والنجوم، وزيّن الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين. ويقال: بالنبات والأشجار.

وقيل: معناه الأنوار كلها منه، كما يقال: فلان رحمة أي منه الرحمة. وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل:

إذا سَارَ عَبْدُ اللهِ مِنْ مَرْوَ ليلةً فقد سَارَ منها نورُها وجمالُها

قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ نُورِهِ**﴾ أي: مثل نور الله تعالى في قلب المؤمن، وهو النور الذي يهتدي به، كما قال «فهو على نور من ربه» (الزمر ـ ٢٢)، وكان ابن مسعود يقرأ: «مثل نوره في قلب المؤمن». وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: مثل نوره الذي أعطى المؤمن. وقال بعضهم: الكناية عائدة إلى المؤمن، أي: مثل نور قلب المؤمن، وكان أُبيّ يقرأ: «مثل نور من آمن به» وهو عبد جُعل الإيمانُ والقرآنُ في صدره. وقال الحسن وزيد بن أسلم: أراد بالنور القرآن. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو محمد ﷺ. وقيل: أراد بالنور الطاعة، سمّي طاعةَ الله نوراً وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلاً،

---

(١) ذكر هذه الأقوال الثلاثة الطبري: ١٨/١٣٥ ورجح القول الأول الذي قال به ابن عباس رضى الله عنهما.

شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥

﴿كمشكاة﴾، وهي الكوة التي لا منفذ لها فإن كان لها منفذ فهي كوة. وقيل: المشكاة حبشية. قال مجاهد: هي القنديل[1] ﴿فيها مصباح﴾ أي: سراج، أصله من الضوء، ومنه الصبح، ومعناه: كمصباح في مشكاة، ﴿المصباح في زجاجة﴾، يعني القنديل، قال الزجاج: إنما ذكر الزجاجة لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء، وضوؤه يزيد في الزجاج، ثم وصف الزجاجة، فقال: ﴿الزجاجةُ كأنها كوكب دُرِّيٌّ﴾، قرأ أبو عمرو والكسائي: «دِرِّيء» بكسر الدال والهمزة، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمزة، فمن كسر الدال فهو فعيل من الدرء، وهو الدفع، لأن الكوكب يدفع الشياطين من السماء، وشبهه بحالة الدفع لأنه يكون في تلك الحالة أضْوَأ وأنورَ، ويُقال: هو من درأ الكوكب إذا اندفع منقبضاً فيتضاعف ضوءه في ذلك الوقت. وقيل: «دُري» أي: طالع، يقال: درأ النجم إذا طلع وارتفع. ويقال: درأ علينا فلان أي طلع وظهر، فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ حمزة، قال أكثر النحاة: هو لحن، لأنه ليس في كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين.

قال أبو عبيدة: وأنا أرى لها وجهاً وذلك أنها دروء على وزن فعول من دراتُ، مثل سبوح وقدوس، وقد استثقلوا كثرة الضمات فردوا بعضها إلى الكسر، كما قالوا: عتياً وهو فعول من عتوت، وقرأ الآخرون ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضم الدال وتشديد الياء بلا همز، أي: شديد الإنارة، نُسِبَ إلى الدُّرِّ في صفائه وحسنه، وإن كان الكوكب أكثر ضوءًا من الدر لكنه يَفْضُل الكواكبَ بضيائه، كما يفضل الدرُّ سائرَ الحب.

وقيل: الكوكب الدري واحد من الكواكب الخمسة العظام، وهي زُحَلٌ، والمريخ، والمشترى، والزهرة، وعطارد.

وقيل: شبهه بالكوكب، ولم يشبهه بالشمس والقمر، لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف.

﴿يوقد﴾ قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: «تَوَقَّدَ» بالتاء وفتحها وفتح الواو والدال وتشديد القاف على الماضي، يعني المصباح، أي: اتقد، يقال توقدت النار أي: اتقدت. وقرأ

---

(١) قال الطبري: (١٨/١٤٠): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مَثَلٌ ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدَّقوا بما فيه في قلوب المؤمنين، مَثَل مشكاةٍ، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكُوَّة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها، وذلك مثل القرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصَّدْرَ في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات، ومواعظه فيها ـ بالكوكب الدري فقال: الزجاجة، ذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه كأنها كوكب دري».

أهل الكوفة غير حفص «تُوْقَد» بالتاء وضمها وفتح القاف خفيفاً، يعني الزجاجة أي: نار الزجاجة لأن الزجاجة لا توقد، وقرأ الآخرون بالياء وضمها خفيفاً يعني المصباح، ﴿**من شجرة مباركة زيتونة**﴾، أي: من زيت شجرة مباركة، فحذف المضاف بدليل قوله تعالى ﴿**يكاد زيتها يضيء**﴾ وأراد بالشجرة المباركة : الزيتونة / وهي كثيرة البركة، وفيها منافع كثيرة، لأن الزيت يسرج به، وهو أضوأ وأصفى الأدهان، وهو إدام وفاكهة، ولا يحتاج في استخراجه إلى إعصار بل كل أحد يستخرجه، وجاء في الحديث: «أنه مصحة من الباسور»[1]، وهي شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها . ٤١/أ

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي، أخبرنا أبو أمية الطوسي، أخبرنا أبي قبيصة بن عقبة، أخبرنا سفيان الثوري، عن عبدالله بن عيسى، عن عطاء الذي كان بالشام، وليس بابن أبي رباح، عن أسد بن ثابت وأبي أسلم الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ : «كُلُوا الزيتَ وادّهِنوا به فإنه من شجرةٍ مباركة»[2] .

قوله تعالى : ﴿**لا شرقية ولا غربية**﴾، أي: ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت، ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت، بل هي ضاحية الشمس طول النهار، تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها، فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين، فيكون زيتها أضوأ، وهذا كما يقال: فلان ليس بأسود ولا بأبيض، يريد ليس بأسود خالص ولا بأبيض خالص، بل اجتمع فيه كل واحد منهما، وهذا الرمان ليس بحلو ولا حامض، أي اجتمعت فيه الحلاوة والحموضة، هذا قول ابن عباس في رواية عكرمة والكلبي، والأكثرين .

وقال السديّ وجماعة: معناه أنها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل، فهي لا تضرها شمس ولا ظل .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٢٨١/١٧، وابن أبي حاتم في العلل: ٢٧٩/٢ وقال: «قال أبي: هذا كذب» وذكره الذهبي في الميزان: (٤٠/٣) في ترجمة عثمان بن صالح وهو علة هذا الحديث؛ ليّنه أحمد بن صالح .
قال الهيثمي في «المجمع»: (١٠٠/٦): «رواه الطبراني، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، ولكن ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمة عثمان عن أبي صالح ونقل عن أبي حاتم أنه كذاب» .
وزاد ابن حجر نسبته لأبي نعيم في الطب، والثعلبي، انظر: الكافي الشاف ص (١١٩)، سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٢٢٨/١ .

(٢) أخرجه الترمذي في الأطعمة، باب ما جاء في أكل الزيت: ٥٨٥/٥ـ٥٨٦ وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، إنما نعرفه من حديث عبدالله بن عيسى» وصححه الحاكم: ٣٩٨/٢، وأخرجه الدارمي في السنن: ٢٨/٢، والإمام أحمد في المسند: ٤٩٧/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣١١/١١ .
قال الألباني: «روي من حديث عمر، وأبي أسيد، وأبي هريرة، وعبدالله بن عباس.. وساق طرقه إليهم ثم قال: وجملة القول أن الحديث بمجموع طريقي عمر وطريق أبي سعيد يرتقي إلى درجة الحسن لغيره على أقل الأحوال. والله أعلم» .
انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٦٥٤/١ـ٦٥٧ .

وقيل: معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر، ولا في غرب يضرها البرد .

وقيل: معناه هي شامية لأن الشام لا شرقي ولا غربي .

وقال الحسن: ليست هذه من أشجار الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره(١) .

﴿**يكاد زيتها**﴾، دهنها، ﴿**يضيء**﴾، من صفائه، ﴿**ولو لم تَمْسَسْهُ نار**﴾، أي: قبل أن تصيبه النار، ﴿**نور على نور**﴾، يعني نور المصباح على نور الزجاجة .

واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل، فقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور محمد ﷺ، قال ابن عباس لكعب الأحبار: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿**مثل نوره كمشكاة**﴾ فقال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيه ﷺ، فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح فيه النبوة، توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار(٢) .

وروى سالم عن ابن عمر في هذه الآية قال: المشكاة: جوف محمد، والزجاجة: قلبه، والمصباح: النور الذي جعله الله فيه، لا شرقية ولا غربية: ولا يهودي ولا نصراني، توقد من شجرة مباركة: إبراهيم، نور على نور، قلب إبراهيم، ونور: قلب محمد ﷺ(٣) .

وقال محمد بن كعب القرظي: «المشكاة» إبراهيم، و«الزجاجة»: إسماعيل و«المصباح»: محمد صلوات الله عليهم أجمعين سماه الله مصباحاً كما سماه سراجاً، فقال تعالى : «وسراجاً منيراً» (الأحزاب ـ ٤٦)، «توقد من شجرة مباركة» وهي إبراهيم، سماه مباركة لأن أكثر الأنبياء من صلبه، «لا شرقية ولا غربية» يعني: إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً، لأن اليهود تصلي قِبَلَ المغرب والنصارى تصلي قِبَلَ المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، تكاد محاسن محمد ﷺ تظهر للناس قبل أن يوحى إليه «نور على نور»: نبي من نسل نبي، نور محمد على نور إبراهيم .

وقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن. روى أبو العالية عن أُبيّ بن كعب قال: هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره، والمصباح ما جعل الله فيه من الإيمان، والقرآن

---

(١) ذكر الطبري هذه الأقوال، ثم قال: «وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك، قول من قال: إنها شرقية غربية. وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشيِّ دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية .
وإنما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام؛ لأن الله إنما وصف الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة، فإذا كان شجره شرقياً غربياً، كان زيته لا شكّ أجود وأصفى وأضوَا» .
تفسير الطبري: ١٨/١٤٢ـ١٤٣ .

(٢) عزاه السيوطي في «الدر»: (٦/١٩٨) لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٣) عزاه السيوطي في الموضع السابق للطبراني وابن عدي وابن مردويه وابن عساكر .

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾

في قلبه يوقد من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده، فمثله كمثل الشجرة التي التف بها الشجر خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن، قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال إن أُعطيَ شكر وإن ابْتلي صَبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق، يكاد زيتها يضيء أي: يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه نور على نور. قال أُبيّ فهو يتقلب في خمسة أنوار: قوله نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة[(١)] .

قال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوئه، كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدىً على هدى ونوراً على نور[(٢)] .

قال الكلبي: قوله **﴿نور على نور﴾** يعني: إيمان المؤمن وعمله .

وقال السدي: نورالإيمان ونور القرآن .

وقال الحسن وابن زيد[(٣)] : هذا مثل القرآن، فالمصباح هو القرآن فكما يُستضاء بالمصباح يُهتدى بالقرآن، والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي، «يكاد زيتها يضيء» تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ، نور على نور: يعني القرآن نور من الله عزّ وجلّ لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن، فازداد بذلك نوراً على نور[(٤)] .

قوله عزّ وجلّ : **﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لدين الإسلام، وهو نور البصيرة، وقيل: القرآن **﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾**، يبين الله الأشياء للناس تقريباً للأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك، **﴿والله بكل شيء عليم﴾** .

قوله : **﴿في بيوت أذن الله﴾**، أي: ذلك المصباح في بيوت. وقيل: يوقد في بيوت، والبيوت: هي المساجد، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «المساجد بيوت الله في الأرض، وهي تضيء / لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض» . ٤١/ب

---

(١) أخرجه الطبري: ١٣٨/١٨، وانظر: الدر المنثور: ١٩٧/٦ .

(٢) الطبري نفسه، الدر المنثور: ١٩٧/٦ .

(٣) الطبري: ١٣٧/١٨ .

(٤) انظر ما سبق نقله عن الطبري في ترجيح أن ذلك مثل ضربه الله تعالى للقرآن في قلب أهل الإيمان به :ص (٧٦) .

وروى صالح بن حيان عن ابن بريدة في قوله تعالى: «في بيوت أذن الله»، قال: إنما هي أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلاها قبلة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ، ومسجد قباء أُسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ(١) .

قوله : ﴿**أن ترفع**﴾، قال مجاهد: أن تبنى، نظيره قوله تعالى: «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت» (البقرة ـ ١٢٧)، قال الحسن: أي تعظم أي لا يذكر فيه الخنَا مِنَ القول. ﴿**ويذكر فيها اسمه**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يتلى فيها كتابه، ﴿**يسبّح**﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر «يُسبَّح» بفتح الباء على غير تسمية الفاعل، والوقفُ على هذه القراءة عند قوله: «والآصال»، وقرأ الآخرون بكسر الباء، جعلوا التسبيح فعلاً للرجال، ﴿**يسبّح له**﴾، أي: يصلي، ﴿**له فيها بالغدو والآصال**﴾، أي بالغداة والعشي .

قال أهل التفسير: أراد به الصلوات المفروضات. فالتي تؤدى بالغداة صلاة الصبح، والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصيل يجمعهما. وقيل: أراد به صلاة الصبح والعصر .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني، حدثنا محمد بن يحيى، أخبرنا عبدالله بن رجاء، أخبرنا همام بن أبي حمزة، أن أبا بكر بن عبدالله بن قيس حدثه عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «من صلى البَرْدَين دخل الجنة»(٢) .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: التسبيح بالغدو صلاة الضحى(٣) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن السمعان، أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا الهيثم بن حميد، أخبرني يحيى بن الحارث، عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : «من مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجْرُه كأجر الحاج المحرم، ومن مشى إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إيّاه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين»(٤) .

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٢٠٣/٦ .

(٢) أخرجه البخاري في المواقيت، باب فضل صلاة الفجر: ٥٢/٢، ومسلم في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، برقم (٦٣٥): ٤٤٠/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٧/٢ .

(٣) عزاه السيوطي في «الدر»: (٢٠٦/٦) لابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الإيمان .

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة: ٢٩٤/١. قال المنذري: «القاسم بن عبدالرحمن فيه مقال». والإمام أحمد: ٢٦٨/٥، والبيهقي في السنن: ٤٩/٣، والطبراني في الكبير: ١٥٠/٨، ٢٠٧، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٧/٢، وانظر: نصب الراية: ١٥١/٣ .

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿**رجال**﴾، قيل: خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المسجد، ﴿**لا تُلهيهم**﴾، لا تشغلهم، ﴿**تجارة**﴾، قيل خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات، وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لأنه ذكر البيع بعد هذا، كقوله : «وإذا رأوا تجارة» (الجمعة ـ ١١) يعني: الشراء، وقال الفراء: التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه. قوله: ﴿**ولا بيعٌ عن ذكر الله**﴾، عن حضور المساجد لإقامة الصلاة، ﴿**وإقام**﴾، أي: لإقامة، ﴿**الصلاة**﴾، حذف الهاء وأراد أداءها في وقتها، لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة، وأعاد ذكر إقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لأنه أراد بإقام الصلاة حفظ المواقيت .

روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام**﴾(١) .

﴿**وإيتاء الزكاة**﴾، المفروضة، قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها. وقيل: هي الأعمال الصالحة. ﴿**يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾، قيل: تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر، وتنفتح الأبصار من الأغطية. وقيل: تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة، وتقلب الأبصار من هَوْلِه أي: ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون الكتب من قبل الأيمان أم من قبل الشمائل، وذلك يوم القيامة. وقيل: تتقلب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج، وتقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته .

﴿**ليجزيهم الله أحسنَ ما عملوا**﴾، يريد: أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، أي بأحسن ما عملوا، يريد: يجزيهم بحسناتهم، وما كان من مساوىء أعمالهم لا يجزيهم بها، ﴿**ويزيدهم من فضله**﴾، مالم يستحقوه بأعمالهم، ﴿**والله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾، ثم ضرب لأعمال الكفار مثلاً، فقال تعالى :

---

(١) أخرجه الطبري: ١٤٦/١٨، وعبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ٢٠٧/٦ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩
أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ
ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا
لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠

﴿والذين كفروا أعمالُهم كسراب بِقِيْعَةٍ﴾، «السراب» الشعاع الذي يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري، يشبه الماء الجاري على الأرض يظنه من رآه ماء، فإذا قرب منه انفشّ فلم يَرَ شيئاً، و«الآل» ما ارتفع من الأرض، وهو شعاع يرى بين السماء والأرض بالغدوات شبه الملاءة يرفع فيه الشخوص يرى فيه الصغير كبيراً والقصير طويلاً، و«الرقراق» يكون بالعشايا، وهو ما ترقرق من السراب، أي جاء وذهب. و«القيعة»: جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الأرض، وفيه يكون السراب، ﴿يحسبه الظمآنُ﴾، أي: يتوهمه العطشان، ﴿ماءً حتى إذا جاءه﴾ أي: جاء ما قد رأى أنه ماء. وقيل: جاء موضع السراب، ﴿لم يجِدْه شيئاً﴾، على ما قدره وحسبه، كذلك الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا أتاه مَلَك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى منه شيئاً ولا نفعه. ﴿ووجد الله عنده﴾، أي: عند عمله، أي: وجد الله بالمرصاد. وقيل: قدم على الله، ﴿فوفَّاه حسابه﴾، أي جزاء عمله، ﴿والله سريعُ الحساب﴾ .

﴿أو كظلماتٍ﴾، وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول: مثل أعمالهم من فسادها وجهالتهم فيها كظلمات، ﴿في بحرٍ لُجِّيٍّ﴾، وهو العميق الكثير الماء، ولُجّة البحر: معظمه،
٤٢/أ ﴿يغشاه﴾، يعلوه، ﴿موجٌ من فوقه موج﴾، متراكم، ﴿من فوقهِ / سَحَابٌ﴾، قرأ ابن كثير برواية القواس: «سحاب» بالرفع والتنوين، ﴿ظلماتٍ﴾، بالجر على البدل من قوله «أو كظلمات». وروى أبو الحسن البري عنه : «سحابُ ظلماتٍ» بالإضافة، وقرأ الآخرون «سحابٌ ظلماتٌ»، كلاهما بالرفع والتنوين، فيكون تمام الكلام عند قوله «سحاب» ثم ابتدأ فقال: ﴿ظلمات بعضُها فوق بعض﴾، ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر بعضها فوق بعض، أي: ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة الموج فوق الموج، وظلمة السحاب على ظلمة الموج، وأراد بالظلمات أعمال الكافر وبالبحر اللجي قلبه، وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الختم والطبع على قلبه .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ
صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى
ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾

قال أُبيّ بن كعب: في هذه الآية الكافر يتقلب في خمسة من الظُّلَم: فكلامُه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار(١).

﴿إذا أخرج﴾، يعني: الناظر، ﴿يده لم يَكَدْ يراها﴾، يعني لم يقرب من أن يراها من شدة الظلمة. وقال الفراء: «يكد» صلة، أي: لم يرها، [قال المبرد: يعني لم يرها](٢) إلّا بعد الجهد، كما يقول القائل: ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه، ولكن بعد يأس وشدة. وقيل: معناه قرب من رؤيتها ولم يرها، كما يقال: كاد النعام يطير. ﴿ومَنْ لم يجعلِ الله له نوراً فما له مِنْ نورٍ﴾، قال ابن عباس: من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له. وقيل: من لم يهده الله فلا إيمان له ولا يهديه أحد.

وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما جاء الإسلام كفر. والأكثرون على أنه عام في جميع الكفار(٣).

قوله عزّ وجلّ: ﴿ألم ترَ أن الله يسبِّحُ له مَنْ في السموات والأرضِ والطيرُ صافَّاتٍ﴾، باسطات أجنحتهن بالهواء. قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من في السماء والأرض، ﴿كلٌّ قد عَلِمَ صلاتَه وتسبيحَهُ﴾، قال مجاهد: الصلاة لبني آدم، والتسبيح لسائر الخلق. وقيل: إن ضَرْب الأجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه. قوله: ﴿كُلٌّ قد علم﴾، أي: كل مصلٍّ ومسبِّح علم الله صلاته وتسبيحه. وقيل: معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه، ﴿والله عليم بما يفعلون﴾.

﴿ولله ملكُ السموات والأرض وإلى الله المصير﴾.

﴿ألم ترَ أن الله يُزْجي﴾، يعني: يسوق بأمره، ﴿سَحَاباً﴾، إلى حيث يريد، ﴿ثم يُؤلِّف بينه﴾، أي: يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض، ﴿ثم يجعله رُكاماً﴾، متراكماً بعضه فوق

(١) الطبري: ١٨/١٥١.
(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٣) انظر: البحر المحيط: ٦/٤٦٠.

﴿وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾

بعض، ﴿فترى الوَدْقَ﴾، يعني المطر، ﴿يخرج من خِلالِه﴾، وسطه وهو جمع الخَلَل، كالجبال جمع الجبل. ﴿ويُنزِّل من السماء من جبالٍ فيها من بَرَدٍ﴾، يعني: ينزل البرد، و«من» صلة، وقيل: معناه وينزل من السماء من جبال، أي: مقدار جبال في الكثرة من البرد، و«من» في قوله «من جبال» صلة، أي: وينزل من السماء جبالاً من برد. وقيل: معناه وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أخبر الله عزّ وجلّ أن في السماء جبالاً من برد، ومفعول الإنزال محذوف تقديره: وينزل من السماء من جبال فيها برد، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه. قال أهل النحو ذكر الله تعالى «من» ثلاث مرات في هذه الآية فقوله «من السماء» لابتداء الغاية، لأن ابتداء الإنزال من السماء، وقوله تعالى «من جبال» للتبعيض لأن ما ينزله الله تعالى بعض تلك الجبال التي في السماء، وقوله تعالى: «من برد» للتجنيس لأن تلك الجبال من جنس البرد. ﴿فيصيبُ به﴾، يعني بالبرد ﴿من يشاء﴾، فيهلك زروعه وأمواله، ﴿ويَصْرِفُه عمن يشاء﴾، فلا يضره، ﴿يكاد سَنا بَرْقِهِ﴾، يعني ضوء برق السحاب، ﴿يَذْهب بالأبصار﴾، من شدة ضوئه وبريقه، وقرأ أبو جعفر : «يُذْهِب» بضم الياء وكسر الهاء .

﴿يُقلّب اللّهُ الليلَ والنهارَ﴾، يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب بالنهار، ويأتي بالنهار ويذهب بالليل .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا الحميدي، أخبرنا سفيان، أخبرنا الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : «يؤذيني ابن آدم، يسبُّ الدهرَ، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلّب الليل والنهار»[1] .

قوله تعالى : ﴿إنّ في ذلك﴾، يعني في ذلك الذي ذكرت من هذه الأشياء، ﴿لَعِبْرَةً لأُولي الأبصار﴾، يعني: دلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده .

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الجاثية: ٥٧٤/٨، ومسلم في الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر، برقم (٢٢٤٦): ١٧٦٢/٤ .

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**والله خلق كلَّ دابّة**﴾، قرأ حمزة والكسائي، «خالقُ كُلِّ» بالإضافة، وقرأ الآخرون «خَلَقَ كُلَّ» على الفعل، ﴿**من ماء**﴾، يعني: من نطفة، وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا، ولا يدخل فيه الملائكة ولا الجن، لأنا لا نشاهدهم. وقيل: أصل جميع الخلق من الماء، وذلك أن الله تعالى خلق ماء ثم جعل بعضه ريحاً فخلق منها الملائكة، وبعضه ناراً فخلق منها الجن، وبعضها طيناً فخلق منها آدم، ﴿**فمنهم من يمشي على بطنِه**﴾، كالحيات والحيتان والديدان، ﴿**ومنهم من يمشي على رِجْلين**﴾، مثل بني آدم والطَّير، ﴿**ومنهم من يمشي على أربعٍ**﴾، كالبهائم والسباع، ولم يذكر من يمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الأرض، لأنها في الصورة كالتي يمشي على الأربع، وإنما قال: «من يمشي»، و«مَنْ» إنما تستعمل فيمن يعقل دون من لا يعقل من الحيات والبهائم، لأنه ذكر كل دابة، فدخل فيه الناس وغيرهم، وإذا جمع اللفظ من يعقل ومن لا يعقل تجعل الغلبة لمن يعقل. ﴿**يخلق الله ما يشاء إنّ الله على كل شيء قدير**﴾.

﴿**لقد أنزلنا**﴾، إليك، ﴿**آياتٍ مُبيّناتٍ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾.

﴿**ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا**﴾. يعني: المنافقين يقولونه، ﴿**ثم يتولى**﴾، يعرض عن طاعة الله ورسوله، ﴿**فريقٌ منهم مِنْ بعدِ ذلك**﴾ /، أي: من بعد قولهم: آمنَّا، ويدعو إلى غير حكم الله. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وما أولئك بالمؤمنين**﴾، نزلت هذه الآية في بِشْرٍ المنافق، كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فإن محمداً يحيف علينا، فأنزل الله هذه الآية[1]. ٤٢/ب

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٧٨)، البحر المحيط: ٦/٤٦٧، القرطبي: ١٢/٢٩٣، وراجع فيما سبق: ٢/٢٤٢-٢٤٣. والقصة من رواية الكلبي وهو ضعيف.

وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ
ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ
إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ
﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾
۞وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ
إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾

وقال: ﴿**وإذا دُعوا إلى الله ورسولِه ليَحْكُمَ بينهم**﴾، الرسول بحكم الله، ﴿**إذا فريقٌ منهم مُعْرِضون**﴾، أي عن الحكم. وقيل: عن الإجابة.

﴿**وإنْ يكن لهمُ الحقُّ يأتوا إليه مُذعنين**﴾، مطيعين منقادين لحكمه، أي: إذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً بالحق.

﴿**أفي قلوبهم مرضٌ أمِ ارْتابُوا**﴾، أي: شكوا، هذا استفهام ذم وتوبيخ، أي: هم كذلك، ﴿**أم يخافون أن يَحِيفَ اللّهُ عليهم ورسولُهُ**﴾، أي: بظلم، ﴿**بلْ أولئك همُ الظالمون**﴾ لأنفسهم بإعراضهم عن الحق.

﴿**إنّما كان قولَ المؤمنين إذا دُعُوا إلى الله ورسوله**﴾، إلى كتاب الله ورسوله، ﴿**ليحكم بينهم**﴾، هذا ليس على طريق الخبر لكنه تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا، ونصب القول على الخبر واسمه في قوله تعالى: ﴿**أن يقولوا سمعنا وأطعنا**﴾، أي: سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة. ﴿**وأولئك همُ المفلحون**﴾.

﴿**ومَنْ يطعِ الله ورسولَه**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فيما ساءه وسره ﴿**ويَخْشَى الله**﴾ على ما عمل من الذنوب. ﴿**ويَتَّقْهِ**﴾، فيما بعد، ﴿**فأولئك هُمُ الفائزون**﴾، الناجون، قرأ أبو عمرو وأبو بكر «يتقـه» ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر ويعقوب وقالون، كما في نظائرها ويشبعها الباقون كسراً، وقرأ حفص «يتّقْـهِ» بسكون القاف واختلاس الهاء، وهذه اللغة إذا سقطت الياء للجزم يسكنون ما قبلها، يقولون: لم أشترْ طعاماً، بسكون الراء.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانِهم**﴾، جهد اليمين أن يحلف بالله، ولا حلف فوق

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ
وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

الحلف بالله، ﴿لئن أمرتهم ليخرجُنَّ﴾، وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ : أينما كنت نكن معك، لئن خرجتَ خرجنا، وإن أقمت أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال تعالى : ﴿قلْ﴾، لهم، ﴿لا تُقسِموا﴾، لا تحلفوا، وقد تم الكلام، ثم قال: ﴿طاعةٌ معروفة﴾، أي: هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد، وهي معروفة أي: أمر عرف منكم أنكم تكذبون وتقولون مالا تفعلون، هذا معنى قول مجاهد رضي الله عنه. وقيل: معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل. وقال مقاتل بن سليمان: لتكن منكم طاعة معروفة. ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ .

﴿قلْ أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ فإن تولَّوا﴾، أي: تولوا عن طاعة الله ورسوله، ﴿فإنما عليه ما حُمّلَ﴾، يعني: على الرسول ما كُلّف وأُمر به من تبليغ الرسالة، ﴿وعليكم ما حُمّلتم﴾، من الإجابة والطاعة، ﴿وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلّا البلاغ المبين﴾، أي: التبليغ البيِّن .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وَعَدَ اللّهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحاتِ ليستخلفنّهم في الأرض﴾، قال أبو العالية في هذه الآية: مكث النبي ﷺ بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه، وأُمروا بالصبر على أذى الكفار، وكانوا يُصْبِحُون ويُمْسُون خائفين، ثم أُمروا بالهجرة إلى المدينة، وأُمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه، فقال رجل منهم: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فأنزل الله هذه الآية[1]: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

(١) أخرجه الطبري: ١٨/١٥٩-١٦٠ وعزاه السيوطي: (٦/٢١٥) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (١١٩-١٢٠): «ووصله الحاكم: ٢/٤٠١، وابن مردويه»، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٨٣): «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات» . =

ليستخلفنّهم﴾ أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة، يعني: والله ليستخلفنّهم، أي: ليورثنّهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها، ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم: «كما استخلف» بضم التاء وكسر اللام على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح التاء واللام لقوله تعالى: «وعد الله». قال قتادة: ﴿كما استخلف﴾ داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء. وقيل: «كما استخلف الذين من قبلهم» أي: بني إسرائيل حيث أهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لهم دينهمُ الذي ارتضى لهم﴾، أي: اختار، قال ابن عباس: يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾، قرأ ابن كثير وأبو بكر ويعقوب بالتخفيف من الإبدال، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبديل، وهما لغتان، وقال بعضهم: التبديل تغيير حال إلى حال، والإبدال رفع الشيء وجعل غيره مكانه، ﴿من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني﴾، آمنين، ﴿لا يشركون بي شيئاً﴾، فأنجز الله وعده، وأظهر دينه، ونصر أولياءه، وأبدلهم بعد الخوف أمناً وبسطاً في الأرض.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن الحكم، أخبرنا النضر، أخبرنا إسرائيل، أخبرنا سعيد الطاهري، أخبرنا محمد بن خليفة، عن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكى إليه قطع السبيل، فقال: «ياعدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها»، قال: «فإن طالت بك حياة فَلَتَرَيَنَّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله»، قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد؟، «ولئن طالت بك حياة لتفتحنّ كنوز كسرى» قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «كسرى بن هرمز، لئن طالت بك حياة لترينّ الرجل يخرج ملء كفه من ذهب وفضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليَلْقَيَنَّ اللَّهَ أحدُكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم، فليقولنّ له: ألم أبعث
٤٣/أ إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً / وأفضل عليك؟ فيقول: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنّم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم»، قال عدي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»، قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت ممن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترونّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه[1].

= وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٧٩)، القرطبي: ١٢/٢٩٧، الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي ص (١٠٨).

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة: ٦/٦١٠-٦١١، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٣١-٣٣.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٥٧﴾

وفي الآية دلالة على خلافة الصديق وإمامة الخلفاء الراشدين.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، أخبرنا علي بن الجعد، أخبرني حماد هو ابن مسلمة بن دينار، عن سعيد بن جمهان، عن سفينة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكونُ مُلْكاً». ثم قال: أمسك خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشراً، وعثمان اثنتا عشر، وعلي ستة. قال علي: قلت لحماد: سفينةُ القائلُ لسعيدٍ أمسك؟ قال: نعم[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ومن كفر بعد ذلك**﴾، أراد به كفران النعمة، ولم يرد الكفر بالله، ﴿**فأولئك هم الفاسقون**﴾، العاصون لله.

قال أهل التفسير: أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه، فلما قتلوه غيّر الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً.

أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن عثمان بن القاسم المعروف بابن أبي نصر، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة المعروف بالطرابلسي، أخبرنا إسحاق ابن إبراهيم بن عباد، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن حميد بن هلال قال: قال عبدالله ابن سلام في عثمان: إن الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول الله ﷺ حتى اليوم، فوالله لئن قتلتموه ليذهبون ثم لا يعودون أبداً، فوالله لا يقتله رجل منكم إلا لقي الله أجذم لا يَدَ لهُ، وإن سيف الله لم يزل مغموداً عنكم، والله لئن قتلتموه ليسلنّه الله ثم لا يغمده عنكم، إما قال: أبداً، وإما قال: إلى يوم القيامة، فما قتل نبي قط إلّا قتل به سبعون ألفاً، ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون**﴾، أي: افعلوها على رجاء الرحمة. ﴿**لا تحسبَنَّ الذين كفروا**﴾، قرأ عامر وحمزة «لا يحسبن» بالياء، أي:

(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب في الخلفاء: ٢٧/٧ بلفظ: «ثم يؤتي الله الملك من يشاء...»، والترمذي في الفتن، باب ما جاء في الخلافة: ٤٧٦/٦-٤٧٧، وقال: «هذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان، ولا نعرفه إلا من حديثه». وصححه ابن حبان ص (٣٦٩) من موارد الظمآن، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٢٠/٥، والمصنف في شرح السنة: ٧٤/١٤-٧٥.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في الجامع من «المصنف»: ٤٥٥/١١، واختصره ابن سعد في الطبقات: ٨٣/٣.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم، ﴿**مُعْجِزِينَ في الأرض**﴾، وقرأ الآخرون بالتاء، يقول: لا تحسبن يامحمد الذين كفروا معجزين فائتين عنا، ﴿**ومأواهم النارُ ولبئس المصيرُ**﴾ .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لِيَستَأذِنكُمُ الذين ملكتْ أيمانُكم**﴾، الآية: قال ابن عباس رضي الله عنهما وجَّه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر بحالةٍ كره عمر رؤيته ذلك، فأنزل الله هذه الآية[1] .

وقال مقاتل: نزلت في أسماء بنت مرثد، كان لها غلام كبير، فدخل عليها في وقتٍ كرهته، فأتت رسولَ الله ﷺ فقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها، فأنزل الله تعالى[2] : «يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم» اللام لام الأمر .

﴿**الذين ملكت أيمانكم**﴾ يعني: العبيد والإماء، ﴿**والذين لم يبلغوا الحلم منكم**﴾، من الأحرار، ليس المراد منهم الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، بل الذين عرفوا أمر النساء ولكن لم يبلغوا .

﴿**ثلاثَ مراتٍ**﴾، أي: ليستأذنوا في ثلاث أوقات، ﴿**من قبلِ صلاةِ الفجر وحين تضعون ثيابَكم من الظهيرة**﴾، يريد المَقِيْل، ﴿**ومن بعد صلاة العشاء**﴾، وإنما خص هذه الأوقات لأنها ساعات الخلوة ووضع الثياب، فربما يبدو من الإنسان مالا يحب أن يراه أحد، أمر العبيد والصبيان بالاستئذان في هذه الأوقات، وأما غيرهم فَلْيستأذنوا في جميع الأوقات ﴿**ثلاثُ عوراتٍ لكم**﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: «ثلاثَ» بنصب الثاء بدلاً عن قوله: «ثلاثَ مرات»، وقرأ الآخرون

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٨٠)، الكافي الشاف ص (١٢٠) .

(٢) عزاه السيوطي في «الدر»: (٢١٧/٦) لابن أبي حاتم، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٣٨٠). وانظر: الكافي الشاف ص (١٢٠)، وابن كثير: ٣٠٤/٣ .

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

بالرفع، أي: هذه الأوقات ثلاثُ عورات لكم، سميت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته، ﴿ليس عليكم﴾، جناح، ﴿ولا عليهم﴾، يعني: على العبيد والخدم والصبيان، ﴿جُناح﴾، في الدخول عليكم من غير استئذان، ﴿بعدهنّ﴾، أي: بعد هذه الأوقات الثلاثة، ﴿طوّافون عليكم﴾، أي: العبيد والخدم يطوفون عليكم فيترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالهم بغير إذن، ﴿بعضُكم على بعضٍ﴾، أي: يطوف، ﴿بعضكم على بعض كذلك يبيّن الله لكم الآياتِ والله عليم حكيم﴾، واختلف العلماء في حكم هذه الآية: فقال قوم: منسوخ[١].

قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يكن للقوم ستور ولا حجاب[٢]، فكان الخدم والولائد يدخلون فربما يرون منهم مالا يحبون، فأمروا بالاستئذان، وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان[٣].

وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة، روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قالت: سألت الشعبي عن هذه الآية: «ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم» أمنسوخة هي؟ قال: لا والله، قلت: إن الناس لا يعملون بها، قال: الله المستعان[٤].

وقال سعيد بن جبير في هذه الآية: إن ناساً يقولون نسخت، والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون به الناس[٥].

قوله تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفالُ منكمُ الحُلُمَ﴾ أي: الاحتلام، يريد الأحرار الذين بلغوا، ﴿فليستأذِنوا﴾، أي: يستأذنون في جميع الأوقات في الدخول عليكم، ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾، من الأحرار والكبار.

---

(١) حكي ذلك عن سعيد بن المسيب، وحكاه القرطبي أيضاً عن سعيد بن جبير، وهو خلاف الرواية عنه. انظر: زاد المسير: ٦٢/٦، القرطبي: ٣٠٢/١٢.

(٢) في «الدر المنثور» و«القرطبي»: (حجال) جمع (حَجَلَة) وهو بيت كالقبة يُستر بالثياب ويكون له أزرار كبار.

(٣) عزاه السيوطي لأبي داود وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي. انظر: الدر المنثور: ٢١٩/٦.
قال القرطبي: (٣٠٣/١٢): «هذا متن حسن، وهو يرد قول سعيد وابن جبير، فإنه ليس فيه دليل على نسخ الآية، ولكن على أنها كانت على حالٍ ثم زالت، فإن كان مثل ذلك الحال فحكمها قائم كما كان، بل حكمها لليوم ثابت في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحارى ونحوها».

(٤) أخرجه الطبري: ١٦٢/١٨-١٦٣، ونسبه السيوطي: ٣١٩/٦ للفريابي.

(٥) أخرجه الطبري: ١٦٣/١٨.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾

وقيل: يعني الذين كانوا مع إبراهيم وموسى وعيسى.

﴿كذلك يبيّن الله لكم آياته﴾، دلالاته. وقيل: أحكامه، ﴿والله عليم﴾، بأمور خلقه، ﴿حكيم﴾، بما دَبَّر لهم.

٤٣/ب قال سعيد بن المسيب: يستأذن الرجل على أمه، فإنما أنزلت / هذه الآية في ذلك[(١)]. وسئل حذيفة: أيستأذن الرجل على والدته؟ قال: نعم، إن لم يفعل رأى منها ما يكره[(٢)].

قوله تعالى: ﴿والقواعدُ من النساء﴾، يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكِبَر، لا يلدن ولا يحضن، واحدتها «قاعد» بلا هاء. وقيل: قعدن عن الأزواج، وهذا معنى قوله: ﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾، أي: لا يردن الرجال لكبرهن، قال ابن قتيبة: سميت المرأة قاعداً إذا كبرت، لأنها تكثر القعود[(٣)]. وقال ربيعة الرأي: هنّ العُجُزُ اللائي إذا رآهن الرجال استقذروهن، فأما من كانت فيها بقية من جمال، وهي محل الشهوة، فلا تدخل في هذه الآية، ﴿فليس عليهنّ جناح أن يضعن ثيابَهنّ﴾، عند الرجال، يعني: يضعن بعض ثيابهن، وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب، والقناع الذي فوق الخمار، فأما الخمار فلا يجوز وضعه، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وأُبّي ابن كعب: «أن يضعن من ثيابهن»، ﴿غيرَ مُتَبرِّجَاتٍ بزينة﴾، أي: من غير أن يردن بوضع الجلباب، والرداء إظهار زينتهن، والتبرُّج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تتنزه عنه. ﴿وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾، فلا يلقين الجلباب والرداء، ﴿خيرٌ لهنّ والله سميع عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حَرَجٌ ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ الآية، اختلف العلماء في هذه الآية، فقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أنزل الله عزّ وجلّ قوله: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» (النساء ـ ٢٩)، تحرّج المسلمون عن مؤاكلة

---

(١) الطبري: ١٨/١٦٥.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٤/٣٩٨ وفيه آثار أخرى.

(٣) قال ابن قتيبة في «غريب القرآن» (٢/٤٣) من «القرطين» لابن مطرف الكناني: «.. ولا أُراها تسمت قاعداً إلا بالقعود، لأنها إذا أسنّت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة، وأطالت القعود، فقيل لها: «قاعد» بلا هاء، ليدل بحذف الهاء على أنه قعود كِبَرٍ، كما قالوا: امرأة حامل، بلا هاء، ليدل بحذف الهاء على أنه حَمْلُ حَبَلٍ، وقالوا في غير ذلك: قاعدة في بيتها، وحاملة على ظهرها».

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

المرضى والزَّمنى والعُمي والعرج، وقالوا الطعام أفضل الأموال، وقد نهانا اللَّهُ عن أكل المال بالباطل. والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يتمكن من الجلوس، ولا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي الطعام، فأنزل الله هذه الآية[(١)] .

وعلى هذا التأويل يكون «على» بمعنى «في» أي: ليس في الأعمى، يعني: ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض .

وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الأصحاء، لأن الناس يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم، ويقول الأعمى: ربما أكل أكثر، ويقول الأعرج: ربما أخذ مكان الاثنين، فنزلت هذه الآية[(٢)] .

وقال مجاهد: نزلت الآية ترخيصاً لهؤلاء في الأكل من بيوت من سمَّى الله في هذه الآية، وذلك أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله في هذه الآية، فكان أهل الزمانة يتحرجون من ذلك الطعام ويقولون ذهب بنا إلى بيت غيره؟ فأنزل الله هذه الآية[(٣)] .

وقال سعيد بن المسيب: كان المسلمون إذا غزوا خلفوا زمناهم ويدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها

(١) أخرجه الطبري: ١٨/١٦٨، وذكره الواحدي ص (٣٨١)، وعزاه السيوطي: (٦/٢٢٤) أيضاً لابن المنذر، وابن أبي حاتم والبيهقي. وانظر: مشكل القرآن لابن قتيبة ص (٣٣٣) .

(٢) الطبري: ١٨/١٦٨، الواحدي ص (٣٨١) .

(٣) الطبري: ١٨/١٦٩، الواحدي ص (٣٨١)، وعزاه السيوطي: (٦/٢٢٣) لعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وإبراهيم، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي .

وهم غُيَّب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم[1].

قال الحسن: نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد. قال: تم الكلام عند قوله: «ولا على المريض حرج»، وقوله تعالى: ﴿ولا على أنْفُسِكُم﴾ كلام منقطع عمّا قبله[2].

وقيل: لما نزل قوله: «لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» (النساء - ٢٩)، قالوا: لا يحل لأحدٍ منا أن يأكل عند أحد، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾[3]، أي: لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم. قيل: أراد من أموال عيالكم وأزواجكم، وبيت المرأة كبيت الزوج. وقال ابن قتيبة: أراد من بيوت أولادكم، نَسَبَ بيوتَ الأولادِ إلى الآباء،[4] كما جاء في الحديث: «أنت ومالك لأبيك»[5]، ﴿أو بيوتِ آبائكم أو بيوتِ أمهاتكم أو بيوتِ إخوانكم أو بيوت أَخَوَاتكم أو بيوتِ أعمامكم أو بيوت عمَّاتكم أو بيوتِ أخوالِكم أو بيوتِ خالاتكم أو ما ملكتم مَفَاتِحَهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عنى بذلك وكيل الرجل وقيّمه في ضيعته وماشيته، لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخر. وقال الضحاك: يعني في بيوت عبيدكم ومماليككم، وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزائن، لقوله تعالى: «وعنده مفاتح الغيب» (الأنعام - ٥٩) ويجوز أن يكون الذي يفتح به. قال عكرمة: إذا ملك الرجل

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص (٣٨١-٣٨٢) وعزاه السيوطي لعبد بن حميد. وأخرجه البزار وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن النجار عن عائشة أيضاً، وقال الهيثمي: «رجال البزار رجال الصحيح».
انظر: الدر المنثور: ٢٢٤/٦، مجمع الزوائد: ٨٣/٧.

(٢) انظر: الطبري ١٦٩/١٨، ولم يعزه للحسن، وإنما عزاه لابن زيد، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير: ٦٤/٦ عن الحسن وابن زيد.

(٣) عزاه السيوطي لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن ابن عباس.
انظر: الدر المنثور: ٢٢٤/٦.

(٤) قال ابن قتيبة في «مشكل القرآن» ص (٣٣٣-٣٣٤): في الكلام على الآية الكريمة: «أراد: ولا على أنفسكم أن تأكلوا من أموال عيالكم وأزواجكم».
وقال بعضهم: أراد أن تأكلوا من بيوت أولادكم، فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن الأولاد كَسْبُهم، وأموالهم كأموالهم. يدلّك على هذا: أن الناس لا يتوقّون أن يأكلوا من بيوتهم، وأن الله سبحانه عدّد القرابات وهم أبعد نسباً من الولد، ولم يذكر الولد».

(٥) أخرجه ابن ماجه عن جابر، في التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، برقم (٢٢٩١): ٧٦٩/٢، قال في الزوائد: «وإسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخاري»، والطبراني في الأوسط: ١٤١/١، والطحاوي في مشكل الآثار: ٢٣٠/٢.
ومن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مطولاً رواه الإمام أحمد: ٢٠٤/٢، وأبو داود في البيوع، وابن ماجه في التجارات وابن الجارود في المنتقى.
وانظر: الفتح السماوي للمناوي: ٨٧٥/٢-٨٧٦ مع تعليق المحقق، إرواء الغليل: ٣٢٣/٣ و٣٢٥، كشف الخفاء: ٢٣٩/١-٢٤٠.

المفتاح فهو خازن، فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير. وقال السدي: الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه. وقال قوم: «ما ملكتم مفاتحه» ما خزنتموه عندكم. قال مجاهد وقتادة: من بيوت أنفسكم مما أحرزتم وملكتم .

﴿أو صديقكم﴾، الصديق الذي صدقك في المودة .

قال ابن عباس: نزلت في الحارث بن عمرو رضي الله عنه، خرج غازياً مع رسول الله ﷺ وخلَّف مالك بن زيد على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً فسأله عن حاله، فقال: تحرجت أن آكل طعامك بغير إذنك فأنزل الله هذه الآية[1] .

وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والتحرم بطعامه من غيراستئذان منه في الأكل بهذه الآية .

والمعنى : ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا﴾، من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا، من غير أن تتزودوا وتحملوا .

قوله : ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشْتَاتاً﴾، نزلت في بني ليث بن عمرو، وهم حي من بني كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفاً يأكل معه، فربما قعد الرجل والطعامُ بين يديه من الصباح إلى الرَّواح، وربما كانت معه الإبل الحُفَّلُ فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه، فإذا أمسى ولم يجد أحداً أكل، هذا قول قتادة والضحاك وابن جريج[2] .

وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه، فيقول: والله إني لأجنح، أي: أتحرج أن آكل معك وأنا غني وأنت فقير، فنزلت هذه الآية[3] .

وقال عكرمة وأبو صالح: نزلت في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف / ٤٤/أ
إلا مع ضيفهم، فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا، جميعاً أو أشتاتاً متفرقين[4] .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: (٢٢٥/٦) من رواية الثعلبي عن ابن عباس .

(٢) انظر: الطبري ١٧٢/١٨، أسباب النزول ص (٣٨٢)، الدر المنثور: ٢٢٥/٦ .

(٣) الطبري: ١٧٢/١٨ .

(٤) الطبري: ١٧٢/١٨، وزاد السيوطي نسبته لابن المنذر، وذكره الواحدي ص (٣٨٢) عن عكرمة .
وقال الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعاً معاً إذا شاؤوا، أو أشتاتاً متفرقين إذا أرادوا. وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوّف من الأغنياء الأكلَ مع الفقير، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحدانا، وبسبب غير ذلك. ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه، والصواب: التسليم لما دلَّ عليه ظاهر التنزيل، والتوقف فيما لم يقم على صحته دليل» .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾، أي: يسلم بعضكم على بعض، هذا في دخول الرجل ببيت نفسه يسلم على أهله ومَنْ في بيته، وهو قول جابر وطاووس والزهري وقتادة والضحاك وعمرو بن دينار[١].

وقال قتادة: إذا دخلت بيتك فسلِّمْ على أهلك فهو أحق من سلَّمْتَ عليه، وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. حُدِّثنا أن الملائكة ترد عليه[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن لم يكن في البيت أحد فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت ورحمة الله.

وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس[٣] رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾، قال: إذا دخلت المسجد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[٤].

﴿تحيةً من عند الله﴾، نصب على المصدر، أي: تحيون أنفسكم تحية، ﴿مباركة طيبةً﴾، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حسنة جميلة. وقيل: ذكر البركة والطيبة هاهنا لما فيه من الثواب والأجر. ﴿كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسولِهِ وإذا كانوا معه﴾، أي: مع رسول الله ﷺ، ﴿على أمرٍ جامعٍ﴾، يجمعهم من حربٍ حضرت، أو صلاة أو جمعة أو عيد أو جماعة

---

(١) انظر: زاد المسير: ٦/٦٧.

(٢) عزاه السيوطي: (٦/٢٢٨) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٣) أخرجه الطبري: ١٨/١٧٤، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: ٢/٤٠١، وزاد السيوطي نسبته لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) قال الطبري: (١٨/١٧٥): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال معناه: فإذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين فليسلّم بعضكم على بعض...، لأن الله جل ثناؤه قال: «فإذا دخلتم بيوتاً» و لم يخصص من ذلك بيتاً دون بيت، وقال: «فسلموا على أنفسكم» يعني: بعضكم على بعض، فكان معلوماً إذْ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض، أنه معنيٌّ به جميعها، مساجدها وغير مساجدها.

ومعنى قوله: «فسلموا على أنفسكم» نظير قوله: «ولا تقتلوا أنفسكم»، وانظر: القرطبي ١٢/٣١٨.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾

أو تشاور في أمرٍ نزل، ﴿لم يذهبوا﴾، لم يتفرقوا عنه، لم ينصرفوا عمّا اجتمعوا له من الأمر، ﴿حتى يستأذنوه﴾، قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد، لحاجةٍ أو عذر، لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه، فيعرف أنه إنما قام يستأذن، فيأذن لمن شاء منهم. قال مجاهد: وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده(١) .

قال أهل العلم: وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بإذن، وإذا استأذن فللإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن، وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام، فإن حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون في المسجد فتحيض منهم امرأة، أو يجنب رجل، أو يعرض له مرض، فلا يحتاج إلى الاستئذان .

﴿إنّ الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾، أي: أمرهم، ﴿فَأْذَنْ لمن شئتَ منهم﴾، في الانصراف، معناه إن شئت فأذن وإن شئت فلا تأذن، ﴿واستغفر لهمُ اللَّهَ إنّ الله غفور رحيم﴾ .

﴿لا تجعلوا دُعاءَ الرسولِ بينكم كدُعَاءِ بعضِكم بعضاً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه، فإن دعاءه موجب لنزول البلاء بكم ليس كدعاء غيره(٢) .

وقال مجاهد وقتادة: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً: يامحمد، ياعبد الله، ولكن فَخِّمُوه وشرّفوه، فقولوا: يا نبيَّ الله، يارسولَ الله، في لِيْنٍ وتواضع(٣) .

﴿قد يعلم اللّهُ الذين يتسللون﴾، أي: يخرجون ﴿منكم لِوَاذاً﴾، أي: يستر بعضهم بعضاً ويروغ في خيفة، فيذهب، «واللِّواذ» مصدر لاوَذَ يُلاوِذُ مُلاوَذَةً، ولواذاً .

---

(١) زاد المسير: ٦/٦٧-٦٨

(٢) انظر: الطبري ١٧/١٧٧ .

(٣) وهو مروي أيضاً عن ابن عباس. انظر: الطبري ١٧/١٧٧، الدر المنثور: ٦/٢٣٠. ونقل ابن كثير القولين في التفسير: ٣/٣٠٨ . ورجح الطبري قول ابن عباسٍ الأول، لأن الذي قَبْلَ ذلك نهي من الله للمؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه في الأمر الذي يجمع جميعهم ما يكرهه، والذي بعده وعيد للمنصرفين بغير إذنه عنه، فالذي بينهما بأن يكون تحذيراً لهم سخطه أن يضطرّه إلى الدعاء عليهم، أشبه من أن يكون أمراً لهم بما لم يَجْرِ له ذِكْر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء .

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٦٤﴾

قيل: كان هذا في حفر الخندق، فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله ﷺ مختفين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لواذاً» أي: يلوذ بعضهم ببعض، وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار.

ومعنى قوله: ﴿**قد يعلم الله**﴾، للتهديد بالمجازاة.

﴿**فليحذرِ الذين يُخالفون عن أمره**﴾، أي: أمره، و«عن» صلة. وقيل: معناه يُعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه. ﴿**أن تصيبهم فتنة**﴾ أي: لئلا تصيبهم فتنة، قال مجاهد: بلاء في الدنيا، ﴿**أو يصيبهم عذاب أليم**﴾، وجيع في الآخرة. وقيل: عذاب أليم عاجل في الدنيا. ثم عظّم نفسه فقال:

﴿**ألا إنّ لله ما في السموات والأرض**﴾، ملكاً وعبيداً، ﴿**قد يعلم ما أنتم عليه**﴾، من الإيمان والنفاق أي: يعلم، و«قد» صلة ﴿**ويوم يرجعون إليه**﴾، يعني: يوم البعث، ﴿**فينبئهم بما عملوا**﴾، من الخير والشر، ﴿**والله بكل شيء عليم**﴾.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا عبدالله بن محمد بن شيبة، حدثنا محمد بن إبراهيم الكرابيسي، حدثنا سليمان بن توبة، حدثنا أبو داود الأنصاري، أخبرنا محمد بن إبراهيم الشامي، حدثنا شعيب بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تُنْزِلُوا النساء الغرف، ولا تعلّموهنّ الكتابة، وعلّموهنّ الغَزْلَ، وسورةَ النور»[1].

(١) أخرجه الحاكم: ٣٩٦/٢ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» فتعقبه الذهبي فقال: بل موضوع، وآفته عبدالوهاب، قال أبو حاتم: كذاب».
وقال الهيثمي في المجمع (٩٣/٤): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن إبراهيم الشامي، قال الدارقطني: كذاب». وذكره ابن الجوزي في «العلل المتناهية».
ونسبه السيوطي أيضاً للبيهقي في شعب الإيمان، وابن مردويه، انظر: الدر المنثور: ١٢٤/٦.

سُورَةُ الفُرقَان

سُورَةُ الفُرْقَانِ

مكية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

﴿**تبارك**﴾، تفاعل، من البركة. عن ابن عباس: معناه: جاء بكل بركة، دليله قول الحسن: مجيء البركة من قبله. وقال الضحاك: تعظَّم، ﴿**الذي نزَّل الفرقانَ**﴾، أي: القرآن، ﴿**على عبده**﴾، محمد ﷺ. ﴿**ليكون للعالمين نذيراً**﴾، أي: للجن والإنس. قيل: النذير هو القرآن. وقيل: محمد ﷺ[2].

﴿**الذي له مُلكُ السمواتِ والأرضِ ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في المُلْك وخَلَقَ كلَّ شيء**﴾، مما يطلق عليه صفة المخلوق، ﴿**فقدّره تقديراً**﴾، فسوّاه وهيأه لما يصلح له، لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدَّر لكل شيء تقديراً من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق.

---

(١) وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والجمهور، وحكي عن ابن عباس وقتادة في قول آخر عنهما أنها مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر» إلى قوله: «غفوراً رحيماً» (الفرقان ٦٨ـ٧٠). وقال الضحاك: مدنية إلا من أولها إلى قوله الآية الثالثة: «ولا نشوراً» فهو مكي.
وقول الجمهور هو الراجح، ومكية السورة واضحة من موضوعها وأسلوبها، وهذا يتفق مع الرواية الراجحة. والله أعلم.
انظر: الدر المنثور: ٢٣٤/٦، القرطبي: ١/١٣، زاد المسير: ٧١/٦، البحر المحيط: ٤٨٠/٦، المحرر الوجيز: ٥/١٢.

(٢) القول الأول حكاه الماوردي، ورجح الطبري أنه النبي ﷺ، وإن لم يكن في الحقيقة تعارض بين المعنيين، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ ينذر به العالمين، ومحمد ﷺ هو رسول الله تعالى للعالمين. والله أعلم.
انظر: الطبري ١٨٠/١٩، زاد المسير: ٧٢/٦.

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمًا
وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿**واتخذوا**﴾، يعني عبدة الأوثان، ﴿**من دونه آلهة**﴾، يعني: الأصنام، ﴿**لا يَخلقون شيئاً وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً**﴾، أي: دفع ضر ولا جلب نفع، ﴿**ولا يملكون موتاً ولا حياةً**﴾، أي: إماتةً وإحياءً، ﴿**ولا نشوراً**﴾، أي: بعثاً بعد الموت .

﴿**وقال الذين كفروا**﴾، يعني: المشركين، / يعني: النضر بن الحارث وأصحابه، ﴿**إنْ هذا**﴾، ٤٤/ب
ما هذا القرآن، ﴿**إلّا إفك**﴾، كذب، ﴿**افتراه**﴾، اختلقه محمد ﷺ، ﴿**وأعانه عليه قوم آخرون**﴾، قال مجاهد: يعني اليهود[1]. وقال الحسن: هو عبيد بن الخضر الحبشي الكاهن. وقيل: جبر، ويسار، وعداس بن عبيد، كانوا بمكة من أهل الكتاب، فزعم المشركون أن محمداً ﷺ يأخذ منهم، قال الله تعالى : ﴿**فقد جاءُوا**﴾، يعني قائلي هذه المقالة، ﴿**ظلماً وزُوراً**﴾، أي: بظلم وزور. فلما حذف الباء انتصب، يعني جاؤوا شركاً وكذباً بنسبتهم كلام الله تعالى إلى الإفك والافتراء .

﴿**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها**﴾، يعني النضر بن الحارث كان يقول: إنّ هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطَّره الأولون مثل حديث رستم واسفنديار[2]، «اكتتبها»: انتسخها محمد من جبر، ويسار، وعدَّاس، ومعنى «اكتتب» يعني طلب أن يكتب له، لأنه كان لا يكتب، ﴿**فهي تُملى عليه**﴾، يعني تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، ﴿**بُكرةً وأصيلاً**﴾، غدوة وعشياً. قال الله عزّ وجلّ ردّاً عليهم :

﴿**قلْ أنزله**﴾، يعني القرآن، ﴿**الذي يعلم السرَّ**﴾، يعني الغيب، ﴿**في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً**﴾ .

---

(١) حكاه الطبري، ولم يذكر غيره. وانظر سائر الأقوال في: البحر المحيط : ٦/٤٨١، زاد المسير: ٦/٧٢-٧٣ .

(٢) انظر: الطبري: ١٨/١٨٢، الدر المنثور: ٦/٢٣٦، المحرر الوجيز لابن عطية: ١٢/٧ .

وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ
يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن
شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ

﴿**وقالوا مالِ هذا الرسول**﴾، يعنون محمداً ﷺ، ﴿**يأكل الطعام**﴾، كما نأكل نحن، ﴿**ويمشي في الأسواق**﴾، يلتمس المعاش كما نمشي، فلا يجوز أن يمتاز عنّا بالنبوة، وكانوا يقولون له: لست أنت بمَلَك ولا بمِلِك، لأنك تأكل والمَلَك لا يأكل، ولست بمِلِك لأن المِلِك لا يتسوق، وأنت تتسوق وتتبذل. وما قالوه فاسد؛ لأن أكله الطعام لكونه آدمياً، ومشيه في الأسواق لتواضعه، وكان ذلك صفة له، وشيءٌ من ذلك لا ينافي النبوة. ﴿**لولا أُنزل إليه مَلَك**﴾، فيصدقه، ﴿**فيكونَ معه نذيراً**﴾، داعياً.

﴿**أو يُلْقَى إليه كنز**﴾، أي: ينزل عليه كنز من السماء ينفقه، فلا يحتاج إلى التردد والتصرف في طلب المعاش، ﴿**أو تكونُ له جنة**﴾، بستان، ﴿**يأكل منها**﴾، قرأ حمزة والكسائي: «نأكل» بالنون أي: نأكل نحن منها، ﴿**وقال الظالمون إنْ تتبعون إلّا رجلاً مسحوراً**﴾، مخدوعاً. وقيل: مصروفاً عن الحق.

﴿**انظر**﴾، يامحمد، ﴿**كيف ضربوا لكَ الأمثال**﴾، يعني الأشباه، فقالوا: مسحور، محتاج، وغيره، ﴿**فضلّوا**﴾، عن الحق، ﴿**فلا يستطيعون سبيلاً**﴾، إلى الهدى ومخرجاً عن الضلالة.

﴿**تبارك الذي إنْ شاء جعل لك خيراً من ذلك**﴾، الذي قالوا، أو أفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: يعني خيراً من المشي في الأسواق والتماس المعاش[1]. ثم بيّن ذلك الخير فقال: ﴿**جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ويجعلْ لك قصوراً**﴾، بيوتاً مشيدة، والعرب تسمي كل بيت مشيّد قصراً، وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم برواية أبي بكر: «ويجعلُ» برفع اللام، وقرأ الآخرون بجزمها على محل الجزاء في قوله: «إن شاء جعل لك».

---

(١) ذكر الطبري القولين: (١٨/١٨٥) ورجح قول مجاهدٍ الأول، لأن المشركين استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها، وأن لا يلقى إليه كنز، واستنكروا أن يمشي في الأسواق، وهو لله رسول، فالذي هو أولى بوعد الله إياه أن يكون وعداً بما هو خير ما كان عند المشركين عظيماً، لا مما كان منكراً عندهم.

﴿قُصُورًا ۝١٠ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الكشميهني، أخبرنا أبو طاهر محمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن يحيى بن أيوب، حدثني عبدالله بن زخر، عن علي بن يزيد، عن القاسم بن أبي عبدالرحمن، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، وقال ثلاثاً أو نحو هذا، فإذا جعت تضرعتُ إليك وذكرتُك، وإذا شبعتُ حمدتُك وشكرتُك»(١) .

حدثنا أبو طاهرٍ المطهَّر بن علي بن عبيد الله الفارسيُّ، أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ، أخبرنا أبو يعلى، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا أبو معشر عن سعيد يعني المقبري، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : «لو شئتُ لسارت معي جبال الذهب، جاءني مَلَكٌ إن حُجْزَتَهُ لتساوي الكعبة، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئتَ نبياً عبداً، وإن شئت نبياً مَلِكاً، فنظرت إلى جبريل فأشار إليّ أنْ ضَعْ نفسك، فقلت: نبياً عبداً» قال: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئاً يقول: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»(٢) .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**بل كذَّبوا بالساعة**﴾، بالقيامة، ﴿**وأعْتَدْنا لمن كذب بالساعة سعيراً**﴾، ناراً مستعرة .

﴿**إذا رأتهم من مكان بعيد**﴾، قال الكلبيّ والسدي: من مسيرة عام. وقيل: من مسيرة مائة سنة. وقيل: خمسمائة سنة. وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنّم مقعداً». قالوا: وهل لها من عينين؟ قال: نعم ألم تستمعوا قول الله تعالى : ﴿**إذا**

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه: ١٤/٧، وقال: «هذا حديث حسن، وعلي بن يزيد يضعَّف في الحديث ويكنى أبا عبدالملك» .
وأخرجه ابن ماجه في الزهد، باب من لا يؤبه له: ١٣٧٩/٢، وقال في الزوائد: «إسناده ضعيف لضعف أيوب بن سليمان، وصدقه بن عبدالله متفق على تضعيفه». ورواه الإمام أحمد: ٢٥٢/٢ و٢٥٤/٥ وابن سعد في الطبقات: ٣٨١/١، وأبو نعيم في الحلية: ١٣٣/٨ .

(٢) قال الهيثمي: (١٩/٩): «رواه أبو يعلى وإسناده حسن»، وعبدالرزاق: ٤١٧/١٠، وأخرج القطعة الأولى منه الخطيب في تاريخ بغداد: ١٠٢/١١، والثانية: «إنما أنا عبد..» أخرجها عبدالرزاق في الجامع عن معمر: ٤١٧/١٠، والإمام أحمد في الزهد ص (٥)، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٨/١٣ .

﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤ قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ١٥﴾

رأتهم من مكان بعيد﴾[1]، وقيل إذا رأتهم زبانيتها. ﴿**سمعوا لها تَغَيُّظاً**﴾ غلياناً، كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب. ﴿**وزفيراً**﴾، صوتاً.

فإن قيل: كيف يسمع التغيظ؟ قيل: معناه رأوا وعلموا أن لها تغيظاً وسمعوا لها زفيراً، كما قال الشاعر:

ورأيتُ زوجَكِ في الوَغَى ... مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحاً

أي: وحاملاً رمحاً[2].

وقيل: سمعوا لها تغيظاً، أي: صوت التغيظ من التلهب والتوقد، قال عبيد بن عمير: تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى مَلَك مقرَّب ولا نبي مرسل إلا خرَّ لوجهه.

﴿**وإذا أُلقُوا منها مكاناً ضيِّقاً**﴾، قال ابن عباس: تضيق عليهم كما يضيق الزجُّ[3] في الرمح، ﴿**مُقرّنين**﴾، مصفّدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل: مقرنين مع الشياطين في السلاسل، ﴿**دعوا هُنالِكَ ثُبوراً**﴾، قال ابن عباس: ويلاً. وقال الضحاك: هلاكاً، وفي الحديث: «إنّ أول من يكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه، وذريتُه من خلفه، وهو يقول: ياثبوراه، وهم ينادون: ياثبورهم، حتى يقفوا على النار فينادون: ياثبوراه، وينادي: ياثبورهم، فيقال لهم[4]:

٤٥/أ ﴿**لا تدعو اليوم / ثُبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً**﴾، قيل: أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة، فادعوا أدعية كثيرة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**قلْ أذلك**﴾، يعني الذي ذكرته من صفة النار وأهلها، ﴿**خيرٌ أم جنةُ الخلد التي وُعِدَ المتقون كانت لهم جزاءً**﴾، ثواباً، ﴿**ومصيراً**﴾، مرجعاً.

---

(١) عزاه السيوطي: ٢٣٨/٦ للطبراني وابن مردويه، وأخرجه الطبري بلفظ: «من يقول عليّ مالم أقل..» ١٨٧/١٨.

(٢) هذا أحد التخريجين، والثاني: تضمين «متقلداً» معنى «متسلحاً»، فكذلك الآية، أي: سمعوا لها ورأوا تغيظاً وزفيراً، أو ضُمِّن معنى أدركوا، فيشمل التغيظ والزفير. انظر البحر المحيط: ٤٨٥/٦.

(٣) الزُّجّ: حديدة في أسفل الرمح.

(٤) أخرجه الطبري: ١٨٨/١٨، وعبد بن حميد في المنتخب ص (٣٦٨)، والإمام أحمد في المسند: ١٥٣،١٥٢/٣. وفي سنده علي بن زيد، وعزاه السيوطي لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» بسند صحيح، عن أنس مرفوعاً. انظر: الدر المنثور: ٢٤٠/٦، تفسير القرطبي: ٨/١٣، ابن كثير: ٣١٢/٣.

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ
يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ
أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ
مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾
فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم

﴿**لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وَعْداً مسؤولاً**﴾، مطلوباً، وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا: «ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك» (آل عمران ـ ١٩٤)، يقول: كان أعطى الله المؤمنين جنة خلد وعداً، وعدهم على طاعتهم إيّاه في الدنيا ومسألتهم إياه ذلك. قال محمد بن كعب القرظي: الطلب من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم: «ربنا وأَدْخِلْهم جناتِ عدنٍ التي وَعَدْتَهم» (غافر ـ ٨).

﴿**ويوم يحشرهم**﴾، قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص: «يحشرهم» بالياء، وقرأ الباقون بالنون، ﴿**وما يعبدون من دون الله**﴾، قال مجاهد: من الملائكة والجن والإنس وعيسى وعزير. وقال عكرمة والضحاك والكلبي: يعني الأصنام، ثم يخاطبهم ﴿**فيقولُ**﴾، قرأ ابن عامر بالنون والآخرون بالياء، ﴿**أأنتم أضللتم عبادِي هؤلاء أم هم ضلُّوا السبيلَ**﴾، أخطأوا الطريق.

﴿**قالوا سبحانك**﴾، نزّهوا الله من أن يكون معه إله، ﴿**ما كان ينبغي لنا أن نَتَّخِذَ من دونك من أولياءَ**﴾، يعني: ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك، بل أنت ولينا من دونهم. وقيل: ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك.

وقرأ أبو جعفر «أن نُتَّخَذ» بضم النون وفتح الخاء، فتكون «من» الثاني صلة.

﴿**ولكن مَتَّعْتَهُم وآباءَهم**﴾، في الدنيا بطول العمر والصحة والنعمة، ﴿**حتى نسوا الذكر**﴾، تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن. وقيل: تركوا ذكرك وغفلوا عنه، ﴿**وكانوا قوماً بُوراً**﴾، يعني هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان، رجل يقال له بائر، وقوم بور، وأصله من البوار وهو الكساد والفساد، ومنه بوار السلعة وهو كسادها. وقيل هو اسم مصدر كالزور، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث.

﴿**فقد كذبوكم**﴾، هذا خطاب مع المشركين، أي: كذبكم المعبودون، ﴿**بما تقولون**﴾، إنهم آلهة، ﴿**فما تستطيعون**﴾، قرأ حفص بالتاء يعني العابدين، وقرأ الآخرون بالياء يعني: الآلهة.

مِنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿صرفاً﴾، يعني: صرف العذاب عن أنفسهم، ﴿ولا نصراً﴾، يعني: ولا نصر أنفسهم. وقيل: ولا نصركم أيها العابدون من عذاب الله بدفع العذاب عنكم. وقيل: «الصرف»: الحيلة، ومنه قول العرب: إنه ليصرف، أي: يحتال، ﴿ومن يَظْلِمْ﴾، يشرك، ﴿منكم نُذِقْهُ عذاباً كبيراً﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسَلين﴾، يامحمد، ﴿إلا إنهم لَيأْكُلونَ الطعام﴾، روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما عيّر المشركون رسول الله ﷺ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، أنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[1]. يعني: ما أنا إلا رسول وما كنتُ بِدْعاً من الرسل، وهم كانوا بشراً يأكلون الطعام، ﴿ويمشون في الأسواق﴾. وقيل: معناه وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل لهم مثل هذا أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كما قال في موضع آخر: «ما يقال لك إلّا ما قد قيل للرسل من قبلك» (فصلت ـ ٤٣).

﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾، أي بلية، فالغني فتنة للفقير، يقول الفقير: ما لي لم أكن مثله؟ والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع. وقال ابن عباس: أي جعلت بعضكم بلاءً لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم، وترون من خلافهم، وتتبعوا الهدى.

وقيل: نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع؛ وذلك أن الشريف إذا أراد أن يسلم فرأى الوضيع قد أسلم قبله أَنِف، وقال: أُسْلِمُ بعده فيكون له عليَّ السابقة والفضل؟! فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام، فذلك افتتان بعضهم ببعض، وهذا قول الكلبي[2].

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، والوليد بن عقبة، والعاص بن وائل، والنضر بن الحارث؛ وذلك أنهم لما رأوا أبا ذر، وابنَ مسعود، وعماراً، وبلالاً، وصهيباً، وعامرَ بنَ فهيرة، وذويهم، قالوا: نسلم فنكون مثل هؤلاء؟.

وقال: نزلت في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش، كانوا يقولون: انظروا إلى هؤلاء

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص (٣٨٣-٣٨٤) مطولاً، وابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. انظر: الدر المنثور: ٢٣٧/٦.

(٢) البحر المحيط: ٤٩١/٦، وقال: والأولى أن قوله: «وجعلنا بعضكم لبعض فتنة» يشمل معاني هذه الألفاظ كلها، لأن بين الجميع قدراً مشتركاً.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾

الذين اتبعوا محمداً من موالينا وأراذلنا، فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين : ﴿**أتصبرون**﴾ يعني على هذه الحالة من الفقر والشدة والأذى .

﴿**وكان ربك بصيراً**﴾، بمن صبر وبمن جزع. أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن، أخبرنا أبو العباس الأصم، حدثنا زكريا بن يحيى المروزي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال : «إذا نظر أحدكم إلى مَنْ فُضِّل عليه في المال والجسم فلينظرْ إلى مَنْ دونه في المال والجسم»(1) .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**وقال الذين لا يرجون لقاءنا**﴾، أي: لا يخافون البعث، قال الفرَّاء: «الرجاء» بمعنى الخوف، لغةُ تهامة، ومنه قوله تعالى : «مالكم لا ترجون لله وقاراً» (نوح ــ ١٣)، أي: لا تخافون لله عظمة. ﴿**لولا أُنزِلَ علينا الملائكة**﴾، فتخبرنا أن محمداً صادق، ﴿**أو نرىٰ ربَّنا**﴾، فيخبرنا بذلك. ﴿**لقد استكبروا**﴾، أي: تعظموا. ﴿**في أنفسهم**﴾، بهذه المقالة، ﴿**وعَتَوْا عُتُوّاً كبيراً**﴾. قال مجاهد: «عتواً» طغوا في القول و«العتُّو»: أشد الكفر وأفحش الظلم، وعتوُّهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به .

﴿**يوم يرون الملائكة**﴾ عند الموت. وقيل: في القيامة. ﴿**لا بُشرى يومئذٍ للمجرمين**﴾، للكافرين، وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة، ويقولون للكفار: لا بشرىٰ لكم، هكذا قال عطية، وقال بعضهم: معناه أنه لا بشرى يوم القيامة للمجرمين، أي: لا بشارة لهم بالجنة، كما يُبَشَّر المؤمنون. ﴿**ويقولون حِجْراً محجوراً**﴾، قال عطاء عن ابن عباس: تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة، إلا من قال لا إله إلا الله .

٤٥/ب وقال مقاتل : إذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حراماً محرماً / عليكم أن يكون لكم البشرى .

وقال بعضهم: هذا قول الكفار للملائكة. قال ابن جريج: كانت العرب إذا نزلت بهم شدة ورأوا ما يكرهون، قالوا حجراً محجوراً، فهم يقولونه إذا عاينوا الملائكة .

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه: ١١/٣٢٢، ومسلم في الزهد، برقم (٢٩٦٣): ٤/٢٢٧٥، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢٩٢ .

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾

قال مجاهد: يعني عوذاً معاذاً، يستعيذون به من الملائكة[1].

﴿وقدِمْنا﴾، وعمدنا، ﴿إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾، أي: باطلاً لا ثواب له، فهم لم يعملوه لله عزّ وجلّ.

واختلفوا في «الهباء»، قال علي: هو ما يرى في الكُوَّة إذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار، ولا يمس بالأيدي، ولا يرى في الظل، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد، و«المنثور»: المتفرّق.

وقال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير: هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر.

وقال مقاتل: هو ما يسطع من حوافر الدوابّ عند السير.

وقيل: «الهباء المنثور»: ما يرى في الكوة، و«الهباء المنبث»: هو ما تطيره الرياح من سنابك الخيل[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿أصحابُ الجنةِ يومئذ خيرٌ مُسْتَقَرّاً﴾، أي: من هؤلاء المشركين المتكبرين، ﴿وأحسن مَقِيْلاً﴾، موضع قائلة، يعني: أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة. قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقرأ «ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم» هكذا كان يقرأ[3].

وقال ابن عباس في هذه الآية: الحساب ذلك اليوم في أوله، وقال القوم حين قالوا في منازلهم في الجنة.

---

(١) ذكر الطبري هذه الأقوال واختار منها أن الملائكة يقولون للمجرمين: حجراً محجوراً، حراماً محرّماً عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله.
انظر: تفسير الطبري: ١٩/٢-٣.

(٢) انظر هذه الأقوال في الطبري: ١٩/٤-٥، الدر المنثور: ٦/٢٤٦، زاد المسير: ٦/٨٣.
وقال ابن كثير رحمه الله (٣/٣١٥): «وحاصل هذه الأقوال: التنبيه على مضمون الآية، وذلك أنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها على شيء، فلما عرضت على الملك الحَكَم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحداً، إذا أنها لا شيء بالكلية، وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية، كما قال تعالى: «مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح». وقال أيضاً: «أخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين ـ من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم ـ شيء، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي؛ إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المَرْضِيَّة فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحدٍ من هذين، وقد تجمعهما معاً فتكون أبعد من القبول حينئذ».

(٣) الطبري: ١٩/٥.

﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٢٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ٢٦ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ٢٧﴾

قال الأزهري: «القيلولة» و«المقيل»: الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الله تعالى قال: «وأحسن مقيلاً»، والجنة لا نوم فيها. ويُروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس(١).

قوله عزّ وجلّ: ﴿ويوم تَشَقَّقُ السماءُ بالغَمَام﴾، أي: عن الغمام، الباء وعن يتعاقبان، كما يقال: رميت عن القوس وبالقوس، وتشقق بمعنى تتشقق، أدغموا إحدى التاءين، وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة بتخفيف الشين هاهنا، وفي سورة «ق» بحذف إحدى التاءين، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي: تتشقق بالغمام، وهو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. ﴿ونُزِّلَ الملائكةُ تنزيلاً﴾، قرأ ابن كثير: «ونُنْزِلُ» بنونين خفيف ورفع اللام، «الملائكةَ» نصب، قال ابن عباس: تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها، وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها، وهم أكثر ممن في السماء الدنيا، ومن الجن والإنس، ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها، ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش(٢).

﴿المُلْكُ يومئذٍ الحقُّ للرحمن﴾، أي: [الملك](٣) الذي هو الملك الحق حقاً ملك الرحمن يوم القيامة. قال ابن عباس: يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره. ﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾، شديداً، فهذا الخطاب يدل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيراً، وجاء في الحديث: «أنه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا»(٤).

﴿ويوم يَعَضُّ الظالمُ على يديه﴾ أراد بالظالم عقبةَ بن أبي معيط، وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أشراف قومه، وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ فقدم ذات

---

(١) أخرجه ابن جرير: ٥/١٩ عن سعيد الصواف أنه بلغه أن يوم القيامة... إلخ.

(٢) انظر: الطبري ١٩/٦-٧، الدر المنثور: ٦/٢٤٨-٢٤٩، ابن كثير: ٣/٢١٧.

(٣) ساقط من «أ».

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند: ٣/٧٥، وقال الهيثمي في المجمع: (١٠/٣٣٧): «رواه أحمد وأبو يعلى، وإسناده حسن على ضعف في راويه». فيه: دراج أبو السمح عن أبي الهيثم، وابن لهيعة، وفيهم ضعف.
وانظر: تفسير ابن كثير: ٣/٣١٧.

﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾

يوم من سفر فصنع طعاماً فدعا الناس ودعا رسول الله ﷺ، فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ: «ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأكل رسول الله ﷺ من طعامه، وكان عقبة صديقاً لأُبَيّ ابن خلف، فلما أُخبر أُبيّ بن خلف قال له: ياعقبة صبأتَ؟ قال: لا والله ما صبأت، ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييتُ أنْ يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت له فطعم، فقال: ما أنا بالذي أرضى عنك أبداك إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه، ففعل ذلك عقبة، فقال عليه السلام: «لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوتُ رأسك بالسيف» فقتل عقبة يوم بدر صبراً. وأما أُبيّ بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أُحد بيده[1].

وقال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه، وكان أثر ذلك فيه حتى الموت[2].

وقال الشعبي[3]: كان عقبة بن أبي معيط خليل أمية بن خلف فأسلم عقبة، فقال أُمية: وجهي من وجهك حرام أنْ بايعت محمداً، فكفر وارتدّ، فأنزل الله عزّ وجلّ: «ويوم يعض الظالم» يعني: عقبة بن أبي معيط بن عبد شمس بن مناف «على يديه» ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالمعصية والكفر بالله بطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه. قال عطاء: يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان، ثم يأكل هكذا، كلما نبتت يده أكلها تحسراً على ما فعل.

﴿يقول ياليتني اتخذت﴾، في الدنيا، ﴿مع الرسول سبيلاً﴾، ليتني اتبعت محمداً ﷺ، واتخذت معه سبيلاً إلى الهدى. قرأ أبو عمرو: «ياليتنيَ اتخذت» بفتح الياء، والآخرون بإسكانها.

﴿يا وَيْلَتا ليتني لم أتَّخِذْ فلاناً خليلاً﴾، يعني: أُبيّ بن خلف.

﴿لقد أضلَّني عن الذكر﴾، عن الإيمان والقرآن، ﴿بعد إذْ جاءني﴾، يعني: الذكر مع الرسول، ﴿وكان الشيطان﴾، وهو كل متمرد عاتٍ من الإنس والجن، وكل من صدَّ عن سبيل الله فهو شيطان. ﴿للإنسان خذولاً﴾، أي: تاركاً يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب، وحكم هذه الآية عام في حق كل متحابين اجتمعا على معصية الله.

---

(١) أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في «الدلائل» بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس. الدر المنثور: ٢٥٠/٦، الفتح السماوي للمناوي: ٨٨٠/٢، أسباب النزول للواحدي ص (٣٨٥).

(٢) أسباب النزول للواحدي ص (٣٨٦)، القرطبي: ٢٦/١٣.

(٣) أسباب النزول ص (٣٨٥)، الطبري: ٨/١٩ باختصار.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن العلاء، أخبرنا أبو أسامة، عن يزيد، عن أبي بردة، عن أبي موسى
٤٦/أ عن النبي ﷺ قال: / «مَثَلُ الجليسِ الصالح والسوءِ، كحامل المِسْك ونافخِ الكِيْر، فحاملُ المسك إمّا أن يُحْذِيَك وإمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجدَ منه ريحاً طيبة، ونافخُ الكير إمّا أن يحرق ثيابك، وإمّا تجد منه ريحاً خبيثة»(١).

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك، عن حياة بن شريح، أخبرني سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التُّجيبي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري ـ قال سالم: أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»(٢).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن كساب النيسابوري، أخبرنا أبو العباس الأصم، حدثنا حميد بن عياش الرملي، أخبرنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا زهير بن محمد الخراساني، حدثنا موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرءُ على دين خليلِه فلينظرْ أحدُكم من يُخَالِلُ»(٣).

﴿وقال الرسول﴾، يعني: ويقول الرسول في ذلك اليوم: **﴿يارَبِّ إن قومي اتخذوا هذا القرآنَ مهجوراً﴾**، أي: متروكاً فأعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه.

وقيل: جعلوه منزلة الهجر وهو الهذيان، والقوي السيء، فزعموا أنه شعر وسحر، وهو قول النخعي ومجاهد.

---

(١) أخرجه البخاري في الذبائح، باب المسك: ٦٦٠/٩، ومسلم في البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، برقم (٢٦٢٨): ٢٠٢٦/٤، والمصنف في شرح السنة: ٦٨/١٣.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب، باب من يؤمر أن يجالس: ١٨٥/٧، وسكت عليه أبو داود والمنذري، والترمذي في الزهد: ٧٦/٧، وقال: «هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه»، والدارمي في الأطعمة: ١٠٣/٢، وصححه الحاكم: ١٢٨/٤، وابن حبان برقم (٢٠٤٩) من موارد الظمآن، وحسنه المصنف في شرح السنة: ٦٨/١٣. وانظر: فيض القدير للمناوي: ٤٠٥/٦.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب: ١٨٦/٧، قال المنذري: «وفي إسناده موسى بن وردان، وقد ضعفه بعضهم، وقال بعضهم: لا بأس به، ورجح بعضهم في هذا الحديث الإرسال».
والترمذي في الزهد: ٤٩/٧ وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه الحاكم: ١٧١/٤، وأخرجه الإمام أحمد: ٣٠٣/٢، و٤٣٤، وذكره في المشكاة: ١٣٩٧/٣ وعزاه أيضاً للبيهقي في «شعب الإيمان»، وقال النووي: إسناده صحيح. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٧٠/١٣.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ
فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا
﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ
سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾

وقيل: قال الرسول يعني: محمداً ﷺ يشكو قومه إلى الله يارب: إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً فعزّاه الله تعالى فقال:

﴿**وكذلك جعلنا**﴾، يعني: كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا، ﴿**لكل نبيٍّ عدواً من المجرمين**﴾، يعني: المشركين. قال مقاتل: يقول لا يَكْبُرَنَّ عليك، فإن الأنبياء قبلك قد لَقِيَتْ هذا من قومهم، فاصبرْ لأمري كما صبروا، فإني ناصرك وهاديك، ﴿**وكفى بربِّك هادياً ونصيراً**﴾.

﴿**وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآنُ جملةً واحدةً**﴾، كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود. قال الله تعالى: ﴿**كذلك**﴾، فَعَلْتُ، ﴿**لِنُثَبِّتَ به فؤادَك**﴾، أي: أنزلناه متفرقاً ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه، فإن الكتب أنزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون، وأنزل الله القرآن على نبي أُمي لا يكتب ولا يقرأ، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل به. ﴿**ورتَّلْناه ترتيلاً**﴾، قال ابن عباس: بيَّنّاه بياناً، والترتيل: التبيين في ترسل وتثبت. وقال السدي: فصَّلناه تفصيلاً. وقال مجاهد: بعضه في إثر بعض. وقال النخعي والحسن وقتادة: فرقناه تفريقاً، آيةً بعد آية.

﴿**ولا يأتونك**﴾، يامحمد يعني: هؤلاء المشركين، ﴿**بمَثَلٍ**﴾، يضربونه في إبطال أمرك ﴿**إلّا جئناك بالحقِّ**﴾، يعني بما ترد به ما جاؤوا به من المثل وتبطله، فسمى ما يوردون من الشبه مثلاً، وسمى ما يدفع به الشبه حقاً، ﴿**وأحْسَنَ تفسيراً**﴾، أي: بياناً وتفصيلاً، و«التفسير»: تفعيل، من الفَسْر، وهو كشف ما قد غطي. ثم ذكرَ مآل هؤلاء المشركين فقال:

﴿**الذين**﴾، [أي: هم الذين][1]، ﴿**يُحشرون على وجوههم**﴾، فيساقون ويجرون، ﴿**إلى جهنّم أولئك شرٌّ مكاناً**﴾، أي: مكانة ومنزلة، ويقال: منزلاً ومصيراً، ﴿**وأضلُّ سبيلاً**﴾، أخطأُ طريقاً.

---

(١) ساقط من «أ».

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ
إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟
ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾

﴿ولقد آتينا موسى الكتابَ وجعلنا معه أخاه هارونَ وزيراً﴾، مُعِيْناً وظهيراً.

﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذّبوا بآياتنا﴾، يعني القبط، ﴿فدمَّرناهم﴾، فيه إضمار، أي: فكذبوهما فدمرناهم، ﴿تدميراً﴾، أهلكناهم إهلاكاً.

﴿وقومَ نوحٍ لما كذَّبوا الرسلَ﴾، أي: الرسول، ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل، فلذلك ذكر بلفظ الجمع. ﴿أغرقناهم وجعلناهم للناس آية﴾، يعني: لمن بعدهم عبرة، ﴿وأعْتَدْنا للظالمين﴾، في الآخرة، ﴿عذاباً أليماً﴾، سوى ما حلَّ به من عاجل العذاب. ﴿وعاداً وثمودَ﴾، أي: وأهلكنا عاداً وثمود، ﴿وأصحابَ الرسِّ﴾، اختلفوا فيهم، قال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر قعوداً عليها، وأصحابَ مواشي، يعبدون الأصنام، فوجّه الله إليهم شعيباً يدعوهم إلى الإسلام، فتمادوا في طغيانهم، وفي أذى شعيب عليه السلام، فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت البئر، فخسف بهم وبديارهم ورباعهم، فهلكوا جميعاً. و«الرسُّ»: البئر، وكل ركية لم تُطْوَ بالحجارة والآجر فهو رسٌّ.

وقال قتادة والكلبي: «الرس» بئر بفَلْج اليمامة، قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله عزّ وجلّ.

وقال بعضهم: هم بقية ثمود قوم صالح، وهم أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله: «وبئر معطلةٍ وقَصرٍ مَشِيْد» (الحج ـ ٤٥).

وقال سعيد بن جبير: كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى.

وقال كعب ومقاتل والسدي: «الرس»: بئر بإنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار، وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس.

وقيل: هم أصحاب الأخدود، [والرسُّ هو الأخدود][(١)] الذي حفروه.

وقال عكرمة: هم قوم رسّوا نبيهم في بئر[(٢)]. وقيل: الرسُّ المعدن، وجمعه رساس.

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) لم يقم على هذه الأقوال في المعني بأصحاب الرس دليل ثابت، ورجح الطبري أنهم أصحاب الأخدود، وبعض الأقوال السابقة مردودة بنصوص أخرى، والله أعلم. انظر: الطبري: ١٩/١٣ـ١٥، الدر المنثور: ٦/٢٥٦ـ٢٥٧، زاد المسير: ٦/٩٠، البحر المحيط: ٦/٤٩٨ـ٤٩٥، تفسير ابن كثير: ٣/٣١٩ـ٣٢٠.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ
أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا
﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن
كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ﴾

﴿**وقُروناً بين ذلك كثيراً**﴾، أي: وأهلكنا قروناً كثيراً بين عاد وأصحاب الرس .

﴿**وكلاً ضربنا له الأمثال**﴾، أي: الأشباه في إقامة الحجة عليهم، فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار، ﴿**وكلاً تبَّرنا تتبيراً**﴾، أي: أهلكنا إهلاكاً. وقال الأخفش: كسرنا تكسيراً. قال الزجاج: كل شيء كسرتَه وفتّتَه فقد تبّرتَه .

﴿**ولقد أتوا على القرية التي أُمْطِرَتْ مطر السَّوْءِ**﴾، يعني الحجارة، وهي قريات قوم لوط، وكانت خمس قرى، فأهلك الله أربعاً منها، ونجت واحدة، وهي أصغرها، وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث، ﴿**أفلم يكونوا يرونها**﴾، إذا مروا بهم في أسفارهم فيعتبروا ويتذكروا، لأنّ مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم إلى الشام، ﴿**بل كانوا / لا يرجون**﴾، لا يخافون، ٤٦/ب
﴿**نشوراً**﴾، بعثاً .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**وإذا رأوك إنْ يتخذونك**﴾، يعني: ما يتخذونك، ﴿**إلا هُزُواً**﴾، أي: مهزوءاً به، نزلت في أبي جهل، كان إذا مرّ بأصحابه على رسول الله ﷺ قال مستهزئاً : ﴿**أهذا الذي بعث الله رسولاً**﴾[(١)]؟!

﴿**إنْ كادَ ليضلنا**﴾، أي: قد قارب أن يضلنا، ﴿**عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها**﴾، أي: لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها، ﴿**وسوف يعلمونَ حين يرون العذابَ من أضلُّ سبيلاً**﴾، من أخطأُ طريقاً .

﴿**أرأيت من اتخذ إلهَهُ هواهُ**﴾، وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فإذا رأى حجراً أحسن منه طرح الأول وأخذ الآخر فعبده. وقال ابن عباس: أرأيت من ترك عبادة الله وخالقه ثم هوي حجراً فعبده ما حاله عندي؟ ﴿**أفأنت تكون عليه وكيلاً**﴾، أي: حافظاً، يقول: أفأنت

---

(١) ذكره في البحر المحيط: ٥٠٠/٦، والآية فيها إخبار عن استهزاء المشركين بالنبي ﷺ وتنقصهم له، وأبو جهل داخل في عموم أولئك المشركين .

وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا
ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

عليه كفيل تحفظه من اتباع هواه وعبادة ما يهوى من دون الله؟ أي: لست كذلك. قال الكلبي: نسختها آية القتال .

﴿**أم تَحْسَبُ أن أكثرهم يسمعون**﴾ ما تقول سماع طالب الإفهام، ﴿**أو يعقلون**﴾، ما يعاينون من الحجج والإعلام، ﴿**إنْ هم**﴾، ما هم، ﴿**إلّا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً**﴾، لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعهدونها، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق، ولا يطيعون ربَّهم الذي خلقهم ورزقهم، ولأن الأنعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يفعلون .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**ألم تَرَ إلى ربِّك كيف مَدَّ الظِّلَّ**﴾، معناه ألم تَرَ إلى مَدِّ ربِّك الظلَّ، وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، جعله ممدوداً لأنه ظل لا شمس معه، كما قال: «في ظل الجنة»، «وظل ممدود» (الواقعة ـ ٣٠) إذ لم يكن معه شمس. ﴿**ولو شاء لجعله ساكناً**﴾، دائماً ثابتاً لا يزول ولا تذهبه الشمس. قال أبو عبيدة: «الظل»: ما نسخته الشمس، وهو بالغداة، و«الفيء»: ما نسخ الشمس، وهو بعد الزوال، سُمي فيئاً لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب، ﴿**ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً**﴾، أي: على الظل. ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل، ولولا النور لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها .

﴿**ثم قبضناه**﴾، يعني الظل، ﴿**إلينا قبضاً يسيراً**﴾، بالشمس التي تأتي عليه، و«القبض»: جمع المنبسط من الشيء، معناه: أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس، فإذا طلعت الشمس قبض الله الظلَّ جزءاً فجزءاً **«قبضاً يسيراً»**، أي: خفياً .

﴿**وهو الذي جعلَ لكمُ الليلَ لباساً**﴾، أي: ستراً تستترون به، يريد أن ظلمته تغشى كل شيء، كاللباس الذي يشتمل على لابسه، ﴿**والنومَ سُباتاً**﴾، راحةً لأبدانكم وقطعاً لعملكم، وأصل «السبت»: القطع، والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته. ﴿**وجعل النهار نُشوراً**﴾، أي: يقظة وزماناً، تنتشرون فيه لابتغاء الرزق، وتنتشرون لأشغالكم .

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿وهو الذي أرسل الرياح بُشْراً بين يَدَيْ رحمتِهِ﴾، يعني المطر ﴿وأنزلنا من السماء ماءً طَهُوراً﴾، وهو الطاهر في نفسه المطهر لغيره، فهو اسم لما يتطهر به، كالسَّحور اسم لما يتسحر به، والفَطور اسم لما يفطر به، والدليل عليه ما روينا أن النبي ﷺ قال في البحر: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»[(١)] وأراد به المطهِّر، فالماء مطهر لأنه يطهر الإنسان من الحَدَث والنجاسة، كما قال في آية أخرى : «ويُنزِّل عليكم من السماء ماء ليطهركم به» (الأنفال ـ ١١)، فثبت به أن التطهير يختص بالماء .

وذهب أصحاب الرأي إلى أن «الطهور» هو الطاهر، حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة، مثل الخل وماء الورد والمرق ونحوها[(٢)] .

ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها .

وذهب بعضهم إلى أن «الطهور» ما يتكرر منه التطهير، كالصبور اسم لمن يتكرر منه الصبر، والشكور اسم لمن يتكرر منه الشكر، وهو قول مالك، حتى جوَّز الوضوء بالماء الذي توضأ منه مرة[(٣)] .

وإن وقع في الماء شيء غيَّر طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته؟ نظر: إن كان الواقع شيئاً لا يمكن صون الماء عنه، كالطين والتراب وأوراق الأشجار، لا تزول، فيجوز الطهارة به كما لو تغير لطول المكث في قراره، وكذلك لو وقع فيه مالا يخالطه، كالدهن يصب فيه فيتروح الماء

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ٢٢/١، وأبو داود في باب الوضوء بماء البحر: ٨٠/١، والترمذي في باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور: ٢٢٤/١ـ٢٢٥ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي في الطهارة: ٥٠/١، ١٧٦، وابن ماجه في الوضوء بماء البحر: ١٣٦/١، ١٣٧، وصححه الحاكم: ١٤٠/١، وابن حبان برقم (١١٩) وابن خزيمة: ٥٩/١. والمصنف في شرح السنة: ٥٥/٢ .

قال الترمذي: سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث؟ فقال: هو حديث صحيح .

قال البيهقي: وإنما لم يخرجه البخاري ومسلم بن الحجاج في الصحيح لأجل اختلاف وقع في اسم سعيد بن سلمة والمغيرة ابن أبي بردة . انظر: تلخيص الحبير: ٩/١ .

(٢) قال الجصاص في أحكام القرآن: (٢٠١/٥) «الطَّهور، على وجه المبالغة في الوصف له بالطهارة وتطهير غيره، فهو طاهر مطهر، كما يقال: رجل ضَروب وقتول، أي: يضرب ويقتل، وهو مبالغة في الوصف له بذلك» .

(٣) في المدونة: (٤/١) «وقال مالك: لا يتوضأ بماء قد توضىء به مرة، قال: ولا خير فيه...

قلت: فلو لم يجد رجل ماءً إلا ما قد توضىء به مرة، أيتيمم أم يتوضأ بما قد توضىء به مرة؟ قال: يتوضأ بذلك الماء الذي قد توضىء به مرة أحبّ إليّ إذا كان الذي توضأ به طاهراً» .

برائحته يجوز الطهارة به، لأن تغيره للمجاورة لا للمخالطة. وإن كان شيئاً يمكن صون الماء منه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما تزول [طهوريته فلا يجوز الوضوء به .

وإن لم يتغير أحد أوصافه، ينظر: إن كان الواقع فيه شيئاً طاهراً لا تزول][1] طهوريته، فتجوز الطهارة به، سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً، وإن كان الواقع فيه شيئاً نجساً، ينظر: فإن كان الماء قليلاً أقل من القلتين ينجس الماء، وإن كان قدر قلتين فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به. والقلتان خمس قرب، ووزنه خمسمائة رطل، والدليل عليه ما :

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا عبدالرحيم بن المنيب، أخبرنا جرير عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر ابن الزبير، عن عبيد الله بن عبدالله بن عمر، عن أبيه عن النبي ﷺ أنه سئل عن الماء يكون في الفلاة وما يَرِدُه من الدوابِّ والسِّباع؟ فقال: «إذا كان الماء قُلَّتين ليس يحمل الخبث»[2]، وهذا قول الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وجماعة من أهل الحديث: أن الماء إذا بلغ هذا الحدّ لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير أحد أوصافه[3] .

وذهب جماعة إلى أن الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه، وهو قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري. واحتجوا بما :

أخبرنا أبو القاسم بن عبدالله بن محمد الحنفي، أخبرنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري، حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم، حدثنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه، حدثنا صدقة بن الفضل /، أخبرنا أبو أسامة عن الوليد بن كثير، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله ٤٧/أ
ابن عبدالرحمن بن رافع بن خديج، عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يارسول الله أنتوضأ من بئر بضاعة؟ وهي بئر يلقى فيه الحِيض ولحوم الكلاب والنتن، فقال رسول الله ﷺ: «إن الماءَ طَهُورٌ لا ينجِّسُه شيء»[4] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب ما ينجس من الماء : ٥٦/١، والترمذي في باب الماء لا ينجسه شيء : ٢١٥/١، والنسائي في باب التوقيت في الماء: ٤٦/١، وابن ماجه في مقدار الماء الذي لا ينجس: ١٧٢/١، والدارمي في الوضوء: ١٨٧/١، وابن خزيمة ٤٩/١، والشافعي في الأم: ٤/١، والإمام أحمد: ٢٧/٢ .

(٣) انظر بالتفصيل: الأوسط في السنن والإجماع، لابن المنذر: ٢٦٠/١ وما بعدها .

(٤) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب ما جاء في بئر بُضاعة: ٧٣/١، والترمذي في باب ما جاء أن الماء طهور لا ينجسه شيء: ٢٠٣/١-٢٠٥ وقال هذا حديث حسن، وقد جوَّد أبو أسامة هذا الحديث فلم يرو أحد حديث أبي سعيد في بئر بضاعة أحسن مما روى أبو أسامة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي سعيد»، وأخرجه النسائي في باب ذكر بئر بضاعة: ١٧٤/١، وابن ماجه: ١٧٣/١، والشافعي: ١٢/١ من ترتيب المسند، والدارقطني: ١٣/١، والإمام أحمد: ٣١/٣،٨٦، وصححه الحاكم .

﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿لنحييَ به﴾، أي: بالمطر، ﴿بَلْدةً مَيْتاً﴾، ولم يقل: «ميتة» لأنه رجع به إلى الموضع والمكان، ﴿ونُسْقِيَهُ مما خلقنا أنعاماً﴾، أي: نسقي من ذلك الماء أنعاماً، ﴿وأناسِيَّ كثيراً﴾، أي: بشراً كثيراً، والأناسي : [جمع أنسي، وقيل][1] جمع إنسان، وأصله: «أناسين» مثل: بستان وبساتين، فجعل الياء عوضاً عن النون .

﴿ولقد صرَّفْناه بينهم﴾، يعني: المطر، مرة ببلد ومرة ببلد آخر. قال ابن عباس: ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض، وقرأ هذه الآية[2]. وهذا كما روي مرفوعاً: «ما من ساعة من ليل ولا نهار إلّا السماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء»[3] .

وذكر ابن إسحاق وابن جريج ومقاتل وبلغوا به ابن مسعود يرفعه قال: «ليس من سنة بأمطر من أخرى، ولكنّ الله قسم هذه الأرزاق، فجعلها في السماء الدنيا، في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم، وإذا عمل قوم بالمعاصي حوَّل الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار»[4] .

وقيل: المراد من تصريف المطر تصريفه وابلاً وطلاً ورذاذاً ونحوها. وقيل: التصريف راجع إلى الريح .

﴿ليذكروا﴾، أي: ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى، ﴿فأبى أكثر الناس إلّا كُفُوراً﴾، جحوداً، وكفرانهم هو أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك بن أنس، عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء

---

(١) ساقط من «أ» .

(٢) صححه الحاكم في المستدرك: ٤٠٣/٢، وأخرجه الطبري: ٢٢/١٩ من رواية الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأخرجه الطبري أيضاً من رواية ابن مسعود موقوفاً .

قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٢٢): «.. وفي الباب عن ابن مسعود، أخرجه العقيلي من رواية علي بن حميد عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عنه. وقال: لا يتابع على رفعه. ثم أخرجه موقوفاً من رواية عمر بن مرزوق عن شعبة، وقال: هذا أولى، وأورده ابن مردوية من وجه آخر عن ابن مسعود مرفوعاً» .

وانظر: الدر المنثور: ٢٦٤/٦، تفسير ابن كثير: ٣٢٢/٣ .

(٣)، (٤) انظر: التعليق السابق .

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾

كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمّا من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأمّا من قال: مطرنا بنَوْء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»(١) .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قريةٍ نذيراً﴾، رسولاً ينذرهم، ولكن بعثناك إلى القرى كلها، وحملناك ثقل النذارة جميعها، لتستوجب بصبرك عليه ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة .

﴿فلا تطعِ الكافرين﴾ فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم. ﴿وجاهِدْهُمْ به﴾ أي: بالقرآن، ﴿جهاداً كبيراً﴾، شديداً .

﴿وهو الذي مَرَجَ البحرين﴾، خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر، وقيل: أرسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرج، وأصل «المرج»: الخلط والإرسال، يقال: مرجت الدابة وأمرجتها إذا أرسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث تشاء، ﴿هذا عذبٌ فُراتٌ﴾، شديد العذوبة، و«الفرات»: أعذب المياه، ﴿وهذا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾، شديد الملوحة. وقيل: أُجاج أي: مرّ، ﴿وجعل بينهما بَرْزَخاً﴾، أي: حاجزاً بقدرته لئلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب، ﴿وحِجْراً محجوراً﴾، أي: ستراً ممنوعاً فلا يبغيان، ولا يفسد الملحُ العَذْبَ .

﴿وهو الذي خلقَ من الماءِ﴾، من النطفة، ﴿بَشَراً فجعله نَسَباً وصِهْراً﴾، أي: جعله ذا نسب وصهر، قيل: «النسب»: مالا يحل نكاحه، و«الصهر»: ما يحل نكاحه، فالنسبُ ما يوجب الحرمة، والصهرُ مالا يوجبها، وقيل: ــ وهو الصحيح ــ: النسب: من القرابة، والصهر: الخلطة التي تشبه القرابة، وهو السبب المحرم للنكاح، وقد ذكرنا أن الله تعالى حرّم بالنسب سبعاً وبالسبب سبعاً، في قوله(٢) : «حُرِّمتْ عليكم أمهاتُكم» (النساء ــ ٢٣)، ﴿وكان ربُّك قديراً﴾ .

---

(١) أخرجه مالك في الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم: ١٩٢/١، والبخاري في الاستسقاء، باب قول الله تعالى: «وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون»: ٥٢٢/٢، وفي الصلاة والمغازي والتوحيد، ومسلم في الإيمان، باب كفر من قال مطرنا بالنوء، برقم (٧١): ٨٣/١-٨٤، والمصنف في شرح السنة: ٤١٩/٤ .

(٢) انظر فيما سبق: ١٨٨/٢ .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا
﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن
شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ
وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿**ويعبدون من دون الله**﴾، يعني: هؤلاء المشركين، ﴿**مالا ينفعُهم**﴾، إن عبدوه، ﴿**ولا يضرُّهم**﴾، إن تركوه، ﴿**وكان الكافر على ربِّه ظَهيراً**﴾، أي: معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي. قال الزجَّاج: أي: يعاون الشيطان على معصية الله لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان. وقيل: معناه وكان الكافر على ربه ظهيراً، أي: هيناً ذليلاً، كما يقال الرجل: جعلتني بظهير، أي: جعلتني هيناً. ويقال: ظهرت به، إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه.

﴿**وما أرسلناك إلّا مبشِّراً ونذيراً**﴾، أي: منذراً.

﴿**قل ما أسألكم عليه**﴾، على تبليغ الوحي، ﴿**من أجرٍ**﴾، فتقولوا إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه فلا نتبعه، ﴿**إلّا من شاء أن يتخذَ إلى ربه سبيلاً**﴾، هذا من الاستثناء المنقطع، مجازه: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بالإنفاق من ماله في سبيله فعل ذلك، والمعنى: لا أسألكم لنفسي أجراً ولكن لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته.

﴿**وتوكّلْ على الحيّ الذي لا يموتُ وسبِّحْ بحمده**﴾، أي: صلِّ له شكراً على نعمه. وقيل: قل: سبحان الله، والحمد لله. ﴿**وكفى به بذنوب عباده خبيراً**﴾، عالماً فيجازيهم بها.

﴿**الذي خلق السمواتِ والأرضَ وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، الرحمنُ فآسألْ به خبيراً**﴾، بالرحمن. قال الكلبي: يقول فاسألِ الخبير [بذلك، يعني: بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش. وقيل:][1] الخطاب للرسول والمراد منه غيره لأنه كان مصدقاً به، والمعنى: أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيري. وقيل: الباء بمعنى «عن»، أي: فاسأل عنه خبيراً وهو الله عزّ وجلّ. وقيل: جبريل عليه السلام.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من « أ ».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وإذا قيل لهمُ آسجدوا للرحمٰنِ قالوا وما الرحمٰن﴾، ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، كانوا يسمونه رحمن اليمامة. ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾، قرأ حمزة والكسائي «يأمرنا» بالياء، أي: لما يأمرنا محمد بالسجود له، وقرأ الآخرون بالتاء، أي: لما تأمرنا أنت يامحمد، ﴿وزادهم﴾ يعني: زادهم قول القائل لهم: «اسجدوا للرحمن» ﴿نفوراً﴾، عن الدين والإيمان.

٤٧/ب قوله عزّ وجلّ / : ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة: «البروج»: هي النجوم الكبار، سميت بروجاً لظهورها، وقال عطية العوفي: «بروجاً» أي: قصوراً فيها الحرس[1]، كما قال: «ولو كنتم في بُروج مشيّدة» (النساء ـ ٧٨).

وقال عطاء عن ابن عباس: هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة، وهي الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيتُ الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات، فالحمل والأسد والقوس مثلثه نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثه أرضية، والجوزاء والميزان والدلو مثلثه هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثه مائية.

﴿وجعل فيها سِرَاجاً﴾ يعني الشمس، كما قال: «وجعل الشمس سراجاً» (نوح ـ ١٦)، وقرأ حمزة والكسائي: «سُرُجَاً» بالجمع، يعني النجوم. ﴿وقمراً منيراً﴾، والقمر قد دخل في «السُّرج» على قراءة من قرأ بالجمع، غير أنه خصه بالذكر لنوع فضيلة، كما قال: «فيها فاكهة ونخل ورمان» (الرحمن ـ ٦٨)، خصَّ النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في الفاكهة.

﴿وهو الذي جعل الليلَ والنهارَ خِلْفَةً﴾، اختلفوا فيها، قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني خلفاً وعوضاً، يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر.

---

(١) ذكر القولين الطبري: ١٩/٢٩ـ٣٠، ورجح أن البروج هي قصور في السماء، لأن ذلك في كلام العرب، كما في قوله تعالى: «ولو كنتم في بروج مشيدة». وقول الأخطل:

كأنّها بُرجُ روميّ يشيّده * بانٍ بجصٍّ وآجُرٍّ وأحجارِ

يعني بالبرج: القصر.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾

قال شقيق: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، قال فاتتني الصلاةُ الليلةَ، فقال: أدرِكْ ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله عزّ وجلّ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكَّر(١) .

[قال مجاهد: يعني جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض(٢) .

وقال ابن زيد وغيره](٣) يعني يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان(٤) .

﴿لمن أراد أن يذكَّر﴾، قرأ حمزة بتخفيف الذال والكاف وضمها من الذكر، وقرأ الآخرون بتشديدهما أي: يتذكر ويتعظ **﴿أو أراد شكوراً﴾**، قال مجاهد: أي: شكر نعمة ربه عليه فيهما .

قوله عزّ وجلّ : **﴿وعباد الرحمن﴾**، أي: أفاضل العباد. وقيل: هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل، وإلا فالخلق كلهم عباد الله. **﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾**، أي: بالسكينة والوقار متواضعين غير أَشِرين ولا مرحين، ولا متكبرين. وقال الحسن: علماء وحكماء. وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون، وإن سُفه عليهم حلموا، و«الهَوْن» في اللغة: الرفق واللين(٥) .

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾، يعني السفهاء بما يكرهون، **﴿قالوا سلاماً﴾**، قال مجاهد: سداداً من القول(٦). وقال مقاتل بن حيان: قولاً يسلمون فيه من الإثم. وقال الحسن: إن جهل عليهم جاهل حلموا و لم يجهلوا، وليس المراد منه السلام المعروف. وروي عن الحسن: معناه سلموا عليهم، دليله قوله عزّ وجلّ : «وإذا سمعوا اللغوَ أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم» (القصص ـ ٥٥) .

قال الكلبي وأبو العالية: هذا قبل أن يؤمر بالقتال، ثم نسختها آية القتال(٧) .

وروي عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: هذا وصف نهارهم، ثم قرأ **﴿والذين يبيتون لربهم سجّداً وقياماً﴾**، قال: هذا وصف ليلهم .

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٠/١٩، والجصاص في أحكام القرآن: ٢١٢/٥ .

(٢) الطبري: ٣١/١٩، الجصاص: ٢١٢/٥ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٤) الطبري: ٣١/١٩، الجصاص: ٢١٢/٥ .

(٥) انظر هذه الأقوال في: الطبري ٣٣/١٩ـ٣٤ .

(٦) ورجحه الطبري: ٣٤/١٩، والأقوال الآتية لا تنافي ذلك .

(٧) انظر فيما سبق: ٣٢/٣ـ٣٣ .

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**والذين يبيتون لربّهم**﴾، يقال لمن أدرك الليل: بات، نام أو لم ينم، يقال: بات فلان قَلِقاً، والمعنى: يبيتون لربهم بالليل في الصلاة، ﴿**سُجَّداً**﴾، على وجوههم، ﴿**وقياماً**﴾ على أقدامهم. قال ابن عباس: من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً وقائماً[١].

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبدالجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو نعيم عن سفيان، عن عثمان بن حكيم، عن عبدالرحمن بن أبي عمرة، عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»[٢].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**والذين يقولون ربنا اَصْرِفْ عنّا عذاب جهنّم إن عذابها كان غَراماً**﴾، أي: مُلِحّاً دائماً، لازماً غير مفارقٍ من عذب به من الكفار، ومنه سمي الغريم لطلبه حقه وإلحاحه على صاحبه وملازمته إياه. قال محمد بن كعب القرظي: سأل الله الكفار ثمن نعمه فلم يؤدوا فأغرمهم فيه، فبقوا في النار. قال الحسن: كل غريم يفارق غريمه إلا جهنّم. و«الغَرَام»: الشر اللازم، وقيل: «غراماً» هلاكاً.

﴿**إنها ساءتْ مُستقراً ومُقاماً**﴾، أي: بئس موضع قرار وإقامة.

﴿**والذين إذا أنفقوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتُرُوا**﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة «يقتروا» بفتح الياء وكسر التاء، وقرأ أهل المدينة وابن عامر بضم الياء وكسر التاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم التاء، وكلها لغات صحيحة. يقال: أقتر وقتَّر بالتشديد، وقتَر يُقتِّر.

واختلفوا في معنى الإسراف والإقتار، فقال بعضهم: «الإسراف»: النفقة في معصية الله وإن قلَّتْ، و«الإقتار»: منع حق الله تعالى. وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج. وقال الحسن في هذه الآية لم ينفقوا في معاصي الله ولم يمسكوا عن فرائض الله[٣].

---

(١) انظر: مجمع الزوائد: ٢/٢٣١.

(٢) أخرجه مسلم في المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، برقم (٦٥٦): ١/٤٥٤، والمصنف في شرح السنة: ٢/٢٣١.

(٣) انظر: الطبري ١٩/٣٧، الجصاص: ٥/٢١٣، القرطبي: ١٣/٧٢-٧٣.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

وقال قوم : «الإسراف»: مجاوزة الحد في الإنفاق، حتى يدخل في حد التبذير، و«الإقتار»: التقصير عمّا لا بدّ منه، وهذا معنى قول إبراهيم: لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف(١) .

﴿وكان بين ذلك قواماً﴾، قصداً وسطاً بين الإسراف والإقتار، حسنة بين السيئتين .

قال يزيد بن / أبي حبيب في هذه الآية: أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا لا يأكلون طعاماً ٤٨/أ
للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثوباً للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسدُّ عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم، ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويُكِنُّهم من الحر والقر(٢) .

قال عمر بن الخطاب: كفى سرفاً أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله(٣) .

قوله عزّ وجلّ : ﴿والذين لا يَدْعون مع الله إلهاً آخر﴾ الآية. أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف بن جريج أخبرهم قال: قال يعلى وهو يعلى بن مسلم، أن سعيد بن جبير ، أخبره عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملناه كفارة، فنزلت : «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر»(٤) .

﴿ولا يقتلون النفسَ التي حرَّم الله إلا بالحقِّ ولا يزنون﴾، ونزل: «قلْ ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله» (الزمر ــ ٥٣) .

---

(١) الطبري: ١٩/٣٧ـ٣٨، القرطبي: ١٣/٧٣، قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك، قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحدَّ الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به. والقوام: بين ذلك....» .

(٢) أخرجه عنه الطبري: ١٩/٣٨، وانظر القرطبي: ١٣/٧٣ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير عن ابن عيينة عن رجل عن الحسن عن عمر بن الخطاب، وهذا منقطع من طريقه، رواه الثعلبي، وأحمد في الزهد عن إسماعيل عن يونس عن الحسن كذلك، ورواه ابن ماجه وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من طريق نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً. والأول أصح» .
انظر: الكافي الشاف لابن حجر ص (١٢٢) .

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، سورة الفرقان: ٨/٤٩٤، ومسلم في الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله برقم (١٢٢): ١/١١٣، وفي التفسير، برقم (١٩): ٤/٢٣١٨، وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٨٦) .

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عمرو ابن شرحبيل قال: قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يارسولَ الله أيُّ الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعوَ لله نِدّاً وهو خلقك» قال: ثم أيّ؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»، قال: ثم أيّ؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم إلّا إلاّ بالحق ولا يزنون ومنْ يفعلْ ذلك يلقَ أثاماً»[1] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ومن يفعل ذلك﴾، أي: شيئاً من هذه الأفعال، ﴿يَلْقَ أثاماً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يريد جزاء الإثم. وقال أبو عبيدة: «الآثام»: العقوبة. وقال مجاهد: «الآثام»: وادٍ في جهنم، يُروى ذلك عن عبدالله بن عمرو بن العاص[2]، ويروى في الحديث: «الغي والآثام بئران يسيل فيها صديد أهل النار»[3] .

﴿يضاعَفْ له العذابُ يوم القيامة ويَخلُدْ فيه مهاناً﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر «يضاعفُ» و«يخلدُ» برفع الفاء والدال على الابتداء، وشدّد ابنُ عامر: «يضعّف»، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط .

﴿إلّا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾، قال قتادة: إلا من تاب من ذنبه، وآمن بربه، وعمل عملاً صالحاً فيما بينه وبين ربه .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن عبدالله، حدثنا موسى بن محمد، حدثنا موسى بن هارون الحمال، حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعي، حدثنا عبدالله بن رجاء عن عبيد الله بن عمر، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: قرأناها على عهد رسول الله ﷺ سنتين: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ الآية، ثم نزلت: ﴿إلا من تاب﴾، فما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء قط كفرحه بها وفرحه بـ : «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر»[4] (الفتح ١و٢) .

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الفرقان، باب «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر»: ٨/٤٩٢ .
(٢) انظر: الطبري ١٩/٤٤-٤٥، وهو أيضاً قول مجاهد وعكرمة، وانظر: الزهد للإمام هناد: ١/٣٦٩ مع تعليق المحقق .
(٣) أخرجه الطبري من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مطولاً: ١٩/٤٤-٤٥ .
(٤) قال الهيثمي في المجمع: (٧/٨٤): «رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران، وقد وثّقا وفيهما ضعف، وبقية =

رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

﴿فأولئك يبدّل الله سيئاتِهم حسناتٍ وكان الله غفوراً رحيماً﴾، فذهب جماعة إلى أن هذا التبديل في الدنيا؛ قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، والسدي، والضحاك: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيماناً، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصاناً(١).

وقال قوم: يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام حسناتٍ يوم القيامة(٢)، وهو قول سعيد ابن المسيب، ومكحول، يدل عليه ما:

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أبي أحمد الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن المعرور بن سويد، عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «إني لأعلم آخر رجل يخرج من النار، يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، ويخبأ عنه كبارها، فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من كبارها، فيقال: أعطُوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: ربِّ إنّ لي ذنوباً ما أراها هاهنا، قال أبو ذر: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضحك حتى بدتْ نواجذه(٣).

وقال بعضهم: إن الله عزّ وجلّ يمحو بالندم جميع السيئات، ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ومن تاب وعمل صالحاً﴾، قال بعض أهل العلم: هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا، يعني: من تاب من الشرك وعمل صالحاً، أي: أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يَزْنِ، ﴿فإنه يتوب إلى الله﴾، أي: يعود إليه بعد الموت، ﴿متاباً﴾، حسناً يفضل به على غيره ممن قتل وزنى، فالتوبة الأولى وهو قوله: «ومن تاب» رجوعٌ عن الشرك، والثاني رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة.

= رجاله ثقات. وله حديث في الصحيح غير هذا». وزاد السيوطي نسبته لابن المنذر وابن مردويه. الدر المنثور: ٢٧٩/٦.

(١) انظر: الطبري: ١٩/٤٦-٤٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٧/١٩ عن سعيد، وقال: «وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، قول من تأوله: فأولئك يبدل الله سيئاتهم: أعمالهم في الشرك حسناتٍ في الإسلام، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى.. لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القُبح، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة إلى خلاف ما كانت عليه إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى، فيجب ـ إن فعل ذلك كذلك ـ أن يصير شرك الكافر الذي كان شركاً في الكفر بعينه إيماناً يوم القيامة بالإسلام، ومعاصيه كلها طاعة، وذلك مالا يقوله ذو حِجَا».

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٠): ١٧٧/١، والمصنف في شرح السنة: ١٩٢/١٥.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾

وقال بعضهم: هذه الآية أيضاً في التوبة عن جميع السيئات. ومعناه: ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتُبْ لوجه الله.

وقوله: ﴿يتوب إلى الله﴾ خبر بمعنى الأمر، أي: ليتب إلى الله. وقيل: معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله.

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾، قال الضحاك وأكثر المفسرين: يعني الشرك[١]. وقال علي بن طلحة: يعني شهادة الزور. وكان عمر بن الخطاب: يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه، ويطوف به في السوق[٢]. وقال ابن جريج: يعني الكذب[٣]. وقال مجاهد: يعني أعياد المشركين[٤].
٤٨/ب وقيل: النَّوْح[٥]، قال قتادة: لا يساعدون أهل الباطل / على باطلهم[٦]. وقال محمد بن الحنفية: لا يشهدون اللهو والغناء[٧]. قال ابن مسعود: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع»[٨].

وأصل «الزُّور» تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق[٩].

(١) أخرجه الطبري: ٤٨/١٩، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك. الدر المنثور: ٣٧٨/٦.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف: ٣٢٦/٨ و٣٢٧، والبيهقي في السنن: ١٤٢/١٠.

(٣) الطبري: ٤٩/١٩، الدر المنثور: ٢٨٢/٦.

(٤) وهو ما رواه الخطيب عن ابن عباس. الدر المنثور: ٢٨٢/٦.

(٥) وهو مروي عن الحسن. الدر المنثور: ٢٨٣/٦.

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم، كما في الدر: ٢٨٣/٦.

(٧) المرجع السابق.

(٨) رواه البيهقي في السنن موقوفاً على ابن مسعود: ٢٢٣/١٠، ورواه في الشعب مرفوعاً عن جابر، وروى عبدالرزاق القطعة الأولى منه عن إبراهيم في المصنف: ٤/١١.
قال ابن حجر في «تلخيص الحبير» (١٩٩/٤): رواه أبو داود بدون التشبيه، والبيهقي من حديث ابن مسعود مرفوعاً، وفيه شيخ لم يُسَمَّ، ورواه البيهقي أيضاً موقوفاً، وفي الباب عن أبي هريرة رواه ابن عدي، وقال ابن طاهر: أصح الأسانيد في ذلك أنه من قول إبراهيم»، وعزاه الألباني في تعليقه على المشكاة: ١٣٥٥/٣ لابن أبي الدنيا في ذم الملاهي بإسناد ضعيف.
وانظر: الفوائد المجموعة للشوكاني ص (٢٥٤)، كشف الخفاء: ١٠٣/٢.

(٩) قال الطبري عقب ذلك: (٤٩/١٩): «والشرك قد يدخل في ذلك لأنه محسَّن لأهله، حتى قد ظنوا أنه حق، وهو باطل. ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضاً مما يحسنه ترجيع الصوت، حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه، حتى يظن سامعه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور.
فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل، لا شركاً، ولا غناء ولا كذباً ولا غيره، وكلُّ ما لزمه اسم الزور، لأن الله عمَّ في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخصَّ من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل».

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ﴾

﴿وإذا مَرُّوا باللّغوِ مَرُّوا كراماً﴾، قال مقاتل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد، نظيره قوله: «وإذا سمعوا اللغوَ أعرضوا عنه» (القصص ـ ٥٥)، قال السدي: وهي منسوخة بآية القتال[1].

قال الحسن والكلبي: «اللغو» : المعاصي كلها، يعني إذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراماً مسرعين معرضين. يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه[2].

﴿والذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يَخِرُّوا﴾، لم يقعوا ولم يسقطوا، ﴿عليها صُمّاً وعُمْياناً﴾، كأنهم صم عمي، بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه. قال القتيبي[3] : لم يتغافلوا عنها، كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها.

﴿والذين يقولون ربَّنا هَبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا﴾، قرأ بغير ألِف: أبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر. وقرأ الباقون بالألف على الجمع، ﴿قُرّةَ أعْيُنٍ﴾، أي: أولاداً أبراراً أتقياء، يقولون اجعلهم صالحين فتقر أعيُننا بذلك. قال القرظي: ليس شيء أقرَّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عزّ وجلّ. وقاله الحسن، ووحَّد القُرَّةَ لأنها مصدر، وأصلها من البرد، لأن العرب تتأذى من الحر وتستروح إلى البرد، وتذكر قرة العين عند السرور، وسخنة العين عند الحزن، ويقال: دمع العين عند السرور بارد، وعند الحزن حار. وقال الأزهري: معنى قرة الأعين: أن يصادف قلبه من يرضاه، فتقر عينه به عن النظر إلى غيره.

﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾، أي: أئمة يقتدون في الخير بنا، ولم يقل: أئمة، كقوله تعالى: «إنّا رسول ربِّ العالمين» (الشعراء ـ ١٦)، وقيل: أراد أئمة كقوله: «فإنهم عدوٌ لي» (الشعراء ـ ٧٧)، أي: أعداء، ويقال: أميرنا هؤلاء، أي: أمراؤنا. وقيل: لأنه مصدر كالصيام والقيام، يقال: أمّ إماماً، كما يقال: قام قياماً، وصام صياماً. قال الحسن: نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون. وقال ابن عباس: اجعلنا أئمة هداة، كما قال: «وجعلناهم أئمة يهتدون بأمرنا» (السجدة ـ ٢٤)، ولا تجعلنا أئمة ضلالة كما قال : «وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار» (القصص ـ ٤١)، وقيل: هذا من المقلوب، يعني: واجعل المتقين لنا إماماً، واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم، وهو قول مجاهد.

(١) راجع فيما سبق التعليق على نحو هذا: ٣/٣٢-٣٣.
(٢) انظر تأويل الطبري وترجيحه أيضاً: ١٩/٥٠.
(٣) انظر: القرطين لابن مطرف: ٢/٥١-٥٢.

إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

﴿**أولئك يُجزَوْنَ**﴾، أي: يثابون، ﴿**الغُرْفَةَ**﴾، أي: الدرجة الرفيعة في الجنة، و«الغرفة»: كل بناء مرتفع عالٍ. وقال عطاء: يريد غرف الدر والزبرجد والياقوت في الجنة، ﴿**بما صبروا**﴾، على أمر الله تعالى وطاعته. وقيل: على أذى المشركين. وقيل: عن الشهوات ﴿**ويُلقَّوْن فيها**﴾، قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر: بفتح الياء وتخفيف القاف، كما قال: «فسوف يلقون غياً» (مريم ــ ٥٩)، وقرأ الآخرون بضم الياء وتشديد القاف كما قال: «ولقاهم نضرةً وسروراً» (الإنسان ــ ١١)، وقوله: ﴿**تحيةً**﴾، أي مُلكاً، وقيل: بقاءً دائماً، ﴿**وسلاماً**﴾ أي: يسلم بعضهم على بعض. وقال الكلبي: يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، ويرسل الرب إليهم بالسَّلام. وقيل: «سلاماً» أي: سلامة من الآفات.

﴿**خالدين فيها حَسُنتْ مستقراً ومُقاماً**﴾، أي: موضع قرار وإقامة.

﴿**قلْ ما يَعْبَأُ بكم ربي**﴾، قال مجاهد وابن زيد: أي: ما يصنع وما يفعل بكم. قال أبو عبيدة يقال: ما عبأت به شيئاً أي: لم أعدّه، فوجوده وعدمه سواء، مجازه: أيّ وزن وأيّ مقدار لكم عنده، ﴿**لولا دعاؤكم**﴾ إيّاه، وقيل: لولا إيمانكم، وقيل: لولا عبادتكم، وقيل: لولا دعاؤه إيّاكم إلى الإسلام، فإذا آمنتم ظهر لكم قدر.

وقال قوم: معناها: قلْ ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إيّاه يعني إنه خلقكم لعبادته، كما قال: «وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون» (الذاريات ــ ٥٦) وهذا قول ابن عباس ومجاهد:

وقال قوم: «قلْ ما يعبأ» ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم، كما قال الله تعالى: «ما يفعل الله بعذابكم إنْ شكرتم وآمنتم» (النساء ــ ١٤٧).

وقيل: ما يعبأ بعذابكم لولا دعاؤكم إيّاه في الشدائد، كما قال: «فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله» (العنكبوت ــ ٦٥)، وقال: «فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون» (الأنعام ــ ٤٢).

وقيل: «قلْ ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم» يقول: ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلّا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم.

﴿**فقد كذبتم**﴾، أيها الكافرون، يخاطب أهل مكة، يعني: إن الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه. ﴿**فسوف يكون لِزاماً**﴾، هذا تهديد لهم، أي: يكون تكذيبكم لزاماً، قال ابن عباس: موتاً. وقال أبو عبيدة: هلاكاً. وقال ابن زيد: قتالاً. والمعنى: يكون

التكذيب لازماً لمن كذب، فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله. وقال ابن جرير[1]: عذاباً دائماً لازماً وهلاكاً مقيماً يلحق بعضكم ببعض.

واختلفوا فيه، فقال قوم: هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون. وهو قول عبدالله بن مسعود وأُبيّ بن كعب ومجاهد ومقاتل، يعني: أنهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة، لازماً لهم.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عمر بن حفص بن غياث، أخبرنا أبي، أخبرنا الأعمش، حدثنا مسلم، عن مسروق قال: قال عبدالله: خمس قد مضين: الدُّخان، والقمر، والرُّوم، والبَطْشَةُ، واللِّزام»[2]، ﴿فسوف يكون لزاماً﴾.

وقيل: اللزام هو عذاب الآخرة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٩/٥٦-٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الفرقان، باب: «فسوف يكون لزاماً»: ٨/٤٩٦، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب الدخان، برقم (٢٧٩٨): ٤/٢١٥٧.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مكية إلا أربع آيات من آخر السورة من قوله : ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون**﴾[1] .

ورويناً عن ابن عباس / أن النبي ﷺ قال: «أعطيت طه والطواسين من [اللوح المحفوظ]»[2] . ٤٩/أ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾

﴿طسٓمٓ﴾، قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر: طِسٓمٓ، وطِسٓ، وحِمٓ، وَيِسٓ بكسر الطاء والياء والحاء، وقرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر، وقرأ الآخرون بالفتح على التفخيم، وأظهر النون في يس عند الميم من «طسم»: أبو جعفر، وحمزة، وأخفاها الآخرون .

ورُوي عن عكرمة عن ابن عباس قال: «طسٓمٓ» عجزت العلماء عن تفسيرها. وروى علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس: أنه قَسَمٌ، وهو من أسماء الله تعالى، وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقال مجاهد: اسم للسورة. قال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله[3] بطَوْله وسنائه ومُلكه[4] .

---

(١) أخرج ابن مردويه وابن الضريس عن ابن عباس قال: نزلت سورة «طسٓمٓ» الشعراء بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله. وأخرج النحاس عن ابن عباس.قال: سورة الشعراء نزلت بمكة سوى خمس آيات من آخرها نزلت بالمدينة: «والشعراء يتبعهم الغاوون» إلى آخرها . انظر: الدر المنثور: ٢٨٨/٦ .

(٢) في «ب»: ألواح موسى .

والحديث عزاه السيوطي في الدر: (٥٤٨/٥) لابن مردويه عن ابن عباس، وأخرجه البيهقي في السنن (٩/١٠) مطولاً عن معقل بن يسار، وكذلك الحاكم: ٥٦١/١ قال الذهبي: عبيدالله بن أحمد تركوا حديثه .

قال الهيثمي في المجمع: (١٧٠/١) «رواه الطبراني في الكبير، وله إسنادان، في أحدهما عبدالله بن أبي حميد، وقد أجمعوا على ضعفه. وفي الآخر عمران القطان، ذكره ابن حبان في الثقات وضعّفه الباقون» .

وعزاه ابن حجر في المطالب العالية: (٢٨٣/٣) لأبي يعلى، وذكره ابن حبان في المجروحين: ٦٥/٢ .

(٣) لفظ الجلالة ساقط من « أ » .

(٤) تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور، انظر فيما سبق: ٥٨/١-٥٩، وساق الحافظ ابن كثير الأقوال في الحروف =

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤﴾

﴿**تلك**﴾، أي: هذه الآيات، ﴿**آيات الكتاب المبين**﴾.

﴿**لعلّك باخعٌ نفسك**﴾، قاتل نفسك، ﴿**ألاّ يكونوا مؤمنين**﴾، أي: إن لم يؤمنوا، وذلك حين كذبه أهل مكة فشقَّ عليه ذلك، وكان يحرص على إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية.

﴿**إن نشأ نُنزّل عليهم من السماء آية فظلَّت أعناقهم لها خاضعين**﴾، قال قتادة: لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها، فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله. وقال ابن جريج: معناه: لو شاء الله لأراهم أمراً من أمره، لا يعمل أحد منهم بعده معصية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿**خاضعين**﴾ ولم يقل خاضعة وهي صفة الأعناق، وفيه أقاويل: أحدها: أراد أصحاب الأعناق، فحذف الأصحاب وأقام الأعناق مقامهم، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، فجعل الفعل أولاً للأعناق، ثم جعل خاضعين للرجال.

وقال الأخفش: ردَّ الخضوع على المضمر الذي أضاف الأعناق إليه.

وقال قوم: ذكَّر الصفة لمجاورتها المذكر، وهو قوله «هم»، على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكر إذا أضافوه إلى مؤنث.

وقيل: أراد فظلوا خاضعين فعبَّر بالعنق عن جميع البدن، كقوله: «ذلك بما قدمت يداك» (الحج - ١٠) و«ألزمناه طائره في عنقه» (الإسراء - ١٣).

وقال مجاهد: أراد بالأعناق الرؤساء والكبراء، أي: فظلت كبراؤهم خاضعين. وقيل: أراد بالأعناق الجماعات، يقال: جاء القوم عنقاً عنقاً، أي: جماعات وطوائف.

وقيل: إنما قال خاضعين على وفاق رؤوس الآي ليكون على نسق واحد[1].

= المقطعة وخلاف العلماء في تفسيرها والحكمة التي اقتضت إيرادها، واستبعد مالا يساعده الدليل، وقال: «وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقد حكى هذا المذهب الرازيُّ في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبيُّ عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتمَّ نصر، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية، وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي، وحكاه لي عن ابن تيمية».
انظر: تفسير ابن كثير: ١/٣٦-٣٩.

(١) قال أبو جعفر الطبري (٦٢/١٩): «وأولى الأقوال في ذلك وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك: أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال، وأن يكون معنى الكلام: فظلت أعناقهم ذليلة للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء. وأن يكون قوله «خاضعين» مذكَّراً، لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق، فيكون ذلك نظير قول جرير: =

وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

﴿وما يأتيهم من ذِكْرٍ﴾، وعظ وتذكير، **﴿من الرحمنِ مُحْدَثٍ﴾**، أي: محدث إنزاله، فهو محدث في التنزيل. قال الكلبي: كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول، **﴿إلاّ كانوا عنه معرضين﴾**، أي: عن الإيمان به.

﴿فقد كذبوا فسيأتيهم﴾، أي: فسوف يأتيهم، **﴿أنباء﴾**، أخبار وعواقب، **﴿ما كانوا به يستهزؤون﴾**.

﴿أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج﴾، صنف وضرب، **﴿كريم﴾**، حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام، يقال: نخلة كريمة إذا طاب حملها، وناقة كريمة إذا كثر لبنها. قال الشعبي: الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم[1].

﴿إن في ذلك﴾، الذي ذكرت، **﴿لآيةً﴾**، دلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي، **﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾**، مصدِّقين، أي: سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا يؤمنون. وقال سيبويه: «كان» هاهنا صلة، مجازه: وما أكثرهم مؤمنين.

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾، العزيز بالنقمة من أعدائه، **﴿الرحيم﴾**، ذو الرحمة بأوليائه.

قوله عزّ وجلّ: **﴿وإذ نادى ربُّك موسى﴾**، واذكر يامحمد إذ نادى ربك موسى حين رأى الشجرة والنار، **﴿أنِ ائتِ القومَ الظالمين﴾**، يعني: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب.

= أرى مرَّ السنينَ أخذْنَ منّي * كما أخذ السِّرار من الهلالِ
وذلك أن قوله: مرّ، لو أسقط من الكلام لأدى ما بقي من الكلام عنه لم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه، وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله: «فظلت أعناقهم»، لأدى مابقي من الكلام عنها، وذلك أن الرجال إذا ذلُّوا، فقد ذلت رقابهم، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلّوا».

(١) أخرجه الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. الدر المنثور: ٦/٢٨٩.

قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى
وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾
قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾

﴿قومَ فرعونَ ألاَ يتقون﴾، ألا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته .

﴿قال﴾، يعني موسى، **﴿ربِّ إني أخاف أن يكذِّبون﴾** .

﴿ويضيق صدري﴾، من تكذيبهم إيّاي، **﴿ولا ينطلقُ لساني﴾**، قال: هذا للعقدة التي كانت على لسانه، قرأ يعقوب «ويضيقَ»، «ولا ينطلقَ» بنصب القافين على معنى وأن يضيق، وقرأ العامة برفعهما رداً على قوله : «إني أخاف»، **﴿فأرسلْ إلى هارون﴾**، ليؤازرني ويظاهرني على تبليغ الرسالة .

﴿ولهم عليَّ ذنب﴾، أي: دعوى ذنب، وهو قتله القبطي، **﴿فأخاف أن يقتلونِ﴾**، أي: يقتلونني به .

﴿قال﴾، الله تعالى، **﴿كلا﴾**، أي: لن يقتلوك، **﴿فاذهبا بآياتِنا إنّا معكم مستمعون﴾**، سامعون ما يقولون، ذكر «معكم» بلفظ الجمع، وهما اثنان، أجراهما مجرى الجماعة. وقيل: أراد معكما ومع بني إسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون .

﴿فأْتِيا فرعون فقولا إنّا رسولُ ربِّ العالمين﴾، ولم يقل: رسولا رب العالمين، لأنه أراد الرسالة، أي: أنا ذُو رسالة رب العالمين، كما قال كُثَيِّر :

لقد كَذَبَ الوَاشُونَ ما بُحتُ عِنْدَهُمْ　　　ببسرٍ ولا أَرْسَلْتُهُمْ بــرسُولِ[1]

أي: بالرسالة، وقال أبو عبيدة: يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع، تقول العرب: هذا رسولي ووكيلي وهذان وهؤلاء رسولي ووكيلي، كما قال الله تعالى: «وهم لكم عدو» (الكهف ـ ٥٠)، وقيل: معناه كل واحد منّا رسول رب العالمين[2] .

﴿أنْ أرسل﴾، أي: بأن أرسلْ، **﴿معنا بني إسرائيل﴾**، إلى فلسطين، ولا تستعبدهم، وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة وثلاثين ألفاً، فانطلق موسى إلى مصر وهارون بها فأخبره بذلك .

---

(١) البيت هذا لكُثَيِّر عزة، وقد استشهد به الطبري: ١٩/٦٥، وأبو عبيدة: ٢/٨٤، وابن منظور في اللسان، مادة «رسل» .
(٢) انظر: البحر المحيط: ٧/٨ .

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾﴾

وفي القصة(١) : أن موسى رجع إلى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصا، والمِكْتَل معلّق في رأس العصا، وفيه زاده، فدخل دار نفسه وأخبر هارون بأن الله أرسلني إلى فرعون وأرسلني إليك حتى تدعوَ فرعون إلى الله، فخرجتْ أمهما / وصاحت وقالت: إن فرعون يطلبك ليقتلك ٤٩/ب
فلو ذهبتما إليه قتلكما فلم يمتنع موسى لقولها، وذهبا إلى باب فرعون ليلاً، ودقَّا الباب، ففزع البوّابون وقالوا من بالباب؟

وروي أنه اطلع البواب عليهما فقال من أنتما؟ فقال موسى: أنا رسول رب العالمين، فذهب البواب إلى فرعون وقال: إنّ مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين، فترك حتى أصبح، ثم دعاهما.

وروي أنهما انطلقا جميعاً إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه، فدخل البواب فقال لفرعون: هاهنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال فرعون: ائذن له لعلنا نضحك منه، فدخلا عليه وأديَّا رسالة الله عزّ وجلّ، فعرف فرعونُ موسى؛ لأنه نشأ في بيته.

﴿**قال ألم نُربِّك فينا وليداً**﴾، صبياً، ﴿**ولبثت فينا من عمرك سنين**﴾، وهو ثلاثون سنة.

﴿**وفعلت فَعْلتك التي فعلتَ**﴾، يعني: قتل القبطي، ﴿**وأنت من الكافرين**﴾، قال الحسن والسدي: يعني وأنت من الكافرين بإلهك وكنت على ديننا هذا الذي تعيبه.

وقال أكثر المفسرين: معنى قوله: «وأنت من الكافرين»، أي: من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي، يقول ربيناك فينا فكافأتنا أن قتلت منّا نَفْساً، وكفرت بنعمتنا. وهذا رواية العوفي عن ابن عباس، وقال: إن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية(٢).

﴿**قال**﴾، موسى، ﴿**فعلتُها إذاً**﴾، أي: فعلت ما فعلت حينئذ، ﴿**وأنا من الضالين**﴾، أي: من الجاهلين، أي: لم يأتني من الله شيء(٣). وقيل: من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله. وقيل: من الضالين عن طريق الصواب من غير تعمد. وقيل: من المخطئين.

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٢٩٢/٦.

(٢) وهو ما رجحه الطبري: ٦٦/١٩، فتأويل الكلام إذن: وقتلت الذي قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك، وإحساننا إليك في قتلك إياه. وقد قيل: معنى ذلك: وأنت الآن من الكافرين لنعمتي عليك، وتربيتي إياك.

(٣) اعتمده الطبري ولم يذكر غيره: ٦٧/١٩.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ
تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ففررتُ منكم لمّا خِفتُكم﴾، إلى مدين، ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾، يعني النبوة، وقال مقاتل: يعني العلم والفهم، ﴿وجعلني من المرسلين﴾ .

﴿وتلك نعمةٌ تَمُنُّها عليّ أن عبّدت بني إسرائيل﴾، اختلفوا في تأويلها: فحملها بعضهم على الإقرار وبعضهم على الإنكار .

فمن قال هو إقرار، قال عدَّها موسى نعمة منه عليه حيث رباه، ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بني إسرائيل، ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل، مجازه: بلى وتلك نعمة عليّ أن عبّدت بني إسرائيل، وتركتني فلم تستعبدني .

ومن قال: هو إنكار قال قوله: «وتلك نعمة» هو على طريق[1] الاستفهام، أي: أَوَ تلك نعمة؟ حذف ألف الاستفهام، كقوله: «أفهم الخالدون» (الأنبياء ـ ٣٤)؟ قال الشاعر[2] :

تَرُوحُ من الحيِّ أو تَبْتَكِرْ وماذا يَضُرُّكَ لو تَنْتَظِرْ ؟

أي: أتروح من الحي ؟

قال عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة :

لَمْ أَنْسَ يومَ الرَّحِيْلِ وِقفَتَها وطَرْفُها في دموعِها غَرِقُ

وقولَها والرِّكابُ واقفةٌ تَتْرُكُني هكذا وتَنْطَلِقُ؟

أي: أتتركني، يقول: تَمُنُّ عليّ أن ربَّيتني، وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة؟ .

أو يريد: كيف تمنّ عليّ بالتربية وقد استعبدت قومي، ومن أهين قومه ذُلّ، فتعبيدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إليّ .

وقيل: معناه تمنّ علي بالتربية. وقوله: ﴿أنْ عبّدتَّ بني إسرائيل﴾، أي: باستعبادك بني إسرائيل وقتلك أولادهم، دُفعت إليك حتى ربيتني وكفلتني ولو لم تستعبدهم وتقتلهم كان لي من أهلي من يربيني ولم يُلْقوني في اليمِّ، فأي نعمة لك عليّ؟ .

قوله : ﴿عبَّدتَّ﴾، أي: اتخذتهم عبيداً، يقال: عبَّدتُ فلاناً، وأعبدته، وتعبدته، واستعبدته، أي: اتخذته عبداً .

---

(١) ساقط من «ب» .

(٢) هو امرؤ القيس، والبيت في الطبري: ٦٩/١٦ .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم
مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾
قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ
إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

﴿**قال فرعون وما ربُّ العالمين**﴾، يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إليّ؟ يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه بـ «ما»، وهو سؤال عن جنس الشيء، والله منزّه عن الجنسية، فأجابه موسى عليه السلام بذكر أفعاله التي يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها .

﴿**قال ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما إن كنتم موقنين**﴾، أنه خالقهما. قال أهل المعاني: أي كما توقنون هذه الأشياء التي تعاينونها فأيقنوا أنَّ إله الخلق هو الله عزّ وجلّ، فلما قال موسى ذلك تحير فرعون في جواب موسى .

﴿**قال لمن حوله**﴾، من أشراف قومه. قال ابن عباس: كانوا خمس مائة رجل عليهم الأسورة، قال لهم فرعون استبعاداً لقول موسى: ﴿**ألا تستمعون**﴾، وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم، فزادهم موسى في البيان .

﴿**قال ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين**﴾ .

﴿**قال**﴾، يعني: فرعون: ﴿**إنّ رسولكم الذي أُرسل إليكم لمجنون**﴾، يتكلم بكلام لا نعقله ولا نعرف صحته، وكان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل، فزاد موسى في البيان :

﴿**قال ربُّ المشرقِ والمغربِ وما بينهما إنْ كنتمْ تعقِلُون**﴾ .

﴿**قال**﴾، فرعون ـ حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب ـ تكبراً عن الحق :

﴿**لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين**﴾، من المحبوسين، قال الكلبي: كان سجنه أشد من القتل، لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فرداً لا يسمع ولا يبصر فيه شيئاً، يهوي به في الأرض .

﴿**قال**﴾ له موسى حين توعده بالسجن: ﴿**أوَلَو جئتُك**﴾، أي: وإن جئتك، ﴿**بشيء مبين**﴾، بآية مبينة، ومعنى الآية: أتفعل ذلك وإن أتيتك بحجة بينة؟ وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد البيان .

قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾
وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾
يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ
إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن
كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟
مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾

﴿**قال**﴾، له فرعون، ﴿**فأتِ به**﴾، فإنا لن نسجنك حينئذ، ﴿**إن كنت من الصادقين**﴾.

﴿**فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين**﴾، فقال: وهل غيرها؟ ﴿**ونزع**﴾، موسى، ﴿**يده فإذا هي بيضاء للناظرين**﴾.

﴿**قال**﴾ فرعون ﴿**للملأ حوله: إنّ هذا لساحِرٌ عليم**﴾.

﴿**يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون**﴾؟

﴿**قالوا أرْجِهْ وأخاه وابعث في المدائن حاشرين**﴾.

﴿**يأتوك بكل سحار عليم**﴾.

﴿**فجُمِعَ السحرةُ لميقات يوم معلوم**﴾، وهو يوم الزينة. وروي عن ابن عباس قال: وافق ذلك اليوم يوم السبت، في أول يوم من السنة، وهو يوم النيروز.

﴿**وقيل / للناس: هل أنتم مجتمعون**﴾، لتنظروا إلى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة؟ ٥٠/أ

﴿**لعلّنا**﴾، لكي، ﴿**نتبعُ السحرةَ إن كانوا هم الغالبين**﴾، لموسى، وقيل: إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء، وأرادوا بالسحرة موسى وهارون وقومهما.

﴿**فلما جاء السحرةُ قالوا لفرعون أئنّ لنا لأجراً إنْ كنّا نحن الغالبين**﴾.

﴿**قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين**﴾.

﴿**قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون**﴾.

فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ
أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾

﴿فألقوا حبالَهم وعِصيَّهم وقالوا بعِزَّةِ فرعون إنّا لنحنُ الغالبون﴾ .

﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقفُ ما يأفِكُون﴾ .

﴿فأُلقيَ السحرةُ ساجدين﴾ .

﴿قالوا آمنّا بربِّ العالمين﴾ .

﴿ربِّ موسى وهارون﴾ .

﴿قال آمنتم له قبل أنْ آذنَ لكم إنّه لكبيرُكم الذي علّمكم السحرَ فلسوفَ تعلمون، لأُقطعنّ أيديَكم وأرجلَكم من خلاف ولأُصلبنّكم أجمعين﴾ .

﴿قالوا لا ضير﴾، لا ضرر، ﴿إنّا إلى ربِّنا منقلبون﴾ .

﴿إنّا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كُنّا أوّلَ المؤمنين﴾، من أهل زماننا .

﴿وأوحينا إلى موسى أن أَسْرِ بعبادي إنكم مُتَّبَعُون﴾، يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من مصر .

وروي عن ابن جريج قال: أوحى الله تعالى إلى موسى: أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أهل أبيات في بيت، ثم اذبحوا أولاد الضأن، فاضربوا بدمائها على أبوابكم، فإني سآمر الملائكة فلا يدخلوا بيتاً على بابه دم، وسآمرها فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم، ثم اخبزوا خبزاً فطيراً فإنه أسرع لكم ثم أَسْرِ بعبادي حتى تنتهي إلى البحر، فيأتيك أمري، ففعل ذلك، فلما أصبحوا قال فرعون: هذا عمل موسى وقومه، قتلوا أبكارنا من أنفسنا، وأخذوا أموالنا. فأرسل في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف، وخرج فرعون في الكرسي العظيم[1] .

---

(١) انظر: الطبري: ١٩/٧٦، الدر المنثور: ٦/٢٩٤ .

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾، يحشرون الناس يعني: الشُّرَطَ ليجمعوا السحرة. وقيل: حتى يجمعوا له الجيش، وذكر بعضهم: أنه كان له ألف مدينة واثنا عشرة ألف قرية. وقال لهم:

﴿إنّ هؤلاء لشِرْذِمَةٌ﴾، عصابة **﴿قليلون﴾**، والشرذمة القطعة من الناس غير الكثير، وجمعها شراذم. قال أهل التفسير: كانت الشرذمة الذين قلَّلهم فرعون ستمائة ألف. وعن ابن مسعود قال: كانوا ستمائة وسبعين ألفاً ولا يحصى عدد أصحاب فرعون[1].

﴿وإنهم لنا لغائظون﴾، يقال: غاظه وأغاظه وغيظه إذا أغضبه، والغيظ والغضب واحد، يقول: أغضبونا بمخالفتهم ديننا وقتلهم أبكارنا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها، وخروجهم من أرضنا بغير إذن منّا.

﴿وإنا لجميع حاذِرُون﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة: «حذرون» و«فرهين» بغير ألف، وقرأ الآخرون «حاذرون» و«فارهين» بالألف فيهما، وهما لغتان.

وقال أهل التفسير: حاذرون، أي: مُؤْدُون ومقوون، أي: ذوو أداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح[2]، ومعنى «حذرون» أي: خائفون شرهم. وقال الزجاج: «الحاذر»: المستعد، و«الحَذِر»: المتيقظ. وقال الفرَّاء: «الحاذر»: الذي يحذرك الآن، و«الحَذِر»: المخوف. وكذلك لا تلقاه إلاّ حذراً، والحَذَر: اجتناب الشيء خوفاً منه.

﴿فأخرجناهم من جنات﴾، وفي القصة: البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل، **﴿وعيون﴾**، أنهار جارية.

﴿وكنوز﴾، يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة. قال مجاهد: سماها كنوزاً لأنه لم يعط حق الله منها، وما لم يعط حق الله منه فهو كنز، وإن كان ظاهراً، قيل: كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام، كل غلام على فرس عتيق، في عنق كل فرس طوق من ذهب، **﴿ومَقَامٍ كريم﴾**، أي: مجلس حسن، قال المفسرون: أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع. وقال مجاهد، وسعيد

---

(١) الطبري: ١٩/٧٦، زاد المسير: ٦/١٢٥، معاني القرآن للنحاس: ٥/٧٩.

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس: ٥/٨٠.

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٥٩ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ
قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ٦٢ فَأَوْحَيْنَآ
إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ٦٣﴾

ابن جبير: هي المنابر[1]. وذكر بعضهم: أنه كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف عليهم الأقبية من الديباج مَخُوصة بالذهب.

﴿كذلك﴾، كما وصفنا، **﴿وأورثناها﴾**، بهلاكهم، **﴿بني إسرائيل﴾**، وذلك أن الله تعالى ردّ بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه، فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمساكن.

﴿فأتبعوهم مُشرِقِينَ﴾، أي: لحقوهم في وقت إشراق الشمس، وهو إضاءتها، أي: أدرك قومُ فرعون موسى وأصحابَهُ وقت شروق الشمس.

﴿فلما تراءى الجمعان﴾، أي: تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه، وكسر حمزة الراء من «تراءى» وفتحها الآخرون. **﴿قال أصحاب موسى إنّا لمُدْرَكون﴾**، أي: سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم.

﴿قال﴾، موسى ثقة بوعد الله إيّاه : **﴿كلا﴾**، لن يدركونا، **﴿إنَّ معي ربي سيهدين﴾**، يدلني على طريق النجاة.

﴿فأوحينا إلى موسى أنِ اضرب بعصاك البحرَ فانفلق﴾، أي: فضربه «فانفلق» فانشقَّ، **﴿فكان كلُّ فِرْقٍ﴾**، قطعة من الماء، **﴿كالطَّوْدِ العظيم﴾**، كالجبل الضخم، قال ابن جريج وغيره[2]: لما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح، والبحر يرمي بموج مثل الجبال، فقال يوشع: يامكلم الله أين أُمرتَ فقد غشينا فرعون والبحرُ أمامنا؟ قال موسى: هاهنا، فخاض يوشع الماء وجاز البحر، ما يواري حافر دابته الماءُ. وقال الذي يكتم إيمانه: يامكلم الله أين أُمرتَ؟ قال: هاهنا، فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزَّبَدُ من شدقيه، ثم أقحمه البحر، فارتسب في الماء، وذهب القوم يصنعون مثل ذلك، فلم يقدروا، فجعل موسى لا يدري كيف يصنع، فأوحى الله إليه: أنِ اضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق، فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتلَّ سَرْجه ولا لِبْدُه.

---

(١) معاني القرآن الكريم للنحاس: ٥/٨٢، الدر المنثور: ٦/٢٩٨.

(٢) أخرجه الطبري: ١٩/٨٠.

وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ
﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾
أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾

٥٠/ب / ﴿وأَزْلَفْنَا﴾، يعني: وقرَّبنا ﴿ثَمَّ الآخرين﴾، يعني: قوم فرعون، يقول: قدمناهم إلى البحر، وقربناهم إلى الهلاك، وقال أبو عبيدة: «وأزلفنا»: جمعنا، ومنه ليلة المزدلفة أي: ليلة الجَمْع. وفي القصة أن جبريل كان بين بني إسرائيل وقوم فرعون وكان يسوق بني إسرائيل، ويقولون: ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل، وكان يَزَعُ قوم فرعون، وكانوا يقولون: ما رأينا أحسن زعة من هذا[1].

﴿وأنجينا موسى ومَنْ معه أجمعين﴾.

﴿ثُمَّ أغرقنا الآخرين﴾، فرعون وقومه. وقال سعيد بن جبير: كان البحر ساكناً قبل ذلك، فلما ضربه موسى بالعصا اضطرب فجعل يمد ويجزر.

﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾، أي: من أهل مصر، قيل: لم يكن آمن من أهل مصر إلا آسية امرأة فرعون وحزبيل المؤمن، ومريم بنت ناقوسا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام.

﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾، العزيز في الانتقام من أعدائه، الرحيم بالمؤمنين حين أنجاهم.

قوله: ﴿واتلُ عليهم نبأ إبراهيم﴾.

﴿إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾، أيَّ شيءٍ تعبدون؟.

﴿قالوا نعبد أصناماً فنظلُّ لها عاكفين﴾، أي: نقيم على عبادتها. قال بعض أهل العلم: إنما قال: ﴿فنظل﴾ لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار، دون الليل، يقال: ظل يفعل كذا إذا فعل بالنهار.

﴿قال هل يسمعونكم﴾، أي: هل يسمعون دعاءكم، ﴿إذْ تَدْعون﴾، قال ابن عباس يسمعون لكم.

﴿أو ينفعونكم﴾، قيل بالرزق، ﴿أو يَضُرُّونَ﴾، إن تركتم عبادتها.

---

(١) أخرجه ابن عبدالحكم وعبد بن حميد عن مجاهد: انظر: الدر المنثور: ٦/٣٠٤.

﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٧٤ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩﴾

﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾، معناه: إنها لا تسمع قولاً، ولا تجلب نفعاً، ولا تدفع ضراً، لكن اقتدينا بآبائنا. فيه إبطال التقليد في الدين.

﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾، الأولون.

﴿فإنهم عدوٌ لي﴾، أي: أعداء لي، ووحَّده على معنى أن كلَّ معبودٍ لكم عدو لي.

فإن قيل: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات؟

قيل: معناه فإنهم عدوٌ لي لو عبدتهم يوم القيامة[1]، كما قال تعالى: «سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً» (مريم ـ ٨٢).

وقال الفرَّاء[2]: هو من المقلوب، أراد: فإني عدوٌ لهم، لأن من عاديته فقد عاداك.

وقيل: «فإنهم عدو لي» على معنى إني لا أتولأَّهم ولا أطلب من جهتهم نفعاً، كما لا يُتَوَلَّى العدو، ولا يُطْلب من جهته النفع.

قوله: **﴿إلاّ ربَّ العالمين﴾**، اختلفوا في هذا الاستثناء، قيل: هو استثناء منقطع، كأنه قال: فإنهم عدو لي لكن رب العالمين وليي[3].

وقيل: إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله، فقال إبراهيم: كل من تعبدون أعدائي إلاّ ربَّ العالمين[4].

وقيل: إنهم غير معبود لي إلاّ ربَّ العالمين، فإني أعبده. وقال الحسين بن الفضل: معناه إلا من عَبَد ربَّ العالمين. ثم وصف معبوده فقال:

﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾، أي: يرشدني إلى طريق النجاة.

﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾، أي: يرزقني ويغذوني بالطعام والشراب، فهو رازقي ومِنْ عنده رزقي.

---

(١) جعله النحاس من أصح ما قيل في معنى الآية. معاني القرآن: ٨٧/٥، الطبري: ٨٤/١٩.

(٢) معاني القرآن للفراء: ٢٨١/٢، وردّه أبو حيان في البحر: ٢٤/٧.

(٣) وهو قول أكثر النحويين: انظر: البحر المحيط: ٢٤/٧، معاني القرآن للنحاس: ٨٦/٥، زاد المسير: ١٢٨/٦.

(٤) قاله ابن زيد، زاد المسير: ١٢٨/٦.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝٨٢ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّـٰلِحِينَ ۝٨٣ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝٨٥﴾

﴿**وإذا مرضتُ**﴾، أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالاً لحسن الأدب كما قال الخَضِرُ: «فأردتُ أن أُعِيبَها» (الكهف ـ ٧٩)، وقال: «فأراد ربُّك أن يبلغا أشُدَّهُما» (الكهف ـ ٨٢). ﴿**فهو يَشْفين**﴾، أي: يبرئني من المرض .

﴿**والذي يُميتني ثم يُحيين**﴾، أدخل «ثم» هاهنا للتراخي، أي: يميتني في الدنيا ويحييني في الآخرة .

﴿**والذي أطمع**﴾، أي: أرجو، ﴿**أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين**﴾، أي: خطاياي يوم الحساب. قال مجاهد: هو قوله: «إني سقيم»، وقوله: «بل فعله كبيرهم هذا»، وقوله لسارة: «هذه أختي»، وزاد الحسن وقوله للكواكب: «هذا ربي» .

وأخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا عبدالغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حفص بن غياث، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: قلت يارسول الله: ابنُ جدعان، كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه إنه لم يقل يوماً، ربِّ اغفرْ لي خطيئتي يوم الدين»[(١)] .

وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه، وإخبار أنه لا يصلح للإلهية من لا يفعل هذه الأفعال .

﴿**ربِّ هبْ لي حكماً**﴾، قال ابن عباس: معرفة حدود الله وأحكامه. وقال مقاتل: الفهم والعلم. وقال الكلبي: النبوة[(٢)]، ﴿**وألحِقْني بالصالحين**﴾، بمن قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة .

﴿**واجعل لي لسانَ صدقٍ في الآخرين**﴾، أي : ثناء حسناً، وذكراً جميلاً، وقبولاً عاماً في الأمم التي تجيء بعدي، فأعطاه الله ذلك، فجعل كل أهل الأديان يتولَّونه ويثنون عليه. قال القتيبي: وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون به .

﴿**واجعلني من ورثة جنة النعيم**﴾، أي: ممن تعطيه جنة النعيم .

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، برقم (٢١٤): ١٩٦/١ .
(٢) اعتمده الطبري ولم يذكر غيره، وهو مروي أيضاً عن ابن عباس وانظر الأقوال في: زاد المسير: ١٣٠/٦ .

﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ
﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ
﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا
يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿واغفرْ لأبي إنه كان من الضالِّين﴾، وقال هذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله، كما سبق ذكره في سورة التوبة .

﴿ولا تُخزِني﴾، لا تفضحني، ﴿يوم يُبعثون﴾ .

﴿يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾، أي: خالص من الشرك والشك[1]، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، هذا قول أكثر المفسرين. قال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض. قال الله تعالى : ﴿في قلوبهم مرض﴾ (البقرة ـ ١٠)، قال ابن عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي من البدعة المطمئن على السنة[2] .

﴿وأُزلفتِ﴾ قربت ﴿الجنةُ للمتقين وبرِّزتِ﴾، أظهرت، ﴿الجحيم للغاوين﴾، للكافرين .

﴿وقيل لهم﴾، يوم القيامة، ﴿أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم﴾، يمنعونكم
/ من العذاب، ﴿أو ينتصرون﴾ لأنفسهم . ٥١/أ

﴿فكُبْكِبُوا فيها﴾، قال ابن عباس: جمعوا. وقال مجاهد: دُهْوِرُوا. وقال مقاتل: قذفوا. وقال الزجاج: طرح بعضهم على بعض. وقال القتيبي: أُلقوا على رؤوسهم. ﴿هم والغاوون﴾، يعني: الشياطين، قاله قتادة، ومقاتل. وقال الكلبي: كفرة الجن .

﴿وجنودُ إبليسَ أجمعون﴾، وهم أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس. ويقال: ذريته .

﴿قالوا﴾ أي: قال الغاوون للشياطين والمعبودين، ﴿وهم فيها يختصمون﴾، مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضاً .

---

(١) انظر: الطبري: ١٩/٨٧، معاني القرآن للنحاس: ٥/٨٨ .

(٢) نقل ذلك كله ابن كثير في تفسيره: ٣/٣٤١. وانظر: زاد المسير: ٦/١٣٠ .

تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ
إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥

﴿**تالله إنْ كنّا لفي ضلال مبين**﴾.

﴿**إذ نسوِّيكم**﴾، نعدلكم، ﴿**بربِّ العالمين**﴾، فنعبدكم.

﴿**وما أضلنا**﴾، أي: ما دعانا إلى الضلال، ﴿**إلاَّ المجرمون**﴾. قال مقاتل: يعني الشياطين. وقال الكلبي: إلا أوّلونا الذين اقتدينا بهم. وقال أبو العالية وعكرمة: يعني: إبليس، وابن آدم الأول، وهو قابيل، لأنه أول من سنّ القتل، وأنواع المعاصي.

﴿**فما لنا من شافعين**﴾، أي: من يشفع لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين.

﴿**ولا صديقٍ حميم**﴾، أي: قريب يشفع لنا، يقوله الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، والصديق هو الصادق في المودة بشرط الدين.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا محمد بن الحسين اليقطيني، أخبرنا أحمد بن عبدالله يزيد العقيلي، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا من سمع أبا الزبير يقول: أشهد لسمعت جابر بن عبدالله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان، وصديقه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي: فما لنا من شافعين ولا صديقٍ حميم»[1].

قال الحسن: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة.

﴿**فلو أنّ لنا كرة**﴾، أي: رجعة إلى الدنيا، ﴿**فنكونَ من المؤمنين**﴾.

﴿**إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين**﴾.

﴿**وإنّ ربَّك لهو العزيز الرحيم**﴾ العزيز الذي لا يغالب، فالله عزيزٌ، وهو في وصف عزته رحيم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**كذبت قومُ نوحٍ المرسلين**﴾، قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد أرأيت قوله: ﴿**كذبت قوم نوح المرسلين**﴾ و﴿**كذبت عاد المرسلين**﴾ و﴿**كذبت ثمود المرسلين**﴾، وإنما

---

(١) ذكر القرطبي في التفسير: ١١٨/١٣، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وغيرها، وساقه المصنف بإسناده من طريق الثعلبي، وفيه جهالة مَنْ سمع أبا الزبير.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٠٧ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ
١٠٨ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠٩ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ١١٠ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ١١١ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ١١٢ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ١١٣ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ
١١٤ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ١١٥ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ١١٦﴾

أرسل إليهم رسول واحد؟ قال: إن الآخر جاء بما جاء الأول، فإذا كذبوا واحداً فقد كذبوا الرسل أجمعين.

﴿إذْ قال لهم أخوهم﴾، في النسب لا في الدين. ﴿نوحٌ: ألاَ تتقون﴾.

﴿إني لكم رسول أمين﴾، على الوحي.

﴿فاتقوا الله﴾، بطاعته وعبادته، ﴿وأطيعونِ﴾، فيما آمركم به من الإيمان والتوحيد.

﴿وما أسألكم عليه من أجرٍ إنْ أجريَ﴾، ثوابي، ﴿إلاّ على ربِّ العالمين﴾.

﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾.

﴿قالوا أنؤمنُ لك واتبعك الأرذلونَ﴾، قرأ يعقوب: «وأتباعك الأرذلون» السفلة. وعن ابن عباس قال: الصاغة. وقال عكرمة الحاكة والأساكفة.

﴿قال﴾، نوح، ﴿وما علمي بما كانوا يعملونَ﴾، أي: ما أعلم أعمالهم وصنائعهم، وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كلفت أن أدعوهم إلى الله، ولي منهم ظاهرُ أمرهم.

﴿إنْ حسابهم﴾، ما حسابهم، ﴿إلاّ على ربي لو تشعُرُون﴾، لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم. قال الزجّاج: الصناعات لا تضر في الديانات. وقيل: معناه: أي: لم أعلم أن الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم.

﴿وما أنا بطاردِ المؤمنين إنْ أنا إلاّ نذير مبين﴾.

﴿قالوا لئن لم تنتهِ يانوحُ﴾، عما تقول، ﴿لتكونَنَّ من المَرْجومين﴾، قال مقاتل والكلبي: من المقتولين بالحجارة.

وقال الضحاك: من المشتومين.

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾
أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿قال رَبِّ إنَّ قومي كذَّبونِ فافتحْ﴾، فاحكم، **﴿بيني وبينهم فتحاً﴾**، حكماً، **﴿ونجِّني ومن معيَ من المؤمنين﴾** .

﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾، الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان كلها .

﴿ثم أغرقنا بَعْدُ الباقين﴾، أي: أغرقنا بعد إنجاء نوح، وأهله: من بقي من قومه .

﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ .

﴿وإنّ ربَّك لهوَ العزيز الرحيم﴾ .

قوله عزّ وجلّ : **﴿كذبتْ عادٌ المرسلين﴾** .

﴿إذ قال لهم أخوهم هودٌ﴾، يعني في النسب لا في الدين، **﴿ألاَ تتقون﴾** .

﴿إنّي لكم رسول أمين﴾، على الرسالة، قال الكلبي: أمين فيكم قبل الرسالة، فكيف تتهموني اليوم ؟ .

﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ .

﴿وما أسئلكم عليه من أجر إن أجريَ إلا على ربِّ العالمين﴾ .

﴿أتَبْنونَ بكلِ رِيعٍ﴾، قال الوالبي عن ابن عباس: أي: بكل شرف. وقال الضحاك. ومقاتل والكلبي: بكل طريق، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وعن مجاهد قال: هو الفجُّ بين الجبلين. وعنه أيضاً: أنه المنظرة. **﴿آيةً﴾**، أي: علامة، **﴿تَعْبثُون﴾**، بمن مرّ بالطريق، والمعنى: أنهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم. وعن سعيد بن جبير ومجاهد: هذا في بروج الحمام أنكر عليهم هود اتخاذها، بدليل قوله: **﴿تعبثون﴾**، أي: تلعبون، وهم كانوا

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾

يلعبون بالحمام. وقال أبو عبيدة: الرِّيع: المكان المرتفع[١].

﴿وتتخذون مصانعَ﴾، قال ابن عباس: أبنية. وقال مجاهد: قصوراً مشيدة. وعن الكلبي: أنها الحصون. وقال قتادة: مآخذ الماء، يعني الحِيَاض، واحدتها مصنعة[٢]، ﴿لعلّكم تَخْلُدون﴾، أي: كأنكم تبقوم فيها خالدين. والمعنى: أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم لا يموتون.

﴿وإذا بطشتم﴾، أخذتم وسطوتم، ﴿بطشتم جبارين﴾، قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط، «والجبَّار»: الذي يقتل ويضرب على الغضب.

﴿فاتقوا الله وأطيعونِ﴾.

﴿واتقوا الذي أمدّكم بما تعلمونَ﴾، أي: أعطاكم من الخير ما تعلمون، ثم ذكر ما أعطاهم فقال:

﴿أمدكم بأنعامٍ وبنينَ وجناتٍ وعيونٍ﴾، أي: بساتين وأنهار.

/ ﴿إني أخاف عليكم﴾، قال ابن عباس: إن عصيتموني، ﴿عذاب يوم عظيم﴾. ٥١/ب

﴿قالوا سواء علينا﴾، أي: مُسْتوٍ عندنا، ﴿أوَعَظْتَ أم لم تكن من الواعظين﴾، الوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد. قال الكلبي: نهيتنا أم لم تكن من النَّاهين لنا.

﴿إنْ هذا﴾، ما هذا، ﴿إلاّ خُلُقُ الأولين﴾، قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: ﴿خَلْق﴾ بفتح الخاء وسكون اللام، أي: اختلاق الأولين وكذبهم، دليل هذه القراءة قوله

---

(١) انظر هذه الأقوال في الطبري: ١٩/٩٣-٩٤، زاد المسير: ٦/١٣٥-١٣٦، وقال ابن كثير: (٣/٣٤٢): «اختلف المفسرون في «الرِّيع» بما حاصله: أنه المكان المرتفع عند جوادِّ الطرق المشهورة، يبنون هناك بنياناً محكماً هائلاً باهراً، ولهذا قال: «أتبنون بكل ريع آية» أي: معلماً بناء مشهوراً، «تعبثون» أي: وإنما تفعلون ذلك عبثاً، لا للاحتياج إليه، بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة، ولهذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام ذلك، لأنه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان، في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة».

(٢) قال الطبري: (١٩/٩٥-٩٦): «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً، وحصوناً مشيدة، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأيِّ ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل. فالصواب أن يقال فيه ما قال الله: إنهم كانوا يتخذون مصانع».

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ
﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ
صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ
﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾

تعالى: «وتخلقون إفكاً» (العنكبوت ــ ١٧)، وقرأ الآخرون ﴿خُلُق﴾ بضم الخاء واللام، أي: عادة الأولين من قبلنا، وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب.

﴿وما نحن بمعذبين﴾.

﴿فكذبوه فأهلكناهم إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.

﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿كذبت ثمود المرسلين * إذْ قال لهم أخوهم صالح ألاَ تتقون * إنّي لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجريَ إلاّ على ربِّ العالمين * أَتُتْرَكون فيما ههنا﴾، أي: في الدنيا ﴿آمنين﴾، من العذاب.

﴿في جناتٍ وعيونٍ * وزروعٍ ونخلٍ طلعها﴾، ثمرها، يريد ما يطلع منها من الثمر، ﴿هضيمٌ﴾، قال بن عباس: لطيف، ومنه: هضيم الكشح، إذا كان لطيفاً. وروى عطية عنه: يانع نضيج. وقال عكرمة: هو اللّيّن. وقال الحسن: هو الرخو. وقال مجاهد: متهشم متفتت إذا مُسَّ، وذلك أنه ما دام رطباً فهو هضيم، فإذا يبس فهو هشيم. وقال الضحاك ومقاتل: قد ركب بعضه بعضاً [حتى هضم بعضه بعضاً][(1)]، أي: كسره. وقال أهل اللغة: هو المنضمُّ بعضه إلى بعض في وعائه قبل أن يظهر. وقال الأزهري: الهضيم هو الداخل بعضه في بعضه من النضج والنعومة. وقيل: هضيم أي: هاضم يهضم الطعام. وكل هذا للطافته[(2)].

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) ذكر هذه الأقوال؛ الطبري: ١٩/٩٩ــ١٠٠، ابن الجوزي: ٦/١٣٨، القرطبي: ١٣/١٢٨، وفي الآية أقوال أخرى، قال الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: «الهضيم»: هو المتكسّر من لينه ورطوبته، وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتحيّفه، فكذلك الهضم في الطلع، إنما هو التنقّص منه من رطوبته ولينه إما بمسّ الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضاً، وأصله مفعول صُرِف إلى فعيل».

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ
ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ
ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿**وتنحِتُون من الجبال بيوتاً فارِهين**﴾، وقرىء: ﴿**فرِهِينَ**﴾، قيل: معناهما واحد[1]. وقيل: فارهين أي: حاذقين بنحتها، من قولهم فره الرجل فراهة فهو فاره، ومن قرأ ﴿**فرهين**﴾ قال ابن عباس: أَشِرين بَطِرِيْن[2]. وقال عكرمة: ناعمين. وقال مجاهد: شرهين. قال قتادة: معجبين بصنيعكم، قال السدي: متجبرين. وقال أبو عبيدة: مرحين. وقال الأخفش فرحين. والعرب تعاقب بين الهاء والحاء مثل: مدحته ومدهته. قال الضحاك: كَيِّسِيْنَ[3].

﴿**فاتقوا الله وأطيعونِ * ولا تُطيعوا أَمْرَ المسرفين**﴾، قال ابن عباس: المشركين. وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقروا الناقة.

﴿**الذين يفسدون في الأرض**﴾، بالمعاصي، ﴿**ولا يُصْلِحون**﴾، لا يطيعون الله فيما أمرهم به.

﴿**قالوا إنّما أنت من المسحَّرين**﴾، قال مجاهد وقتادة: من المسحورين المخدوعين، أي: ممن سُحِر مرة بعد مرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أي: من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب، يقال: سحره، أي: علله بالطعام والشراب، يريد: إنك تأكل الطعام والشراب ولست بمَلَك، بل:

﴿**ما أنت إلا بشرٌ مثلُنا فأتِ بآية**﴾، على صحة ما تقول، ﴿**إن كنتَ من الصادقين**﴾، أنك رسول الله إلينا.

﴿**قال هذه ناقةٌ لها شِرْبٌ**﴾، حظ ونصيب من الماء، ﴿**ولكم شِرْبُ يومٍ معلومٍ**﴾.

---

(١) ذهب إليه أبو عبيدة في «مجاز القرآن»: ٨٩/٢.

(٢) قال أبو جعفر النحاس في «معاني القرآن»: (٩٧/٥): «وهذا أعْرَفُها في اللغة، وهو قول أبي عمرو، وأبي عبيدة، فكأن الهاء مبدلة من حاءٍ، لأنهما من حروف الحلق».

(٣) قال الطبري بعد أن عرض الأقوال في تفسير القراءتين: (١٠١/١٩) «والصواب أنهما قراءتان معروفتان، مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما، في علماء القراء، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.
ومعنى قراءة من قرأ (فارهين): حاذقين بنحتها، متخيرين لمواضع نحتها، كيِّسين، من الفراهة.
ومعنى قراءة من قرأ (فَرِهين): مرحين أشِرِيْن، وقد يجوز أن يكون معنى: فاره وفَرِه، واحداً...».

وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ
﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ
أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ
تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى
وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾

﴿ولا تَمَسُّوها بسوء﴾، بعقرٍ، **﴿فيأخُذَكم عذابُ يومٍ عظيم﴾** .

﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾، على عقرها حين رأوا العذاب .

﴿فأخذهم العذابُ إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ .

﴿وإنّ ربّك لهو العزيز الرحيم﴾ .

قوله تعالى : **﴿كذبتْ قومُ لوطِ المرسلين * إذْ قال لهم أخوهم لوطٌ ألاَ تتقون * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إنْ أجريَ إلاّ على ربِّ العالمين * أتأتون الذُّكْرَانَ﴾**، قال مقاتل: يعني جماع الرجال. **﴿من العَالَمِين﴾**، يعني من بني آدم .

﴿وتذرُون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾، قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال، **﴿بل أنتم قوم عادون﴾**، معتدون، مجاوزون الحلال إلى الحرام .

﴿قالوا لئن لم تنتهِ يالوطُ لتكوننّ من المُخرَجين﴾، من قريتنا .

﴿قال إنّي لِعَمَلِكم من القَالِين﴾، المبغضين، ثم دعا فقال :

﴿ربِّ نجّني وأهلي مما يعملون﴾، من العمل الخبيث .

قال الله تعالى : **﴿فنجَّيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزاً في الغابرين﴾**، وهي امرأة لوط، بقِيَتْ في العذاب والهلاك .

ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾
۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾

﴿ثم دمَّرنا الآخرين﴾، أي: أهلكناكم.

﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساءَ مطر المُنذَرين﴾، قال وهب بن منبه: الكبريت والنار.

﴿إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.

﴿وإنّ ربَّك لهو العزيز الرحيم﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿كذّب أصحابُ الأيكة المرسلين﴾، وهم قوم شعيب عليه السلام، قرأ العراقيون: «الآيكة» هاهنا وفي «صۤ» بالهمزة وسكون اللام وكسر التاء، وقرأ الآخرون: «ليكة» بفتح اللام والتاء غير مهموز، جعلوها اسم البلد، وهو لا ينصرف، ولم يختلفوا في سورة «الحجر» و«قۤ» أنهما مهموزان مكسوران، والأيكة: الغيضة من الشجر الملتفّ.

﴿إذْ قال لهم شعيبٌ﴾، ولم يقل أخوهم؛ لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، فلما ذكر مدين قال أخاهم شعيباً لأنه كان منهم، وكان الله تعالى بعثه إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة. ﴿ألاَ تتقون﴾.

﴿إنّي لكم رسولٌ أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجرٍ إنْ أجريَ إلاّ على ربِّ العالمين﴾، وإنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لا تفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة / والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة ٥٢/أ
وتبليغ الرسالة.

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسِرين﴾، الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن.

﴿وزِنُوا بالقسطاس المستقيم * ولا تَبْخَسُوا الناس أشياءَهم ولا تَعْثَوا في الأرض مفسدين *

قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾
قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ
مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

واتقوا الذي خلقكم والجِبِلّة﴾، الخليقة، **﴿الأولين﴾**، يعني: الأمم المتقدمين، والجبلة: الخَلْق، يقال: جُبل أي: خُلق.

﴿قالوا إنّما أنتَ من المسحَّرين وما أنت إلا بشرٌ مثلنا وإنْ نظنّك لمن الكاذبين * فأسْقِطْ علينا كِسَفاً من السماء إن كنت من الصادقين * قال ربي أعلمُ بما تعملون﴾. أي: من نقصان الكيل والوزن، وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إليّ وما عليّ إلا الدعوة.

﴿فكذبوه فأخذهم عذابُ يومِ الظُّلّة﴾، وذلك أنه أخذهم حرّ شديد، فكانوا يدخلون الأسراب فإذا دخلوها وجدوها أشد حراً فخرجوا، فأظلّتهم سحابة، وهي الظلة، فاجتمعوا تحتها، فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا، ذكرناه في سورة هود. **﴿إنّه كان عذاب يوم عظيم﴾**.

﴿إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾.

﴿وإنّ ربّك لهو العزيز الرحيم﴾.

قوله عزّ وجلّ: **﴿وإنّه﴾**، يعني القرآن. **﴿لتنزيلُ ربِّ العالمين نزل به الروح الأمين﴾**، قرأ أهل الحجاز، وأبو عمرو، وحفص: «نزل» خفيف، «الروحُ الأمينُ» برفع الحاء والنون، أي: نزل جبريل بالقرآن. وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون أي: نزّل الله به جبريل، لقوله عزّ وجلّ: «وإنه لتنزيل ربِّ العالمين».

﴿على قلبك﴾، يامحمد حتى وعيته، **﴿لتكون من المُنذِرين﴾**، المخوّفين.

﴿بلسانٍ عربي مبين﴾، [قال ابن عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه][(1)].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٩٦ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٩٧ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ۝١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ۝١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٢٠٠﴾

﴿وإنه﴾، أي: ذِكْرُ إنزال القرآن، قاله أكثر المفسرين. وقال مقاتل: ذِكْرُ محمد ﷺ ونعته، ﴿لفي زُبُرِ الأولين﴾ .

﴿أَوَ لَمْ يكنْ لهم آيةً﴾، [قرأ ابن عامر: «تكن» بالتاء «آيةٌ» بالرفع، جعل الآية اسماً وخبره: ﴿أنْ يعلَمَه﴾، وقرأ الآخرون بالياء، ﴿آية﴾](1) نصب، جعلوا الآية خبر يكن، معناه: أوَلم يكن لهؤلاء المنكرين(2) علم بني إسرائيل آية، أي: علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ، لأن العلماء الذين كانوا من بني إسرائيل، كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، وهم: عبدالله بن سلام وأصحابه(3). قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ، فقالوا: إن هذا لزمانه، وإنا نجد في التوراة نعتَه وصفته، فكان ذلك آية على صدقه(4) .

قوله تعالى : ﴿أنْ يعلَمَه﴾، يعني: يعلم محمداً ﷺ، ﴿علماءُ بني إسرائيل﴾، قال عطية: كانوا خمسة عبدالله بن سلام، وابن يامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد(5) .

﴿ولو نزّلناه﴾، يعني القرآن، ﴿على بعض الأعجمين﴾، جمع الأعجمي، وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربياً في النسب، والعجمي: منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً. ومعنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان .

﴿فقرأه عليهم﴾، بغير لغة العرب، ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾، وقالوا: ما نفقه قولك، نظيره قوله عزّ وجلّ : «ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصِّلتْ آياتُه» (فصلت ـ ٤٤)، وقيل: معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفةً من اتّباعه .

﴿كذلك سلكناه﴾، قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد: أدخلنا الشرك والتكذيب ﴿في قلوب المجرمين﴾ .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من « أ » .
(٢) في «ب»: المتكبرين .
(٣) وهو مروي عن مجاهد: انظر: الدر المنثور: ٣٢٢/٦، الطبري: ١١٣/١٩ .
(٤) انظر: زاد المسير ١٤٥/٦ .
(٥) نسبه السيوطي في الدر (٣٢٣/٦) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة .

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ
يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ
﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ
ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

﴿**لا يؤمنون به**﴾، أي: بالقرآن، ﴿**حتى يَرَوا العذابَ الأليم**﴾، يعني: عند الموت .

﴿**فيأتيهم**﴾، يعني: العذاب، ﴿**بغتةً**﴾، فجأة، ﴿**وهم لا يشعرون**﴾، به في الدنيا .

﴿**فيقولوا هَلْ نحنُ مُنْظَرُون**﴾، أي: لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة والنَّظِرَة. قال مقاتل: لما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب، قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب؟ متى هذا العذاب؟ قال الله تعالى :

﴿**أفبعذابنا يستعجلونَ * أفرأيتَ إنْ متعناهم سنينَ**﴾، كثيرة في الدنيا، يعني: كفار مكة، ولم نهلكهم .

﴿**ثمّ جاءهم ما كانوا يُوعدون**﴾، يعني: بالعذاب .

﴿**ما أغنى عنهم ما كانوا يُمَتَّعُونَ**﴾، به في تلك السنين. والمعنى: أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يُغنِ عنهم طول التمتع شيئاً، ويكون كأنّهم لم يكونوا في نعيم قط .

﴿**وما أهلكنا من قرية إلاّ لها مُنْذِرُون**﴾، رسل ينذرونهم .

﴿**ذكرى**﴾، محلها نصب، أي: ينذرونهم، تذكره، وقيل: رفع أي: تلك ذكرى، ﴿**وما كنّا ظالمين**﴾، في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم .

﴿**وما تنزّلتْ به الشياطين**﴾، وذلك أن المشركين كانوا يقولون إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد ﷺ، فقال جلّ ذكره: «وما تنزلت به»، أي: بالقرآن، الشياطين .

﴿**وما ينبغي لهم**﴾، أن ينزلوا بالقرآن، ﴿**وما يستطيعون**﴾، ذلك .

﴿**إنّهم عن السمع**﴾، أي: عن استراق السمع من السماء، ﴿**لَمَعْزُولُونَ**﴾، أي: محجوبون بالشهب مرجومون .

﴿**فلا تدعُ مع الله إلهاً آخر فتكونَ من المعذَّبين**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحذِّر

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ٢١٤﴾

به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق عليّ ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبتك.

﴿وأنذرْ عشيرتَك الأقربين﴾، روى محمد بن إسحاق، عن عبدالغفار بن القاسم، عن المنهال ابن عمرو، عن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، عن عبدالله بن عباس، عن علي بن أبي طالب. قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، دعاني رسول الله ﷺ فقال: «ياعلي إن الله يأمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُّ عليها جاءني جبريل، فقال لي: يامحمد إلاّ تفعل ما تُؤمر يعذبك ربُّك، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رِجْل شاةٍ، واملأْ لنا عُسَّاً من لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى أبلغهم ما أُمرتُ به». قال علي رضي الله عنه: ففعلتُ ما أمرني به رسول الله ﷺ، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه /: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعته ٥٢/ب
فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ جذبة من اللحم، فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة، ثم قال: «خذوا باسم الله» فأكل القوم حتى مالهم بشيء حاجة، وايْمُ الله إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمتُ لجميعهم، ثم قال: «اسقِ القومَ» فجئتهم بذلك العُسِّ، فشربوا حتى رووا جميعاً، وايْمُ الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فقال الغد: «ياعلي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعتَ من القوم فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فَعُدَّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم»، ففعلت ثم جمعتهم فدعاني بالطعام فَقَرَّبْتُه، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: «يابني عبدالمطلب إني قد جئتكم بخيريّ الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوَكم إليه، فأيكم يوازرني على أمري هذا؟ ويكون أخي ووصي وخليفتي فيكم، فأحجم القوم عنها جميعاً، فقلت ـ وأنا أحدثهم سناً ـ أنا يانبي الله أكون وزيرك عليه. قال: فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع[1].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في المغازي، والبيهقي في «الدلائل» من طريقه من رواية ابن عباس. وأخرجه البزار وأبو نعيم في الدلائل من طريق عباد بن عبدالله الأسدي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
انظر: الكافي الشاف ص (١٢٣)، وراجع تفسير ابن كثير: ٣/٣٥١ـ٣٥٢ فقد قال: تفرد بهذا السياق عبدالغفار بن القاسم أبي مريم، وهو متروك كذاب شيعي، اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث، وضعفه الأئمة رحمهم الله.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش، حدثنا عمرو ابن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت : ﴿**وأنذِرْ عشيرتك الأقربين**﴾ «ورهطك منهم المخلصين» خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف ياصباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: «أرأيتُكم إنْ أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من صفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ»؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبّاً لك ما جمعتنا إلاّ لهذا، ثم قام: فنزلت «تبتْ يدا أبي لهب وقد تبّ» هكذا قرأ الأعمش يومئذ[1] .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثني عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباسٍ قال: لما نزلت ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾، صَعِدَ النبي الله على الصفا فجعل ينادي: «يابني فهر، يابني عدي ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريشٌ، فقال: أرأيتَكم لو أخبرتُكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال : «فإني نذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديدٍ»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: «تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب»[2] .

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة «تبت»: ٧٣٧/٨، وفي الجنائز وفي سورة الشعراء وسبأ، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب قوله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين»، برقم (٢٠٨): ١٩٣/١–١٩٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٢٧/١٣ .
قال النووي في شرح صحيح مسلم (٨٢/٣) عند قوله «ورهطك منهم المخلصين»: «هو بفتح اللام، فظاهر هذه العبارة أن قوله: ورهطك منهم المخلصين، كان قرآناً أنزل ثم نسخت تلاوته، ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري» .
قلت: بل هي في رواية البخاري في الموضع السابق من التفسير: ٧٣٧/٨ من رواية أبي أسامة عن الأعمش .
وقال ابن حجر: «هذه الزيادة وصلها الطبري من وجه آخر عن عمرو بن مُرّة أنه كان يقرؤها كذلك .
قال القرطبي: لعل هذه الزيادة كانت قرآناً فنسخت تلاوتها، ثم استشكل ذلك بأن المراد إنذار الكفار، والمُخلَص صفة المؤمن؟! والجواب عن ذلك: أنه لا يمتنع عطف الخاص على العام، فقوله: «وأنذر عشيرتك» عامّ فيمن آمن منهم ومن لم يؤمن، ثم عطف عليه الرهط المخلصين تنويهاً بهم وتأكيداً» .
انظر: فتح الباري: ٥٠٢/٨، تفسير القرطبي: ١٤٣/١٣ .
وأما قراءة «وقد تبّ» كما في الرواية، فقال عنها ابن حجر في الفتح: (٥٠٣/٨): «وليست هذه القراءة فيما نقل القراء عن الأعمش، فالذي يظهر أنه قرأها حاكياً لا قارئاً، ويؤيده قوله في هذا السياق: «يومئذ» فإنه يشعر بأنه كان لا يستمر على قراءتها كذلك، والمحفوظ أنها قراءة ابن مسعود وحده» .
وقال البدر العيني في عمدة القاري: (٧/٢٠): وقوله: «ورهطك منهم المخلصين» إما تفسير لقوله: «عشيرتك» وإما قراءة شاذة رواها. قال الاسماعيلي: قرأها ابن عباس» .

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الشعراء، باب: «وأنذر عشيرتك الأقربين»: ٥٠١/٨، وفي سورة تبت: ٧٣٧/٨، ومسلم في الموضع السابق: ١٩٤/١، ولم يذكر الأعمش نزول الآية في الرواية .

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥﴾

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبدالرحمن، أن أبا هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾، فقال: «يامعشر قريش، أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يابني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، ياعباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويافاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»(١) .

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أخبرني جدي أبو سهل بن عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز، أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن مطرف بن عبدالله بن الشخِّير، عن عياض بن حمار المجاشعي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ أمرني أن أعلمكم ما جَهِلتُم ممَّا علَّمني يومي هذا، وإنه قال: إن كلَّ مالٍ نَحَلتُه عبادي فهو لهم حلال، وإني خلقت عبادي حُنَفَاءَ كلهم، فأتتهم الشياطين فاجْتَالَتْهم عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأَمَرتْهم أن يشركُوا بي مالم أنزل به سلطاناً وإن الله نظر إلى أهل الأرض فَمَقَتَهم عربَهم وعَجَمَهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب، وإن الله تعالى أمرني أن أحوّف قريشاً، فقلت: يارب إنهم إذاً يَثْلَغُوا رأسي حتى يدعوه خُبْزَةً، فقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وقد أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه في المنام واليقظة، فاغزهم نُغْزِك، وأنفقْ ننفق عليك، وابعثْ جيشاً نمِدْك بخمسة أمثالهم، وقاتلْ بمن أطاعك مَنْ عصاك، ثم قال: أهل الجنة ثلاثة: إمام مُقْسِط، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل غني متصدق، وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا دَيْن له، الذين هم فيكم تَبَعٌ لا يتبعون بذلك أهلاً ولا مالاً، ورجل إن أصبح أصبح يخادعك عن أهلك ومالك، ورجل لا يخفى له طمع ـ وإن دقّ ـ إلا ذهب به، والشِّنْظِيرُ الفاحش. قال: وذكر البخل والكذب»(٢) .

قوله عزّ وجلّ: ﴿**واخفضْ جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾ .

---

(١) أخرجه البخاري في الموضع السابق: ٥٠١/٨ـ٥٠٢، وفي الوصايا وفي الأنبياء، ومسلم في الإيمان: ١٩٢/١ـ١٩٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٢٩/١٣ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ضمن روايته لكتاب «الجامع» للإمام معمر بن راشد: ١٢٠/١١ـ١٢١، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥): ٢١٩٧/٤ـ٢١٩٨، والمصنف في شرح السنة: ٤٠٧/١٤ـ٤٠٨ .

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾

﴿فإن عَصَوْكَ فقل إني بريءٌ مما تعملون﴾، من الكفر وعبادة غير الله .

﴿وتوكَّلْ﴾، قرأ أهل المدينة، والشام: «فتوكل» بالفاء، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون بالواو «وتوكل»، ﴿على العزيز الرحيم﴾، ليكفيك كيد الأعداء .

٥٣/أ ﴿الذي يراك حين تقومُ﴾، إلى صلاتك، / عن أكثر المفسرين. وقال مجاهد: الذي يراك أينما كنت. وقيل: حين تقوم لدعائهم .

﴿وتقلُّبَكَ في الساجدين﴾، أي: يرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك. قال عكرمة وعطية عن ابن عباس: في الساجدين أي: في المصلين. وقال مقاتل والكلبي: أي مع المصلين في الجماعة، يقول: يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك إذا صليت مع المصلين في الجماعة .

وقال مجاهد: يرى تقلب بصرك في المصلين، فإنه كان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «هل ترون قبلتي هاهنا، فوالله ما يخفي عليّ خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري»[1] .

وقال الحسن: «وتقلبك في الساجدين» أي: تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين .

وقال سعيد بن جبير: يعني وتصرفك في أحوالك، كما كانت الأنبياء من قبلك. والساجدون: هم الأنبياء .

وقال عطاء عن ابن عباس: أراد تقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة[2] .

﴿إنّه هو السميع العليم﴾ .

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب العمل في الصلاة: ١٦٧/١، والبخاري في الصلاة، باب عظة الإمام في إتمام الصلاة: ٥١٤/١، ومسلم في الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة، برقم (٤٢٤): ٣١٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٨٩/١٣ .

(٢) ذكر هذه الأقوال: الطبري: ١٢٣/١٩ـ١٢٥، السيوطي: ٣٣١/٦ـ٣٣٢، ابن الجوزي: ١٤٨/٦ـ١٤٩ .
ورجح الطبري أن أولى الأقوال في تفسير الآية أنه: يرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد، لأن ذلك هو الظاهر من معناه .

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾

﴿هلْ أنبِّئُكم﴾، أخبركم، ﴿على من تَنَزَّلُ الشياطين﴾، هذا جواب قولهم: تنزل عليه شيطان، ثم بَيَّن فقال:

﴿تنزّل﴾، أي: تتنزل، ﴿على كل أفّاكٍ﴾، كذاب، ﴿أثيم﴾، فاجر، قال قتادة: هم الكَهَنَةُ، يسترق الجنُّ السمعَ ثم يلقون إلى أوليائهم من الإنس. وهو قوله عزّ وجلّ:

﴿يُلقُونَ السمع﴾، أي: يستمعون من الملائكة مسترقين، فيلقون إلى الكهنة، ﴿وأكثرهم كاذبون﴾، لأنهم يخلطون به كذباً كثيراً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿والشعراءُ يتَّبِعُهم الغاوون﴾. قال أهل التفسير: أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ، وذكر مقاتل أسماءهم، فقال: منهم عبدالله بن الزبعري السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومشافع بن عبدمناف. وأبو عزة بن عبدالله الجمحي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب وبالباطل، وقالوا: نحن نقول مثل ما يقول محمد. وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه، ويروون عنهم وذلك[1].

قوله: ﴿والشعراء يتَّبعهم الغاوون﴾، هم الرواة الذين يروون هجاء [النبي ﷺ و][2] المسلمين. وقال قتادة ومجاهد: الغاوون هم الشياطين.

وقال الضحاك: تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، ومع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء فنزلت هذه الآية. وهي رواية عطية عن ابن عباس[3].

﴿ألم ترَ أنهمْ في كل وادٍ﴾، [من أودية الكلام][4]، ﴿يهيمون﴾، جائرون وعن طريق الحق حائدون، والهائم: الذاهب على وجهه لا مقصد له.

(١) انظر: زاد المسير: ٦/١٥٠.
(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٣) الطبري: ١٩/١٢٧، وعزاه السيوطي أيضاً لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.
(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: في كل لغو يخوضون[1]. وقال مجاهد: في كل فن يفتنون. وقال قتادة: يمدحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل[2]، فالوادي مَثَلٌ لفنون الكلام، كما يقال: أنا في وادٍ وأنت في واد. وقيل: «في كل وادٍ يهيمون» أي: على كل حرف من حروف الهجاء يصُوغُون القوافي .

﴿وأنّهم يقولون مالا يفعلون﴾، أي: يكذبون في شعرهم، يقولون: فعلنا وفعلنا، وهم كذبة .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لأن يمتلىءَ جوفُ أحدِكم قَيْحاً، خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً»[3] .

ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية، ويهجون شعراء الكفار، وينافِحُون عن النبي ﷺ وأصحابه، منهم حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، فقال:

﴿إلاّ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحات﴾، أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد ابن عبدالله بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، أنه قال للنبي ﷺ: إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنّما ترمونهم به نَضْحَ النَّبل»[4] .

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب ما يجوز من الشعر: ١٠/٥٣٧ تعليقاً ووصله الطبري: ١٩/١٢٨ .

(٢) الطبري: ١٩/١٢٨ .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدّه عن ذكر الله والعلم والقرآن: ١٠/٥٤٨، ومسلم في كتاب الشعر برقم (٢٢٥٧): ٤/١٧٦٩، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٣٨٠ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في كتاب الجامع: ١١/٢٦٣، وصححه ابن حبان ص (٤٩٤) من موارد الظمآن، والبيهقي في السنن: ١٠/٢٣٩، والإمام أحمد في المسند: ٣/٤٥٦، ٤٦٠، ٦/٣٨٧. والمصنف في شرح السنة: ١٢/٣٧٨، وعزاه ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٢٣) والمناوي في الفتح السماوي: ٢/٨٨٩ لابن سعد في الطبقات، وعزاه في المطالب العالية: ٣/٣٥٤،٣٥٥ لأبي يعلى .
وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (١٦٣١) .

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا إسحاق بن منصور، أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا جعفر بن سليمان، حدثنا ثابت، عن أنسٍ أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خَلُّوا بَنِي الكفَّارِ عن سَبِيلِهِ   اليومَ نضربُكم على تَنْزِيلِهِ
ضرباً يُزيل الهَامَ عن مَقِيْلِهِ   ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليلِهِ

فقال له عمر: يابنَ رواحةَ بين يديْ رسول الله ﷺ وفي حَرَم الله تقول الشعر؟ فقال النبي ﷺ: «خلِّ عنه ياعمر، فلهي أسرع فيهم من نَضْحِ النَّبْلِ»(١).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا شعبة، أخبرني عدي أنه سمع البراء قال: قال رسول الله ﷺ لحسان: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك»(٢).

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى، حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري وعلي بن حجر ـ المعنى واحد ـ قالا: حدثنا عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ / يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح ٥٣/ب
عن رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله يُؤيِّد حسانَ بروح القدس، ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله»(٣).

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا عبدالغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عبدالملك بن شعيب بن الليث،

---

(١) أخرجه الترمذي في الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر: ٨/١٣٨ـ١٤٠، وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه، وقد روى عبدالرزاق هذا الحديث أيضاً عن معمر عن الزهري في غير هذا الحديث أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء، وكعب بن مالك بين يديه. وهذا أصح عند بعض أهل الحديث؛ لأن عبدالله بن رواحة قتل يوم مؤتة، وإنما كانت عمرة القضاء بعد ذلك»، وأخرجه أيضاً في كتابه المفردِ الشمائل المحمدية ص (١٤٥)، وأخرجه النسائي في المناسك، باب إنشاد الشعر في الحرم.. ٢/٢٥ـ٢٦أ، وأبو نعيم في الحلية: ٦/٢٩٢، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٣٧٤، وانظر: فتح الباري: ٧/٥٠٢، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (٥٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٦/٣٠٤، وفي المغازي: ٧/٤١٦، وفي الأدب: ١٠/٥٤٦، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل حسان برقم (٢٤٨٦): ٤/١٩٣٣، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٣٧٧.

(٣) أخرجه الترمذي في الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر: ٨/١٣٧، وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح»، وأخرجه في الشمائل ص (١٤٧)، وصححه الحاكم: ٣/٤٨٧، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٣٧٧.
وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ٣/١٧٧.

حدثني أبي عن جدي، حدثنا خالد بن زيد، حدثني سعيد بن أبي هلال عن عمارة بن غزية، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «اهجُوا قريشاً فإنه أشدّ عليهم من رشق النبل»، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: «اَهْجُهُمْ»، فهجاهم فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه، فجعل يحرّكه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفْرِيَنَّهم بلساني فَرْيَ الأدِيم، فقال رسول الله ﷺ : «لا تَعْجَل، فإن أبا بكر أعلم قريشٍ بأنسابها، وإنّ لي فيهم نسباً حتى يخلص لك نسبي»، فأتاه حسان ثم رجع، فقال: يارسول الله قد خلص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأَسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القُدُس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله»، وقالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسَّانُ فشفىٰ واشتفىٰ»، قال حسان :

هَجَوْتَ محمداً فَأَجبتُ عنه وعنـــدَ الله في ذاكَ الجزاءُ
هجوتَ محمداً بَـرَّاً حَنِيْفَـاً رسولَ الله شيمتُـه الوفـاءُ
فـإنَّ أبي ووالـدتي وعِـرْضِي لِعِرْضِ محمدٍ منكـمْ وقـاءُ
فمَنْ يهجُو رسولَ الله منكم ويَمْدَحُـــهُ ويـــنصرُه سواءُ
وجبريـــلُ رسولُ الله فينـــا وروحُ القُدْس ليس له كِفَاءُ[1]

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني أبو بكر بن عبدالرحمن أن مروان بن الحكم أخبره أن عبدالرحمن ابن الأسود بن عبد يغوث أخبره أن أُبيّ بن كعب أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر لحكمة»[2] .

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: الشعر كلام، فمنه حسنٌ، ومنه قبيح، فخذ الحسنَ ودع القبيح[3] .

وقال الشعبي: كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول الشعر، وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول الشعر، وكان علي رضي الله تعالى عنه أشعر الثلاثة[4] .

---

(١) أخرجه مسلم في الموضع السابق برقم (٢٤٩٠): ٤/١٩٣٥-١٩٣٨، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٢٥ .
(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز: ١٠/٥٣٧، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٣٦٩ .
(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٣/١٥٠ .
(٤) انظر المصنف لابن أبي شيبة: ٨/٦٩٨ .

وروي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده؛ فروي أنه دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي قالها فقال :

«أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر»

فأنشده ابن أبي ربيعة القصيدة إلى آخرها، وهي قريبة من سبعين بيتاً، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها بمرة واحدة .

﴿وذكروا الله كثيراً﴾، أي: لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله، **﴿وانتصروا من بعد ما ظُلِمُوا﴾**، قال مقاتل: انتصروا من المشركين، لأنهم بدؤوا بالهجاء .

ثم أوعد شعراء المشركين فقال: **﴿وسيعلمُ الذين ظَلَمُوا﴾**، أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ[1] **﴿أيَّ منقلب ينقلبون﴾**، أيَّ مرجعٍ يرجعون بعد الموت. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى جهنم والسعير. والله أعلم[2] .

(١) وقيل المراد بهم أهل مكة، وقيل: الذين ظلموا من المشركين، والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم . انظر: تفسير ابن كثير: ٣٥٦/٣ .

(٢) قطعة من حديث تقدم تخريجه، أخرجه البخاري في النكاح: ١٠٤/٩، ومسلم في النكاح أيضاً: ١٠٢٠/٢ .

سُورَةُ النَّمْلِ

سُورَةُ النَّمْلِ

مكية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾

﴿**طسٓ**﴾، قال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد سبق الكلام في حروف الهجاء[2].

﴿**تلك آياتُ القرآن**﴾، أي: هذه آيات القرآن، ﴿**وكتابٍ مبين**﴾، أي: وآيات كتاب مبين.

﴿**هدىً وبشرى للمؤمنين**﴾، يعني: هو هدى من الضلالة، وبشرى للمؤمنين المصدِّقين به بالجنة.

﴿**الذين يُقيمون الصلاة ويؤتُون الزكاةَ وهم بالآخرة هم يوقنون**﴾[3].

﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيَّنّا لهم أعمالهم**﴾، القبيحة حتى رأوها حسنة، ﴿**فهم يَعْمَهُونَ**﴾، أي: يترددون فيها متحيرين.

﴿**أولئك الذين لهم سوء العذاب**﴾، شدة العذاب في الدنيا بالقتل والأسر ببدر، ﴿**وهم في الآخرة هُمُ الأخسرون**﴾، لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار.

---

(١) سورة النمل مكية بلا خلاف، أخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال: أنزلت سورة النمل بمكة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله.
انظر: الدر المنثور: ٦/٣٤٠، البحر المحيط: ٧/٥٢.

(٢) انظر فيما سبق: ١/٥٨-٥٩، والطبري: ١/٢٠٥-٢٢٤ بتحقيق محمود شاكر، ابن كثير: ١/٣٦-٣٩.

(٣) راجع فيما سبق: ١/٦٢-٦٣.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٨﴾

﴿وإنك لَتُلقى القرآن﴾، أي: تُؤتى القرآن وتلقن[1]، ﴿من لَدُنْ حكيمٍ عليم﴾، أي: وحياً من عند الله الحكيم العليم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إذْ قال موسى لأهله﴾، أي: واذكر يامحمد[2] إذ قال موسى لأهله في مسيره من مدين إلى مصر: ﴿إني آنستُ ناراً﴾، [أي: أبصرت ناراً][3]، ﴿سآتيكم منها بخبر﴾، أي: امكثوا مكانكم، سآتيكم بخبر عن الطريق، وكان قد ترك الطريق، ﴿أو آتيكم بشهابٍ قَبَسٍ﴾، قرأ أهل الكوفة: «بشهابٍ» بالتنوين، جعلوا القبس نعتاً للشهاب، وقرأ الآخرون بلا تنوين على الإضافة، وهو إضافة الشيء إلى نفسه، لأن الشهاب والقبس متقاربان في المعنى، وهو العود الذي في أحد طرفيه نار، وليس في الطرف الآخر نار. وقال بعضهم: الشهاب هو شيء ذو نور، مثل العمود، والعرب تسمي كلَّ أبيضٍ ذي نور شهاباً، والقبس: القطعة من النار، ﴿لعلّكم تَصْطَلُون﴾، تستدفئون من البرد، وكان ذلك في شدة الشتاء.

﴿فلما جاءها نُودي أنْ بورك مَنْ في النار ومن حولها﴾، أي: بورك على من في النار أو في مَنْ في النار، والعرب تقول: باركه الله وبارك فيه، وبارك عليه، بمعنى واحد.

وقال قوم: البركة راجعة إلى موسى والملائكة، معناه: بورك في من طلب النار، وهو موسى
٥٤/أ عليه السلام، ﴿ومن حولها﴾ وهم الملائكة / الذين حول النار، ومعناه: بورك فيك ياموسى وفي الملائكة الذين حول النار، وهذا تحية من عند الله عزّ وجلّ لموسى بالبركة، كما حيا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت.

ومذهب أكثر المفسرين أن المراد بالنار النور، ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً، و«من في النار» هم الملائكة، وذلك أن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح،

(١) ساقط من «ب».
(٢) ساقط من «أ».
(٣) ساقط من «أ».

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾

و«من حولها» هو موسى لأنه كان بالقرب منها، ولم يكن فيها. وقيل: «مَنْ في النار ومَنْ حولها» جميعاً الملائكة. وقيل: «من في النار» موسى و«من حولها» الملائكة، وموسى وإن لم يكن في النار كان قريباً منها، كما يقال: بلغ فلان المنزل، إذا قرب منه، وإن لم يبلغه بعد.

وذهب بعضهم إلى أن البركة راجعة إلى النار. وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: معناه بُوركتِ النار. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سمعت أُبيّاً يقرأ: أن بوركت النار ومن حولها، و«من» قد تأتي بمعنى ما، كقوله تعالى: «فمنهم من يمشي على بطنه» (النور ـ ٤٥)، و«ما» قد يكون صلة في الكلام، كقوله «جندٌ ما هنالك» (صٓ ـ ١١)، ومعناه: بورك في النار وفيمن حولها، وهم الملائكة وموسى عليهم السلام، وسمَّى النار مباركة كما سمى البقعة مباركة فقال: «في البقعة المباركة».

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله: ﴿بُورك من في النار﴾، يعني قُدس من في النار، وهو الله، عنى به نفسه، على معنى أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها[١]، كما روي: أنه مكتوب في التوراة: «جاء الله من سيناء، وأشرف من ساعين، واستعلى من جبال فاران»[٢]، فمجيئه من سيناء: بعثة موسى منها، ومن ساعين بعثة المسيح منها، ومن جبال فاران بعثة المصطفى منها، وفاران مكة[٣].

قيل: كان ذلك نوره عزّ وجلّ. قال سعيد بن جبير: كانت النار بعينها، والنار إحدى حجب الله تعالى، كما جاء في الحديث: «حجابه النار لو كشفها لأحرقت سُبحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[٤]، ثم نزّه الله نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب، فقال جلّ ذكره. ﴿**وسبحان الله رب العالمين**﴾، ثم تعرف إلى موسى بصفاته، فقال:

﴿**ياموسى إنّه أنا الله العزيزُ الحكيمُ**﴾، والهاء في قوله ﴿**إنه**﴾ عماد، وليس بكناية، وقيل: هي

---

(١) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٩/١٣٣ـ١٣٥، وأبو جعفر النحاس في معاني القرآن: ٥/١١٦، والسيوطي في الدر المنثور: ٦/٣٤١، والقرطبي: ١٣/١٥٨ـ١٥٩.

(٢) النص في العهد العتيق، سفر التثنية ص (٣٥٥) طبع الكاثوليكية. وبلفظ «ساعير» بدلاً من «ساعين» فيه، وفي النصوص التي نقلت عنه.

(٣) انظر بالتفصيل هذه البشارة ومدلولها ومطابقتها لما جاء في القرآن الكريم: الإسلام وعلاقته بالشرائع الأخرى، تأليف عثمان جمعة ص (٨١ـ٨٣) والمراجع المشار إليها.

(٤) قطعة من حديث أبي موسى أخرجه مسلم في الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، برقم (١٧٩) ١/١٦١، والمصنف في شرح السنة: ١/١٧٣.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾

كناية عن الأمر والشأن، أي: الأمر والشأن، أي: المعبود أنا[1]، ثم أرى موسى آية على قدرته، فقال:

﴿**وألقِ عصاك فلما رآها تهتزُّ**﴾، تتحرك، ﴿**كأنها جانٌّ**﴾، وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها، ﴿**ولّى مُدبراً**﴾، هرب من الخوف، ﴿**ولم يُعَقِّب**﴾، لم يرجع، يقال: عقَّب فلان إذا رجع، وكل راجع معقِّب. وقال قتادة: ولم يلتفت، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿**ياموسى لا تخف إني لا يخاف لديَّ المرسَلون**﴾، يريد إذا آمنتهم لا يخافون، أما الخوف الذي هو شرط الإيمان فلا يفارقهم، قال النبي ﷺ: «أنا أخشاكم لله»[2].

وقوله: ﴿**إلاّ من ظَلَمَ ثم بدّل حُسناً بعد سوء فإني غفور رحيم**﴾، واختلف في هذا الاستثناء، قيل: هذا إشارة إلى أن موسى حين قتل القبطي خاف من ذلك، ثم تاب فقال: ربِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفر لي، فغفر له. قال ابن جريج: قال الله تعالى لموسى: إنما أخفتُك لقتلِك النفس. وقال: معنى الآية: لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يتوب، فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحاً وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله: ﴿**إلاّ من ظلم**﴾، ثم ابتدأ الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة. وفي الآية متروك استُغني عن ذكره بدلالة الكلام عليه، تقديره: فمن ظَلَمَ ثم بدّل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم[3].

وقال بعض العلماء: ليس هذا باستثناء من المرسلين لأنه لا يجوز عليهم الظلم، بل هو استثناء من المتروك في الكلام، معناه: لا يخاف لديّ المرسلون، إنما الخوف على غيرهم من الظالمين، إلاّ من ظلم ثم تاب، وهذا من الاستثناء المنقطع، معناه[4]: لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف، فإن تاب وبدّل حسناً بعد سوء فإن الله غفور رحيم، يعني يغفر الله له ويزيل الخوف عنه[5].

---

(١) راجع: التبيان للعكبري: ٢/١٠٠٥، زاد المسير: ٧/١٥٦.

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري في النكاح، باب الترغيب في النكاح ٩/١٠٤، ومسلم في الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة برقم (١١٠٨) ٢/٧٧٩ بلفظ «أما والله إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له».

(٣) هذا القول هو الذي رجحه الطبري: ١٩/١٣٧.

(٤) ساقط من «أ».

(٥) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله معتمداً هذا القول (٣/٣٥٨):
«هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على عمل سيء ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب، فإن الله يتوب عليه، كما قال: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)، وقال تعالى: (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه..) الآية. والآيات في هذا كثيرة جداً». وكذلك رجحه أبو حيان في البحر المحيط.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ
﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ
عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾

وقال بعض النحويين: «إلاّ» هاهنا بمعنى: «ولا»[1]، يعني: لا يخاف لديّ المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء، يقول: لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون، كقوله تعالى: «لئلا يكون للناس عليكم حجة إلاّ الذين ظلموا منهم» البقرة ـ ١٥٠)، يعني: ولا الذين ظلموا[2].

ثم أراه الله آية أخرى فقال:

﴿**وأدخلْ يَدكَ في جيبك**﴾، والجيب حيث جيب من القميص، أي: قطع، قال أهل التفسير: كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا أزرار، فأدخل يده في جيبه وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، فذلك قوله: ﴿**تخرج بيضاءَ من غير سوء**﴾، من غير بَرَص، ﴿**في تسع آيات**﴾، يقول هذه آية من تسع آيات أنتَ مرسل بهنّ، ﴿**إلى فرعون وقومه إنّهم كانوا قوماً فاسقين**﴾.

﴿**فلما جاءتْهم آياتُنا مبصرةً**﴾، بيّنة واضحة يبصر بها، ﴿**قالوا هذا سحرٌ مبين**﴾، ظاهر.

﴿**وجحدوا بها**﴾، أي: أنكروا الآيات ولم يقروا أنها من عند الله، ﴿**واستيقنتها أنفسهم**﴾، أي: علموا أنها من عند الله، قوله: ﴿**ظلماً وعُلواً**﴾، أي: شركاً وتكبراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى، ﴿**فانظرْ كيفَ كان عاقبة المفسدين**﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ولقد آتينا داود وسليمان علماً**﴾، أي: علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسبيح الجبال، ﴿**وقالا الحمد لله الذي فضّلنا**﴾، بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿**على كثير من عباده المؤمنين**﴾.

---

(١) في الطبري والنحاس وغيرهما: (بمعنى الواو).

(٢) وهذا القول حكاه الفراء عن بعض النحويين ولم يرضه، وقال النحاس: «وذا ليس بجيد في العربية»، وقال أبو حيان: «وهذا ليس بشيء؛ لأن معنى «إلا» مباين لمعنى «الواو» مباينة كثيرة، إذ الواو للإدخال و«إلا» للإخراج، فلا يمكن وقوع أحدهما موقع الآخر».

انظر: معاني القرآن للنحاس: ٥/١١٧، البحر المحيط: ٧/٥٧، زاد المسير: ٦/١٥٧.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

٥٤/ب ﴿وورث سليمان داود﴾ /، نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده[١]، وكان لداود تسعة عشر ابناً، وأُعطي سليمان ما أُعطي داود من الملك، وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين.

قال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبداً من سليمان، وكان سليمان شاكراً لنعم الله تعالى.

﴿وقال يا أيها الناس عُلِّمنا منطقَ الطير﴾، سمّى صوت الطير منطقاً لحصول الفهم منه، كما يفهم من كلام الناس.

روي عن كعب قال[٢]: صاح وَرَشان عند سليمان عليه السلام، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول لدوا للموت وابنُوا للخراب، وصاحت فاختة، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا، وصاح طاووس، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: كما تدين تدان، وصاح هدهد، فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: من لا يَرحم لا يُرحم، وصاح صُرَد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: استغفروا الله يامذنبين، قال: وصاحت طوطى، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: فإنها تقول: كل حي ميت وكل حديد بال، وصاح خطاف، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: قدِّموا خيرً تجدوه، وهدرت حمامة، فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: فإنها تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه، وصاح قُمْري، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: سبحان ربي الأعلى، قال: والغراب يدعو على العشّار، والحِدَأة تقول: كل شيء هالك إلاّ الله، والقطاة تقول: من سكت سلم، والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه، والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس، والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده، والضفدعة تقول: سبحان المذكور بكل لسان.

وعن مكحول قال: صاح دراج عند سليمان، فقال: هل تدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: الرحمن على العرش استوى.

---

(١) وليس المراد وراثة المال، إذ لو كان كذلك لم يخصّ سليمان وحده من بين سائر أولاد داود.. والأنبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك الرسول ﷺ في قوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة».
انظر: تفسير ابن كثير: ٣٥٩/٣.

(٢) هذه الروايات عن كعب وغيره وهذه التفصيلات في كلام الطير مما ذكره المصنف رحمه الله، متلقاة من أهل الكتاب كرواية كعب هذه، ولا يتوقف فهم الآية عليها، وليس فيها نص صحيح مرفوع إلى النبي ﷺ، والبحث في هذا مما لا طائل تحته. والله أعلم.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧﴾

وعن فرقد السبخي قال مرَّ سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ فقالوا الله ونبيه أعلم، قال يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العَفَاء.

وروي أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس: إنا سائلوك عن سبعة أشياء فإن أخبرتنا آمنا وصدقنا، قال: سلوا تفقهاً ولا تسألوا تعنتاً، قالوا: أخبرنا ما يقول القنبر في صفيره، والديك في صقيعه، والضفدع في نقيقه، والحمار في نهيقه، والفرس في صهيله، وماذا يقول الزرزور والدراج؟ قال: نعم، أما القنبر فيقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد، وأما الديك فيقول: اذكروا الله ياغافلين، وأما الضفدع فيقول: سبحان المعبود في لجج البحار، وأما الحمار فيقول: اللهم العن العشار، وأما الفرس فيقول: إذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح، وأما الزرزور فيقول: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يارازق، وأما الدراج فيقول: الرحمن على العرش استوى، قال: فأسلم اليهود وحسن إسلامهم.

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي قال: إذا صاح النسر قال: يابن آدم، عِشْ ما شئت آخره الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد من الناس أُنس، وإذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغضي آل محمد، وإذا صاح الخطاف، قرأ: الحمد لله رب العالمين، ويمد الضالين كما يمد القارىء.

قوله تعالى: ﴿**وأُوتينا من كل شيء**﴾، يُوتى الأنبياء والملوك، قال ابن عباس: من أمر الدنيا والآخرة. وقال مقاتل: يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح، ﴿**إن هذا لهو الفضل المبين**﴾، الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا. وروى أن سليمان عليه السلام أعطي ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمائة سنة وستة أشهر، ملك جميع أهل الدنيا من الجن والإنس والدواب والطير والسباع[(١)]، وأعطي على ذلك منطق كل شيء، وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة[(٢)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وحُشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير**﴾ في مسير له، ﴿**فهم يُوزَعون**﴾، فهم يكفون. قال قتادة: كان على كل صنف من جنوده وزعة ترد [أولاها على أخراها][(٣)] لئلا يتقدموا في المسير، والوازع الحابس، وهو النقيب. وقال مقاتل: يوزعون يساقون،

(١) في هامش نسخة «أ»: قوله: ملك جميع أهل الدنيا.. فيه نظر، لأنه عليه السلام ما علم بلقيس ولا ملكها إلا من الهدهد بعدما أخبره به، إلا أن نقول: ملك بعد ذلك الزمان والله أعلم.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٥٨٨/٢، عن جعفر بن محمد، وقال الذهبي: هذا باطل.

(٣) في «ب»: أولها على آخرها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾

وقال السدي: يوقفون. وقيل: يجمعون.. وأصل الوزع الكف والمنع.

قال محمد بن كعب القرظي: كان معسكر سليمان مائة فرسخ، خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلثمائة صريحة[1]، وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الرخاء فتسير به، وأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلاّ جاءت به الريح، فأخبرتك[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿حتى إذا أتوا على وادِ النّمل﴾، روي عن وهب بن منبه عن كعب قال: كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابز[3] يُحْمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام، يسع كل قدر عشر جزائر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه، فيطبخ الطباخون، ويخبز الخبازون، وتجري الدواب بين يديه بين السماء والأرض، والريح تهوي بهم، فسار من اصطخر إلى اليمن فسلك مدينة رسول الله ﷺ، فقال سليمان: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه، ورأى حول البيت أصناماً تُعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت
٥٥/أ بكى البيت، / فأوحى الله إلى البيت ما يبكيك؟ فقال: يارب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مرّوا عليّ فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي، والأصنام تُعبد حولي من دونك فأوحى الله إليه أنْ لا تبكِ، فإني سوف أملؤك وجوهاً سُجّداً، وأنزل فيك قرآناً جديداً وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب أنبيائي إليّ، وأجعل فيك عمّاراً من خلقي يعبدونني، وأفرض على عبادي فريضة يذفون إليك ذفيف النسور إلى وكرها، ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضتها، وأطهرك من الأوثان وعبدة الشياطين[4]. ثم مضى سليمان حتى مرّ بوادي السدير وادٍ من الطائف، فأتى على وادي النمل، هكذا قال كعب: إنه وادٍ بالطائف.

وقال قتادة ومقاتل: هو أرض بالشام. وقيل: واد كان يسكنه الجن، وأولئك النمل مراكبهم[5].

---

(١) بمعنى منكوحة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك عن محمد بن كعب قال: بلغنا أن سليمان.. ٥٨٩/٢ وهو ضعيف.

(٣) ساقط من «أ».

(٤) هذه الرواية وأمثالها من الاسرائيليات التي كان يحدث بها وهب وكعب، وليس في ذلك نص صحيح تقوم به الحجة.

(٥) قال الحافظ ابن كثير: (٣٦٠/٣): «ومن قال من المفسرين إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره، وإن هذه النملة كانت =

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾

وقال نوف الحميري: كان نمل ذلك الوادي أمثال الذباب[1]. وقيل: كالبخاتي. والمشهور: أنه النمل الصغير. وقال الشعبي: كانت تلك النملة ذات جناحين. وقيل: كانت نملة عرجاء فنادت:

﴿**قالت نملةٌ: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم**﴾، ولم تقل: ادخلن، لأنه لما جعل لهم قولاً كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين، ﴿**لا يحطِمَنّكم**﴾، لا يكسرنّكم، ﴿**سليمان وجنوده**﴾، والحطم الكسر، ﴿**وهم لا يشعرون**﴾، فسمع سليمان قولها، وكان لا يتكلم خلق إلا حملت الريح ذلك فألقته في مسامع سليمان. قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال، قال الضحاك: كان اسم تلك النملة طاحية، قال مقاتل: كان اسمها جرمى[2].

فإن قيل: كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والأرض؟

قيل: كان جنوده ركباناً وفيهم مشاة على الأرض تطوى لهم.

وقيل: يحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان.

قال أهل التفسير: علم النمل أن سليمان نبي ليس فيه جبرية وظلم.

ومعنى الآية: أنكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطؤوكم ولم يشعروا بكم. ويروى أن سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**فتبسم ضاحكاً من قولها**﴾، قال الزجاج: أكثر ضحك الأنبياء التبسم. وقوله ﴿**ضاحكاً**﴾، أي: متبسماً. قيل: كان أوله التبسم وآخره الضحك.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن سليمان، حدثني ابن وهب، أخبرنا عمرو، هو ابن الحارث، أخبرنا النضر،

= ذات جناحين كالذباب، أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها».

(١) قال ابن كثير في الموضع نفسه: «هكذا رأيته مضبوطاً بالياء المثناة من تحت، وإنما هو بالباء الموحدة، وذلك تصحيف» والله أعلم. والغرض: أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكاً من ذلك، وهذا أمر عظيم جداً.

(٢) لا طائل من البحث في صفات هذه النملة واسمها، ولا خبر في ذلك عن الرسول ﷺ يصار إليه، وحسبنا ما أخبرنا الله تعالى به من كلام النملة وفهم سليمان له وما في ذلك من دلالة. والله أعلم.

وانظر: البداية والنهاية لابن كثير: ١٩/٢.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾

حدثه عن سليمان بن يسار، عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لَهَوَاتِه، إنما كان يتبسم(1) .

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهيعة عن عبدالله بن المغيرة عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء قال: ما رأيتُ أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ(2) .

قال مقاتل: كان ضحك سليمان من قول النملة تعجباً، لأن الإنسان إذا رأى مالا عهد له به تعجب وضحك، ثم حمد سليمان ربَّه على ما أنعم عليه .

﴿وقال ربِّ أوزعني﴾، ألهمني، **﴿أنْ أشكر نعمتَك التي أنعمتَ عليّ وعلى والديَّ وأن أعملَ صالحاً ترضاه، وأدخِلْني برحمتك في عبادكَ الصالحين﴾**، أي: أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرني في زمرتهم، قال ابن عباس: يريد مع إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ومن بعدهم من النبيين. وقيل: أدخلني الجنة برحمتك مع عبادك الصالحين .

قوله عزّ وجلّ : **﴿وتفقَّدَ الطيرَ﴾**، أي: طلبها وبحث عنها، والتفقد: طلب ما فُقِد، ومعنى الآية: طلب ما فقد من الطير، **﴿فقال ماليَ لا أرى الهدهد﴾**، أي: ما للهدهد لا أراه؟. تقول العرب: مالي أراك كئيباً؟ أي: مالك؟ والهدهد: طائر معروف. وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه، قيل: إخلاله بالنوبة، وذلك أن سليمان كان إذا نزل منزلاً يظله وجندَه الطيرُ من الشمس، فأصابته الشمس من موضع الهدهد، فنظر فرآه خالياً .

وروي عن ابن عباس: أن الهدهد كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الأرض، كما يرى في الزجاجة، ويعرف قربه وبعده فينقر الأرض، ثم تجيء الشياطين فيسلخونه ويستخرجون الماء .

قال سعيد بن جبير: لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الأزرق: ياوصاف انظر ما تقول، إن الصبي منّا يضع الفخ ويحثو عليه التراب، فيجيء الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه،

---

(1) أخرجه البخاري في التفسير، باب: «فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم»: ٥٧٨/٨، ومسلم في صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح، برقم (٨٩٩): ٦١٦/٢-٦١٧، وذكره المصنف في مصابيح السنة: ١٠٧٣/١ .

(2) أخرجه الترمذي في المناقب، باب في بشاشة النبي ﷺ: ١٢٤/١٠، وقال: «هذا حديث غريب». وقد روي عن يزيد ابن أبي حبيب عن عبدالله بن الحارث بن جزء مثل هذا».
وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٩٠/٤، وذكره المصنف في مصابيح السنة برقم (٣٦٨٦) .

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر. وفي رواية: إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر[(١)].

فنزل سليمان منزلاً فاحتاج إلى الماء فطلبوا فلم يجدوا، فتفقد الهدهد ليدل على الماء، فقال: مالي لا أرى الهدهد، على تقدير أنه مع جنوده، وهو لا يراه، ثم أدركه الشك في غيبته، فقال: **﴿أم كان من الغائبين﴾**، يعني أكان من الغائبين؟ والميم صلة، وقيل: «أم» بمعنى «بل»، ثم أوعده على غيبته، فقال:

﴿لأعذِّبَنَّه عذاباً شديداً﴾، واختلفوا في العذاب الذي أوعده به، فأظهر الأقاويل أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطاً، لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض[(٢)]. وقال مقاتل بن حيان: لأطلينّه بالقطران ولأشمسنّه. وقيل: لأودعنّه القفص. وقيل: لأفرقن بينه وبين إلفه. وقيل: لأحبسنّه مع ضده. **﴿أو لأذبحنّه﴾**، لأقطعن حلقه، **﴿أو لَيأتِيَنِّي بسلطانٍ مبين﴾**، بحجة بينة في غيبته، وعذر ظاهر، قرأ ابن كثير: **﴿ليأتينَّني﴾** بنونين، الأولى / مشددة، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة. ٥٥/ب

وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء[(٣)]: أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم، فتجهز للمسير، واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ، فحملهم الريح، فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم، وكان ينحر كل يوم بمقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة[(٤)]، وقال لمن حضره من أشراف قومه: إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا، يعطى النصر على جميع من ناوأه، وتبلغ هيبته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم. قالوا فبأي دين يدين يانبي الله؟ قال: يدين بدين الحنيفية، فطوبى لمن أدركه وآمن به، فقالوا: كم بيننا وبين خروجه يانبي الله؟ قال مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فإنه سيّد الأنبياء وخاتم الرسل، قال: فأقام بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً، وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال، وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها فأحب

---

(١) أخرجه الحاكم: ٢/٤٠٥-٤٠٦ وصححه على شرط الشيخين، والطبري: ١٩/١٤٤، وعزاه السيوطي لابن أبي شيبة، وعبد ابن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ٦/٣٤٨.

(٢) اعتمد الطبري هذا القول ولم يذكر غيره: ١٩/١٤٦، وانظر: الدر المنثور: ٦/٣٤٩-٣٥٠، تفسير ابن كثير: ٣/٣٦١.

(٣) ما ذكره المصنف عن العلماء ظاهر أنه من الأخبار التي لا سند لها وهي بهذه التفصيلات غريبة.

(٤) في «ب»: كبش.

النزول بها ليصلي ويتغدى، فلما نزل قال الهدهد: إن سليمان قد اشتغل بالنزول فأرتفع نحو السماء فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها، ففعل ذلك، فنظر يميناً وشمالاً، فرأى بستاناً لبلقيس، فمال إلى الخضرة فوقع فيه فإذا هو بهدهد فهبط عليه، وكان اسم هذا هدهد سليمان «يعفور» واسم هدهد اليمن «عنفير»، فقال عنفير اليمن ليعفور سليمان: من أين أقبلت وأين تريد؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان ابن داود. فقال: ومن سليمان؟ قال ملك الجن والإنس والشياطين والطير والوحوش والرياح، فمن أين أنت؟ قال: أنا من هذه البلاد، قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها بلقيس، وإن لصاحبكم ملكاً عظيماً ولكن ليس ملك بلقيس دونه، فإنها ملكة اليمن كلها، وتحت يدها إثنا عشر ألف[1] قائد، تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل، فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، قال الهدهد اليماني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها، وما رجع إلى سليمان إلا في وقت العصر. قال: فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت الصلاة وكان نزل على غير ماء، فسأل الإنس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموا، فتفقد الطير، ففقد الهدهد، فدعا عريف الطير ـ وهو النسر ـ فسأله عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين هو، وما أرسلته مكاناً، فغضب عند ذلك سليمان، وقال: ﴿**لأعذبنّه عذاباً شديداً**﴾ الآية. ثم دعا العقاب سيد الطير فقال: عليّ بالهدهد الساعةَ، فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التزق بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يميناً وشمالاً فإذا هو بالهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقضّ العقاب نحوه يريده، فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده بسوء فناشده، فقال: بحق الله الذي قوّاك وأقدرك عليّ إلا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء، قال: فولّى عنه العقاب، وقال له: ويلك ثكلتك أمك، إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك، ثم طارا متوجهين نحو سليمان، فلما انتهيا إلى المعسكر تلقاه النسر والطير، فقالوا له: ويلك أين غبت في يومك هذا؟ ولقد توعدك نبي الله، وأخبراه بما قال، فقال الهدهد: أوَ ما استثنى رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: «أَوْ ليأتيّني بسلطان مبين»، قال: فنجوت إذاً، ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على كرسيه، فقال العقاب قد أتيتك به يانبي الله، فلما قرب الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه وقال: أين كنت؟ لأعذبنّك عذاباً شديداً، فقال الهدهد: يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى، فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه، ثم سأله فقال: ما الذي أبطأ بك عني؟ فقال الهدهد ما أخبر الله عنه في قوله :

---

(١) ساقط من « أ ».

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فمكث غير بعيد﴾، قرأ عاصم ويعقوب: ﴿فمكث﴾ بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿غير بعيد﴾، أي: غير طويل، ﴿فقال أحطتُ بما لم تُحِطْ به﴾، والإحاطة: العلم بالشيء من جميع جهاته، يقول: علمتُ ما لم تعلم، وبلغتُ ما لم تبلغه أنت ولا جنودك، ﴿وجئتُك من سبأ﴾، قرأ أبو عمرو، والبزي عن ابن كثير من «سبأ» [و «لسبأ» في سورة سبأ، مفتوحة الهمزة، وقرأ القواص عن ابن كثير][1] ساكنة بلا همزة، وقرأ الآخرون بالاجراء، فمن لم يجره جعله اسم البلد، ومن أجراه جعله اسم رجل، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن سبأ فقال: «كان رجلاً له عشرة من البنين تَيامَنَ منهم ستة وتشاءم أربعة»[2]. ﴿بنبأ﴾، بخبر، ﴿يقين﴾، فقال سليمان: وما ذاك؟ قال:

﴿إني وجدتُ امرأةً تَمْلِكُهُم﴾، وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل، من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن، قد ولد له أربعون ملكاً هو آخرهم، وكان يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً لي، وأبى أن يتزوج فيهم، فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانه بنت السكن، فولدت له بلقيس، [ولم يكن له ولد غيرها، وجاء في الحديث: إن أحد أبوي بلقيس كان جنياً[3]. فلما مات أبو بلقيس][4] طمعت في الملك فطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها قوم آخرون، فملّكوا عليهم رجلاً، وافترقوا فرقتين، كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن، ثم إن الرجل الذي ملّكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته ويفجر بهن، فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه، فلما رأت ذلك بلقيس

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة سبأ: ٩/٨٨-٨٩، وقال: هذا حديث غريب حسن، واختصره أبو داود في الحروف والقراءات: ٦/٨، عن فروة بن مسيك، وأخرجه الطبري في التفسير: ٢٢/٧٦-٧٧، والإمام أحمد في المسند: ١/٣١٧، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم والحاكم وصححه من حديث ابن عباس، وله روايات في بعضها ضعف ينجبر بتعدد الطرق. انظر: فتح الباري: ٨/٥٣٥، مجمع الزوائد: ٧/٩٤، تفسير ابن كثير: ٣/٥٣١-٥٣٢، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ترجمة «فروة بن مسيك»: ٥/٣٦٩ حيث أشار إلى الحديث وقال: «أخرجه ابن سعد، وأبو داود والترمذي، وابن السكن مطولاً ومختصراً»، زاد المسير: ٦/١٦٥ مع حاشية المحقق.

(٣) أخرجه ابن جرير، وأبو الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه، وابن عساكر، عن أبي هريرة مرفوعاً. قال ابن كثير: «هذا حديث غريب وفي سنده ضعف»، انظر: الدر المنثور: ٦/٣٥١، البداي والنهاية لابن كثير: ٢/٢١.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

٥٦/أ أدركتها الغيرة فأرسلت إليه / تعرض نفسها عليه، فأجابها الملك، وقال: ما منعني أن أبتدئك بالخطبة إلاّ اليأس منك، فقالت لا أرغب عنك، كفؤ كريم، فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم، فجمعهم وخطبها إليهم، فقالوا: لا نراها تفعل هذا، فقال لهم: إنها ابتدأتني فأنا أحب أن تسمعوا قولها فجاؤوها، فذكروا لها، فقالت: نعم أحببت الولد. فزوجوها منه، فلما زفت إليه خرجت في أناس كثير من حشمها، فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر، ثم جزت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها، فلما أصبح الناس رأوا الملك قتيلاً ورأسه منصوب على باب دارها، فعلموا أن تلك المناكحة كانت مكراً وخديعة منها، فاجتمعوا إليها وقالوا: أنت بهذا المُلك أحق من غيرك، فملّكوها[1].

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عثمان بن الهيثم، أخبرنا عوف، عن الحسن، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: لما بلغ رسولَ الله ﷺ أن أهل فارس ملّكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»[2].

قوله تعالى: **﴿وأوتيت من كل شيء﴾**، يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة، **﴿ولها عرش عظيم﴾**، سرير ضخم كان مضروباً من الذهب مكللاً بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرد، وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق.

قال ابن عباس: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً.

وقال مقاتل: كان طوله ثمانين ذراعاً وطوله في السماء[3] ثمانين ذراعاً.

وقيل: كان طوله ثمانين ذراعاً وعرضه أربعين ذراعاً وارتفاعه ثلاثين ذراعاً.

﴿وجدتُها وقومَها يسجدون للشمس من دون الله وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدَّهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾.

---

(١) أشار الحافظ ابن كثير إلى هذه القصة وعزاها للثعلبي وغيره. انظر: البداية والنهاية: ٢١/٢.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر: ١٢٦/٨، والمصنف في شرح السنة: ٧٦/١٠. وقال: «اتفقوا على أن المرأة لا تصلح أن تكون إماماً ولا قاضياً، لأن الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد، والقيام بأمور المسلمين، والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات، والمرأة عورة لا تصلح للبروز، وتعجز لضعفها عن القيام بأكثر الأمور، ولأن المرأة ناقصة، والإمامة والقضاء من كمال الولايات، فلا يصلح لها إلا الكامل من الرجال..».

(٣) في «ب»: الهواء.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ألاّ يسجدوا﴾، قرأ أبو جعفر والكسائي: «ألاَ يسجدوا» بالتخفيف، وإذا وقفوا يقفون «ألا يا»: ألا يأثم ثم يبتدئون: «اسجدوا»، على معنى: ألاَ ياهؤلاء اسجدوا، وجعلوه أمراً من عند الله مستأنفاً، وحذفوا هؤلاء اكتفاءً بدلالة «يا» عليها، وذكر بعضهم سماعاً من العرب: ألاَ يا ارحمونا، يريدون ألاَ ياقوم، وقال الأخطل:

أَلاَ يا اسْلَمِي ياهِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَكْرٍ   وإنْ كانَ حَيَّانا عِدًا آخِرَ الدَّهْرِ[1]

يريد: ألاَ يا اسلمي ياهند، وعلى هذا يكون قوله «ألاَ» كلاماً معترضاً من غير القصة، إما من الهدهد، وإما من سليمان. قال أبو عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف يعني: يا أيها الناس اسجدوا.

وقرأ الآخرون: «ألاَّ يسجدوا» بالتشديد، بمعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا، ﴿الله الذي يُخرِجُ الخِبْءَ﴾، أي: الخفي المخبأ، ﴿في السموات والأرض﴾، أي: ما خبأت.

قال أكثر المفسرين: خبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات.

وفي قراءة عبد الله: «يخرج الخبء من السموات والأرض»، و«من» و«في» يتعاقبان، تقول العرب: لأستخرجن العلم فيكم، يريد: منكم.

وقيل: معنى «الخبء» الغيب، يريد: يعلم غيب السموات والأرض.

﴿ويعلم ما تُخفون وما تُعلنون﴾، قرأ الكسائي، وحفص، عن عاصم: بالتاء فيهما، لأن أول الآية خطاب على قراءة الكسائي بتخفيف ألاَ، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿الله لا إله إلا هو ربُّ العرشِ العظيم﴾، أي: هو المستحقُّ للعبادة والسجود لا غيره. وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيماً فهو صغير حقير في جنب عرشه عزّ وجلّ، تم هاهنا كلام الهدهد، فلما فرغ الهدهد من كلامه.

﴿قال﴾، سليمان للهدهد: ﴿سننظرُ أصدقت﴾، فيما أخبرت، ﴿أم كنتَ من الكاذبين﴾؟ فدلّهم الهدهد على الماء، فاحتفروا الركايا[2]، وروي الناس والدواب، ثم كتب سليمان كتاباً: من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى،

---

(١) البيت في لسان العرب مادة (عدا)، واستشهد به الطبري أيضاً: ١٤٩/١٩.

(٢) الركايا: جمع رَكِيَّة، وهي البئر.

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝٢٨ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩﴾

أما بعد: فلا تعلوا عليّ وآتوني مسلمين. قال ابن جريج لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه. وقال قتادة: وكذلك الأنبياء كانت تكتب جُمَلاً لا يطيلون ولا يكثرون. فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه. فقال للهدهد:

﴿اذهبْ بكتابي هذا فألْقِه إليهم﴾، قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة: ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر، ويعقوب وقالون كسراً، [والآخرون بالإشباع كسراً]، ﴿ثم تولّ عنهم﴾، تَنحَ عنهم فكنْ قريباً منهم، ﴿فانظرْ ماذا يرجعون﴾، يردُّون من الجواب. وقال ابن زيد: في الآية تقديم وتأخير مجازها: اذهبْ بكتابي هذا فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم، أي: انصرف إليَّ، فأخذ الهدهد الكتاب فأتى به إلى بلقيس، وكانت بأرض يقال لها «مَأْرِب» من صنعاء على ثلاثة أيام، فوافاها في قصرها وقد غلّقت الأبواب، وكانت إذا رقدت غلّقت الأبواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها، فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها، فألقى الكتاب على نحرها، هذا قول قتادة.

وقال مقاتل: حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون إليه، حتى رفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حِجْرها.

وقال ابن منبه، وابن زيد: كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها، فأخذت بلقيس الكتاب، وكانت قارئة، فلما رأت الخاتم أُرعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب إليها أعظم مَلِكاً منها، فقرأت الكتاب، وتأخر الهدهد غير بعيد، فجاءت حتى قعدت على سرير مملكتها وجمعت الملأَ من قومها، وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل. وعن ابن عباس قال: كان مع بلقيس مائة ألف [قَيْل، مع كل قَيْل مائة ألف][1]، والقَيْل الملك دون الملك الأعظم، وقال قتادة ومقاتل: كان أهل / مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل رجل منهم على ٥٦/ب
عشرة آلاف، قال: فجاؤوا وأخذوا مجالسهم[2].

﴿قالت﴾، لهم بلقيس: ﴿يا أيها الملأ﴾، وهم أشراف الناس وكبراؤهم ﴿إني أُلقي إليَّ كتاب

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) انظر الأقوال السالفة في الدر المنثور: ٦/٣٥٣-٣٥٤.

إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ
﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟
نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ
إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾

كريم﴾، قال عطاء والضحاك: سمته كريماً لأنه كان مختوماً. وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «كرامة الكتاب ختمه»[1]، وقال قتادة ومقاتل: «كتاب كريم» أي: حسن، وهو اختيار الزجاج، وقال: حسنٌ ما فيه، وروي عن ابن عباس: «كريم»، أي: شريف لشرف صاحبه، وقيل: سمته كريماً لأنه كان مصدراً ببسم الله الرحمن الرحيم[2]، ثم بينت ممّن الكتاب فقالت:

﴿إنّه من سليمان﴾، وبينت المكتوب فقالت: ﴿وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

﴿ألاّ تعلوا عليّ﴾، قال ابن عباس: أي: لا تتكبروا عليّ. وقيل: لا تتعظموا ولا تترفعوا عليّ. معناه: لا تمتنعوا من الإجابة، فإنَّ ترك الإجابة من العلو والتكبر، ﴿وأْتوني مسلمين﴾، مؤمنين طائعين. قيل: هو من الإسلام، وقيل: هو من الاستسلام.

﴿قالتْ يا أيها الملأُ أَفْتوني في أمري﴾، أشيروا عليّ فيما عرض لي، وأجيبوني فيما أشاوركم فيه، ﴿ما كنتُ قاطعةً﴾، قاضيةً وفاصلةً، ﴿أمراً حتى تشهدون﴾، [أي: تحضرون][3].

﴿قالوا﴾، مجيبين لها: ﴿نحنُ أولوا قوة﴾، في القتال، ﴿وأولوا بأس شديد﴾، عند الحرب، قال مقاتل: أرادوا بالقوة كثرةَ العدد، وبالبأس الشديد الشجاعةَ، وهذا تعريض منهم بالقتال إنْ أمرتهم بذلك، ثم قالوا: ﴿والأمر إليك﴾، أيتها الملكة في القتال وتركه، ﴿فانظري﴾، من الرأي، ﴿ماذا تأمرين﴾، تجدينا لأمرك مطيعين.

﴿قالت﴾، بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال: ﴿إنّ الملوك إذا دخلوا قرية﴾، عنوة،

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» من رواية محمد بن مروان، وهو السدي الصغير، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، وأخرجه القضاعي في مسند البيهقي. ومحمد بن مروان متروك. انظر: الكافي الشاف ص (١٢٥)، مجمع الزوائد: ٩٩/٨.

(٢) أخرج هذه الأقوال الطبري في التفسير: ١٥٣/١٩.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أفسدوها﴾، خرَّبوها، ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾، أي: أهانوا أشرافها وكبراءها، كي يستقيم لهم الأمر، تحذِّرهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم، وتناهى الخبر عنها هاهنا، فصدّق الله قولها فقال: ﴿وكذلك يفعلون﴾ أي: كما قالت هي يفعلون.

ثم قالت: ﴿وإنّي مرسلة إليهم بهدية﴾، والهدية هي: العطية على طريق الملاطفة. وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست، فقالت للملأ من قومها: إني مرسلة إليهم، أي: إلى سليمان وقومه، بهدية أُصانِعُه بها عن ملكي وأختبره بها أَمِلِكٌ هو أم نبي؟ فإن يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبياً لم يقبل الهدية ولم يُرْضِه منّا إلاّ أن نتبعه على دينه، فذلك قوله تعالى: ﴿فناظرةٌ بِمَ يرجعُ المرسلون﴾، [فأهدت إليه][(١)] وصفاء ووصائف، قال ابن عباس[(٢)]: ألبستهم لباساً واحداً كي لا يُعْرف ذكر من أنثى. وقال مجاهد: ألبس الغلمان لباس الجواري وألبس الجواري لباس الغلمان.

واختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس: مائة وصيف ومائة وصيفة[(٣)]، وقال مجاهد: [ومقاتل][(١)]: مائتا غلام ومائتا جارية.

وقال قتادة، وسعيد بن جبير: أرسلت إليه بلبنة من ذهب في حرير وديباج.

وقال ثابت البناني: أهدت إليه صفائح الذهب في أوعية الديباج. وقيل: كانت أربع لبنات من ذهب.

وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، فألبست الغلمان لباسَ الجواري، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً مرصَّعات بأنواع الجواهر، وألبست الجواري لباس الغلمان؛ الأقبيةَ والمناطق، وحملت الجواري على خمسمائة رمكة[(٤)]، والغلمان على خمسمائة برذون، على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وغواشيها من الديباج الملون، وبعث إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) بعد أن عرض ابن كثير لهذه الروايات التي ساقها البغوي قال: (٣٦٤/٣) «والله أعلم أكان ذلك أم لا؟ وأكثره مأخوذ من الاسرائيليات»، وقال الشيخ محمد أبو شهبة : وأي ملك في الدنيا يتسع لفرش تسع فراسخ بلبنات الذهب والفضة؟!! وفي رواية وهب ما يدل على الأصل الذي جاءت منه هذه المرويات، وأن من روى ذلك من السلف فإنما أخذه عن مسلمة أهل الكتاب وما كان أجدر كتب التفسير أن تنزه عن مثل هذا اللغو والخرافات التي تدسست إلى الرواية الإسلامية فأساءت إليها.

(٣) الوصيفة: الجارية.

(٤) أنثى البغال.

وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع، وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود الألنجوج، وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو، وضمت إليه، رجالاً من قومها أصحاب رأي وعقل، وكتبت معه كتاباً بنسخة الهدية، وقالت فيه: إن كنتَ نبياً فميِّز بين الوصائف والوصفاء، وأخبر بما في الحقة قبل أن تفتحها، واثقب الدر ثقباً مستوياً، وأدخل خيطاً في الخرزة المثقوبة من غير علاج إنس ولا جنّ.

وأمرت بلقيس الغلمان، فقالت: إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن يكلمنه بكلام فيه غلظ يشبه كلام الرجال.

ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك ولا يهولنك منظره، فإنّا أعزّ منه، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتفهَّمْ قوله، ورد الجواب.

فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر كله، فأمر سليمان الجنّ أن يضربوا لبناتِ الذهب ولبنات الفضة ففعلوا، ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة، وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً، شُرفها من الذهب والفضة، ثم قال: أي الدوابِّ أحسن مما رأيتم في البر والبحر؟ قالوا: يانبي الله إنا رأينا دواباً في بحر كذا وكذا منقطة مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواصٍ، فقال: عليّ بها الساعة، فأتوا بها، فقال: شدُّوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة، وألقُوا لها علوفَتها فيها، ثم قال للجن: عليّ بأولادكم، فاجتمع خلق كثير، فأقامهم على يمين الميدان ويساره، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره، ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره. فلما دنا القوم من الميدان / ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا ٥٧/أ
الدواب التي لم ترَ أعينُهم مثلها تروث على لَبِنِ الذهب والفضة، تقاصرت أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا، وفي بعض الروايات [أن سليمان][1] لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر موضع اللبنات التي معهم، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً وكل الأرض مفروشة خافوا أن يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان، فلما رأوا الشياطين نظروا إلى منظر عجيب، ففزعوا، فقالت لهم الشياطين: جُوزوا فلا بأس عليكم، فكانوا

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ٣٦﴾

يمرون على كردوس كردوس من الجن والإنس والطير والهوام والسباع والوحوش، حتى وقفوا بين يدي سليمان، فنظر إليهم سليمان نظراً حسناً بوجه طلق، وقال: ما وراءكم؟ فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له، وأعطاه كتاب الملكة، فنظر فيه، ثم قال: أين الحقة؟ فأُتي بها فحركها، وجاء جبريل فأخبره بما في الحقة، فقال: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وجزعة مثقوبة معوجة الثقب، فقال الرسول: صدقتَ، فاثقب الدرة، وأدخلِ الخيط في الخرزة، فقال سليمان: من لي بثقبها فسأل سليمان الإنس ثم الجن، فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الشياطين، فقالوا: نرسل إلى الأرضة فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في فيها. فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ فقالت: تصيّر رزقي في الشجرة، فقال لك ذلك .

وروي أنه جاءت دودة تكون في الصفصاف فقالت: أنا أدخل الخيط في الثقب على أن يكون رزقي في الصفصاف، فجعل لها ذلك، فأخذت الخيط بفيها ودخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر .

ثم قال: من لهذه الخرزة فيسلكها في الخيط؟ فقالت دودة بيضاء أنا لها يارسول الله فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال سليمان: ما حاجتك؟ فقالت: تجعل رزقي في الفواكه، قال: لك ذلك، ثم ميّز بين الجواري والغلمان، بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه، والغلام كما يأخذه من الآنية يضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب الماء على بطن ساعدها، والغلام على ظهر الساعد، وكانت الجارية تصب الماء صباً وكان الغلام يحدر الماء على يديه حدراً، فميّز بينهم بذلك، ثم ردّ سليمان الهدية، كما قال الله تعالى :

﴿**فلما جاء سليمان قال أتمِدُّونَنِ بمالٍ**﴾، قرأ حمزة، ويعقوب: ﴿**أتمدوني**﴾ بنون واحدة مشددة وإثبات الياء، وقرأ الآخرون: بنونين خفيفين، ويثبت الياء أهل الحجاز والبصرة، والآخرون يحذفونها، ﴿**فما آتاني الله**﴾، أعطاني الله من النبوة والدين والحكمة والملك، ﴿**خير**﴾ أفضل، ﴿**مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون**﴾، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها، تفرحون بإهداء بعضكم لبعض، فأما أنا فلا أفرح بها، وليست الدنيا من حاجتي، لأن الله تعالى قد مكنني فيها وأعطاني منها مالم يعط أحداً، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة، ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد :

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨﴾

﴿ارجعْ إليهم﴾، بالهدية، **﴿فلنأتينّهم بجنود لا قِبَلَ لهم﴾**، لا طاقة لهم، **﴿بها ولنخرجنّهم منها﴾**، أي: من أرضهم وبلادهم وهي سبأ، **﴿أذلةً وهم صاغرون﴾**، ذليلون إن لم يأتوني مسلمين .

قال وهب وغيره من أهل الكتب: فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان، قالت: قد عرفت ـ والله ـ ما هذا بملك وما لنا به طاقة، فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك، ثم أمرت بعرشها فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور لها، ثم أغلقت دونه الأبواب، ووكلت به حراساً يحفظونه، ثم قالت لمن خلفت على سلطانها: احتفظ بما قِبَلِك وسرير ملكي، لا يخلص إليه أحد ولا يرينَّه حتى آتيك، ثم أمرت منادياً ينادي في أهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل، وشخصت إلى سليمان في اثنى عشر ألف قَيْل من ملوك اليمن، تحت يدي كلِّ قيل ألوفٌ كثيرة .

قال ابن عباس: وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يُبْتَدَأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فخرج يوماً فجلس على سرير ملكه، فرأى رهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس وقد نزلت منا بهذا المكان، وكان على مسيرة فرسخ من سليمان، قال ابن عباس: وكان بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ، فأقبل سليمان حينئذ على جنوده .

﴿قال يا أيها الملأُ أيُّكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾، أي: مؤمنين، وقال ابن عباس: طائعين .

واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها، فقال أكثرهم: لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها، فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها[(١)] .

وقيل: ليُريها قدرة الله عز وجل وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها[(٢)] .

---

(١) رواه الطبري (١٩/١٦٠) عن قتادة .

(٢) وهو ما رجحه الطبري: (١٩/١٦١) قال: ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرّفها بذلك قدرةَ الله وعظيمَ شأنه، أنها خلّفته في بيت في جوف أبيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليه من خلقه، وسلّمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته» .
وانظر: القرطبي: ٢٠٢/١٣، ابن كثير: ٣٦٤/٣، زاد المسير: ١٧٣/٦ .

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

وقال قتادة: لأنه أعجبته صفته لما وصفه الهدهد، فأحب أن يراه[١].

قال ابن زيد: أراد أن يأمر بتنكيره وتغييره ليختبر بذلك عقلها[٢].

﴿**قال عفريتٌ من الجن**﴾، وهو المارد القوي، قال وهب: اسمه كوذي[٣]، وقيل: ذكوان، قال ابن عباس: العفريت الداهية. وقال الضحاك: هو الخبيث. وقال الربيع: الغليظ، قال الفرّاء: القوي الشديد، وقيل: هو صخرةُ الجنّي، وكانَ بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه، ﴿**أنا ءاتيك به قبل أن تقوم من مقامك**﴾، أي: من مجلسك الذي تقضي فيه، [قال ابن عباس: وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه][٤] إلى منتهى النهار، ﴿**وإني عليه**﴾، أي: على حمله، ﴿**لقوي أمين**﴾، على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان: أريد أسرع من هذا.

٥٧/ب فـ ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب**﴾ /، واختلفوا فيه فقال بعضهم[٥]: هو جبريل. وقيل: هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان عليه السلام.

وقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا، وكان صدّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى.

روى جويبر، ومقاتل، عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن آصف قال لسليمان حين صلى: مدّ عينيك حتى ينتهي طرفك، فمدّ سليمان عينيه، فنظر نحو اليمين، ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدون به خداً حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان.

---

(١) ذكره القرطبي عن قتادة أيضاً، انظر: ٢٠٣/١٣.

(٢) أخرجه الطبري: ١٦٠/١٩-١٦١، وانظر: القرطبي: ٢٠٣/١٣، زاد المسير: ١٧٣/٦، وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضاً.

(٣) في الطبري عن وهب قال: اسمه كوزن، وليس في ذلك خبر صحيح عن المعصوم ﷺ ولا فائدة من البحث في معرفة هذا الإسم والله أعلم.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٥) انظر هذه الأقوال في: الطبري: ١٦٢/١٩-١٦٣، الدر المنثور: ٣٦٠/٦-٣٦١، زاد المسير: ١٧٥/٦، ابن كثير: ٣٦٥/٣.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾

وقال الكلبي: خرّ آصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغاب عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان. وقيل: كانت المسافة مقدار شهرين.

واختلفوا في الدعاء [الذي دعا به][1] آصف، فقال مجاهد، ومقاتل: ياذا الجلال والإكرام. وقال الكلبي: ياحي ياقيوم. وروي ذلك عن عائشة. وروي عن الزهري قال: دعاء الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائتني بعرشها.

وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان، قال له عالم من بني إسرائيل آتاه الله علماً وفهماً: **﴿أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طَرْفك﴾**، قال سليمان: هات، قال: أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك، فإن دعوتَ الله وطلبت إليه كان عندك، فقال: صدقت، ففعل ذلك، فجيء بالعرش في الوقت.

وقوله تعالى: **﴿قبل أن يرتدّ إليك طرفُك﴾**، قال سعيد بن جبير: يعني: من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى، وهو أن يصل إليك من كان منك على مدّ بصرك. قال قتادة: قبل أن يأتيك الشخص من مدّ البصر. وقال مجاهد: يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئاً. وقال وهب: تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه، حتى أمثله بين يديك، **﴿فلما رآه﴾**، يعني: رأى[2] سليمان العرش، **﴿مستقراً عنده﴾**، محمولاً إليه من مأرب إلى[2] الشام في قدرِ ارْتدادِ[3] الطرف، **﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكرُ﴾**، نعمته، **﴿أم أكفرُ﴾**، [فلا أشكرها][4]، **﴿ومن شكرَ فإنّما يشكر لنفسه﴾**، أي: يعود نفع شكره إليه، وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قَيْدُ النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة، **﴿ومن كفر فإن ربي غني﴾**، عن شكره، **﴿كريم﴾**، بالإفضال على من يكفر نعمه.

قوله تعالى: **﴿قال نكّروا لها عرشها﴾**، يقول: غيّروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته، قال قتادة ومقاتل: هو أن يزاد فيه وينقص، وروى أنه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله، وجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر، **﴿ننظرْ أتهتدي﴾**، إلى عرشها فتعرفه، **﴿أم تكون من﴾**، الجاهلين، **﴿الذين لا يهتدون﴾**، إليه، وإنما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) ساقط من «أ».
(٣) في «أ»: إمداد.
(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾

وغيرهما: أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشى إليه أسرار الجن وذلك أن أمها كانت جنية، وإذا ولدت له ولداً لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده، فأساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها، وقالوا: إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار وأنها شعراء الساقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر إلى قدميها ببناء الصرح(1) .

﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشكِ قالت كأنه هو﴾، قال مقاتل: عرفته لكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها. وقال عكرمة: كانت حكيمة لم تقل: نعم، خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا، خوفاً من التكذيب، قالت: كأنه هو، فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر .

وقيل اشتبه عليها أمر العرش، لأنها تركته في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها، وقيل لها: فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب، فقال: ﴿وأوتينا العلم﴾، بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسل، ﴿من قبلها﴾، من قبل الآية في العرش ﴿وكنّا مسلمين﴾، منقادين طائعين لأمر سليمان .

وقيل قوله: «وأوتينا العلم من قبلها» قاله سليمان، يقول: وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة، وكنّا مسلمين، هذا قول مجاهد(2) .

وقيل: معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنّا مسلمين طائعين لله عزّ وجلّ .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وصدّها ما كانت تعبد من دون الله﴾، أي: منعها ما كانت تعبد من دون الله، وهو الشمس، أن تعبد الله، أي: صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله، فعلى هذا التأويل يكون ﴿ما﴾ في محل الرفع(3) .

(١) هذه الروايات من الاسرائيليات المكذوبة على أنبياء الله تعالى، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله، بعد أن ذكر بعض المرويات في ذلك (٣/٣٦٧) : «والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن، ومما حُرِّف وبُدِّل ونسخ، وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ، ولله الحمد والمنة» .

(٢) أخرجه الطبري: ١٩/١٦٧ وهو قول سعيد بن جبير، واستحسنه ابن كثير: ٣/٣٦٦، وأيده بأنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح .

(٣) انظر: الطبري ١٩/١٦٧، الدر المنثور: ٦/٣٦٢ .

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

وقيل: معناه [صدها عن عبادة الله لا نقصان عقلها كما قالت الجن: إن في عقلها شيئاً، بل كانت تعبد من دون الله](١) .

وقيل: معناه وصدها سليمان ما كانت تعبد من دون الله، أي: منعها ذلك وحال بينها وبينه، فيكون محل «ما» نصباً .

﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾، هذا استئناف، أخبر الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس، فنشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس .

قوله عزّ وجلّ : ﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ الآية، وذلك أن سليمان أراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفها، لمّا قالت الشياطين: إن رجليها كحافر الحمار، وهي شَعْراء الساقين، أمر الشياطين فبنوا له صرحاً أي: قصراً من زجاج، وقيل بيتاً من زجاج كأنه الماء بياضاً، وقيل: الصرح صحن الدار، وأجرى تحته الماء، وألقى فيه كل شيء من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما، ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس. وقيل: اتخذ صحناً من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع، فكان الواحد إذا رآه ظنه ماء .

وقيل: إنما بنى الصرح ليختبر فهمها كما فعلت هي بالوصفاء والوصائف(٢) فلما جلس على السرير دعا بلقيس، فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح .

---

(١) جاءت العبارة في «ب» هكذا: وصدّها هذا عن عبادة الله ما كانت تعبد من دون الله .

(٢) راجع ما نقلناه عن ابن كثير تعليقاً على هذه الروايات آنفاً .

وقال الطبري: (١٩/١٦٩): «وجائز عندي أن يكون سليمان أمر باتخاذ الصرح للأمرين؛ الذي قاله وهب، والذي قاله محمد بن كعب القرظي، ليختبر عقلها وينظر إلى ساقها وقدمها، ليعرف صحة ما قيل فيها» .

والحق أن سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أراد ببنائه الصرح: أن يريها عظمة ملكه وسلطانه، وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أعطاه من الملك، ومن أسباب العمران والحضارة مالم يعطها، فضلاً عن النبوة التي هي فوق الملك، والتي دونها أية نعمة، وحاشا لسليمان ـ عليه السلام ـ وهو الذي سأل الله أن يعطيه حكماً يوافق حكمه ـ أي الله، فأوتيه ـ أن يتحايل هذا التحايل، حتى ينظر إلى ما حرم الله عليه، وهما ساقاها، وهو أجلّ من ذلك وأسمى .

ولولا أنها رأت من سليمان ما كان عليه من الدين المتين، والخلق الرفيع، لما أذعنت إليه لما دعاها إلى الله الواحد الحق، ولما ندمت على ما فرط منها من عبادة الكواكب والشمس، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

انظر: الاسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبة

٥٨/أ ﴿فلما رأته حسبته لُجةً﴾ /، وهي معظم الماء، ﴿وكشفت عن ساقيها﴾، لتخوضه إلى سليمان، فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدماً وساقاً إلاّ أنها كانت شعراء الساقين، فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنه وناداها[1]، ﴿قال إنه صرح ممرد﴾، مملس مستو، ﴿من قوارير﴾، وليس بماء، ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام، وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت، و﴿قالت ربِّ إني ظلمتُ نفسي﴾، بالكفر. وقال مقاتل: لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله فقالت: ربِّ إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك، ﴿وأسلمتُ مع سليمان لله ربِّ العالمين﴾، أي: أخلصت له التوحيد .

وقيل: إنها لما بلغت الصرح وظنته لجة، قالت في نفسها: إن سليمان يريد أن يغرقني، وكان القتل علي أهون من هذا، فقولها: «ظلمت نفسي» تعني بذلك الظن .

واختلفوا في أمرها بعد إسلامها، قال عون بن عبدالله : سأل رجل عبدالله بن عتبة: هل تزوجها سليمان؟ قال: انتهى أمرها إلى قولها: أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، يعني: لا علم لنا وراء ذلك .

وقال بعضهم: تزوجها، ولما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها، فسأل الإنس: ما يذهب هذا؟ قالوا: الموسى، فقالت المرأة: لم تمسني حديدة قط، فكره سليمان الموسى، وقال: إنها تقطع ساقيها، فسأل الجن فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين فقالوا: إنا نحتال لك حيلة حتى تكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا النورة والحمام، فكانت النورة والحمامات من يومئذ[2]، فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً، وأقرّها على ملكها، وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم يَرَ الناسُ مثلها ارتفاعاً وحسناً، وهي: سلحين، وبينون، وعمدان. ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام، يبتكر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام، وولدت له فيما ذكر وروي عن وهب قال: زعموا أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك أزوجكه، قالت: ومثلي يانبي الله تنكح الرجال وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان؟ قال: نعم، إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك، ولا ينبغي لك أن تحرّمي ما أحل الله لك، فقالت: زوجني إن كان ولابدّ من ذلك ذا تُبَّع ملك همذان فزوجه إياها، ثم ردها إلى اليمن، وسلط زوجها ذا تبع على اليمن، ودعا زوبعة أمير جن اليمن، فقال: اعمل لذي تبع ما

---

(١) ساقط من « أ » .

(٢) هذا وأمثاله من مفتريات يهود الذين يصورون الأنبياء وكأنهم لا همَّ لهم إلا اللذة والاحتيال لإزالة شعر الساقين إظهاراً للمحاسن وإرواءً للشهوة .

وقد روى ابن أبي شيبة أثراً في ذلك، قال عنه ابن كثير: (٣/٣٦٧) «هو منكر غريب جداً، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس، والله أعلم، والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم..» .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧)﴾

استعملك فيه، فلم يزل بها ملكاً يعمل له فيها ما أراد حتى مات سليمان، فلما أن حال الحول، وتبينت الجن موتَ سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته: يامعشر الجن إن الملك سليمان قد مات، فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا، وانقضى ملك ذي تبع، وملك بلقيس مع ملك سليمان(١) .

وقيل: إن الملك وصل إلى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمودَ أخاهم صالحاً أنِ﴾، [أي: أنِ](٢)، ﴿اعبدوا الله﴾، وحده، ﴿فإذا هم فريقان﴾، [مؤمن وكافر](٢)، ﴿يختصمون﴾، في الدين، قال مقاتل: واختصامهم ما ذكر في سورة الأعراف: «قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم»، إلى قوله: «يا صالح ائتِنَا بِمَا تَعِدُنا إنْ كنتَ من المرسلين» (الأعراف ـ ٧٥ـ٧٧) .

فـ ﴿قال﴾، لهم صالح، ﴿ياقوم لِمَ تستعجلون بالسيئة﴾، بالبلاء والعقوبة، ﴿قبلَ الحسنة﴾، العافية والرحمة، ﴿لولا﴾، هلا ﴿تستغفرون الله﴾، بالتوبة من كفركم، ﴿لعلّكم ترحمون﴾ .

﴿قالوا اطّيّرنا﴾، أي: تشاءمنا، وأصله: تطيرنا، ﴿بك وبمن معك﴾، قيل: إنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم. وقيل: لأنه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا، فقالوا: أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك. ﴿قال طائركم عند الله﴾، أي: ما يصيبكم من الخير والشر عند الله بأمره، وهو مكتوب عليكم، سمي طائراً لسرعة نزوله بالإنسان، فإنه لا شيء أسرع من قضاء محتوم. قال ابن عباس: الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم .

وقيل: طائركم أي: عملكم عند الله، سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء .

﴿بل أنتم قوم تُفتَنون﴾، قال ابن عباس: تختبرون بالخير والشر، نظيره قوله تعالى: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة» (الأنبياء ـ ٣٥)، وقال محمد بن كعب القرظي: تعذبون .

---

(١) انظر ما سبق نقلاً عن الحافظ ابن كثير رحمه الله تعليقاً على هذه المرويات .
(٢) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى : ﴿**وكان في المدينة**﴾ يعني: مدينة ثمود، وهي الحِجْر، ﴿**تسعةُ رهطٍ**﴾، من أبناء أشرافهم، ﴿**يفسدون في الأرض ولا يصلحون**﴾، وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة، وهم غواة قوم صالح، ورأسهم قدار بن سالف، وهو الذي تولى عقرها، كانوا يعملون بالمعاصي .

﴿**قالوا تقاسموا بالله**﴾، تحالفوا، يقول بعضهم لبعض: أي: احلفوا بالله أيها القوم. وموضع «تقاسموا» جزم على الأمر، وقال قوم: محله نصب على الفعل الماضي، يعني: أنهم تحالفوا وتواثقوا، تقديره: قالوا متقاسمين بالله، ﴿**لَنُبَيِّتَنَّهُ**﴾، أي: لنقتلنّه بَيَاتاً أي: ليلاً، ﴿**وأهله**﴾، **أي:** وقومه الذين أسلموا معه، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي «لتبيتنه» و«لتقولن» بالتاء فيهما وضم لام الفعل على الخطاب، وقرأ الآخرون بالنون فيهما وفتح لام الفعل، ﴿**ثم لنقولَنّ لوليه**﴾، أي: لولي دمه، ﴿**ما شهدنا**﴾، ما حضرنا، ﴿**مَهْلِكَ أهله**﴾، أي: إهلاكهم، ولا ندري من قتله، ومَنْ فتح الميم فمعناه هلاك أهله، ﴿**وإنّا لصادقون**﴾، في قولنا ما شهدنا ذلك .

﴿**ومكروا مكراً**﴾، غدروا غدراً حين قصدوا تبييت صالح والفتك به، ﴿**ومكرنا مكراً**﴾، جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم، ﴿**وهم لا يشعرون**﴾ .

﴿**فانظرْ كيفَ كان عاقبةُ مكرهم أنّا**﴾، قرأ أهل الكوفة «أنا» بفتح الألف رداً على العاقبة،
٥٨/ب أي: كانت العاقبة أنّا دمرناهم، وقرأ الآخرون: / «إنا» بالكسر على الاستئناف، ﴿**دمرناهم**﴾، أي: أهلكناهم التسعة .

واختلفوا في كيفية هلاكهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه، فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلهم. قال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم .

﴿**وقومهم أجمعين**﴾، أهلكهم الله بالصيحة .

﴿**فتلك بيوتُهم خاويةً**﴾، نصب على الحال أي: خالية، ﴿**بما ظلموا**﴾، أي: بظلمهم وكفرهم،

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾
وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ
ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟
ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

﴿**إنّ في ذلك لآية**﴾، لعبرة، ﴿**لقوم يعلمون**﴾، قدرتنا .

﴿**وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾، يقال: كان الناجون منهم أربعة آلاف .

قوله تعالى : ﴿**ولوطاً إذ قال لقومهِ أتأتونَ الفاحشةَ**﴾، وهي الفعلة القبيحة، ﴿**وأنتم تبصرون**﴾، أي: تعلمون أنها فاحشة. وقيل: معناه يرى بعضكم بعضاً وكانوا لا يستترون عُتوّاً منهم .

﴿**أئنكم لتأتون الرجالَ شهوةً من دونِ النساء بل أنتم قوم تجهلون**﴾ .

﴿**فما كان جوابَ قومه إلاّ أن قالوا أخرِجوا آلَ لوط من قريتكم إنهم أُناس يتطهرون**﴾، من أدبار الرجال .

﴿**فأنجيناه وأهلَه إلا أمرأتَهُ قدّرناها**﴾، قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا، ﴿**من الغابرين**﴾، أي: الباقين في العذاب .

﴿**وأمطرنا عليهم مطراً**﴾، وهو الحجارة، ﴿**فساء**﴾، فبئس، ﴿**مطر المنذَرين**﴾ .

قوله تعالى: ﴿**قل الحمدُ لله**﴾، هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية. وقيل: على جميع نعمه. ﴿**وسلامٌ على عباده الذين اصطفى**﴾، قال مقاتل: هم الأنبياء والمرسلون(١)، دليله قوله عزّ وجلّ : «وسلام على المرسلين» .

---

(١) وهو مروي عن عبدالرحمن بن زيد، ورواه أبو صالح عن ابن عباس .
انظر: زاد المسير: ١٨٤/٦، ابن كثير: ٣٧٠/٣ .

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)﴾

وقال ابن عباس في رواية أبي مالك هم أصحاب محمد ﷺ[(١)]. وقال الكلبي: هم أمة محمد ﷺ[(٢)].

وقيل: هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين[(٣)].

﴿آللَّهُ خيرٌ أمّا يُشركون﴾، قرأ أهل البصرة وعاصم: ﴿يشركون﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، يخاطب أهل مكة، وفيه إلزام الحجة على المشركين بعد هلاك الكفار، يقول: آلله خير لمن عبده، أم الأصنام لمن عبدها؟ والمعنى: أن الله نجّى مَنْ عَبَدَهَ مِنَ الهلاك، والأصنام لم تُغنِ شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب.

﴿أمّن خلَقَ السمواتِ والأرضَ﴾، معناه آلهتكم خيرٌ أمِ الذي خلق السموات والأرض، ﴿وأنزل لكم من السماء ماءً﴾، يعني المطر، ﴿فأنبتنا به حدائق﴾؟ بساتين جمع حديقة، قال الفرّاء: الحديقة البستان المحاط عليه، فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة، ﴿ذات بهجة﴾، أي: منظر حسن، والبهجة: الحُسن يبتهج به من يراه، ﴿ما كان لكم أن تُنبِتُوا شجرَها﴾، أي: ما ينبغي لكم، لأنكم لا تقدرون عليها. ﴿أإلهٌ معَ الله﴾، استفهام على طريق الإنكار، أي: هل معه معبود سواه أعانه على صنعه؟ بل ليس معه إله. ﴿بل هم قوم﴾، يعني كفار مكة، ﴿يعدِلُون﴾، يشركون.

﴿أمّن جعَل الأرضَ قراراً﴾، لا تميد بأهلها، ﴿وجعل خلالها﴾، وسطها[(٤)] ﴿أنهاراً﴾، تطرد بالمياه، ﴿وجعل لها رواسيَ﴾، جبالاً ثوابت، ﴿وجعل بين البحرين﴾، العذب والمالح، ﴿حاجزاً﴾،

---

(١) رواه الطبري عن ابن عباس وسفيان الثوري وهو رواية السدي.
قال ابن كثير: ولا منافاة بينهما، فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى، فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى، والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد، وما أحلّ بأعدائه من الخزي والنكال والقهر، أن يحمدوه على جميع أفعاله، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار.
انظر: الطبري: ٢٠/٢، زاد المسير: ١٨٥/٦، الدر المنثور: ٣٧٠/٦ تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٣، معاني القرآن للنحاس: ١٤٣/٥.
(٢) انظر: زاد المسير: ١٨٥/٦ فقد عزاه لابن السائب.
(٣) فيما روى عطاء عن ابن عباس: أنهم الذين وحّدوا الله وآمنوا به. انظر: زاد المسير: ١٨٥/٦ ..
(٤) ساقط من « أ ».

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾

مانعاً لئلا يختلط أحدهما بالآخر، ﴿**أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون**﴾، توحيد ربه وسلطانه.

﴿**أمّن يُجيبُ المُضطَرَّ**﴾، المكروب المجهود، ﴿**إذا دعاه ويكشفُ السوءَ**﴾، الضر[1]، ﴿**ويجعلُكم خلفاء الأرض**﴾، سكانها يهلك قرناً وينشيء آخر. وقيل: يجعل أولادكم خلفاءكم وقيل: جعلكم خلفاء الجن في الأرض. ﴿**أإلهٌ مع الله قليلاً ما تذكّرون**﴾، قرأ أبو عمرو بالياء والآخرون بالتاء[2].

﴿**أمّن يهديكم في ظلمات البرِّ والبحر**﴾، إذا سافرتم، ﴿**ومن يُرسلُ الرياحَ بُشْراً بين يدي رحمته**﴾، أي: قدام المطر، ﴿**أإله مع الله تعالى الله عمّا يشركون**﴾.

﴿**أمّن يبدأُ الخلق ثم يُعيده**﴾، بعد الموت، ﴿**ومن يرزقكم من السماء والأرض**﴾، أي: من السماء المطر ومن الأرض النبات. ﴿**أإله معَ الله قلْ هاتُوا بُرهانكم**﴾، حجتكم على قولكم أنّ مع الله إلهاً آخر. ﴿**إن كنتم صادقين**﴾.

﴿**قلْ لا يعلم مَنْ في السموات والأرض الغيبَ إلاّ الله**﴾، نزلت في المشركين حيث سألوا النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة[3]، ﴿**وما يشعرون أيّان يُبعثون**﴾.

---

(١) ينبّه الله تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال تعالى: «وإذا مسّكم الضرُّ في البحر ضلَّ من تدعون إلا إياه» وقال تعالى: «ثم إذا مسّكم الضرّ فإليه تجأرون» وهكذا قال هاهنا: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه»، أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه؟!.
انظر: تفسير ابن كثير: (٣/٣٧١-٣٧٢) وقد ساق جملة أحاديث في هذا المعنى.

(٢) أي: أإله مع الله يقدر على ذلك؟ أو أإله مع الله بعد هذا؟ وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له؟ «قليلاً ما تذكّرون»، أي: ما أقلّ تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم.
انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٣٧٢.

(٣) راجع تفسير ابن كثير: ٣/٣٧٣-٣٧٤، عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي تأليف عثمان جمعة ضميرية ص (٧٨-٨١) و(٨٦-٩١)..

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)﴾

﴿بلِ ادّاراك علمُهم﴾، قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: «أدرك» على وزن أفعل أي: بلغ ولحق، كما يقال: أدركه علمي إذا لحقه وبلغه، يريد: ما جهلوا في الدنيا وسقط علمُه عنهم علِمُوه في الآخرة. قال مجاهد: يدرك علمهم، ﴿في الآخرة﴾، ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم. قال مقاتل: بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوّا وعمُوا عنه في الدنيا وهو قوله: ﴿بلْ هم في شك منها﴾، يعني: هم اليوم في شك من الساعة، وقرأ الآخرون: «بل ادّراك» موصولاً مشدداً مع ألف بعد الدال المشددة، أي: تدارك وتتابع علمهم في الآخرة وتلاحق.

وقيل: معناه اجتمع علمهم في الآخرة أنها كائنة، وهم في شك في وقتهم، فيكون بمعنى الأول.

وقيل: هو على طريق الاستفهام، معناه: هل تدارك وتتابع علمهم بذلك في الآخرة؟ أي: لم يتتابع وضل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد يدل عليه.

قراءة ابن عباس «بلى» بإثبات الياء، «أدّارك» بفتح الألف على الاستفهام، أي: لم يدرك، وفي حرف أُبيّ «أم تدارك علمهم»، والعرب تضع «بل» موضع «أم» و«أم» موضع «بل»(١).

وجملة القول فيه: أن الله أخبر أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب، وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا.

وذكر علي بن عيسى أن معنى «بل» هاهنا: «لو» ومعناه: لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة / لم يشكوا. ٨٦/أ

قوله عزّ وجلّ: ﴿بل هم في شك منها﴾، بل هم اليوم في الدنيا في شك من الساعة. ﴿بل هم منها عَمُونَ﴾، جمع عمٍ، وهو الأعمى القلب. قال الكلبي: يقول هم جهلة بها.

﴿وقال الذين كفروا﴾، يعني مشركي مكة، ﴿أئذا كنّا تراباً وآباؤنا أئنّا لَمُخْرَجُونَ﴾، من قبورنا أحياء، قرأ أهل المدينة: «إذا» غير مستفهم، «أئنّا» بالاستفهام، وقرأ ابن عامر، والكسائي: «أإذا» بهمزتين، [«أإننا» بنونين، وقرأ الآخرون باستفهامها.

﴿لقد وُعدنا هذا﴾، أي: هذا البعث،](٢) ﴿نحن وآباؤنا من قبل﴾، أي: من قبل محمد،

---

(١) انظر في المعاني والقراءات السابقة: الطبري: ٢٠/٦-٨.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا
الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

وليس ذلك بشيء ﴿**إن هذا**﴾، ما هذا، ﴿**إلا أساطير الأولين**﴾، أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها.

﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين**﴾.

﴿**ولا تحزنْ عليهم**﴾، على تكذيبهم إياك وإعراضهم عنك، ﴿**ولا تكنْ في ضيق مما يمكرون**﴾، نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة.

﴿**ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾.

﴿**قلْ عسى أن يكون رَدِفَ**﴾، أي: دنا وقرب، ﴿**لكم**﴾، وقيل: تَبِعَكم، والمعنى: ردفكم، أدخل اللام كما أدخل في قوله «لربهم يرهبون» (الأعراف ـ ١٥٤)، قال الفراء: اللام صلة زائدة، كما تقول: نقدته مائة، ونقدت له ﴿**بعضُ الذي تستعجلون**﴾، من العذاب، فحلَّ بهم ذلك يوم بدر.

﴿**وإن ربَّك لذُو فضلٍ على الناس**﴾، قال مقاتل: على أهل مكة حيث لم يعجل عليهم العذاب، ﴿**ولكن أكثرهم لا يشكرون**﴾، ذلك.

﴿**وإنّ ربك ليعلم ما تكن**﴾، ما تخفي(١)، ﴿**صدورهم وما يعلنون**﴾.

﴿**وما من غائبة**﴾، أي: جملة غائبة من مكتوم سرٍ، وخفيِّ أمرٍ، وشيءٍ غائب، ﴿**في السماء والأرض إلاّ في كتاب مبين**﴾، أي: في اللوح المحفوظ.

﴿**إنّ هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل**﴾، أي: يبيّن لهم، ﴿**أكثر الذي هم فيه يختلفون**﴾، من أمر الدين، قال الكلبي: إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يطعن بعضهم على

(١) ساقط من «أ».

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا
تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

بعض، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه .

﴿**وإنه**﴾، يعني القرآن، ﴿**لهدًى ورحمةٌ للمؤمنين**﴾ .

﴿**إنّ ربك يقضي**﴾، يفصل[1]، ﴿**بينهم**﴾، أي: بين المختلفين في الدين يوم القيامة، ﴿**بحكمه**﴾، الحق، ﴿**وهو العزيز**﴾، المنيع فلا يرد له أمر، ﴿**العليم**﴾، بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء .

﴿**فتوكل على الله إنّك على الحق المبين**﴾، البيّن .

﴿**إنك لا تُسْمِع الموتى**﴾، يعني الكفار، ﴿**ولا تُسمِع الصمَّ الدعاءَ**﴾، قرأ ابن كثير: «لا يَسْمَع» بالياء وفتحها وفتح الميم «الصُّمُّ» رفع، وكذلك في سورة الروم، وقرأ الباقون بالتاء وضمها وكسر الميم، «الصُّمَّ» نصب. ﴿**إذا ولّوا مدبرين**﴾، معرضين .

فإن قيل ما معنى قوله: ﴿**ولّوا مدبرين**﴾، وإذا كانوا صماً لا يسمعون[1] سواء ولّوا أو لم يولوا؟ .

قيل: ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة .

وقيل: الأصم إذا كان حاضراً فقد يسمع برفع الصوت ويفهم بالإشارة، فإذا ولّى لم يسمع ولم يفهم. قال قتادة: الأصم إذا ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان .

ومعنى الآية: أنهم لفرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه، والأصم الذي لا يسمع .

﴿**وما أنت بهادي العُمْي**﴾، قرأ الأعمش، وحمزة: «تهدي» بالتاء وفتحها على الفعل «العمي» بنصب الياء هاهنا وفي الروم. وقرأ الآخرون بهادي بالباء على الاسم، «العمي» بكسر الياء، ﴿**عن ضلالتهم**﴾، أي: ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان، ﴿**إنْ تُسْمِعُ**﴾، ما تسمع، ﴿**إلاّ من يُؤمنُ بآياتنا**﴾، إلاّ من يصدق بالقرآن أنه من الله، ﴿**فهم مسلمون**﴾، مخلصون .

---

(١) ساقط من « أ » .

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾

قوله تعالى : ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾، وجب العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم، ﴿أخرجنا لهم دابَّةً من الأرض تكلمُهم﴾، واختلفوا في كلامها، فقال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام .

وقال بعضهم: كلامها أن تقول لواحدٍ: هذا مؤمن، وتقول لآخر: هذا كافر[1] .

وقيل كلامها ما قال الله تعالى: ﴿أن الناس كانوا بآياتنا لا يُوقِنُون﴾ .

قال مقاتل تكلمهم بالعربية، فتقول: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث .

قرأ أهل الكوفة: «أن الناس» بفتح الألف، أي: بأن الناس، وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف، أي: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل خروجها .

قال ابن عمر: وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر[2] .

وقرأ سعيد بن جبير، وعاصم الجحدري، وأبو رجاء العطاردي: «تَكْلمهم» بفتح التاء وتخفيف اللام من «الكَلْم» وهو الجرح .

قال أبو الجوزاء : سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية: «تُكَلِّمُهم أو تَكْلِمُهم»؟ قال: كل ذلك تفعل، تُكَلِّم المؤمن، وتَكْلِمُ الكافر[3] .

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا إسماعيل بن جعفر، أخبرنا العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «بادرُوا بالأعمال ستاً : طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، وخاصة أحدكم، وأمر العامة»[4] .

أخبرنا إسماعيل بن عبدالله، أخبرنا عبدالغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا

---

(١) ذكر أبو حيان القولين في البحر المحيط: ٩٧/٧ .

(٢) الطبري: ١٤/٢٠، الدر المنثور: ٣٧٧/٦ موقوفاً، وروي مرفوعاً عند ابن مردويه .

(٣) واستحسنه ابن كثير: (٣٧٥/٣) قال: وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم. وانظر: الدر المنثور: ٣٧٨/٦ .

(٤) أخرجه مسلم في الفتن، باب في بقية أحاديث الدجال، برقم (٢٩٤٧): ٢٢٦٧/٤، والمصنف في شرح السنة: ٤٤/١٥ .

محمد بن بشر، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ: «إن أوّل الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحًى وأيّهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً»(١) .

وأخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد ابن فنجويه، أخبرنا أبو بكر بن خرجة، أخبرنا محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي، أخبرنا هشيم ابن حماد، أخبرنا عمرو بن محمد العبقري، عن طلحة بن عمرو، عن عبدالله بن عمير الليثي، عن أبي سريحة الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج خروجاً بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية / ولا يدخل ذكرها القرية»، يعني مكة، «ثم تمكث زماناً طويلاً، ٥٩/ب
ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة، فيفشو ذكرها بالبادية، ويدخل ذكرها القرية ـ يعني مكة ـ فبينا الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله عزّ وجلّ ـ يعني المسجد الحرام ـ لم يرعهم إلاّ وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو» كذا قال ابن عمر، وما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفضّ الناس عنها وثبتت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية، ثم ولّت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب، حتى أن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يافلان الآن تصلي؟ فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه، فيتجاوز الناس في ديارهم، ويصطحبون في أسفارهم، ويشتركون في الأموال، يُعرف الكافر من المؤمن، فيقال للمؤمن: يامؤمن، ويقال للكافر: ياكافر»(٢) .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسن بن محمد، أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، أخبرنا أبي، حدثنا بهز، حدثنا حماد، هو ابن أبي سلمة، أخبرنا علي بن زيد، عن أوس بن خالد، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم(٣) أنف الكافر

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن، باب خروج الدجال (٢٩٤١): ٤/٢٢٦٠، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٩٣ .

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٢٠/١٤-١٥ موقوفاً، ورفعه الحاكم: ٤/٤٨٤، قال الذهبي: «وفيه طلحة بن عمرو، ضعفوه وتركه أحمد»، وقال في الميزان: (٢/٣٤٠-٣٤٢): «ضعفه ابن معين وغيره، وقال البخاري وابن المديني: ليس بشيء» . وأخرجه الطيالسي في المسند ص (١٤٤)، وعزاه الهيثمي في المجمع (٨/٧) للطبراني، وزاد السيوطي في الدر (٦/٣٨١) نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، وانظر: الفتح السماوي: ٢/٨٩١-٨٩٢ .

(٣) في «أ» تختم .

بالخاتم، حتى أن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يامؤمن ويقول هذا ياكافر»[١] .

وروي عن علي قال: ليست بداية لها ذنب، ولكن لها لحية، كأنه يشير إلى أنه رجل[٢] والأكثرون على أنها دابة .

وروى ابن جريج عن أبي الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس الثور وعينها عين الخنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيّل، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر[٣]، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً، ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، فلا يبقى مؤمن إلاّ نكتته في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء يضيء لها وجهه، ولايبقى كافر إلاّ نكتت وجهه بخاتم سليمان فيسود لها وجهه، حتى إن الناس يتبايعون في الأسواق: بكم يامؤمن؟ بكم ياكافر؟ ثم تقول له الدابة: يافلان أنت من أهل الجنة، ويافلان أنت من أهل النار، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض**﴾ الآية[٤] .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني عقيل بن محمد الجرجاني الفقيه، أخبرنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغدادي، أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، أخبرنا أبو كريب، أخبرنا الأشجعي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن ابن عمر قال: تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها[٥] .

وبه عن محمد بن جرير الطبري قال: حدثني [عصام بن داود][٦] بن الجراح، حدثنا أبي، حدثنا سفيان بن سعيد، أخبرنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة، قلت: يارسول الله من أين تخرج؟ قال: «من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضرب الأرض تحتهم، وتنشق الصفا مما يلي المشعر، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدر منها رأسها ملمعة ذات وبرٍ وريش، لن يدركها

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة النمل: ٩/٤٤ وقال: «هذا حديث حسن»، وابن ماجه في الفتن، باب دابة الأرض: ٢/١٣٥١-١٣٥٢ والحاكم في المستدرك: ٤/٤٨٥-٤٨٦ وسكت عنه الذهبي، ورواه الإمام أحمد: ٢/٢٩٥، والطبري في التفسير: ٢٠/١٦. وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

(٢) انظر: ابن كثير ٣/٣٧٧، القرطبي: ١٣/٢٣٦ وروي عنه غير هذا، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن النزال بن سبرة قال: قيل لعلي بن أبي طالب: إن ناساً يزعمون أنك دابة الأرض، فقال: والله إن لدابة الأرض ريشاً وزغباً، ومالي ريش ولا زغب، وإن لها لحافر، ومالي من حافر . انظر: الدر المنثور: ٦/٣٨٢ .

(٣) في « أ »: بقر .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه، انظر: الدر المنثور ٦/٣٨٣ .

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/١٤، وعزاه السيوطي (٦/٣٨٢) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم وابن المنذر .

(٦) في « أ »: عاصم بن رواد .

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

طالب ولن يفوتها هارب، تُسمي الناس مؤمناً وكافراً، أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء، وتكتب بين عينيه كافر»[(١)] .

وروي عن ابن عباس: أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم، وقال: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه .

وعن عبدالله بن عمرو، قال: تخرج الدابة من شعب فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض ما خرجتا، فتمر بالإنسان يصلي فتقول: ما الصلاة من حاجتك، فتخطمه[(٢)] .

وعن ابن عمر قال: تخرج الدابة ليلة جَمْع، والناس يسيرون إلى مِنًى .

وعن سهيل بن صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بئس الشعب شعب أجياد»، مرتين أو ثلاثاً، قيل: ولِمَ ذلك يارسول الله؟ قال: «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها مَنْ بين الخافقين»[(٣)] .

وقال وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير، فتخبر من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون[(٤)] .

قوله تعالى : ﴿**ويوم نحشر من كل أمة فوجاً**﴾، أي: من كل قرن جماعة، ﴿**ممن يكذب بآياتنا**﴾، وليس «من» هاهنا للتبعيض، لأن جميع المكذبين يحشرون، ﴿**فهم يوزعون**﴾، يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى النار .

﴿**حتى إذا جاءُوا**﴾، يوم القيامة، ﴿**قال**﴾، الله لهم: ﴿**أكذَّبتم بآياتي ولم تُحيطوا بها علماً**﴾، ولم تعرفوها حق معرفتها، ﴿**أم ماذا كنتم تعملون**﴾، حين لم تفكروا فيها. ومعنى الآية: أكذبتم

---

(١) أخرجه الطبري: ١٥/٢٠، وقد تقدم الحديث نفسه من رواية حذيفة بن أسيد، قال الحافظ ابن كثير: (٣٧٦/٣): «رواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفاً، والله أعلم. ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً، وأن ذلك في زمان عيسى ابن مريم وهو يطوف، ولكن إسناده لا يصح». وانظر: مجمع الزوائد: ٧/٨، وفيما سبق : /

(٢) أخرجه الطبري: ١٦/٢٠، وعزاه السيوطي (٣٨٣/٦) لنعيم بن حماد في «الفتن» عن عمرو بن العاص .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٨١/١٥، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» والطبراني في «الأوسط». وفيه رباح بن عبيد الله بن عمر، وهو ضعيف. انظر: الدر المنثور: ٣٨٢/٦، مجمع الزوائد: ٧/٨ .

(٤) ويلاحظ في الروايات الآنفة أن فيها تعارضاً واختلافاً وضعفاً في كثير منها، ولذلك قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٩٦/٦-٩٧): «واختلفوا في ماهيتها - الدابة - وشكلها، ومحل خروجها، وعدد خروجها، ومقدار ما تخرج منها، وما تفعل بالناس، وما الذي تخرج به = اختلافاً مضطرباً معارضاً بعضه بعضاً، ويكذب بعضه بعضاً، فاطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح وتضييع لزمان نقله» .

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ۝٨٥ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٨٦ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾

بآياتي غير عالمين بها، ولم تفكروا في صحيتها بل كذبتم بها جاهلين ؟

﴿ووقع القول﴾، وجب العذاب، ﴿عليهم بما ظلموا﴾، بما أشركوا، ﴿فهم لا ينطقون﴾، قال قتادة: كيف ينطقون ولا حجة لهم، نظيره قوله تعالى: «هذا يوم لا ينطقون ولا يُؤذن لهم فيعتذرون» (المرسلات ـ ٣٦)، وقيل: لا ينطقون لأن أفواههم مختومة .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ألم يروا أنا جعلنا﴾، خلقنا[١]، ﴿الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾، مضيئاً[١] يبصر فيه، ﴿إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾، يصدقون فيعتبرون .

قوله تعالى : ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾، والصور قرن ينفخ فيه / إسرافيل، وقال الحسن: الصور هو القرن، وأوّل بعضهم كلامه أن الأرواح تجمع ٦٠/أ
في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الأرواح إلى الأجساد فتحيا الأجساد. وقوله: ﴿ففزع مَنْ في السمواتِ ومن في الأرض﴾، أي: فصعق، كما قال في آية أخرى: «فصعق من في السموات ومن في الأرض» (الزمر ـ ٦٨)، أي: ماتوا، والمعنى أنهم يلقى عليهم الفزع إلى أن يموتوا .

وقيل: ينفخ إسرافيل [في الصور][٢] ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين[٣] .

قوله: ﴿إلا من شاء الله﴾، اختلفوا في هذا الاستثناء، روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سأل جبريل عن قوله: ﴿إلا من شاء الله﴾، قال: هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش[٤] .

وروى سعيد بن جبير، وعطاء عن ابن عباس: هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل

---

(١) ساقط من « أ » .

(٢) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٣) روى الطبري في ذلك حديثاً مطولاً مرفوعاً : ٢٠/١٩ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر (٢٤٩/٧) لأبي يعلى، والدارقطني في «الأفراد»، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» .

الفزع إليهم(١). وفي بعض الآثار: «الشهداء ثنية الله عزّ وجلّ»(٢)، أي: الذين استثناهم الله تعالى.

وقال الكلبي، ومقاتل: يعني جبريل، ومكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، فلا يبقى بعد النفخة إلاّ هؤلاء الأربعة، ثم يقبض الله روح ميكائيل، ثم روح إسرافيل، ثم روح ملك الموت، ثم روح جبريل فيكون آخرهم موتاً جبريل عليه السلام(٣).

ويُروى أن الله تعالى يقول لملك الموت: خذ نفس إسرافيل، ثم يقول: من بقي ياملك الموت؟ فيقول: سبحانك ربي تباركتَ وتعاليتَ ياذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وميكائيل وملك الموت، فيقول: خذ نفس ميكائيل، فيأخذ نفسه، فيقع كالطود العظيم، فيقول: من بقي؟ فيقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت، بقي جبريل وملك الموت، فيقول: مت ياملك الموت، فيموت، فيقول: ياجبريل من بقي؟ فيقول: تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني، قال: ياجبريل لابد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه فيرَوى أن فضل خلقه على فضل ميكائيل كالطود العظيم على ظرب من الظراب(٤).

ويروى أنه يبقى مع هؤلاء الأربعة حملة العرش(٥)، فيقبض روح جبريل وميكائيل، ثم أرواح حملة العرش، ثم روح إسرافيل، ثم روح ملك الموت.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن علي الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا إسماعيل ابن جعفر، أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله، ثم ينفخ فيه أُخرى فأكون أول من يرفع رأسه، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان ممن استثنى الله عزّ وجلّ أم رفع رأسه قبلي؟ ومن قال أنا خير من يونس بن مَتّى فقد كذب»(٦).

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٢٥٠/٧، زاد المسير: ١٩٥/٦.

(٢) عزاه السيوطي (٢٥٠/٧) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد، عن أبي هريرة موقوفاً. وهو مروي أيضاً عن سعيد بن جبير، انظر أيضاً: معاني القرآن للنحاس: ١٤٩/٥.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٩٥/٦، الدر المنثور: ٢٥٠/٧.

(٤) رواه الفريابي، وعبد بن حميد، وأبو نصر السجزي في «الإبانة» وابن مردويه عن أنس. انظر: الدر المنثور: ٢٥٠/٧.

(٥) استثناء حملة العرش مروي عن عكرمة في الدر المنثور: ٢٥١/٧.

(٦) أخرجه البخاري في مواضع كثيرة منها، تفسير سورة الزمر، وفي الأنبياء، ومسلم في الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، برقم (٢٣٧٣): ١٨٤٣/٤-١٨٤٤، والمصنف في شرح السنة: ١٠٥/١٥. وقال: «هذا حديث متفق على صحته، أخرجاه من أوجهٍ عن أبي هريرة».

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قال الضحاك: هم رضوان، والحور، ومالك، والزبانية. وقيل: عقارب النار وحياتها[1] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وكلٌّ﴾، أي: الذين أحيوا بعد الموت، ﴿أتوه﴾، قرأ الأعمش، وحمزة، وحفص: «أتوه» مقصوراً بفتح التاء على الفعل، أي: جاءوه، وقرأ الآخرون بالمد وضم التاء كقوله تعالى : «وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً» (مريم ــ ٩٥)، ﴿داخرين﴾، صاغرين .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾، قائمة[2] واقفة، ﴿وهي تمرّ مرّ السحاب﴾، أي: تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض. فتستوي بها وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد ما بين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمتها، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر، ﴿صنع الله﴾، نصب على المصدر، ﴿الذي أتقن كل شيء﴾، أي: أحكم، ﴿إنه خبير بما تفعلون﴾، قرأ ابن كثير، وأهل البصرة: بالياء، والباقون بالتاء .

﴿من جاء بالحسنة﴾، بكلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، قال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف ولا يستثني: أن الحسنة لا إله إلا الله. وقال قتادة: بالإخلاص. وقيل: هي كل طاعة[3]، ﴿فله خير منها﴾، قال ابن عباس: فمنها يصل الخير إليه، يعني: له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب[4] والأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان فلا، لأنه ليس شيء خيراً من قوله لا إله إلا الله. وقيل: فله خير منها يعني: رضوان الله، قال تعالى : «ورضوان من الله أكبر» (التوبة ــ ٧٢)، وقال محمد بن كعب، وعبد الرحمن بن زيد: «فله خير منها» يعني:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير»: ١٩٥/٦ عن ابن شاقلا من الحنابلة، ونقل القرطبي: (٢٤١/١٣) وأبو حيان: (١٠٠/٧) عن بعض العلماء أن الصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، والكل محتمل، والله أعلم . والذي اعتمده الطبري وابن كثير أن المراد بهم الشهداء، لأحاديث أخرى وردت في ذلك، إذ الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

(٢) ساقط من « أ » .

(٣) انظر: الطبري: ٢٠/٢٢-٢٣. ولا تنافي بين هذه الأقوال فإن كلمة التوحيد «شهادة أن لا إله إلا الله» هي كلمة الإخلاص، ولا طاعة إلا بإخلاص. والله أعلم .

(٤) ساقط من « أ » .

﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
(٩٠) إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ
فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)﴾

لأضعاف، أعطاه الله تعالى بالواحدة عشراً فصاعداً(١)، وهذا حسن لأن للأضعاف خصائص، منها: أن العبد يسأل عن عمله ولا يسأل عن الأضعاف، ومنها: أن للشيطان سبيلاً إلى عمله وليس له سبيل إلى الأضعاف، ولا مطمع للخصوم في الأضعاف، ولأن الحسنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم الرب تبارك وتعالى.

﴿**وهم من فَزَعٍ يومئذٍ آمنون**﴾، قرأ أهل الكوفة: «من فزعٍ» بالتنوين «يومَئذٍ» بفتح الميم، وقرأ الآخرون بالإضافة لأنه أعم فإنه يقتضي الأمن من جميع فزع ذلك اليوم، وبالتنوين كأنه فزع دون فزع، ويفتح أهل المدينة الميم من يومئذ.

﴿**ومن جاء بالسيئة**﴾، يعني الشرك، ﴿**فكُبّتْ وجوهُهم في النار**﴾، يعني ألقوا على وجوههم، يقال: كَبَبْتُ الرجلَ: إذا ألقيته على وجهه، فانكبَّ وأكبَّ، وتقول لهم خزنة جهنم: ﴿**هل تُجْزَون إلاّ ما كنتم تعملون**﴾، في الدنيا من الشرك.

قوله تعالى: ﴿**إنما أُمرت**﴾، يقول الله لرسوله ﷺ قل إنما أمرت، ﴿**أن أعبد رب هذه البلدة**﴾، يعني: مكة، ﴿**الذي حرمها**﴾، جعلها الله حرماً آمناً، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها
٦٠/ب أحد، ولا يصاد صيدها، ولا / يختلى خلاها، ﴿**وله كل شيء**﴾، خَلْقاً وملكاً، ﴿**وأُمرت أن أكون من المسلمين**﴾، لله.

﴿**وأن أتلوَ القرآن**﴾، يعني: وأُمرت أن أتلو القرآن، ﴿**فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه**﴾، أي: نفع اهتدائه يرجع إليه، ﴿**ومن ضلّ**﴾، عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى، ﴿**فقلْ إنما أنا من المُنْذِرين**﴾، من المخوفين فليس عليّ إلاّ البلاغ. نسختها آية القتال(٢).

﴿**وقل الحمد لله**﴾، على نعمه، ﴿**سيُريكم آياته**﴾، يعني: يوم بدر، من القتل والسبي وضرب

---

(١) راجع فيما سبق تفسير سورة الأنعام: ٣/٢١٠-٢١١.
(٢) راجع فيما سبق: ١/٣٢-٣٣ تعليق (١).

الملائكة وجوههم وأدبارهم، نظيره قوله عزّ وجلّ : [«سأُريكم آياتي فلا تستعجلون» (الأنبياء ــ ٣٧)، وقال مجاهد][(١)]: سيريكم آياته في السماء والأرض وفي أنفسكم، كما قال: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم» (فصلت ــ ٥٣)، ﴿**فتعرفونها**﴾، يعني: تعرفون الآيات والدلالات، ﴿**وما ربك بغافل عمّا تعملون**﴾، وعدهم بالجزاء على أعمالهم .

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

سُورَةُ القَصَصِ

سُورَةُ القَصَصِ

مكية إلاّ قوله عزّ وجلّ : ﴿**الذين آتيناه الكتاب**﴾، إلى قوله: ﴿**لا نبتغي الجاهلين**﴾، وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة، وهي قوله عزّ وجلّ : ﴿**إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد**﴾(١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾

﴿**طسٓمٓ**﴾ .

﴿**تلك آياتُ الكتابِ المبين**﴾ .

﴿**نتلوا عليك من نبأ موسىٰ وفرعونَ بالحقِّ**﴾، بالصدق، ﴿**لقومٍ يؤمنون**﴾، يصدقون بالقرآن .

﴿**إنّ فرعون علا**﴾، استكبر وتجبّر وتعظّم، ﴿**في الأرض**﴾، أرض مصر، ﴿**وجعل أهلها شيَعاً**﴾. فِرَقاً وأصنافاً في الخدمة والتسخير، ﴿**يستضعف طائفةً منهم**﴾، أراد بالطائفة: بني إسرائيل، ثم فسّر الاستضعاف فقال: ﴿**يُذبِّح أبناءَهم ويستحيي نساءَهم**﴾. سمّىٰ هذا استضعافاً لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، ﴿**إنه كان من المفسدين**﴾ .

(١) انظر: الدر المنثور: ٦/٣٨٩، زاد المسير: ٦/٢٠٠ .

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝٦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾

﴿ونريد أنْ نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض﴾، يعني: بني إسرائيل، **﴿ونجعلهم أئمةً﴾**، قادة في الخير يقتدى بهم. وقال قتادة: ولاة وملوكاً، دليله: قوله عزّ وجلّ: «وجعلكم ملوكاً» (المائدة ـ ٢٠)، وقال مجاهد: دعاة إلى الخير. **﴿ونجعلهم الوارثين﴾**، يعني: أملاك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم.

﴿ونمكّنَ لهم في الأرض﴾، نوطّن لهم في أرض مصر والشام، ونجعلها لهم مكاناً يستقرون فيه، **﴿ونُرِيَ فرعونَ وهامانَ وجنودهما﴾**، قرأ الأعمش، وحمزة، والكسائي: «ويرى» بالياء وفتحها، **﴿فرعون وهامان وجنودهما﴾**، مرفوعات على أن الفعل لهم، وقرأ الآخرون بالنون وضمها، وكسر الراء، ونصب الياء ونصب ما بعده، بوقوع الفعل عليه، **﴿منهم ما كانوا يحذرون﴾**، والحذر هو التوقي من الضرر، وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل فكانوا على وَجَلٍ منه، فأراهم الله ما كانوا يحذرون.

﴿وأوحينا إلى أمِّ موسى﴾. وهو وحي إلهام لا وحي نبوة، قال قتادة: قذفنا في قلبها[(1)]، وأم موسى يوخابذ بنت لاوى بن يعقوب، **﴿أنْ أرضعيه﴾**، واختلفوا في مدة الرضاع، قيل: ثمانية أشهر. وقيل: أربعة أشهر. وقيل: ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حجرها، وهو لا يبكي ولا يتحرك[(2)]، **﴿فإذا خِفْتِ عليه﴾**، يعني: من الذبح، **﴿فألقيه في اليمّ﴾**، واليم: البحر، وأراد هاهنا النيل، **﴿ولا تخافي﴾**، قيل: لا تخافي عليه من الغرق، وقيل: من الضيعة، **﴿ولا تحزني﴾**، على فراقه، **﴿إنا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾**، روى عطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال[(3)]:

(١) انظر: الطبري: ٢٠/٢٩ـ٣٠.

(٢) قال الإمام الطبري (٢٠/٣٠): «وأولى قيل قيل في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليمّ، وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه، وأي ذلك كان، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه، ولا خبر قامت به حجة، ولا فطرة في العقل لبيان أي ذلك كان من أيّ، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال جلّ ثناؤه. واليمّ الذي أُمرت أن تلقيه فيه هو النيل».

(٣) رواية الضحاك عن ابن عباس منقطعة، لأنه لم يسمع من ابن عباس شيئاً.

إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر، استطالوا على الناس، وعملوا بالمعاصي، ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهو عن المنكر، فسلَّط الله عليهم القبط فاستضعفوهُم إلى أن أنجاهم الله على يدي نبيه .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أم موسى لما تقاربت ولادتها، وكانت قابلةٌ من القوابل التي وكِّلهن فرعون بحُبَالى بني إسرائيل مصافية لأم موسى، فلما ضرب بها الطلق أرسلت إليها فقالت: قد نزل بي ما نزل، فلينفعني حبك إيّاي اليوم، قالت: فعالجت قبالتها، فلما أن وقع موسى بالأرض هَالَها نورٌ بين عيني موسى، فارتعش كل مفصل منها، ودخل حب موسى قلبها. ثم قالت لها: ياهذا ما جئت إليك حين دعوتني إلا ومن رأيي قتل مولودك، ولكن وجدت لابنك هذا حباً ما وجدت حب شيء مثل حبه، فاحفظي ابنك فإني أراه هو عدونا، فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون، فجاؤوا إلى بابها ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته يا أماه هذا الحرس[1] بالباب، فلفَّتْ موسى في خرقة، فوضعته في التنور وهو مسجور، وطاش عقلها، فلم تعقل ما تصنع .

قال: فدخلوا فإذا التنور مسجور، ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن، فقالوا لها: ما أدخل عليك القابلة؟ قالت: هي مصافية لي فدخلت عليّ زائرة، فخرجوا من عندها، فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى: فأين الصبي؟ قالت لا أدري، فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله سبحانه وتعالى النار عليه برداً وسلاماً، فاحتملته[2] .

قال: ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها، فقذف الله في نفسها أن تتخذ له تابوتاً ثم تقذف التابوت في اليمِّ وهو النيل، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتاً صغيراً، فقال لها النجار: ما تصْنعين بهذا التابوت؟ قالت: ابن لي أخبئه في التابوت، وكرهت الكذب، قال ولم تقل: أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى، فلما همَّ بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام، وجعل يشير بيده فلم يدر الأمناء ما يقول، فلما أعياهم أمره قال كبيرهم: اضربوه فضربوه وأخرجوه، فلما انتهى النجار إلى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم، فانطلق أيضاً يريد الأمناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً، فضربوه وأخرجوه، فوقع في واد يهوي فيه حيران، فجعل لله عليه إن رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيث / ما كان، فعرف الله منه الصدق فردّ عليه لسانه وبصره فخر لله[3] ٦١/أ

(١) في « أ »: الحارس .

(٢) ذكره القرطبي أيضاً عن وهب، وهو فيما يظهر متلقى عن أخبار أهل الكتاب، فإن وهباً أدخل في التفسير كثيراً من مروياتهم كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله .

(٣) ساقط من « أ » .

ساجداً، فقال: يارب دلَّني على هذا العبد الصالح، فدلَّه الله عليه، فخرج من الوادي فآمن به وصدقه، وعلم أن ذلك من الله عزّ وجلّ .

وقال وهب بن منبه: لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها جميعَ الناس، فلم يطَّلع على حَبَلها أحد من خلق الله، وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمنَّ به على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي يولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم إليهن ففتشن النساء تفتيشاً لم يفتشن قبل ذلك مثله[1]، وحملت أم موسى بموسى[1] فلم ينتأ بطنها، ولم يتغير لونها، ولم يظهر لبنها، وكانت القوابل لا تتعرض لها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة، ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم، فأوحى الله إليها «أن أرضعيه، فإذا خفت عليه» الآية، فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها، لا يبكي ولا يتحرك، فلما خافت عليه عملت تابوتاً له مطبقاً ثم ألقته في البحر ليلاً .

قال ابن عباس وغيره: وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إلى فرعون، وكان بها برص شديد، وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فنظروا في أمرها، فقالوا له: أيها الملك لا تبرأ إلا من قِبَل البحر، يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس، فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون إلى مجلس كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت ابنة فرعون في جواريها حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن، إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج، فقال فرعون: إن هذا لشيءٌ في البحر قد تعلق بالشجرة ايتوني به، فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصبي صغير في مهده، وإذا نور بين عينيه، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمصه لبناً، فألقى الله لموسى المحبة في قلب آسية، وأحبه فرعون وعطف عليه، وأقبلت بنت فرعون، فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت بنت فرعون إلى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت، فقبَّلته وضمته إلى صدرها، فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا، رمي به في البحر فرقاً منك فاقتله، فهمّ فرعون بقتله، قالت آسية: قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وكانت لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها، وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه، قال رسول الله ﷺ : «لو قال فرعون يومئذ هو قرة عين لي كما هو

(١) ساقط من « أ » .

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

لك لهداه الله كما هداها»[١]، فقيل لآسية سميه فقالت: سميته موسى لأنا وجدناه في الماء والشجر فمو هو الماء، وسى هو الشجر[٢]، فذلك قوله عزّ وجلّ:

﴿**فالتقطه آلُ فرعون**﴾، والالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب، ﴿**ليكونَ لهم عدواً وحَزَناً**﴾، وهذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة، لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك، قرأ حمزة والكسائي: «حُزْناً» بضم الحاء وسكون الزاي، وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاي، وهما لغتان، ﴿**إنّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين**﴾، عاصين[٣] آثمين.

قوله تعالى: ﴿**وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك**﴾، قال وهب: لما وضع التابوت بين يدي فرعون فتحوه فوجد فيه موسى فلما نظر إليه قال عبراني من الأعداء فغاظه ذلك، وقال: كيف أخطأ هذا الغلامَ الذبحُ؟ وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أماً للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم، قالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الوليد أكبر من ابن سنة وإنما أمرت أن يذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرة عين لي وذلك، ﴿**لا تقتلوه**﴾، وروي أنها قالت له: إنه أتانا من أرض أخرى ليس من بني إسرائيل، ﴿**عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون**﴾، أن هلاكهم على يديه، فاستحياه فرعون، وألقى الله عليه محبته وقال لامرأته: عسى أن ينفعك فأما أنا فلا أريد نفعه، قال وهب قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية: عسى أن ينفعنا، لنفعه الله، ولكنه أبى، للشقاء الذي كتبه الله عليه[٤].

---

(١) انظر: الطبري: ٣٢/٢٠، مجمع الزوائد: ٥٦/٧ وما بعدها وقد تقدم تخريج حديث الفتون في تفسير سورة طه. وهذا قطعة منه.

(٢) في «أ»: البحر.

(٣) ساقط من «أ».

(٤) انظر: الطبري: ٣٤/٢٠.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿**وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً**﴾، أي: خالياً من كل شيء إلاّ من ذكر موسى وهمه، وهذا قول أكثر المفسرين(١).

وقال الحسن: «فارغاً» أي: ناسياً للوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر ولا تخاف ولا تحزن، والعهد الذي عهد أن يرده إليها ويجعله من المرسلين، فجاءها الشيطان فقال: كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنتِ قتله فألقيته في البحر، وأغرقته، ولما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت: إنه وقع في يد عدوه الذي فررت منه، فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله إليها.

وقال أبو عبيدة: «فارغاً» أي: فارغاً من الحزن، لعلمها بصدق وعد الله تعالى، وأنكر القتيبي هذا، وقال: كيف يكون هذا والله تعالى يقول: «إنْ كادتْ لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها»؟ والأول أصح.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**إنْ كادتْ لتبدي به**﴾، قيل الهاء في «به» راجعة إلى موسى، أي: كادت
٦١/ب لتبدي به أنه ابنها من شدة / وجدها. وقال عكرمة عن ابن عباس: كادت تقول: وا إبناه. وقال مقاتل: لما رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها. وقال الكلبي: كادت تظهر أنه ابنها، وذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعدما شبَّ: موسى ابن فرعون، فشق عليها فكادت تقول: بل هو ابني. وقال بعضهم: الهاء عائدة إلى الوحي أي: كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أن يردّه إليها(٢).

﴿**لولا أن ربطنا على قلبها**﴾، بالعصمة والصبر والتثبيت، ﴿**لتكون من المؤمنين**﴾، المصدقين لوعد الله حين قال لها: ﴿**إنا رادّوه إليك**﴾.

﴿**وقالت لأخته**﴾، أي: لمريم أخت موسى: ﴿**قُصّيه**﴾، اتبعي أثره حتى تعلمي خبره، ﴿**فَبَصُرَتْ به عن جُنُبٍ**﴾، أي: عن بعد، وفي القصة أنها كانت تمشي جانباً وتنظر اختلاساً تُري أنها لا تنظره،

---

(١) انظر الدر المنثور: ٦/٣٩٤-٣٩٥، وهو ما رجحه الطبري: ٢٠/٣٧.

(٢) ذكر هذه الأقوال الطبري: ٢٠/٣٧-٣٨، ثم قال: «والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا: إنْ كادت لتقول: يابُنَيّاه! لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، وأنه عقيب قوله: «وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً» فلأن يكون لو لم يكن ممن ذكرنا في ذلك إجماع على ذلك من ذكر موسى، لقربه منه، أشبه من أن يكون من ذكر الوحي..».

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿**وهم لا يشعرون**﴾، أنها أخته وأنها ترقبه، قال ابن عباس: إن امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد له مرضعة، فكلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها، فذلك قوله عزّ وجلّ:

﴿**وحرّمنا عليه المراضع**﴾، والمراد من التحريم المنع، والمراضع: جمع المرضع، ﴿**من قبل**﴾، أي: من قبل مجيء أم موسى، فلما رأت أختُ موسى التي أرسلتها أمه في طلبه ذلك قالت لهم: هل أدلكم؟ وفي القصة أن موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثدياً ويصيح وهم في طلب مرضعة له.

﴿**فقالت**﴾، يعني أخت موسى، ﴿**هل أدلكم على أهل بيتٍ يكفلونه**﴾، أي: يضمنونه[1] ﴿**لكم**﴾، ويرضعونه، وهي امرأة قد قتل ولدها فأحبُّ شيءٍ إليها أن تجد صغيراً ترضعه، ﴿**وهم له ناصحون**﴾، والنصح ضد الغش، وهو تصفية العمل من شوائب الفساد، قالوا: نعم فأْتينا بها.

قال ابن جريج والسدي: لما قالت أخت موسى: «وهم له ناصحون» أخذوها وقالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله. فقالت: ما أعرفه، وقلت هم للملك ناصحون.

وقيل: إنها قالت: إنما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالنا به.

وقيل إنها لما قالت: «هل أدلكم على أهل بيت» قالوا لها: من؟ قالت: أمي، قالوا: ولأُمك ابن؟ قالت: نعم هارون، وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها، قالوا: صدقت، فأتينا بها، فانطلقت إلى أمها وأخبرتها بحال ابنها، وجاءت بها إليهم، فلما وجد الصبي ريح أمه قَبِل ثديها، وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه رياً.

قال السدي: كانوا يعطونها كل يوم ديناراً فذلك قوله تعالى:

﴿**فرددناه إلى أمه كي تقرَّ عينُها**﴾، بردِّ موسى إليها، ﴿**ولا تحزنَ**﴾، أي: ولئلا تحزن، ﴿**ولتَعْلم أنَّ وعْدَ الله حقٌ**﴾، برده إليها، ﴿**ولكنّ أكثرهم لا يعلمون**﴾، أن الله وعدها ردَّه إليها.

﴿**ولما بلغ أشده**﴾، قال الكلبي: الأشد ما بين ثمانية عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. [قال مجاهد

---

(١) في «أ»: يضمنونه.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

وغيره: ثلاث وثلاثون سنة، ﴿واستوى﴾، أي: بلغ أربعين سنة][1]، ورواه[2] سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقيل: استوى انتهى شبابه ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾، أي: الفقه والعقل والعلم في الدين، فعلم موسى وحكم قبل أن يُبعث نبياً، ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ .

قوله تعالى: ﴿ودخل المدينة﴾، يعني: دخل موسى المدينة. قال السدي: هي مدينة «منف» من أرض مصر. وقال مقاتل: كانت قرية «حابين» على رأس فرسخين من مصر. وقيل: مدينة «عين الشمس»[3]، ﴿على حين غفلة من أهلها﴾، وهو وقت القائلة واشتغال الناس بالقيلولة. وقال محمد ابن كعب القرظي: دخلها فيما بين المغرب والعشاء .

واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت؛ قال السدي: وذلك أن موسى عليه السلام كان يُسمى ابن فرعون، فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه، فركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض «منف» فدخلها نصف النهار، وليس في طرفها أحد، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ .

قال ابن إسحاق: كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يستمعون منه ويقتدون به، فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه، فخالفهم في دينه حتى ذكر ذلك منه وخافوه وخافهم، فكان لا يدخل قرية إلا خائفاً مستخفياً، فدخلها يوماً على حين غفلة من أهلها .

وقال ابن زيد: لما علا موسىٰ فرعونَ بالعصا في صغره، فأراد فرعون قتله، قالت امرأته: هو صغير، فترك قتله وأمر بإخراجه من مدينته، فلم يدخل عليهم إلا بعد أن كبر وبلغ أشده فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها، يعني: عن ذكر موسى، أي: من بعد نسيانهم خبره وأمره لبعد عهدهم به[4] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من « أ » .
(٢) ف «ب»: وهذه رواية .
(٣) في « أ »: عين شمس .
(٤) أخرج هذه الأقوال الطبري: ٢٠/٤٣–٤٤، ثم قال: «وأولى الأقوال في الصحة بذلك أن يقال كما قال جل ثناؤه: (ولما بلغ =

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

وروي عن علي في قوله: «حين غفلة» كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم.

﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾، يختصمان ويتنازعان، **﴿هذا من شيعته﴾**، من بني إسرائيل، **﴿وهذا من عدوِّه﴾**، من القبط، قيل: الذي كان من شيعته السامري، والذي من عدوه من القبط، قيل: طباخ فرعون اسمه فليثون. وقيل: «هذا من شيعته. وهذا من عدوه» أي: هذا مؤمن وهذا كافر، وكان القبطي يسخّر الإسرائيلي ليحمل الحطب إلى المطبخ.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع، وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى، لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم، فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون، **﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾**، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، والاستغاثة: طلب الغوث، فغضب موسى واشتد غضبه؛ لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة من أم موسى، فقال للفرعوني: خلِّ سبيله، فقال: إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك، فنازعه، فقال الفرعوني /: لقد هممت ٦٢/أ
أن أحمله عليك، وكان موسى قد أُوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش، **﴿فوكزه موسى﴾**، وقرأ ابن مسعود: «فلكزه موسى»، ومعناهما واحد، وهو الضرب بجمع الكف. وقيل: «الوكز» الضرب في الصدر و«اللكز» في الظهر. وقال الفراء: معناهما واحد، وهو الدفع، قال أبو عبيدة: الوكز الدفع بأطراف الأصابع، وفي بعض التفاسير: عقد موسى ثلاثاً وثمانين وضربه في صدره، **﴿فقضى عليه﴾**، أي: فقتله وفرغ من أمره، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه، فندم موسى عليه السلام، ولم يكن قصدُه القتل، فدفنه في الرمل، **﴿قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌّ مضلٌّ مبين﴾**، أي: بيّن الضلالة.

﴿قال ربِّ إني ظلمت نفسي﴾، بقتل القبطي من غير أمر، **﴿فاغفرْ لي فَغَفَرَ له إنه هو الغفور الرحيم﴾**.

﴿قال ربِّ بما أنعمت عليَّ﴾، بالمغفرة، **﴿فلن أكونَ ظهيراً﴾**، عوناً، **﴿للمجرمين﴾**، قال

= أشده واستوى.. ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها»: أي حسبنا هذا، إذ لم يرد نص صحيح في سبب دخوله عليه السلام المدينة على حين غفلة من أهلها.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾

ابن عباس: للكافرين، وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً، وهو قول مقاتل، قال قتادة: لن أُعين بعدها على خطيئة، قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني.

﴿**فأصبح في المدينة**﴾، أي: في المدينة التي قتل فيها القبطي، ﴿**خائفاً**﴾، من قتله القبطي، ﴿**يترقب**﴾، ينتظر سوءاً، والترقُّب: انتظار المكروه، قال الكلبي: ينتظر متى يؤخذ به، ﴿**فإذا الذي استنصره بالأمس يَسْتَصْرِخُهُ**﴾: يستغيثه ويصيح به من بُعْدٍ. قال ابن عباس: أُتي فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا منّا رجلاً فخذ لنا بحقنا، فقال: ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه، فلا يستقيم أن يقضي بغير بينة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مرّ موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى، وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، ﴿**قال له موسى**﴾، للإسرائيلي: ﴿**إنك لَغَوِيٌّ مبين**﴾، ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلاً فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه؟ وقيل: إنما قال موسى للفرعوني: إنك لغوي مبين بظلمك، والأول أصوب، وعليه الأكثرون أنه قال ذلك للإسرائيلي.

﴿**فلما أن أرادَ أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما**﴾، وذلك أن موسى أدركته الرقة(١) بالإسرائيلي فمدّ يده ليبطش بالفرعوني، فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به لما رأى من غضبه وسمع قوله: إنك لغوي مبين، ﴿**قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إنْ تريد**﴾، ما تريد، ﴿**إلاّ أنْ تكون جباراً في الأرض**﴾، بالقتل ظلماً، ﴿**وما تريد أن تكون من المصلحين**﴾، فلما سمع القبطي ما قال الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني، فانطلق إلى فرعون وأخبره بذلك، وأمر فرعون بقتل موسى. قال ابن عباس: فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى أخذوا الطريق الأعظم.

﴿**وجاء رجل**﴾، من شيعة موسى، ﴿**من أقصى المدينة**﴾، أي: من آخرها، قال أكثر أهل التأويل: اسمه «حزبيل» مؤمن من آل فرعون، وقيل: اسمه «شمعون»، وقيل: «شمعان»، ﴿**يسعى**﴾،

---

(١) في «أ»: الرأفة.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ
مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ
وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

أي: يسرع في مشيه، فأخذ طريقاً قريباً حتى سبق إلى موسى فأخبروه وأنذره حتى أخذ طريقاً آخر، ﴿**قال ياموسى إنّ الملأ يأتمرون بك**﴾، يعني: أشراف قوم فرعون يتشاورون فيك، ﴿**ليقتلوك**﴾، قال الزجاج: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك،﴿**فاخرجْ**﴾، من المدينة، ﴿**إني لك من الناصحين**﴾، في الأمر لك بالخروج .

﴿**فخرج منها**﴾، موسى، ﴿**خائفاً يترقّبُ**﴾، أي: ينتظر الطلب، ﴿**قال ربِّ نجني من القوم الظالمين**﴾، الكافرين، وفي القصة: أن فرعون بعث في طلبه حين أُخبر بهَرَبِهَ فقال اركبوا ثنيات الطريق فإنه لا يعرف كيف الطريق .

﴿**ولما توجه تلقاء مَدْيَن**﴾، أي: قصد نحوها ماضياً إليها، يقال: داره تلقاء دار فلان، إذا كانت محاذيتها، وأصله من اللقاء، قال الزجاج: يعني سلك الطريق الذي تلقاء مدين فيها، ومدين هو مدين ابن إبراهيم، سميت البلدة باسمه، وكان موسى قد خرج خائفاً بلا ظهر ولا حذاء ولا زاد، وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر، ﴿**قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل**﴾، أي: قصد الطريق إلى مدين، قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها قبل، فلما دعا جاءه مَلَك بيده عَنَزَة فانطلق به إلى مدين .

قال المفسرون: خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام إلاّ ورق الشجر والبقل، حتى يرى خضرته في بطنه، وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه .

قال ابن عباس: وهو أول ابتلاء من الله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام .

﴿**ولما وَرَدَ ماء مدين**﴾، وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم، ﴿**وجد عليه أُمّةً**﴾، جماعة ﴿**من الناس يسقون**﴾، مواشيهم، ﴿**ووجد من دونهم**﴾، يعني: سوى الجماعة، ﴿**امرأتين تذودان**﴾، يعني: تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر، قال الحسن: تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس، وقال قتادة: تكفان الناس عن أغنامهما. وقيل: تمنعان أغنامهما

عن أن تشذ وتذهب. والقول الأول أصوبها، لما بعده، وهو قوله: ﴿قال﴾، يعني: موسى للمرأتين، ﴿ما خطبكما﴾، ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس؟ ﴿قالتا لا نسقي﴾، أغنامنا، ﴿حتى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾، قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، وابن عامر: «يَصْدُر» بفتح الياء وضم الدال على اللزوم، أي: حتى يرجع الرعاء عن الماء، وقرأ الآخرون: بضم الياء وكسر الدال، أي: حتى يصرفوا هم مواشيهم عن الماء، و«الرِّعاء» جمع راع، مثل: تاجر وتجار .

ومعنى الآية: لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء، لأنا امرأتان لا نطيق أن نسقي، ولا نستطيع أن نزاحم الرجال، فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض .

﴿وأبونا شيخ كبير﴾، لايقدر أن يسقي مواشيه، فلذلك احتجنا نحن إلى سقي الغنم .

٦٢/ب واختلفوا في اسم أبيهما، فقال مجاهد، والضحاك، والسدي / والحسن: هو شعيب النبي عليه السلام .

وقال وهب بن منبه، وسعيد بن جبير: هو يثرون(١) بن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعدما كُفَّ بصره، فدفن بين المقام وزمزم .

وقيل: رجل ممن آمن بشعيب(٢) .

قالوا: فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر أُخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس .

ا

---

(١) قال ابن كثير: إن هذا موجود في كتب بني إسرائيل .

(٢) قال الطبري رحمه الله (٢٠/٦٢): «وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه..» .

وبعد أن ذكر ابن كثير الآراء السالفة قال: (٣/٣٨٥-٣٨٦): «وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة لأنه قال لقومه : (وما قوم لوط منكم ببعيد) وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة، كما ذكره غير واحد. وما قيل إن شعيباً عاش مدة طويلة إنما هو ـ والله أعلم ـ احتراز من هذا الإشكال، ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب: أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده» .

ولذلك قال الأستاذ سيد قطب في «الظلال» (٥/٢٦٨٧) تعليق (١) ـ طبعة دار الشروق ـ «... وأنا الآن أميل إلى ترجيح أنه ليس هو ـ شعيب ـ وإنما هو شيخ آخر من مدين. والذي يحمل على هذا الترجيح: أن هذا الرجل شيخ كبير. وشعيب شهد مهلك قومه، المكذبين له، ولم يبق معه إلا المؤمنون به، فلو كان هو شعيبٌ ـ النبي ـ بين بقية قومه المؤمنين، ما سقوا قبل بنتي نبيهم الشيخ الكبير. فليس هذا سلوك قوم مؤمنين، ولا معاملتهم لنبيهم وبناته من أول جيل!. يضاف إلى هذا: أن القرآن لم يذكر شيئاً عن تعليمه لموسى صهره، ولو كان شعيباً النبي سمعنا صوت النبوة في شيء من هذا مع موسى وقد عاش معه عشر سنوات» .

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا

وقال ابن إسحاق: إن موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر، فسقى غنم المرأتين .

ويُروى: أن القوم لما رجعوا بأغنامهم غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر، فجاء موسى ورفع الحجر وحده، وسقى غنم المرأتين .

ويقال: إنه نزع ذنوباً واحداً ودعا فيه بالبركة، فروَى منه جميع الغنم[1]، فذلك قوله :

﴿**فسقى لهما ثم تولى إلى الظل**﴾، ظل شجرة، فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع، ﴿**فقال ربِّ إنّي لِمَا أنزلتَ إليّ من خير**﴾، طعام، ﴿**فقير**﴾، قال أهل اللغة اللام بمعنى «إلى»، يقال: هو فقير له، وفقير إليه، يقول: إني لما أنزلت إليّ من خير، أي: طعام، فقير محتاج، كان يطلب الطعام لجوعه. قال ابن عباس: سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبة. قال الباقر: لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شق تمرة. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لقد قال موسى: ﴿**ربِّ إني لِما أنزلتَ إليّ من خير فقير**﴾ وهو أكرم خلقه عليه، ولقد افتقر إلى شق تمرة. وقال مجاهد: ما سأله إلا الخبز[2] .

قالوا: فلما رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامُهما حُفَّل بطان، قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي .

قال الله تعالى : ﴿**فجاءَتْهُ إحداهما تمشي على استحياء**﴾، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليست بسَلْفَعٍ من النساء[3] خَرَّاجة ولاَّجة، ولكن جاءت مستترة قد وضعت كُمَّ درعها على وجهها استحياء، ﴿**قالت إن أبي يدعوك ليجزيَك أجرَ ما سقيتَ لنا**﴾، قال أبو حازم سلمة بن

---

(١) أخرج الفريابي، وابن أبي شيبة في «المصنف»، وعبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم ـ وصححه ـ عن عمر ابن الخطاب رضي عنه أثراً في ذلك، وساقه ابن كثير مختصراً .

انظر: المصنف: ١١/٥٣٠ـ٥٣١، المستدرك: ٢/٤٠٧، الطبري: ٢٠/٦٤، الدر المنثور: ٦/٤٠٥، وابن كثير: ٣/٣٨٥ .

وليس في شيء من الروايات التي ساقها المفسرون أي: حديث مرفوع إلى النبي ﷺ في دلائل قوة موسى عليه السلام، كرفع الحجر الذي يغطي البئر، وكان لا يرفعه ـ فيما قالوا ـ إلا عشرون أو أربعون أو أكثر أو أقل... إنما كان الرعاء يسقون فنحاهم موسى وسقى للمرأتين أو سقى لهما مع الرعاء .

ولا حاجة لما رواه كثير من المفسرين عن دلائل أمانته من قوله للفتاة: امشي خلفي ودلّيني على الطريق خوف أن يراها.. فهذا كله تكلف لا داعي له، ودفع لريبة لا وجود لها، وموسى ـ عليه السلام ـ عفيف النظر، نظيف الحس، وهي كذلك، والعفة والأمانة لا تحتاجان لكل هذا التكلف، فالعفة تنضح في التصرف العادي البسيط بلا تكلف ولا اصطناع ! .

انظر: في ظلال القرآن: ٥/٢٦٨٧ـ٢٦٨٨ .

(٢) انظر هذه الروايات في الدر المنثور: ٦/٤٠٦ـ٤٠٧، والله أعلم بهذا كله، فليس في شيء منها خبر عن النبي ﷺ .

(٣) السَّلْفَع من النساء: الجريئة على الرجال، السليطة .

سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ
ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ
حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ

دينار: لما سمع ذلك موسى أراد أن لا يذهب، ولكن كان جائعاً فلم يجد بُدّاً من الذهاب، فمشت المرأة ومشى موسى خلفها، فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها، فكره موسى أن يرى ذلك منها، فقال لها: امشي خلفي ودلّيني على الطريق إن أخطأتُ، ففعلت ذلك، فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيأ، فقال: اجلس ياشاب فتعشَّ، فقال موسى: أعوذ بالله، فقال شعيب: ولِمَ ذاكَ ألستَ بجائع؟ قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وإنا من أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا، فقال له شعيب: لا والله ياشاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف، ونطعم الطعام، فجلس موسى وأكل[1] .

﴿**فلما جاءه وقصّ عليه القصص**﴾، يعني: أمره أجمع، مِنْ قتلِهِ القبطي وقَصْدِ فرعون قتله، ﴿**قال لا تخفْ نجوتَ من القوم الظالمين**﴾، يعني: فرعون وقومه، وإنما قال هذا لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين .

﴿**قالت إحداهما يا أبتِ استأجرْهُ**﴾، اتخذه أجيراً ليرعى أغنامنا، ﴿**إنّ خيرَ من استأجرتَ القويُّ الأمين**﴾، يعني: خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الأمانة، فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أمّا قوته: فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة. وقيل: إلا أربعون رجلاً، وأمّا أمانته: فإنه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك .

﴿**قال**﴾، شعيب عند ذلك: ﴿**إني أُريد أن أُنْكِحَك إحدى ابنتَيَّ هاتين**﴾، واسمهما «صفورة» و«ليا» في قول شعيب الجبائي، وقال ابن إسحاق: «صفورة» و«شرقا» وقال غيرهما: الكبرى «صفراء» والصغرى «صفيراء». وقيل زوَّجه الكبرى. وذهب أكثرهم إلى أنه زوجه الصغرى منهما واسمها

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦/٤٠٧) لابن عساكر عن أبي حازم، وما انفرد به ابن عساكر من الرواية فهو ضعيف، قال السيوطي في مقدمة زوائد الجامع الصغير: كل ما عزي لابن عدي في الكامل والخطيب في التاريخ والعقيلي في الضعفاء وابن عساكر.. فهو ضعيف .

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾

«صفورة»، وهي التي ذهبت لطلب موسى[1]، ﴿**على أن تأجرني ثماني حجج**﴾، يعني: أن تكون أجيراً لي ثمان سنين، قال الفراء: يعني: تجعل ثوابي من تزويجها أن ترعى غنمي ثماني حجج، تقول العرب: آجرك الله بأجرك أي: أثابك، والحجج: السنون، واحدتها حجة، ﴿**فإنْ أتممتَ عشراً فمن عندك**﴾، أي: إن أتممت عشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع، ليس بواجب عليك، ﴿**وما أُريد أن أشقَّ عليك**﴾، أي: ألزمك تمام العشر إلاّ أن تتبرع، ﴿**ستجدني إن شاء الله من الصالحين**﴾، قال عمر: يعني: في حسن الصحبة والوفاء بما قلت.

﴿**قال**﴾، موسى، ﴿**ذلك بيني وبَيْنَك**﴾، يعني: هذا الشرط بيني وبينك، فما شرطت عليّ فلك وما شرطتَ من تزويج إحداهما فلي[2]، والأمر بيننا، تم الكلام، ثم قال:

﴿**أيَّما الأجلين قضيتُ**﴾، يعني: أي الأجلين، و«ما» صلة، «قضيت»: أتممت وفرغت منه، الثمان أو العشر، ﴿**فلا عدوان عليّ**﴾ لا ظلم عليّ بأن أطالب بأكثر منهما، ﴿**والله على ما نقول وكيل**﴾، قال ابن عباس ومقاتل: شهيد فيما بيني وبينك. وقيل: حفيظ.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن عبدالرحيم، أخبرنا سعيد بن سليمان، أخبرنا مروان بن شجاع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على خير العرب[3] فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس قال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إنّ رسول الله ﷺ إذا قال فعل[4].

وروي عن أبي ذرٍّ مرفوعاً: إذا سئلت أي الأجلين قضى موسى؟ فقل: خيرهما وأبرهما، وإذا سئلت: فأي المرأتين تزوج؟ فقل: الصغرى منهما، وهي التي جاءت، فقالت يا أبتِ استأجره، فتزوج أصغرهما وقضى أوفاهما[5].

---

(١) انظر: الدر المنثور ٤٠٨/٦، زاد المسير: ٢١٦/٦-٢١٧، ابن كثير: ٣٨٦/٣، وليس في شيء من الأحاديث تعيين اسم الصغرى والكبرى. وسيأتي حديث أبي ذر مرفوعاً في أنه تزوج الصغرى.

(٢) في «أ»: عليّ.

(٣) في البخاري: حَبْر العرب.

(٤) أخرجه البخاري في الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد: ٢٨٩/٥-٢٩٠.
والمراد بقوله: رسول الله ﷺ: من اتصف بذلك ولم يرد شخصاً بعينه.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط: ١٩/٢، والخطيب في تاريخ بغداد: ١٢٨/٢.

وقال وهب: أنكحه الكبرى[1] .

وروي عن شداد بن أوس مرفوعاً: بكى شعيب النبي ﷺ [من حب الله عزّ وجلّ][2] حتى عمي فردّ الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فردّ الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فردّ الله عليه بصره، فقال الله: ما هذا البكاء؟ أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ قال: لا يارب، ولكن
٦٣/أ شوقاً إلى لقائك، فأوحى الله إليه / إن يكن ذلك فهنيئاً لك لقائي [ياشعيب][3]، لذلك أخدمتك موسى كليمي[4] .

ولما تعاقدا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، واختلفوا في تلك العصا؛ قال عكرمة: خرج آدم بها من الجنة فأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً فدفعها إليه[5] .

وقال آخرون: كانت من آس الجنة، حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء، وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته، فصارت من آدم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب، فكانت عصا الأنبياء عنده فأعطاها موسى .

وقال السدي: كانت تلك العصا استودعها إياه مَلَك في صورة رجل، فأمر ابنته أن تأتيه بعصا فدخلت فأخذت العصا فأتته بها، فلما رآها شعيب قال لها: ردي هذه العصا، وآتيه بغيرها، فألقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فلا يقع في يدها إلا هي، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فأعطاها موسى

= قال الهيثمي: (٢٠٣/٨): «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، والبزار باختصار، وفي إسناد الطبراني عويد بن أبي عمران الجوني ضعّفه ابن معين وغيره، ووثقه ابن حبان، وبقية رجال الطبراني ثقات» وانظر: ٨٨/٧ أيضاً وساقه ابن كثير (٣٨٧/٣) من رواية البزار الذي قال: «لا نعلم يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد» وفي إسناده «عويد..» ومن حديثه رواه ابن أبي حاتم وفيه زيادة غريبة .

(١) لم يصح عن النبي ﷺ حديث في أيهما تزوج، الصغرى أم الكبرى، وحسبنا ما جاء في كتاب الله تعالى من أنه أراد أن ينكحه إحدى ابنتيه، ولو كان في معرفة اسمها فائدة لسمّاها الله تعالى في كتابه. والله أعلم .

(٢) ليست في المخطوطتين، وأثبتها من «تاريخ بغداد» حيث ساق الخطيب الحديث بسنده عن شداد بن أوس مرفوعا .

(٣) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد: ٣١٥/٦ .

وعزاه المتقي في كنز العمال: ٤٩٨/١١-٤٩٩ للخطيب وابن عساكر عن شداد بن أوس، وقال: «وفيه إسماعيل بن علي ابن الحسن بن بندار بن المثنى الإستراباذي الواعظ، أبو سعيد، قال الخطيب: لم يكن موثوقاً به في الرواية، والحديث منكر. وقال الذهبي في الميزان (٣٢٩/١): هذا حديث باطل لا أصل له. وقال ابن عساكر: رواه الواحدي عن ابن الفتح محمد ابن علي الكوفي عن علي بن الحسن بن بندار كما رواه ابنه إسماعيل عنه، فقد برىء من عهدته، والخطيب إنما ذكره لأنه حمل فيه على إسماعيل» .

وذكره ابن الجوزي في «العلل المتناهية»: (٤٩/١)، والألباني في «الضعيفة»: (٤٢٥/٢) وقال: «ضعيف جداً» .

(٥) أخرجه الطبري عن عكرمة: ٦٧/٢٠ .

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩﴾

فأخرجها موسى معه، ثم إن الشيخ ندم وقال: كانت وديعة، فذهب في أثره، وطلب أن يرد العصا فأبى موسى أن يعطيه. وقال: هي عصاي، فرضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما، فلقيهما مَلَك في صورة رجل فحكم أن يطرح العصا فمن حملها فهي له، فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ ليأخذها فلم يطقها، فأخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ(١) .

ثم إن موسى لما أتمَّ الأجل وسلَّم شعيبُ ابنته إليه، قال موسى للمرأة: اطلبي من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم، فطلبت من أبيها، فقال شعيب: لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها(٢) .

وقيل: أراد شعيب أن يجازي موسى على حسن رعيته إكراماً له وصلةً لابنته، فقال له إني قد وهبت لك من الجدايا التي تضعها أغنامي هذه السنة كل أبلق وبلقاء، فأوحى الله إلى موسى في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الأغنام قال: فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الأغنام منه فما أخطأت واحدة منها إلاّ وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله عزّ وجلّ إلى موسى وامرأته فوفّى له شرطه وسلم الأغنام إليه(٣) .

قوله عزّ وجلّ : **﴿فلما قضى موسى الأجلَ﴾**، يعني أتمه وفرغ منه، **﴿وسار بأهله﴾**، قال مجاهد: لما قضى موسى الأجل مكث بعد ذلك عند صهره عشراً أخرى فأقام عنده عشرين سنة(٤)، ثم استأذنه في العود إلى مصر، فأذن له، فخرج بأهله إلى جانب مصر، **﴿آنس﴾**، يعني: أبصر، **﴿من جانب الطور ناراً﴾**، وكان في البرية في ليلة مظلمة، شديدة البرد وأخذَ امرأته الطلقُ، **﴿قال**

---

(١) أخرجه الطبري عن السدي: ٢٠/٦٦-٦٧. وليس في شيء من الروايات خبر عن النبي ﷺ في بيان هذه العصا، ولا فائدة من البحث في مثل هذه الأمور .

(٢) ذكر الهيثمي في ذلك حديثاً رواه البزار والطبراني وقال: في إسناده ابن لهيعة وفيه ضعف، وقد يحسّن حديثه .
انظر: مجمع الزوائد: ٧/٨٧-٨٨، تفسير ابن كثير: ٣/٣٨٧-٣٨٨ وقال: مدار هذا الحديث على ابن لهيعة المصري، وفي حفظه سوء، وأخشى أن يكون رفعه خطأ، والله أعلم .

(٣) انظر: التعليق السابق .

(٤) قال الحافظ ابن كثير: (٣/٣٨٨): «وهذا القول لم أره لغيره، وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم وابن جرير، فالله أعلم» .
وانظر الطبري: ٢٠/٦٩، الدر المنثور: ٦/٤١١ .

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ
أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ
كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾
ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ

لأهله امكثوا إني آنستُ ناراً لعلي آتيكم منها بخبر﴾، عن الطريق، لأنه كان قد أخطأ الطريق، **﴿أو جَذْوَةٍ من النار﴾**، يعني: قطعة وشعلة من النار. وفيها ثلاث لغات، قرأ عاصم: «جَذْوة» بفتح الجيم، وقرأ حمزة بضمها، وقرأ الآخرون بكسرها، قال قتادة ومقاتل: هي العود الذي قد احترق بعضه، وجمعها «جِذَىً»[1]، **﴿لعلّكم تصطلون﴾**، تستدفئون .

﴿فلما أتاها نُودي من شاطىء الوادي الأيمن﴾، من جانب الوادي الذي عن يمين موسى، **﴿في البقعة المباركة﴾**، لموسى، جعلها مباركة لأن الله كلّم موسى هناك وبعثه نبياً. وقال عطاء: يريد المقدسة، **﴿من الشجرة﴾**، من ناحية الشجرة، قال ابن مسعود: كانت سَمُرة خضراء تبرق[2]، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كانت عَوْسَجَة[3] .

قال وهب من العُلَّيق[4]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها العنّاب[5]، **﴿أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين﴾** .

﴿وأن ألقِ عصاكَ فلمّا رآها تهتز﴾، تتحرك، **﴿كأنّها جانّ﴾**، وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها، **﴿ولّى مدبراً﴾**، هارباً منها، **﴿ولم يُعقّبْ﴾**، لم يرجع، فنودي: **﴿ياموسى أقبلْ ولا تخفْ إنّك من الآمنين﴾** .

﴿آسلكْ﴾، أدخل **﴿يدك في جيبك تخرجْ بيضاءَ من غير سوء﴾**، برص، فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس، **﴿واضممْ إليك جناحك من الرَّهْب﴾**، قرأ أهل الكوفة، والشام: بضم الراء وسكون الهاء، ويفتح الراء حفص، وقرأ الآخرون بفتحهما، وكلها لغات بمعنى الخوف

---

(١) وانظر: لسان العرب، مادة (جذا)، الطبري: ٢٠/٦٩-٧٠ .
(٢) في الطبري: شجرة سَمْراء خضراء ترِقّ. والسمرة: شجرة من العضاه، جيّد الخشب .
(٣) شجرة من فصيلة الباذنجيات، شائكة الأغصان .
(٤) نبات شائك معرش من فصيلة الورديات، ثمره أحمر وربما كان أصفر، وله نوى صلب مستدير .
(٥) وكأن تحديد جنس الشجرة مأخوذ من أهل الكتاب .
انظر: الطبري: ٢٠/٧١، ابن كثير: ٣/٣٨٩ .

﴿مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤)﴾

ومعنى الآية: إذا هَلَكَ أمرُ يدك وما ترى من شعاعها فأدخِلْها في جيبك تعدْ إلى حالتها الأولى .

«والجناح»: اليد كلها. وقيل: هو العضد. وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم: أمره الله أن يضم يده إلى صدره[1] فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية، وقال: ما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه .

قال مجاهد: كل من فزع فضم جناحيه إليه ذهب عنه الفزع .

وقيل: المراد من ضم الجناح: السكون، أي: سكن روعك واخفض عليك جانبك، لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه، ومثله قوله: «واخفضْ لهما جناح الذل من الرحمة» (الإسراء ـ ٢٤)، يريد الرفق، وقوله: «واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» (الشعراء ـ ٢١٥)، أي: ارفق بهم وألِنْ جانبك لهم .

قال الفراء: أراد بالجناح العصا، معناه: اضمم إليك عصاك .

وقيل: «الرَّهْب» الكُمّ بلغة حمير، قال الأصمعي: سمعت بعض الأعراب يقول: أعطني ما في رهبك، أي: في كمك، معناه: اضمم إليك يدك وأخرجها من الكم، لأنه تناول العصا ويده في كمه .

﴿فذانِك﴾، يعني: العصا، واليد البيضاء، **﴿برهانان﴾**، آيتان، **﴿من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾** .

﴿قال ربِّ إني قتلتُ منهم نفساً فأخاف أن يقتلونِ﴾ .

﴿وأخي هارونُ هو أفصح مني لساناً﴾، وإنما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه[2]، **﴿فأرسِلْه معي ردءاً﴾**، عوناً، يقال ردأته أي: أعنته، قرأ نافع **﴿رداً﴾** بفتح الدال

---

(١) في «أ» عضده .

(٢) تقدم ذلك في حديث الفتون في سورة (طه) ، وفي هذه السورة، وهو في الدر المنثور : ٥/٥٦٩ ـ ٥٧٩، وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : ١/٣٠٠ ـ ٣٠٧ وقال : هكذا ساق هذا الحديث الإمام النسائي، وأخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيرهما من حديث يزيد بن هارون . والأشبه ـ والله أعلم ـ أنه موقوف، وكونه مرفوعاً فيه نظر، وغالبه متلقى من الإسرائيليات، وفيه شيء يسير مصرّح برفعه في أثناء الكلام، وفي بعض ما فيه نظر، ونكارة، والأغلب أنه كلام =

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا
بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ
قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ
لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ

من غير همز طلباً للخفة، وقرأ الباقون بسكون الدال مهموزاً، ﴿يُصَدِّقني﴾، قرأ عاصم، وحمزة: برفع القاف على الحال، أي: ردءاً مصدقاً، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الدعاء والتصديق لهارون في قول الجميع، قال مقاتل: لكي يصدقني / فرعون، ﴿إني أخاف أن يكذِّبونِ﴾، يعني فرعون وقومه. ٦٣/ب

﴿قال سنشد عضدَك بأخيك﴾، أي: نقويك بأخيك، وكان هارون يومئذ بمصر، ﴿ونجعل لكما سلطاناً﴾، حجةً وبرهاناً، ﴿فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾، أي: لا يصلون إليكما بقتل ولا سوء لمكان آياتنا، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا بما نعطيكما من المعجزات فلا يصلون إليكما، ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾، أي: لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه.

﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات﴾، واضحات، ﴿قالوا ما هذا إلاّ سحرٌ مفترى﴾، مختلق، ﴿وما سمعنا بهذا﴾، بالذي تدعونا إليه، ﴿في آبائنا الأولين﴾.

﴿وقال موسى﴾، قرأ أهل مكة بغير واو، وكذلك هو في مصاحفهم، ﴿ربي أعلم بمن جاء بالهدى مِنْ عندِه﴾، بالحقّ من المبطل، ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾، العقبى المحمودة في الدار الآخرة، ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾، أي: الكافرون.

﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إلهٍ غيري فأوقد لي ياهامان على الطين﴾، فاطبخ لي الآجر، وقيل: إنه أول من اتخذ الآجر وبنى به، ﴿فاجعلْ لي صرحاً﴾، قصراً عالياً، وقيل: منارة، قال أهل التفسير(1): لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح، جمع هامان العمال والفعلة

= كعب الأحبار. وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك. والله أعلم.

(1) في «ب»: السِّيَر.

مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ
فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً
يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ
ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

حتى اجتمع خمسون ألف بنّاء سوى الأتباع والأجراء، ومن يطبخ الآجر والجص وينجر الخشب ويضرب المسامير، فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق، أراد الله عزّ وجلّ أن يفتنهم فيه، فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه وهي ملطخة دماً، فقال قد قتلتُ إلهَ موسى، وكان فرعون يصعد على البراذين، فبعث الله جبريل جنح غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف ألف رجل، ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب، ولم يبق أحد ممن عمل فيه بشيء إلاّ هلك[(١)]، فذلك قوله تعالى: ﴿فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطّلعُ إلى إله موسى﴾، أنظر إليه وأقف على حاله، ﴿وإني لأظنه﴾، يعني موسى، ﴿من الكاذبين﴾، في زعمه أن للأرض والخلق إلهاً غيري، وأنه رسوله .

﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يُرْجَعُون﴾، قرأ نافع، وحمزة، والكسائي ويعقوب: «يَرْجعون» بفتح الياء وكسر الجيم، [والباقون بضم الياء وفتح الجيم][(٢)] .

﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾، فألقيناهم، ﴿في اليمِّ فانظرْ كيفَ كان عاقبة الظالمين﴾ .

﴿وجعلناهم أئمة﴾، قادة ورؤساء، ﴿يدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنْصَرُون﴾، لا يمنعون من العذاب .

﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنةً﴾، خزياً وعذاباً، ﴿ويوم القيامة هم من المقبُوحين﴾، من المبعدين[(٣)] الملعونين، وقال أبو عبيدة: من المهلكين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من

---

(١) ذكره الطبري مختصراً عن السدي: ٢٠/٧٨، والقرطبي: ١٣/٢٨٩ وقال مشيراً إلى تضعيف هذا القول: «والله أعلم بصحة ذلك» .

(٢) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٣) في « أ »: المعذبين .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

المشوهين بسواد الوجود وزرقة العيون، يقال: قَبَحه الله، وقبَّحه: إذا جعله قبيحاً، ويقال: قبحه قبحاً، وقبوحاً، إذا أبعده من كل خير .

قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾، يعني: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى، ﴿بصائر للناس﴾، أي: ليبصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به، ﴿وهدىً﴾، من الضلالة لمن عمل به، ﴿ورحمةً﴾، لمن آمن به، ﴿لعلّهم يتذكرون﴾، بما فيه من المواعظ والبصائر .

﴿وما كنتَ﴾ يامحمد[1]، ﴿بجانب الغربي﴾، يعني: بجانب الجبل الغربي، قاله قتادة والسدي، وقال الكلبي: بجانب الوادي الغربي. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد حيث ناجى موسى ربَّه، ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾، يعني عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه، ﴿وما كنتَ من الشاهدين﴾، الحاضرين ذلك المقام فتذكره من ذات نفسك .

﴿ولكنّا أنشأنا قروناً﴾، خلقنا أمماً بعد موسى عليه السلام، ﴿فتطاول عليهم العُمُرُ﴾، أي: طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وتركوا أمره، وذلك أن الله تعالى قد عهد إلى موسى وقومه عهوداً في محمد ﷺ والإيمان به، فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها .

﴿وما كنتَ ثاوياً﴾، مقيماً، ﴿في أهل مدين﴾، كمقام موسى وشعيب فيهم، ﴿تتلوا عليهم آياتنا﴾، تذكرهم بالوعد والوعيد، قال مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم، ﴿ولكنّا كنّا مُرْسِلِين﴾، أي: أرسلناك رسولاً وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار، فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها ولم تخبرهم بها .

(١) ساقط من « أ » .

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم﴾

﴿وما كنتَ بجانب الطور﴾، بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى، ﴿إذ نادينا﴾، قيل: إذْ نادَيْنا موسى: خذِ الكتابَ بقوّة[1].

وقال وهب: قال موسى: ياربِّ أرني محمداً، قال: إنك لن تصل إلى ذلك، وإن شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم، قال: بلى يارب، قال الله تعالى: يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم[2].

وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير: ونادى يا أمة محمد قد أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني[3].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ ورفعه بعضهم ـ، قال الله: يا أمة محمد، فأجابوه من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. قال الله تعالى: يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي، قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل أن تدعوني، وقد غفرت لكم من قبل أن تعصوني، من جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداك عبدي ورسولي دخل الجنة، وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر[4].

قوله تعالى: ﴿ولكن رحمةً من ربِّك﴾، أي: ولكن رحمناك رحمة بإرسالك والوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك /، ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾، يعني: أهل ٦٤/أ
مكة، ﴿لعلهم يتذكرون﴾.

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾، عقوبة ونقمة، ﴿بما قدمت أيديهم﴾، من الكفر والمعصية،

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير: (إذ نادينا) موسى وكلّمناه، هذا قول الأكثرين. (٢٢٦/٦).

(٢) ذكره القرطبي: ٢٩٢/١٣، وتقدم في موضع سابق أن هذا من الأخبار المتلقاة عن أهل الكتاب مما أدخله وهب وغيره في مرويات التفسير، والله أعلم.

(٣) أخرجه النسائي في التفسير من سننه عن أبي زرعة عن أبي هريرة.
قال ابن كثير: (٣٩٢/٣): «وهكذا رواه ابن جرير: (٨١/٢٠) وابن أبي حاتم من حديث جماعة عن حمزة، وهو ابن حبيب الزيات، عن الأعمش، ورواه ابن جرير (٨١/٢٠) من حديث وكيع ويحيى بن عيسى عن الأعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة وهو ابن عمرو بن جرير أنه قال ذلك من كلامه. والله أعلم».
وزاد السيوطي في الدر (٤١٨/٦) نسبته للفريابي والحاكم ـ وصححه ـ، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل عن أبي هريرة.

(٤) عزاه السيوطي لابن مردويه عن ابن عباس. انظر: الدر المنثور ٤١٨/٦.

مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ
ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ
أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ
تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ٤٨ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ
مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٩ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ

﴿**فيقولوا ربنا لولا**﴾، هلاَّ، ﴿**أرسلت إلينا رسولاً فَنَتَّبِعَ آياتك ونكونَ من المؤمنين**﴾، وجواب «لولا» محذوف، أي: لعاجلناهم بالعقوبة، يعني: لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم. وقيل: معناه لما بعثناك إليهم رسولاً ولكن بعثناك إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

﴿**فلما جاءهم الحق من عندنا**﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿**قالوا**﴾، يعني: كفار مكة، ﴿**لولا**﴾، هلا، ﴿**أوتي**﴾، محمد، ﴿**مثلَ ما أُوتي موسى**﴾، [من الآيات كاليد البيضاء والعصا، وقيل: مثل ما أوتي موسى][(1)] كتاباً جملة واحدة.

قال الله تعالى: ﴿**أوَ لَمْ يكفروا بما أُوتي موسى من قبل**﴾، أي: فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد، ﴿**قالوا سِحْرَانِ تظاهرا**﴾، قرأ أهل الكوفة: «سحران»، أي: التوراة والقرآن. «تظاهرا» يعني: كل سحر يقوي الآخر، نسب التظاهر إلى السحرين على الاتساع، قال الكلبي: كانت مقالتهم تلك حين بعثوا إلى رؤوس اليهود بالمدينة، فسألوهم عن محمد فأخبروهم أن نعته في كتابهم التوراة، فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود، فقالوا: سِحْرَانِ تظاهرا.

وقرأ الآخرون: «ساحران» يعنون محمداً وموسى عليهما السلام، لأن معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب، ﴿**وقالوا إنا بكلٍّ كافرون**﴾.

﴿**قلْ**﴾، لهم يامحمد، ﴿**فأتوا بكتابٍ من عند الله هو أهدى منهما**﴾، يعني: من التوراة والقرآن، ﴿**أتّبعْه إن كنتم صادقين**﴾.

﴿**فإن لم يستجيبوا لك**﴾، أي: لم يأتوا بما طلبت، ﴿**فاعلم أنّما يتبعون أهواءهم ومن أضلُّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾.

---

(1) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

﴿ولقد وصَّلْنا لهم القول﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بيَّنا. قال الفرَّاء: أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضاً. قال قتادة: وصل لهم القول في هذا القرآن، يعني كيف صنع بمن مضى. قال مقاتل: بيّنا لكفار مكة بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عذبوا[1] بتكذيبهم. وقال ابن زيد: وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة[2] حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا، ﴿لعلّهم يتذكرون﴾ .

﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾، من قبل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وقيل: من قبل القرآن، ﴿هم به يؤمنون﴾، نزلت في مؤمني أهل الكتاب؛ عبدالله بن سلام وأصحابه[3] .

وقال مقاتل: بل هم أهل الإنجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي ﷺ[4] .

[وقال سعيد بن جبير: هم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي ﷺ][5]، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا: يانبي الله إن لنا أموالاً [فإن أذنت لنا انصرفنا][5] وجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها [فأذن لهم، فانصرفوا فأتوا بأموالهم، فواسوا بها المسلمين][5]، فنزل فيهم : ﴿الذين آتيناه الكتاب﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾[6] .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب، أربعون من نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من الشام[7]. ثم وصفهم الله فقال :

(١) في « أ »: كيف عَدَوا .
(٢) في «ب»: خير الدنيا بخير الآخرة .
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي. انظر: الدر المنثور: ٤٢٦/٦، زاد المسير: ٢٢٩/٦، البحر المحيط: ١٢٥/٧ .
(٤) انظر فيما سبق: ٨٧/٢ .
(٥) ما بين القوسين ساقط من « أ » .
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، انظر: الدر المنثور: ٤٢٧/٦ .
وأخرج الطبراني نحوه مطولاً عن ابن عباس رضي الله عنهما بسندٍ فيه من لا يعرف. انظر: أسباب النزول للسيوطي بهامش تفسير الجلالين ص (٧٢١) في أسباب نزول سورة الحديد .
(٧) انظر: زاد المسير ٢٢٩/٦، تفسير ابن كثير: ٣٩٤/٣ـ٣٩٥، وراجع فيما سبق: ٨٥/٢ـ٨٧. والله أعلم أي ذلك كان .
«وأياً كان الذين نزلت في أمرهم هذه الآيات، فالقرآن يرد المشركين إلى حادث وقع، يعلمونه ولا ينكرونه، كي يقفهم وجهاً لوجه أمام نموذج من النفوس الخالصة كيف تتلقى هذا القرآن، وتطمئن إليه، وترى فيه الحق، وتعلم مطابقته لما بين أيديها من الكتاب. ولا يصدها عنه صادّ من هوى ولا من كبرياء، وتحتمل في سبيل الحق الذي آمنت به ما يصيبها =

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿**وإذا يُتلى عليهم**﴾، يعني القرآن، ﴿**قالوا آمنا به إنه الحقُّ من ربنا**﴾، وذلك أن ذكر النبي ﷺ كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ﴿**إنّا كنّا من قبله مسلمين**﴾، أي: من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد ﷺ أنه نبي حق.

﴿**أولئك يُؤْتون أجرَهم مرتين**﴾، لإيمانهم بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ﴿**بما صبروا**﴾، على دينهم.

قال مجاهد: نزلت في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأوذُوا[(١)].

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن حفص الجويني، أخبرنا أحمد بن سعيد الدارمي، أخبرنا عثمان، أخبرنا شعبة، عن صالح، عن الشعبي، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يُؤْتون أجرهم مرتين: رجل كانت له جارية فأدّبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها، ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد ﷺ، وعبدٌ أحسن عبادةَ الله ونصحَ سيّده»[(٢)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ويدرؤون بالحسنةِ السيئةَ**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشركَ، قال مقاتل: يدفعون ما سمعوا من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو[(٣)]، ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾، في الطاعة.

﴿**وإذا سمعوا اللّغوَ**﴾، القبيح من القول، ﴿**أعْرَضوا عنه**﴾، وذلك أن المشركين كانوا يسبُّون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تباً لكم تركتم دينكم، فيعرضون عنهم ولا يردُّون عليهم، ﴿**وقالوا**

= من أذى وتطاول من الجهلاء، وتصبر على الحق في وجه الأهواء ووجه الايذاء».
انظر: في ظلال القرآن: ٥/٢٧٠٠-٢٧٠١.

(١) عزاه السيوطي في الدر: ٦/٤٢٧ لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) أخرجه البخاري في العلم، باب تعليم الرجل أَمَته وأهله: ١/٩٠، ومسلم في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس، برقم (٩٧): ١/١٣٤، والمصنف في شرح السنة: ١/٥٣.

(٣) انظر فيما سبق: سورة الرعد، الآية (٢٢).

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

لنا أعمالُنا ولكم أعمالكم﴾، لنا ديننا ولكم دينكم، **﴿سلامٌ عليكم﴾**، ليس المراد منه سلام التحية، ولكنه سلام المتاركة، معناه: سلمتمُ منّا لا نُعارضكم بالشتم والقبيح من القول، **﴿لا نبتغي الجاهلين﴾**، أي: دين الجاهلين؛ يعني: لا نحب دينكم الذي أنتم عليه. وقيل: لا نريد أنْ نكون من أهل الجهل والسفه، وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال[(١)] .

قوله تعالى : **﴿إنك لا تهدي من أحببتَ﴾**، أي: أحببت هدايته. وقيل: أحببته لقرابته، **﴿ولكنَّ الله يهدي من يشاءُ وهو أعلمُ بالمهتدين﴾**، قال مجاهد، ومقاتل: لمن قُدّر له الهدى، نزلت في أبي طالب قال له النبي ﷺ : قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررتُ بها عينك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[(٢)] .

﴿وقالوا إنْ نتَّبعِ الهُدَى معك نُتخطَّفْ من أرضنا﴾، مكة، نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق، ولكنّا إن اتبعناك على دينك خفنا أن تُخرِجنا العرب من أرضنا مكة[(٣)]. وهو معنى قوله : **﴿نتخطف من أرضنا﴾**
/، والاختطاف: الانتزاع بسرعة . ٦٤/ب

قال الله تعالى : **﴿أو لم نمكنْ لهم حَرَماً آمناً﴾**، وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم عَلى بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون حيث كانوا، لحرمة الحرم، ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة، **﴿يُجْبَى﴾**، قرأ أهل المدينة ويعقوب: «تجبى» بالتاء لأجل الثمرات، والآخرون بالياء للحائل بين الاسم المؤنث والفعل، أي: يجلب ويجمع، **﴿إليه﴾**، يقال: جبيت الماء في الحوض أي: جمعته، قال مقاتل: يحمل إلى الحرم، **﴿ثمراتُ كلِ شيءٍ رزقاً منْ لَدُنّا ولكنّ أكثرهم لا يعلمون﴾**، أنّ ما يقوله حق .

---

(١) راجع فيما سبق: ٣٢/٣ تعليق (١) .

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت... برقم (٢٤): ٥٥/١، وأخرجه البخاري مطولاً بلفظ آخر في التفسير: ٥٠٦/٨ .
وانظر: الدر المنثور ٤٢٨/٦، أسباب النزول للواحدي ص (٣٩٠) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٤٣٠/٦) للنسائي وابن المنذر، عن ابن عباس رضي الله عنهما: وانظر: المحرر الوجيز: ١٧٧/١٢ .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ
بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ
يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا
ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ
خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ
مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿**وكم أهلكنا من قرية**﴾، [أي من أهل قرية][1]، ﴿**بطِرَتْ معيشتها**﴾، أي: في معيشتها، أي: أشرت وطغت، قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام، ﴿**فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاّ قليلاً**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسكنها إلا المسافرون ومارُّ الطريق، يوماً أو ساعة، معناه: لم تسكن من بعدهم إلا سكوناً قليلاً. وقيل: معناه: لم يعمر منها إلا أقلها وأكثرها خراب، ﴿**وكنّا نحن الوارثين**﴾، كقوله: «إنا نحن نرث الأرض ومن عليها» (مريم ــ ٤٠) .

﴿**وما كان ربك مهلك القرى**﴾، أي: القرى الكافرة أهلها، ﴿**حتى يبعث في أُمِّها رسولاً**﴾، يعني: في أكبرها وأعظمها رسولاً ينذرهم، وخص الأعظم ببعثة الرسول فيها، لأن الرسول يبعث إلى الأشراف، والأشراف يسكنون المدائن، والمواضع التي هي أُمُّ ما حولها، ﴿**يتلوا عليهم آياتنا**﴾، قال مقاتل: يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا، ﴿**وما كنّا مهلكي القرى إلا وأهلُها ظالمون**﴾، مشركون، يريد: أهلكتهم بظلمهم .

﴿**وما أُوتيتم من شيءٍ فمتاعُ الحياة الدنيا وزينتُها**﴾، تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء، ﴿**وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون**﴾، أن الباقي خير من الفاني .

قرأ عامة القراء: «تعقلون» بالتاء وأبو عمرو بالخيار بين التاء والياء .

﴿**أفمنْ وعدناه وعداً حسناً**﴾، أي الجنة، ﴿**فهو لاقيه**﴾، مصيبه ومدركه وصائر إليه، ﴿**كمن متّعناه متاعَ الحياة الدنيا**﴾، ويزول عن قريب ﴿**ثم هو يوم القيامة من المُحْضَرين**﴾، النار، قال

---

(١) ساقط من « أ » .

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ
لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾

قتادة: يعني المؤمن والكافر، قال مجاهد: نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل[١].

وقال محمد بن كعب: نزلت في حمزة وعلي، وأبي جهل[٢].

وقال السدي: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة[٣].

﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾، في الدنيا أنهم شركائي.

﴿قال الذين حقَّ عليهم القول﴾، وجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة، ﴿ربَّنا هؤلاء الذين أغوينا﴾، أي: دعوناهم إلى الغي، وهم الأتباع، ﴿أغويناهم كما غَوَيْنَا﴾، أضللناهم كما ضللنا، ﴿تبرأنا إليك﴾، منهم، ﴿ما كانوا إيّانا يعبدون﴾، برىء بعضهم من بعض وصاروا أعداء، كما قال تعالى: «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو» (الزخرف ـ ٦٧).

﴿وقيل﴾، للكفار: ﴿ادعوا شركاءَكم﴾، أي: الأصنام لتخلصكم من العذاب، ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾، لم يجيبوهم، ﴿ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾، وجواب «لو» محذوف على تقدير: لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب.

﴿ويوم يناديهم﴾، أي: يسأل الله الكفار، ﴿فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾.

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٩٧، وذكره الواحدي في الأسباب ص (٣٩١) دون سند ولم ينسبه لأحد، المحرر الوجيز: ١٢/١٧٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٩٧، والواحدي (٣٩١) عن مجاهد.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص (٣٩١).

ونقل القرطبي عن القشيري قال: والصحيح أنها نزلت في المؤمن والكافر على التعميم. وقال الثعلبي: وبالجملة فإنها نزلت في كل كافر مُتّع في الدنيا بالعافية والغنى، وله في الآخرة النار، وفي كل مؤمن صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعد الله، وله في الآخرة الجنة». تفسير القرطبي: ١٣/٣٠٣.

وكذلك ذهب ابن كثير (٣/٣٩٧) إلى أنها عامة، وهذا كقوله تعالى إخباراً عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه وهو في الدرجات، وذاك في الدركات فقال: «ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين» وقال تعالى: «ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون».

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ
مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ
مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ
وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

﴿**فَعَمِيَتْ**﴾، خفيت واشتبهت، ﴿**عليهم الأنباء**﴾، أي: الأخبار والأعذار، قال مجاهد: الحجج، ﴿**يومئذ**﴾ فلا يكون لهم عذر ولا حجة، ﴿**فهم لا يتساءلون**﴾: لا يجيبون، وقال قتادة: لا يحتجون، وقيل: يسكتون لا يسأل بعضهم بعضاً .

﴿**فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين**﴾، من السعداء الناجين .

قوله تعالى : ﴿**وربُّك يخلق ما يشاء ويختار**﴾، نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا: «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»، يعني: الوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود الثقفي[(١)]، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**ما كان لهم الخِيَرة**﴾، قيل: «ما» للإثبات، معناه: ويختار الله ما كان لهم الخيرة، أي: يختار ما هو الأصلح والخير[(٢)]. وقيل: هو للنفي[(٣)] أي: ليس إليهم الاختيار، وليس لهم أن يختاروا على الله، كما قال تعالى: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة» (الأحزاب ـ ٣٦)، «والخيرة»: اسم من الاختيار يقام مقام المصدر، وهي اسم للمختار أيضاً كما يُقال: محمدٌ خيرةُ اللّهِ من خلقه. ثم نزّه نفسه فقال : ﴿**سبحانَ الله وتعالى عمّا يشركون**﴾ .

﴿**وربُّك يعلم ما تُكِنُّ صدورُهم وما يُعلنون**﴾، يظهرون .

﴿**وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأُولى والآخرة**﴾، يحمده أولياؤه في الدنيا، ويحمدونه في الآخرة في الجنة، ﴿**وله الحكم**﴾، فصل القضاء بين الخلق. قال ابن عباس رضي الله عنهما:

---

(١) انظر أسباب النزول للسيوطي بهامش الجلالين ص (٢٨٨ـ٢٨٩) .

(٢) وهو ترجيح الطبري: ٢٠/١٠٠ـ١٠١، وانظر: البحر المحيط: ١٢٩/٧ .

(٣) ورجح هذا: النحاس في معاني القرآن: ١٩٤/٥، قال الحافظ ابن كثير: (٣٩٨/٣): «والصحيح أنها نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضاً. فإن المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق والتقدير والاختيار وأنه لا نظير له في ذلك، ولهذا قال : «سبحان الله وتعالى عما يشركون» أي: من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً» .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم
بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟
أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء، ﴿**وإليه ترجعون**﴾ .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**قل أرأيتم**﴾، أخبروني[1] يا أهل مكة، ﴿**إنْ جعل الله عليكم الليل سَرْمداً**﴾، دائماً، ﴿**إلى يوم القيامة**﴾، لا نهارَ معه، ﴿**مَنْ إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بضياء**﴾، بنهار تطلبون فيه المعيشة، ﴿**أفلا تسمعون**﴾، سماعَ فهمٍ وقبول .

﴿**قل أرأيتم إنْ جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة**﴾، لا ليل فيه، ﴿**مَنْ إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه أفلا تُبصرون**﴾، ما أنتم عليه من الخطأ .

﴿**ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه**﴾، أي: في الليل، ﴿**ولتبتغوا من فضله**﴾ بالنهار، ﴿**ولعلّكم تشكرون**﴾، نعم الله عزّ وجلّ .

﴿**ويومَ يناديهم فيقولُ أين شركائي الذين كنتم تزعُمون**﴾، كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ .

﴿**ونزعنا**﴾، أخرجنا، ﴿**من كل أمة شهيداً**﴾، يعني: رسولهم الذي أرسل إليهم، كما قال : «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد» (النساء ـ ٤١)، ﴿**فقلنا هاتوا برهانكم**﴾، حجتكم بأن معي شريكاً. ﴿**فعلموا أن الحقَّ**﴾، التوحيد، ﴿**لله وضلّ عنهم ما كانوا يَفْترون**﴾، في الدنيا .

---

(١) ساقط من « أ » .

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّ قارون كان من قوم موسى﴾، كان ابن عمه؛ لأنه قارون بن يصهر
٦٥/أ / بن قاهث بن لاوي ابن يعقوب عليه السلام، وموسى بن عمران بن قاهث، وقال ابن إسحاق: كان قارون عم موسى، كان أخا عمران، وهما ابنا يصهر، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون، ولكنه نافق كما نافق السامري، ﴿فبغى عليهم﴾، قيل: كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل، فكان يبغي عليهم ويظلمهم، وقال قتادة: بغى عليهم بكثرة المال.

وقال الضحاك: بغي عليهم بالشرك.

وقال شهر بن حوشب: زاد في طول ثيابه شبراً، وروينا عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ ثوبه خيلاء»[1].

وقيل: بغي عليهم بالكبر والعلو.

﴿وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتِحه﴾، هي جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب، هذا قول قتادة ومجاهد وجماعة، وقيل: مفاتحه: خزائنه، كما قال: «وعنده مفاتح الغيب» (الأنعام ـ ٥٩)، أي: خزائنه، ﴿لَتنوءُ بالعُصْبَةِ أولي القوّة﴾، أي: لَتُثْقِلُهم، وتميل بهم إذا حملوها لثقلها، قال أبو عبيدة: هذا من المقلوب، تقديره: ما إن العصبة لتنوء بها، يقال: ناء فلان بكذا إذا نهض به مثقلاً.

واختلفوا في عدد العصبة، قال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين. وقيل: أربعون رجلاً. وقيل: سبعون.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان يحمل مفاتحه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال.

وقال جرير عن منصور عن خيثمة، قال: وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلاً ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كنز[2].

(١) أخرجه البخاري في اللباس، باب من جرّ إزاره: ٢٥٤/١٠، ومسلم في اللباس، باب تحريم جرّ الثوب.. برقم (٢٠٨٥) ١٦٥٢/٣، والمصنف في شرح السنة: ٩/١٢.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية: ١٨٦/١٢.

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾

ويقال: كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه، وكانت من حديد، فلما ثقلت عليه جعلها من خشب، فثقلت فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع، وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلاً[1] .

﴿إذْ قال له قومُه﴾، قال لقارون قومه من بني إسرائيل: ﴿لا تفرح﴾، لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح، ﴿إنّ الله لا يحب الفَرِحِيْن﴾، الأَشِرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم .

﴿وآبتغِ فيما آتاكَ اللّهُ الدارَ الآخرة﴾، اطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة والجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله تعالى، ﴿ولا تنسَ نصيبك من الدنيا﴾، قال مجاهد، وابن زيد: لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب، لأن حقيقة نصيب الإنسانِ من الدنيا أن يعمل للآخرة. وقال السدي: بالصدقة وصلة الرحم .

وقال علي: لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن شاذان، أخبرنا أبو يزيد حاتم ابن محبوب الشامي، أخبرنا حسين المروزي، أخبرنا عبدالله بن المبارك، أخبرنا جعفر بن برقان، عن زياد بن الجراح، عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قال رسول الله ﷺ: لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» الحديث مرسل[2] .

قال الحسن: أمر أن يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه، قال منصور بن زاذان في قوله: «ولا تنسَ نصيبك من الدنيا»، قال: قوتك وقوت أهلك .

﴿وأحسنْ كما أحسنَ الله إليك﴾، [أي: أحسن بطاعة الله][3] كما أحسن الله إليك بنعمته.

(١) انظر الأقوال السالفة كلها في: الطبري ٢٠/١٠٥ـ١١٠، الدر المنثور: ٦/٤٣٧ـ٤٣٨. وهي أقوال كثيرة متضاربة ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، والله أعلم أي ذلك كان .

(٢) أخرجه مرسلاً ـ كما قال المصنف: أبو نعيم في حلية الأولياء: ٤/١٤٨، والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ص (٢١٨) بتحقيق الألباني، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٣/٢٢٣ ووصله الحاكم في المستدرك عن ابن عباس وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي: ٤/٣٠٦، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤/٢٢٤، وابن المبارك في الزهد ص (٢) بسند صحيح من مرسل عمرو بن ميمون. انظر: فتح الباري: ١١/٢٣٥ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ
مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ
عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ
قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾

وقيل: أحسنْ إلى الناس كما أحسنَ الله إليك، ﴿**ولا تبغِ الفسادَ في الأرض**﴾، كلُّ من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض، ﴿**إن الله لا يحب المفسدين**﴾.

﴿**قال**﴾، يعني قارون، ﴿**إنما أُوتيتهُ على علم عندي**﴾، أي: على فضل وخير عِلمَه الله عندي فرآني أهلاً لذلك، ففضَّلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره. قيل: هو علم الكيمياء، قال سعيد ابن المسيب: كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه وكان ذلك سبب أمواله[1].

وقيل: «على علم عندي» بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب.

قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يعلم أن الله قد أهلكَ مِنْ قبله من القرون**﴾، الكافرة، ﴿**مَنْ هو أشدُّ منه قوةً وأكثرُ جَمْعاً**﴾، للأموال، ﴿**ولا يُسْئل عن ذنوبهم المجرمون**﴾، قال قتادة: يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال، وقال مجاهد: يعني لا يسأل الملائكة عنهم، لأنهم يعرفونهم بسيماهم. وقال الحسن: لا يُسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.

﴿**فخرج على قومه في زينته**﴾، قال إبراهيم النخعي: خرج هو وقومه في ثياب حمر وصفر، قال ابن زيد: في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات. [قال مجاهد: على براذين بيض عليها سرج الأرجوان][2]. قال مقاتل: خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان، ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر، وهن على البغال الشهب، ﴿**قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مِثْلَ ما أُوتيَ قارونُ إنّه لذوُ حظٍ عظيم**﴾، من المال.

---

(١) وهذا القول ضعيف لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل لأن قلب الأعيان لا يقدر عليها أحد إلا الله عزّ وجلّ: انظر بالتفصيل: تفسير ابن كثير: ٣/٤٠٠.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿**وقال الذين أُوتوا العلمَ**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني الأحبار من بني إسرائيل. وقال مقاتل: أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة، قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون في الدنيا: ﴿**ويلكم ثواب الله خير**﴾، يعني ما عند الله من الثواب والجزاء خير ﴿**لمن آمن**﴾، صدق بتوحيد الله، ﴿**وعمل صالحاً**﴾، مما أُوتي قارون في الدنيا، ﴿**ولا يُلَقَّاها إلا الصابرون**﴾، قال مقاتل: لا يؤتاها، يعني الأعمال الصالحة. وقال الكلبي لا يعطاها في الآخرة. وقيل: لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله: «ويلكم ثواب الله خير» إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**فخسفنا به وبداره الأرض**﴾، قال أهل العلم بالأخبار: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم / وكان حسن ٦٥/ب الصوت فبغى وطغى، وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كل طرف خيطاً أزرق كلون السماء، يذكرون به إذا نظروا إليها، ويعلمون أني منزل منها كلامي، فقال موسى: يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراً فإن بني إسرائيل تحقر هذه الخيوط، فقال له ربه: ياموسى إن الصغير من أمري ليس بصغير فإذا هم لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير، [فدعاهم موسى عليه السلام][1]، وقال: إن الله يأمركم أن تعلقوا في أرديتكم خيوطاً خضراً كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها، ففعلت بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى، واستكبر قارون فلم يطعه، وقال: إنما يفعل هذا الأربابُ بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم، فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون، وهي رياسة المذبح، فكان بنو إسرائيل يأتون بهديهم إلى هارون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله، فوجد قارون من ذلك في نفسه وأتى موسى فقال: ياموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة، ولستُ في شيء من ذلك، وأنا أقرأ التوراة، لا صبر لي على هذا. فقال له موسى: ما أنا جعلتها في هارون بل الله جعلها له. فقال قارون: والله لا أصدقك حتى تريني بيانه، فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل فقال: هاتوا عصيكم، فحزمها وألقاها في قبته التي كان

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

يعبد الله فيها، فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا، فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز، فقال موسى: ياقارون ترى هذا؟ فقال قارون: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، واعتزل قارونُ موسى بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد إلا عتواً وتجبراً ومعاداةً لموسى، حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وعن كل ألف شيء على شيء، ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه، فجمع بني إسرائيل فقال لهم: يابني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة البغيّ، فنجعل لها جُعْلاً حتى تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج بنو إسرائيل عليه ورفضوه، فدعوها فجعل لها قارون ألف درهم، وقيل ألف دينار، وقيل طستاً من ذهب، وقيل: قال لها إني أمولك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض، فقام فقال: يابني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة، ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنتَ؟ قال: وإن كنتُ أنا، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة قال: ادعوها فإن قالت فهو كما قالت، فلما أن جاءت قال لها موسى: يافلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظَّم عليها، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلاّ صدقت، فتداركها الله تعالى بالتوفيق فقالت في نفسها: أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله ﷺ، فقالت: لاَ، كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فخرَّ موسى ساجداً يبكي ويقول: اللهم إن كنتُ رسولك فاغضبْ لي، فأوحى الله تعالى إليه: إني أمرتُ الأرض أن تطيعك، فمرها بما شئت، فقال موسى: يابني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا ولم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى: يا أرض خذيهم فأخذت الأرض بأقدامهم .

وفي رواية: كان على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ

إلى الركب، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط، ثم قال: يا أرض[1] خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق، وقارون وأصحابه في كل ذلك يتضرعون[1] إلى موسى، ويناشده قارون الله والرحم، حتى روي أنه ناشده سبعين مرة وموسى عليه السلام في كل ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الأرض، وأوحى الله إلى موسى ما أغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه، أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثتُه. وفي بعض الآثار: لا أجعل الأرض بعدك طوعاً لأحد[2].

قال قتادة: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة.

قال: وأصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله تعالى موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض، فذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾**، **﴿فما كان له من فئة﴾**، جماعة، **﴿ينصرونه من دون الله﴾**، يمنعونه من الله، **﴿وما كان من المنتصرين﴾**، من الممتنعين مما نزل به من الخسف.

﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس﴾، صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من المال والزينة يتندمون على ذلك التمني، والعرب تعبر عن الصيرورة بأضحى وأمسى وأصبح، تقول: أصبح فلان عالماً[3]، وأضحى معدماً، وأمسى حزيناً، **﴿يقولون ويكأنّ الله﴾**، اختلفوا في معنى هذه اللفظة، قال مجاهد: ألم تعلم، وقال قتادة: ألم ترَ. قال الفراء: هي كلمة تقرير / كقول الرجل: أما ترى 66/أ
إلى صنع الله وإحسانه. وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها: أين ابنك؟ فقال: ويكأنه وراء البيت، يعني: أما ترينه وراء البيت. وعن الحسن: أنه كلمة ابتداء، تقديره: أن الله يبسط الرزق. وقيل: هو تنبيه بمنزلة ألا، وقال قطرب: «ويك» بمعنى ويلك، حذفت منه اللام، كما قال عنترة:

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا		قَوْلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ[4]

(١) ساقط من «أ».

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/٤٠٢) وفي البداية والنهاية (١/٣٠٩-٣١١) هلاك قارون بسبب دعوة موسى واختلاف العلماء في سبب ذلك، ثم قال: وقد ذكر هنا كثير من المفسرين إسرائيليات كثيرة غريبة ضربنا عنها صفحاً وتركناها قصداً. وفي هذا إشارة إلى مصدر الروايات التي ساقها البغوي رحمه الله.

(٣) في «ب»: غانماً.

(٤) البيت لعنترة من شواهد الفرّاء والطبري.

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ
عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾

أي : ويلك، و«أن» منصوب بإضمار اعلم أن الله، وقال الخليل: «وي» مفصولة من «كأن» ومعناها التعجب، كما تقول: وي لم فعلت ذلك! وذلك أن القوم تندموا فقالوا: وي! متندمين على ما سلف منهم وكأن معناها أظن ذلك وأقدره، كما تقول كأن: الفرج قد أتاك أي أظن ذلك وأقدره، ﴿**يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر**﴾، أي: يوسع ويضيق، ﴿**لولا أنْ منّ الله علينا لخسف بنا**﴾، قرأ حفص، ويعقوب: بفتح الخاء والسين، وقرأ العامة بضم الخاء وكسر السين، ﴿**ويكأنه لا يفلح الكافرون**﴾.

قوله تعالى : ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض**﴾، قال الكلبي ومقاتل: استكباراً عن الإيمان، وقال عطاء: «علواً» استطالةً على الناس وتهاوناً بهم. وقال الحسن: لم يطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطان. وعن علي رضي الله عنه: أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل القدرة[1]، ﴿**ولا فساداً**﴾ قال الكلبي: هو الدعاء إلى عبادة غير الله. وقال عكرمة: أخذ أموال الناس بغير حق. وقال ابن جريج ومقاتل: العمل بالمعاصي .

﴿**والعاقبة للمتقين**﴾، أي: العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أوامره واجتناب معاصيه. وقال قتادة: الجنة للمتقين .

﴿**من جاء بالحسنةِ فله خيرٌ منها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى الذين عملوا السيئاتِ إلاّ ما كانوا يعملون**﴾ .

قوله تعالى : ﴿**إنّ الذي فرض عليك القرآن**﴾، أي: أنزل عليك القرآن على قول أكثر المفسرين، وقال عطاء: أوجب عليك العمل بالقرآن، ﴿**لرادُّكَ إلى معاد**﴾، إلى مكة، وهي رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما[2]، وهو قول مجاهد. قال القتيبي: معاد الرجل: بلده، لأنه

---

(١) أخرجه ابن مردويه وابن عساكر عن علي رضي الله عنه، انظر: الدر المنثور: ٤٤٤/٦ .
(٢) أخرجه البخاري: ٥٠٩/٨-٥١٠ .

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

ينصرف ثم يعود إلى بلده[(١)]، وذلك أن النبي ﷺ لمّا خرج من الغار مهاجراً إلى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فأتاه جبريل عليه السلام وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿إنّ الذي فرضَ عليك القرآنَ لرادّك إلى معاد﴾[(٢)]، وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية[(٣)].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لرادّك إلى معاد» إلى الموت[(٤)]. وقال الزهري وعكرمة: إلى القيامة[(٥)]. وقيل: إلى الجنة[(٦)].

﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى﴾، [أي: يعلم من جاء بالهدى][(٧)]، وهذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي ﷺ: إنك لفي ضلال، فقال الله عزّ وجلّ: قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى، يعني نفسه، ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾، يعني المشركين، ومعناه: أعلم بالفريقين.

قوله تعالى: ﴿وما كنتَ ترجو أن يُلقى إليك الكتابُ﴾، أي: يوحى إليك القرآن، ﴿إلاّ رحمةً من ربك﴾، قال الفراء: هذا من الاستثناء المنقطع، معناه: لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن، ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾، أي: مُعِيناً لهم على دينهم. قال مقاتل: وذلك حين دعي إلى دين آبائه فذكر الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه.

---

(١) (إلى بلده) ساقط من «ب». وعبارة ابن قتيبة في «المشكل» ص (٤٢٥):... «لأنه يتصرف في البلاد، ويضرب في الأرض ثم يعود إلى بلده...» وهي أوضح وأصح مما نقله المصنف رحمه الله.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٣) قال ابن كثير: (٣/٤٠٤) «وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكياً، والله أعلم».

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/١٢٥، وابن أبي حاتم. قال الحافظ في الفتح: (٨/٥١٠): وإسناده لا بأس به.

(٥) أخرج ابن أبي حاتم من طريق مجاهد قال: «يحييك يوم القيامة» وأما الحسن والزهري فقالا: هو يوم القيامة، وروى ابن أبي يعلى من طريق أبي جعفر محمد بن علي قال: سألت أبا سعيد عن هذه الآية؟ فقال: معاده آخرته، وفي إسناده جابر الجعفي وهو ضعيف.

انظر: فتح الباري: ٨/٥١٠.

(٦) رواه الطبري: ٢٠/١٢٤ وإسناده ضعيف كما في الموضع السابق من الفتح.

(٧) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿**ولا يَصُدُّنَّك عن آيات الله**﴾، يعني القرآن، ﴿**بعد إذ أُنزلت إليك وادعُ إلى ربِّك**﴾، إلى معرفته وتوحيده، ﴿**ولا تكوننّ من المشركين**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد به أهل دينه، أي: لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم.

﴿**ولا تدعُ مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه**﴾، أي: إلا هو، وقيل: إلا ملكه، قال أبو العالية: إلا ما أريد به وجهه، ﴿**له الحكم**﴾، أي: فصل القضاء، ﴿**وإليه تُرجَعون**﴾، تردون[1] في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

---

(١) ساقط من «أ».

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

سورة العنكبوت

مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾

﴿الم أحَسِبَ الناسُ﴾، [أظَنَّ الناسُ][2]، **﴿أن يُتركوا﴾** بغير اختبار ولا ابتلاء، **﴿أنْ يقولوا﴾**، [أي: بأن يقولوا][3]، **﴿آمنا وهم لا يفتنون﴾**، لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم؟ كلا لنختبرنهم ليبيِّن المخلص من المنافق والصادق من الكاذب .

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية، قال الشعبي: نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ: أنه لا يقبل منكم إقرار بالإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله هاتين الآيتين[4] .

---

(١) سورة العنكبوت مكية كلها وذلك مروي عن ابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وقتادة، وعطاء، وجابر بن زيد، ومقاتل . وفي رواية عن ابن عباس أنها مدنية .
وقال هبة الله بن سلامة: نزل من أولها إلى رأس العشر بمكة، وباقيها بالمدينة، وفي الروايات بالعكس: أن الآيات الأولى مدنية، وذلك لذكر «الجهاد» فيها، وذكر «المنافقين».. والراجح أن السورة كلها مكية. وقد ورد في سبب نزول الآية الثامنة أنها نزلت في إسلام سعد بن أبي وقاص ـ كما سيجيء ـ وإسلام سعد كان في مكة بلا جدال. وهذه الآية ضمن الآيات الإحدى عشرة التي قيل إنها مدنية. لذلك يرجح الأستاذ سيد قطب رحمه مكية الآيات كلها. أما تفسير ذكر الجهاد فيها فيسير، لأنها واردة بصدد الجهاد ضد الفتنة، أي: جهاد النفس لتصبر ولا تفتن. وهذا واضح في السياق. وكذلك ذكر المنافقين، فقد جاء بصدد تصوير حالة نموذج من الناس .
والسورة كلها متماسكة في خط واحد منذ البدء إلى الختام، انظر: الدر المنثور: ٤٤٩/٦، زاد المسير: ٢٥٣/٧، البحر المحيط: ١٣٩/٧، تفسير القرطبي: ٣٢٣/١٣، في ظلال القرآن: ٢٧١٨/٥، فيما سيأتي تفسير الآية (١١) من السورة .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) عزاه السيوطي في الدر: (٤٤٩/٦) لعبد بن حميد، وابن جرير الطبري، ١٢٩/٢٠، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وذكره =

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

وكأن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أراد بالناس الذين آمنوا بمكة: سلمة بن هشام، وعياش ابن ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر وغيرهم.

وقال ابن جريج: نزلت في عمار بن ياسر، كان يعذب في الله عزّ وجلّ[1].

وقال مقاتل: نزلت في مِهْجَع بن عبدالله مولى عمر، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر، فقال النبي ﷺ: «سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة»، فجزع أبواه وامرأته فأنزل الله فيهم هذه الآية[2].

وقيل: «وهم لا يفتنون» بالأوامر والنواهي، وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان، ثم فرض عليهم الصلاة، والزكاة، وسائر الشرائع، فشقّ على بعضهم، فأنزل الله هذه الآية، ثم عزّاهم فقال:

﴿ولقد فتنّا الذين من قبلهم﴾، يعني الأنبياء والمؤمنين، فمنهم من نُشِرَ بالمنشار ومنهم من قتل، وابتلي بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب /، ﴿فَلَيَعْلَمن الله الذين صدقوا﴾، في قولهم ٦٦/ب
آمنّا، ﴿وليعلمنّ الكاذبين﴾، والله أعلم بهم قبل الاختبار. ومعنى الآية: فليظهرنّ الله الصادقين من الكاذبين حتى يُوجِدَ معلومَه، وقال مقاتل: فليرينّ الله. وقيل: ليميّزن الله كقوله: «ليميز الله الخبيث من الطيب» (الأنفال ـ ٣٨).

﴿أمْ حَسِبَ الذين يعملون السيئاتِ﴾، يعني الشرك، ﴿أن يَسْبِقُونا﴾، يُعْجزونا ويفوتونا، فلا نقدر على الانتقام منهم، ﴿ساءَ ما يحكمون﴾، بئس ما حكموا حين ظنوا ذلك.

= الواحدي في الأسباب ص (٣٩٣).
قال ابن عطية في «المحرر الوجيز»: (١٢/١٩٩). «وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب وفي هذه الجماعة، فهي بمعناها باقية في أمة محمد ﷺ، موجود حكمها بقية الدهر، وذلك أن الفتنة من الله تعالى والاختبار باقٍ في ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو وغير ذلك، وإذا اعتبرنا أيضاً كل موضع، ففيه ذلك بالأمراض وأنواع المحن، ولكن التي تشبه نازلة المؤمنين مع قريش هي ما ذكرناه من أمر العدو في كل ثغر».

(١) أخرجه ابن المنذر عن ابن جريج عن ابن عمير وغيره. وأخرجه أيضاً ابن سعد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن عساكر. انظر: الدر المنثور: ٦/٤٥٠، زاد المسير: ٦/٢٥٤.

(٢) ذكره الواحدي في الأسباب ص (٣٩٣)، وقال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (١٢٧): «ذكره الثعلبي عن مقاتل..» ثم قال: «وسنده إلى مقاتل في أول كتابه. وفي «الدلائل» لابن أبي شيبة من طريق القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن مسعود قال: «أول من استشهد يوم بدر مهجع مولى عمر».

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ
فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧
وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾

﴿**من كان يرجو لقاءَ الله**﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ومقاتل: من كان يخشى البعث والحساب. والرجاء بمعنى الخوف. وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: من كان يطمع في ثواب الله، ﴿**فإنّ أجل الله لآت**﴾، يعني: ما وعد الله من الثواب والعقاب. وقال مقاتل: يعني: يوم القيامة لكائن.

ومعنى الآية: أن من يخشى الله أو يأمله فليستعدّ له، وليعمل لذلك اليوم، كما قال: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً» الآية (الكهف ــ ١١٠)، ﴿**وهو السميع العليم**﴾.

﴿**ومن جاهد فإنّما يجاهد لنفسه**﴾، له ثوابه، و«الجهاد»: هو الصبر على الشدة، ويكون ذلك في الحرب، وقد يكون على مخالفة النفس. ﴿**إنّ الله لغنيٌّ عن العالمين**﴾، عن أعمالهم وعباداتهم.

﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرنّ عنهم سيئاتهم**﴾، لنبطلنّها، يعني: حتى تصير بمنزلة مالم يُعْمل، والتكفير: إذهاب السيئة بالحسنة، ﴿**ولنجزينّهم أحسن الذي كانوا يعملون**﴾، أي: بأحسن أعمالهم وهو الطاعة، وقيل: نعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن، كما قال: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» (الأنعام ــ ١٦٠).

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حُسْناً**﴾، أي: براً بهما وعطفاً عليهما، معناه: ووصّينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن.

نزلت هذه الآية، والتي في سورة لقمان (الآية ١٥)، والأحقاف (الآية ١٥)، في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ــ وهو سعد بن مالك أبو إسحاق الزهري، وأمه حمنة بنت أبي سفيان ابن أمية بن عبد شمس ــ لما أسلم، وكان من السابقين الأولين، وكان باراً بأمه، قالت له أمه: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنتَ عليه، أو أموت فتعيَّر بذلك أبد الدهر، ويقال: ياقاتل أمه. ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب [ولم

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن
جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

تستظل](١)، فأصبحت قد جهدت، ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمره بالبر بوالديه والإحسان إليهما وأن لا يطيعهما في الشرك، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿**وإنْ جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما**﴾(٢).

وجاء في الحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله»(٣).

ثم أوعد بالمصير إليه فقال: ﴿**إليّ مرجعكم فأنبِّئكم بما كنتم تعملون**﴾، أخبركم بصالح أعمالكم وسيئها فأجازيكم عليها.

﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لَنُدْخِلنّهم في الصالحين**﴾، في زمرة الصالحين، وهم الأنبياء والأولياء، وقيل: في مدخل الصالحين، وهو الجنة.

قوله تعالى: ﴿**ومِنَ الناس منْ يقول آمنا بالله فإذا أُوذِيَ في الله**﴾، أصابه بلاء من الناس افتتن، ﴿**جعل فتنة الناس كعذاب الله**﴾، أي: جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة، أي: جزع من عذاب الناس ولم يصبر عليه، فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه، هذا قول السدي وابن زيد، قالا: هو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر.

﴿**ولئن جاء نصرٌ من ربك**﴾، أي: فتح ودولة للمؤمنين، ﴿**لَيَقُولُنَّ**﴾، يعني: هؤلاء المنافقين للمؤمنين: ﴿**إنّا كنا معكم**﴾، على عدوكم وكنّا مسلمين وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا، فكذّبهم الله وقال:

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) ذكره الواحدي ص (٣٩٤) والثعلبي، والواقدي هكذا بغير سند، والقصة في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص بغير هذا السياق، في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، برقم (١٧٤٨): ١٨٧٧/٤. وانظر: الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي ص (١١٣).

(٣) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٤/١٠ من رواية النواس بن سمعان، والطبراني في الكبير، وأخرجه الطيالسي ص (١١٥) والإمام أحمد: ٦٦/٥ وصححه الحاكم: ٤٤٣/٣ من رواية عمران بن حصين، وأخرجه الإمام أحمد من رواية ابن مسعود أيضاً.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿أوليس الله بأعلمَ بما في صدور العالمين﴾، من الإيمان والنفاق .

﴿ولَيَعْلَمَنّ الله الذين آمنوا﴾، صدقوا فثبتوا على الإسلام عند البـلاء، ﴿ولَيعلمنّ المنافقين﴾، بترك الإسلام عند نزول البلاء .

واختلفوا في نزول هذه الآية، قال مجاهد: نزلت في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاءٌ من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا(١) .

وقال عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في الذين أخرجهم المشركون إلى بدر(٢)، وهم الذين نزلت فيهم: «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم» (النساء ـ ٩٧) .

وقال قتادة: نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة(٣) .

وقال الشعبي: هذه الآيات العشر من أول السورة إلى هاهنا مدنية، وباقي السورة مكية(٤) .

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتّبِعُوا سبيلنا﴾، قال مجاهد: هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم. وقال الكلبي ومقاتل: قاله أبو سفيان لمن آمن من قريش، «اتبعوا سبيلنا»: ديننا وملة آبائنا، ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم، فذلك قوله : ﴿وَلْنَحْمِلْ خطاياكم﴾ أوزاركم، قال الفرّاء: لفظه أمر، ومعناه جزاء(٥) مجازه: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم، كقوله: «فليلقه اليمُّ بالساحل» (طه ـ ٣٩). وقيل: هو جزم على الأمر، كأنهم أمروا أنفسهم بذلك، فأكذبهم الله عزّ وجلّ فقال: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون﴾، فيما قالوا من حمل خطاياهم .

---

(١) ذكره الواحدي في الأسباب ص (٣٩٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: (٦/٤٥٢) للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم .

(٢) انظر: الطبري: ٢٠/١٣٣، أسباب النزول للواحدي ص (٣٩٦) .

(٣) انظر: الطبري: ٢٠/١٣٣ .

(٤) معاني القرآن للنحاس: ٥/٢١٤، ورواه الطبري أيضاً عن قتادة في الموضع السابق، وراجع فيما سبق تعليق (١) في أول السورة ص (٢٣١) .

(٥) قال في معاني القرآن (٢/٣١٤): هو أمر فيه تأويل الجزاء، وأنشد بيت دثار بن شيبان النمري :

فقلتُ ادعي وأَدْعُ فإنّ أندى   لصوتٍ أن يُنادي داعيانِ

وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

﴿وَلَيَحْمِلُنّ أثقالهم﴾، أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم، **﴿وأثقالاً مع أثقالهم﴾**، أي: أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم. نظيره قوله عزّ وجلّ: «ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم» (النحل ـ ٢٥). **﴿ولَيُسْئَلُنّ يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾**، سؤال توبيخ وتقريع.

قوله تعالى: **﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان﴾**، فغرقوا، **﴿وهم ظالمون﴾**، قال ابن عباس: مشركون.

﴿فأنجيناه وأصحابَ السفينة﴾، يعني من الغرق، **﴿وجعلناها﴾**، يعني السفينة **﴿آية﴾**، أي: عبرة، **﴿للعالَمين﴾**، فإنها كانت باقية على الجودي مدة مديدة. وقيل: جعلنا عقوبتهم للغرق عبرة.
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: / بعث نوح لأربعين سنة، وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة ٦٧/أ
إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا، وكان عمره ألفاً وخمسين سنة.

قوله عزّ وجلّ: **﴿وإبراهيمَ﴾**، أي: وأرسلنا إبراهيم، **﴿إذْ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾**، أطيعوا الله وخافوه، **﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾**.

﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً﴾، أصناماً، **﴿وتخلُقون إفكاً﴾**، تقولون كذباً، قال مجاهد: تصنعون أصناماً بأيديكم فتسمونها آلهة، **﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾**، لا يقدرون أن يرزقوكم، **﴿فابتغوا﴾**، فاطلبوا، **﴿عند الله الرزقَ واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾**.

وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ
﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ
﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ
ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ
تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

﴿وإن تُكذِّبوا فقد كذَّب أممٌ من قبلكم﴾، مثل عاد وثمود وغيرهم فأهلكوا، **﴿وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين﴾** .

﴿أو لم يروا كيف يُبدِىء الله الخلق﴾، كيف يخلقهم ابتداء نطفة ثم علقة ثم مضغة **﴿ثم يعيده﴾** في الآخرة عند البعث **﴿إن ذلك على الله يسير﴾** .

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾، فانظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم، **﴿ثم الله يُنْشِىءُ النشأة الآخرة﴾**، أي: ثم الله الذي خلقها ينشئها نشأة ثانية بعد الموت، فكما لم يتعذر عليه إحداثها مبدءاً لا يتعذر عليه إنشاؤها معيداً .

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: **﴿النشأة﴾** بفتح الشين ممدودة حيث وقعت، وقرأ الآخرون بسكون الشين مقصورة نظيرها الرّافة والرأفة .

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ .

﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تُقْلَبون﴾، تردون

﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾، فإن قيل: ما وجه قوله: «ولا في السماء» والخطاب مع الآدميين، وهم ليسوا في السماء؟ .

قال الفراء: معناه ولا من في السماء بمعجز، كقول حسان بن ثابت:

فَمَنْ يَهْجو رسولَ الله مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

أراد: من يمدحه ومن ينصره، فأضمر «من»، يريد: لا يعجزه أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء. وقال قطرب: معناه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها، كقول الرجل: ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة، أي: ولا بالبصرة لو كان بها، **﴿وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير﴾**، أي: من وليٍّ يمنعكم مني ولا نصير ينصركم من عذابي .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ
بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ

﴿**والذين كفروا بآيات الله ولقائه**﴾، بالقرآن وبالبعث، ﴿**أولئك يَئسُوا من رحمتي**﴾، جنتي، ﴿**وأولئك لهم عذاب أليم**﴾، فهذه الآيات في تذكير أهل مكة وتحذيرهم، وهي معترضة في قصة إبراهيم، فقال جل ذكره :

﴿**فما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه فأنجاه الله من النار**﴾، وجعلها عليه برداً وسلاماً، ﴿**إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون**﴾، يصدقون .

﴿**وقال**﴾، يعني إبراهيم لقومه: ﴿**إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودةَ بَيْنِكم**﴾، قرأ ابن كثير، والكسائي، وأبو عمرو، ويعقوب: «مودةُ» رفعاً بلا تنوين، «بينِكم» خفضاً بالإضافة على معنى: إن الذين اتخذتم من دون الله أوثاناً هي مودة بينكم، ﴿**في الحياة الدنيا**﴾، ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة .

ونصب حمزة، وحفص: «مودةَ» من غير تنوين على الإضافة بوقوع الاتخاذ عليها .

وقرأ الآخرون «مودةً» منصوبة منونة «بينَكم» بالنصب، معناه: إنكم إنما اتخذتم هذه الأوثان مودةً بينكم في الحياة الدنيا تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا .

﴿**ثم يوم القيامة يكفرُ بعضُكم ببعضٍ ويلعنُ بعضكم بعضاً**﴾، تتبرأ الأوثان من عابديها، وتتبرأ القادة من الأتباع، وتلعن الأتباع القادة، ﴿**ومأواكم**﴾، جميعاً العابدون والمعبودون، ﴿**النارُ وما لكم من ناصرين**﴾ .

﴿**فآمن له لوط**﴾، يعني: صدقه، وهو أول من صدّق إبراهيم وكان ابن أخيه، ﴿**وقال**﴾، يعني إبراهيم، ﴿**إني مهاجرٌ إلى ربي**﴾، فهاجر من كوثى، وهو من سواد الكوفة، إلى حران ثم إلى الشام، ومعه لوط وامرأته سارة، وهو أول من هاجر، قال مقاتل: هاجر إبراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة، ﴿**إنه هو العزيز الحكيم**﴾ .

ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ
وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ
لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾

﴿**ووهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ وجعلنا في ذريتِهِ النبوةَ والكتابَ**﴾، يقال: إن الله لم يبعث نبياً بعد إبراهيم إلاّ من نسله، ﴿**وآتيناه أجره في الدنيا**﴾، وهو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يتولَّونه، وقال السدي: هو الولد الصالح، وقيل: هو أنه رأى مكانه في الجنة، ﴿**وإنه في الآخرة لمن الصالحين**﴾، أي: في زمرة الصالحين. قال ابن عباس: مثل آدم ونوح .

قوله تعالى : ﴿**ولوطاً إذ قال لقومه أئنكم**﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر: «أئِنكم» بالاستفهام، وقرأ الباقون بلا استفهام، واتفقوا على استفهام الثانية، ﴿**لتأتون الفاحشة**﴾، وهي إتيان الرجال، ﴿**ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين**﴾ .

﴿**أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل**﴾، وذلك أنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمرّ بهم من المسافرين، فترك الناس الممر بهم. وقيل: تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء، ﴿**وتأتون في ناديكم المنكر**﴾، النادي، والندى، والمنتدى: مجلس القوم ومتحدثهم .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو العباس بن سهل بن محمد المروزي، أخبرنا جدي لأمي أبو الحسن المحمودي، أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، أن بشر بن معاذ حدثهم: أخبرنا يزيد بن زريع، أخبرنا حاتم بن أبي صغيرة، عن سماك بن حرب، عن أبي صالح مولى أم هانيء بنت أبي طالب [عن أم هانيء][1] قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿**وتأتون في ناديكم المنكر**﴾، قلت: ما المنكر الذي كانوا يأتون؟ قال: «كانوا يحذفون أهل الطرق ويسخرون بهم»[2] .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة العنكبوت: ٤٩/٩ـ٥٠ وقال: «هذا حديث حسن، إنما نعرفه من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك» وصححه الحاكم على شرط الشيخين: ٤٠٩/٢، ووافقه الذهبي، وأخرجه الإمام أحمد: ٣٤١/٦ والطبري: ١٤٥/٢٠ .

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٣٠ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ
بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾

ويروى أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم، وعند كل رجل منهم قصعة فيه حصى فإذا مرّ بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به.

٦٧/ب وقيل: إنه كان يأخذ ما معه وينكحه / ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاضٍ بذلك.

وقال القاسم بن محمد: كانوا يتضارطون في مجالسهم[١].

وقال مجاهد: كان يجامع بعضهم بعضاً في مجالسهم[٢].

وعن عبدالله بن سلام قال: كان يبزق بعضهم على بعض.

وعن مكحول قال: كان من أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحناء، وحل الإزار، والصفير، والحذف، واللوطية[٣]، ﴿**فما كان جوابَ قومه**﴾، لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح، ﴿**إلا أن قالوا**﴾، له استهزاءً: ﴿**ائتنا بعذاب الله إن كنتَ من الصادقين**﴾، أن العذاب نازل بنا، فعند ذلك.

﴿**قال**﴾، لوط: ﴿**ربِّ انصرني على القوم المفسدين**﴾، بتحقيق قولي في العذاب.

﴿**ولما جاءت رسلُنا إبراهيم بالبشرىٰ**﴾، من الله بإسحاق ويعقوب، ﴿**قالوا إنا مُهلكوا أهلِ هذه القرية**﴾، يعني قوم لوط، والقرية سدوم، ﴿**إن أهلها كانوا ظالمين**﴾.

﴿**قال**﴾، إبراهيم للرسل: ﴿**إن فيها لوطاً قالوا**﴾، يعني: قالت الملائكة[٤]: ﴿**نحن أعلم بمن**

= قال السيوطي في الدر (٦/٤٦٠): «أخرجه الفريابي، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وحسّنه، وابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والشاشي في مسنده، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب»، وابن عساكر».

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس: ٥/٢٢٣، الدر المنثور: ٦/٤٦١، زاد المسير: ٦/٢٦٩.

(٢) عزاه السيوطي (٦/٤٦١) للفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخرائطي في «مساوىء الأخلاق».

(٣) وهو مروي أيضاً عن ابن عباس ومجاهد. وانظر الدر المنثور: ٦/٤٦١، زاد المسير: ٦/٢٦٩.
وقال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية (٣/٤١٢): أي: يفعلون مالا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك» ثم ذكر الأقوال في معنى هذا المنكر.
ورجح الطبري (٢٠/١٤٦) قول من قال: معناه: وتحذفون في مجالسكم المارّة بكم، وتسخرون منهم، لما ذكر من الرواية بذلك عن رسول الله ﷺ في حديث أم هانىء.

(٤) في «ب»: الرسل، وهم الملائكة.

كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ
ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ
ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ
أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ

فيها لَنُنَجِّيَنَّه﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: **﴿لَنُنْجينه﴾** بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، **﴿وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾**، أي: الباقين في العذاب.

﴿ولما أن جاءت رسلُنا لوطاً﴾، ظن أنهم من الإنس، **﴿سيء بهم وضاق بهم﴾**، بمجيئهم **﴿ذَرْعاً وقالوا لا تخفْ﴾**، من قومك علينا، **﴿ولا تحزن﴾**، بإهلاكنا إيّاهم، **﴿إنّا مُنجُّوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين﴾**، قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، ويعقوب: «مُنْجُوك» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد.

﴿إنّا مُنزِلُون﴾، قرأ ابن عامر بالتشديد، وقرأ الآخرون بالتخفيف، **﴿على أهل هذه القرية رِجْزاً﴾**، عذاباً، **﴿من السماء﴾**، قال مقاتل: الخسف والحصب، **﴿بما كانوا يفسقون﴾**.

﴿ولقد تركنا منها﴾، من قريات لوط، **﴿آية بينة﴾**، عبرة ظاهرة، **﴿لقوم يعقلون﴾**، يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول، قال ابن عباس: الآية البينة: آثار منازلهم الخربة. وقال قتادة: هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أُدركها أوائل هذه الأمة. وقال مجاهد: هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض(١).

﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾، أي: وأرسلنا إلى مدين أخاهم شُعيباً، **﴿فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾**، أي: واخشوا، **﴿ولا تَعْثَوا في الأرض مفسدين﴾**.

﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾.

---

(١) جائز أن تكون هذه الآية هذا أو ذاك ولا نص في ذلك عن النبي ﷺ قال الطبري رحمه الله (٢٠/١٤٩): «يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من فَعْلتنا التي فَعَلْنا بهم آيةً، يقول: عبرة بينة وعظة واعظة لقوم يعقلون عن الله حججه، ويتفكرون في مواعظه، وتلك الآية البينة هي عندي: عُفُوّ آثارهم ودروس معالمهم».

جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ
وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟
سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ
أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا
كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

﴿**وعاداً وثمودَ**﴾، أي: وأهلكنا عاداً وثموداً، ﴿**وقد تبيّن لكم**﴾، يا أهل مكة، ﴿**من مساكنهم**﴾، منازلهم بالحِجْر واليمن، ﴿**وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل**﴾، عن سبيل الحق ﴿**وكانوا مستبصرين**﴾، قال مقاتل، والكلبي، وقتادة: كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم، يحسبون أنهم على هدى، وهم على الباطل[1]، والمعنى: أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين.

قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر[2].

﴿**وقارون وفرعون وهامان**﴾، أي: وأهلكنا هؤلاء، ﴿**ولقد جاءهم موسى بالبينات**﴾، بالدّلالات، ﴿**فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين**﴾، أي: فائتين من عذابنا.

﴿**فكُلًّا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حَاصِباً**﴾، وهم قوم لوط، و«الحاصب»: الريح التي تحمل الحصباء، وهي الحصا الصغار، ﴿**ومنهم من أخذتْه الصيحةُ**﴾، يعني ثمود، ﴿**ومنهم من خسفنا به الأرض**﴾، يعني قارون وأصحابه، ﴿**ومنهم من أغرقنا**﴾، يعني: قوم نوح، وفرعون وقومه، ﴿**وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾[3].

---

(١) وهو ما رجحه الطبري: ٢٠/١٥٠.
(٢) معاني القرآن: ٢/٣١٣ ورجحه القرطبي أيضاً: ١٣/٣٤٤.
(٣) يقول تعالى ذكره: ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم ـ الذين أهلكهم ـ بذنوب غيرهم، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، بل إنما أهلكهم بذنوبهم، وكفرهم بربهم، وجحودهم نعمه عليهم، مع تتابع إحسانه عليهم، وكثرة أياديه عندهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتصرفهم في نِعَم ربهم، وتقلبهم في آلائه، وعبادتهم غيره، ومعصيتهم من أنعم عليهم.
تفسير الطبري: ٢٠/١٥٢.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

﴿**مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء**﴾، يعني: الأصنام، يرجون نصرها ونفعها، ﴿**كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً**﴾، لنفسها تأوي إليه، وإن بيتها في غاية الضعف والوهاء، لا يدفع عنها حراً ولا برداً، وكذلك الأوثان لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضراً. ﴿**وإنَّ أَوْهَنَ البيوتِ لَبَيْتُ العنكبوت لو كانوا يعلمون**﴾ .

﴿**إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيءٍ وهو العزيز الحكيم**﴾، قرأ أهل البصرة، وعاصم: «يدعون» بالياء لذكر الأمم قبلها، وقرأ الآخرون بالتاء .

﴿**وتلك الأمثال**﴾، الأشباه، والمَثَلُ : كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول، يريد: أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة، ﴿**نضربها**﴾، نبينها، ﴿**للناس**﴾، قال مقاتل: لكفار مكة، ﴿**وما يَعْقِلُها إلا العالمون**﴾، أي: ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، أخبرنا ابن برزة، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، أخبرنا داود بن المحبر، أخبرنا عباد بن كثير، عن ابن جريج عن عطاء وأبي الزبير عن جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾، قال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه»[1] .

(١) أخرجه داود بن المحبر في كتاب «العقل»، ومن طريقه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (بغية الباحث برقم ١٠٣٠) من حديث جابر، والثعلبي والبغوي في التفسير، والواحدي من طريق الحارث. وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، وابن عرّاق في «تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة» .
وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٢١٥/٣) في أحاديث من كتاب العقل لداود بن المحبر وقال: أودعها الحارث ابن أبي أُسامة في مسنده، وهي موضوعة كلها، لا يثبت منها شيء .
انظر: الكافي الشاف ص (١٢٧)، المطالب العالية: ٢١٣/٣و٢١٤و٢١٦، الفتح السماوي للمناوي: ٨٩٦/٢-٨٩٧، تنزيه الشريعة لابن عراق: ٢١٤/١ .

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**خلق الله السموات والأرض بالحق**﴾، أي: للحق وإظهار للحق، ﴿**إن في ذلك**﴾، في خلقها، ﴿**لآية**﴾، لدلالة ﴿**للمؤمنين**﴾، على قدرته وتوحيده.

﴿**أتل ما أوحي إليك من الكتاب**﴾، يعني القرآن، ﴿**وأقم الصلاة إنّ الصلاةَ تنهَى عن الفحشاء والمنكر**﴾، الفحشاء: ما قبح من الأعمال، والمنكر: مالا يعرف في الشرع.

قال ابن مسعود، وابن عباس: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف، ولم تنه عن المنكر، لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً[1].

وقال الحسن، وقتادة: من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه[2].

وروي عن أنس قال: كان فتًى من الأنصار يصلي الصلوات الخمس مع رسول الله ﷺ ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه، فوصف لرسول الله ﷺ حاله فقال: «إن صلاته تنهاه يوماً»

---

(١) أثر ابن مسعود أخرجه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وأخرجه أحمد في الزهد.
وأما أثر ابن عباس فأخرجه الطبري: ٢٠/١٥٥ والطبراني في الكبير من رواية العلاء بن المسيب عن ابن عباس موقوفاً، ورواه الطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق ليث بن أبي سليم عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً. وليث بن أبي سليم ثقة ولكنه مدلس.
قال ابن حجر: وفي الباب عن ابن عمر، أخرجه الدارقطني في «غرائب مالك» وفي إسناده محمد بن الحسن البصري. قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، يروي عن مالك مالا أصل له فالأثر ضعيف مرفوعاً، صحيح موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه.
انظر: مجمع الزوائد: ٢/٢٥٨، الكافي الشاف ص (١٢٧-١٢٨)، سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٢/٤١٤-٤١٥ برقم (٩٨٥)، الدر المنثور: ٦/٤٦٤ و٤٦٥، تفسير ابن كثير: ٣/٤١٥-٤١٦.
هذا، ومن شأن الصلاة عندما يقيمها المسلم ويؤدي فرضها وحدودها كما ينبغي، ويتدبر فيها وفيما يتلوه من القرآن أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر؛ وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة، والصلاة تشغل كل بدن المصلي، فإذا دخل في صلاته وخشع وأخبت لربه وادّكر أنه واقف بين يديه وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها، وإن حصل أو بدر منه شيء يخالف ذلك فصلاته لن تزيده بُعْداً عن الله ومن يصلي خير ممن لا يصلي، انظر: تفسير القرطبي: ١٣/٣٤٨.

(٢) أخرجه الطبري عن الحسن موقوفاً: ٢٠/١٥٥، ومن طريق أخرى مرفوعاً مرسلاً، وعن قتادة موقوفاً من كلامه.
قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف (١٢٨): أخرجه عبدالرزاق والطبري والبيهقي في «الشعب» من مرسل الحسن.
انظر: الدر المنثور: ٦/٤٦٦.

فلم يلبث أن تاب وحسن حاله[1].

وقال ابن عون: معنى الآية أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها[2].

وقيل: أراد بالصلاة القرآن، كما قال تعالى: «ولا تجهرْ بصلاتك» (الإسراء ـ ١١٠)، أي: بقراءتك، وأراد / أنه يقرأ القرآن في الصلاة، فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر[3]. ٦٨/أ

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا عبدالرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رجل للنبي ﷺ: إن رجلاً يقرأ القرآن الليل كله فإذا أصبح سرق، قال: «ستنهاه قراءته»[4].

وفي رواية قيل: يارسول الله إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل، فقال: «إن صلاته لتردعه»[5].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولذكر الله أكبر﴾، أي: ذكر الله أفضل الطاعات.

أخبرنا أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران ببغداد، أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان البَرْدعي، أخبرنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا،

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (١٢٨): لم أجده، وقال الولي العراقي: لم أقف عليه. (الفتح السماوي: ٨٩٧/٢).

وهذه العبارة إذا صدرت، وأمثالها، من أحد الحفاظ المعروفين ولم يتعقبه أحد من الحفاظ بعده، فهي كافية في الحكم على الحديث بالوضع.

انظر مقدمة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة لكتاب «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» للقاري ص (٢٥ـ٢٧).

(٢) نقل ابن كثير هذا القول عن حماد بن أبي سليمان: ٤١٦/٣، ونقل معناه مطولاً عن ابن عون، وهو قول الكلبي وابن جريج كما في البحر المحيط: ١٥٣/٧ والمحرر الوجيز: ٢٢٦/١٢.

وردّ ابن عطية هذا القول فقال: وهذه عجمة، وأين هذا مما رواه أنس بن مالك (كما في التعليق السابق).

(٣) أخرجه الطبري عن ابن عمر: ١٥٤/٢٠، ورجح القول الأول: أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإن قال قائل: وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر إن لم يكن معنياً بها ما يتلى فيها؟.

قيل: تنهى مَنْ كان فيها، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش، لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر، ولذلك قال ابن مسعود: من لم يطع صلاته لم يزدد من الله إلا بُعْداً، وذلك أن طاعته لها: إقامته إياها بحدودها، وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر.

(٤) رواه البزار من طريق زياد البكائي، وأبو يعلى من طريق أبي إسحاق الفزاري، كلاهما عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر.

قال البزار: اختلف فيه على الأعمش، فقيل: عنه أيضاً عن أبي سفيان عن جابر. وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

انظر: الكافي الشاف ص (١٢٨)، مجمع الزوائد: ٢٥٨/٢، الفتح السماوي ٨٩٧/٢ـ٨٩٨.

(٥) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة: ٤٤٧/٢ بلفظ «... سينهاه ما يقول»، والبزار، وإسحاق، وأبو يعلى كلهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

انظر: الكافي الشاف ص (١٢٨)، المجمع ٢٥٨/٢، الفتح السماوي: ٨٩٧/٢.

أخبرنا هارون بن معروف أبو علي الضرير، أخبرنا أنس بن عياض، حدثنا عبدالله بن سعيد بن أبي هند، عن زياد بن أبي زياد مولى عبدالله بن عياش، عن أبي بَحْرِيّة، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخيرٌ لكم من إعطاء الذهب والوَرِق، وأن تَلْقَوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم»؟ قالوا: وما ذاك يارسول الله؟ قال: «ذكر الله»(١) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر بن أحمد ابن عبد الجبار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا أبو الأسود، أخبرنا ابن لهيعة عن دراج، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه سئل أيُّ العباد أفضلُ درجةً عند الله يوم القيامةِ؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً» قالوا: يارسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ فقال: «لو ضرب بسيفه الكفّار والمشركين حتى ينكسر أو يختضب دماً، لكان الذاكر لله كثيراً أفضل منه درجة»(٢) .

وروينا أن أعرابياً قال: يارسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله»(٣) .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد ابن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن الحجاج القشيري، أخبرنا أمية بن بِسْطام العَيْشِيُّ، أخبرنا يزيد، يعني: (بن زريع)، أخبرنا رَوْح بن القاسم، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمرّ على جبل يقال له جُمْدَان،

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب خير الأعمال: ٣١٧/٩-٣١٨، وقال: وقد روى بعضهم هذا الحديث عن عبدالله بن سعيد مثل هذا بهذا الإسناد، وروى بعضهم عنه فأرسله .
وأخرجه ابن ماجه في الأدب، باب فضل الذكر، برقم (٣٧٩٠): ١٢٤٥/٢، وصححه الحاكم في المستدرك: ٤٩٦/١، ووافقه الذهبي، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ: ٢١١/١ موقوفاً على أبي الدرداء، والإمام أحمد في المسند: ٤٤٧/٦، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٦/٥ وقال: «هذا حديث حسن» .
وانظر: الدر المنثور: ٤٦٧/٦، مجمع الزوائد: ٧٣/١٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في الموضع السابق: ٣١٥/٩-٣١٦، وقال: «هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث درّاج»، والإمام أحمد: ٧٥/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٧/٥ وأشار المنذري في الترغيب إلى تضعيفه وقال: ورواه البيهقي مختصراً: ٣٩٦/٢، وفيه ابن لهيعة وقد اختلط، ودراج في حديثه عن أبي الهيثم ضعف .

(٣) أخرجه الترمذي عن عبدالله بن بُسْر في الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر: ٣١٤/٩-٣١٥ وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وصححه الحاكم في المستدرك: ٤٩٥/١ ووافقه الذهبي، وابن حبان ص (٥٧٦) من موارد الظمآن، والإمام أحمد في المسند: ١٨٨/٤، ١٩٠، وأبو نعيم في الحلية: ١١١/٦، والمصنف في شرح السنة: ١٦/٥ وإسناده صحيح .

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ

فقال: «سيروا، هذا جُمْدان، سبق المُفَرِّدون»، قالوا: وما المفردون يارسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»(١).

أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى ابن الصَّلْت، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا خلاد بن أسلم، حدثنا النضر، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت الأَغَرَّ قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ، قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»(٢).

وقال قوم: معنى قوله: «ولذكر الله أكبر» أي: ذكر الله إيّاكم أفضل من ذكركم إيّاه. ويروى ذلك عن ابن عباس(٣)، وهو قول مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير(٤)، ويروى ذلك مرفوعاً عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ(٥).

وقال عطاء في قوله: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر»، قال: ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية.

﴿والله يعلم ما تصنعون﴾، قال عطاء: يريد لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى: ﴿ولا تُجَادِلُوا أهل الكتاب﴾، لا تخاصموهم، ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾، أي: بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه، وأراد مَنْ قَبِلَ الجزية منهم، ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾، أي: أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب، فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية،

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، برقم (١٦٧٦): ٢٠٦٢/٤.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن، برقم (٢٧٠٠): ٢٠٧٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٠/٥-١١.

(٣) عزاه السيوطي: (٤٦٦/٦) للفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم - وصححه - والبيهقي في «شعب الإيمان».
وهو أيضاً قول ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم ورجح ابن عطية (٢٢٧/١٢-٢٢٨) أن المعنى: ولذكر الله أكبر، على الإطلاق، أي: هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.
فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة، لأن الإنتهاء لا يكون إلا من ذاكر مراقب... .

(٤) انظر: الدر المنثور: ٤٦٧/٦.

(٥) عزاه السيوطي لابن السني، وابن مردويه، والديلمي ٤٦٦/٦، وما عزاه للديلمي مشعر بالضعف.

لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾

ومجاز الآية: إلا الذين ظلموكم، لأن جميعهم ظالم بالكفر. وقال سعيد بن جبير: هم أهل الحرب ومن لا عهد له. قال قتادة ومقاتل: صارت منسوخة(1) بقوله: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله» (التوبة ـ ٢٩) .

﴿وقولوا آمنّا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾، يريد إذا أخبركم واحد منهم من قبل الجزية بشيء مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه، ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم .

﴿وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾، أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا محمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا عثمان ابن عمر، أخبرنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»(2) .

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أخبرنا عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري، أخبرنا ابن أبي نملة الأنصاري أن أباه أبا نملة الأنصاري أخبره: أنه بينا هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود ومرّ بجنازة، فقال: يامحمد هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم»، فقال اليهودي: إنها تتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان باطلاً لم تصدقوه وإن كان حقاً لم تكذبوه»(3) .

---

(1) انظر فيما سبق: ٣٢/٣، تعليق (١)، زاد المسير: ٢٧٧/٦، ورجح الطبري (٢/٢١-٣) أن الآية محكمة غير منسوخة، إذ لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل .

(2) أخرجه البخاري في التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها: ٥١٦/١٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٦٨/١. وانظر: الدر المنثور: ٤٦٩/٦ .

(3) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ١١٠/١١، وأبو داود في العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب: ٢٤٥/٥، وصححه ابن حبان ص (٥٨) من موارد الظمآن، وأخرجه الطبراني في الكبير: ٣٤٩/٢٢-٣٥١، والبيهقي في السنن: ١٠/٢، والإمام أحمد في المسند: ١٣٦/٤، وأخرجه ابن سعد، وابن أبي شيبة، وإسحاق.

وأصله في البخاري مختصراً من حديث أبي هريرة (التعليق السابق) وانظر: الكافي الشاف ص (١٢٨)، الفتح السماوي: ٨٩٨/٢-٨٩٩، الدر المنثور: ٤٦٩/٦ .

هذا، وللإمام الحافظ ابن كثير كلمات بشأن الإسرائيليات والحديث عن أهل الكتاب منثورة في تفسيره، وقد جمعها الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمة مختصره «عمدة التفسير»: (١٤/١-١٩) ينبغي مراجعتها .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**وكذلك**﴾، أي: كما أنزلنا إليهم الكتب، ﴿**أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به**﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب، عبدَ الله بن سلام وأصحابه، ﴿**ومن هؤلاء**﴾، يعني:أهل مكة، ﴿**من يؤمن به**﴾، وهم مؤمنوا أهل مكة، ﴿**وما يجحد بآياتنا إلاّ الكافرون**﴾ /، ٦٨/ب
وذلك أن اليهود عرفوا أن محمداً نبيٌّ، والقرآنَ حقٌّ، فجحدوا. قال قتادة: الجحود إنما يكون بعد المعرفة .

﴿**وما كنت تتلوا**﴾، ياحمد، ﴿**من قبله من كتاب**﴾، من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب، ﴿**ولا تخطه بيمينك**﴾، ولا تكتبه، أي: لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي، ﴿**إذاً لارتاب المبطلون**﴾، يعني لو كنت تكتب أو تقرأ الكتب قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها، قاله قتادة. وقال مقاتل: «المبطلون» هم اليهود، ومعناه: إذاً لشكوا فيك واتهموك، وقالوا إن الذي نجد نعته في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت[1] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: (٤١٨/٣): «أي: قد لبثت في قومك ياحمد ـ من قبل أن تأتي بهذا القرآن ـ عمراً لا تقرأ كتاباً، ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم، يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب. وهكذا صفته في الكتب المتقدمة، كما قال تعالى: «الذين يتبعون الرسول النبي الأُمّيَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل..» الآية .
وهكذا كان رسول الله ﷺ دائماً إلى يوم القيامة لا يحسن الكتابة، ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده، بل كان له كُتّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم .
ومَنْ زعم من متأخري الفقهاء ـ كالقاضي أبي الوليد الباجي ومَنْ تابعه ـ أنه عليه الصلاة والسلام كتب يوم الحديبية: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله... فإنما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري: ثم أخذ فكتب. وهذه محمولة على الرواية الأخرى: ثم أمر فكتب .
ولهذا اشتدَّ النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي وتبرؤوا منه.. وإنما أراد الرجل ـ أعني الباجي ـ فيما يظهر عنه: أنه كتب ذلك على وجه المعجزة، لا أنه كان يحسن الكتابة، كما قال ﷺ إخباراً عن الدجال: «مكتوب بين عينيه كافر» وفي رواية: «ك ف ر ، يقرؤها كل مؤمن» .
وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت ﷺ حتى تعلّم الكتابة، فضعيف لا أصل له .
وانظر أيضاً: «الرد الشافي الوافر على من نفى أُميّة سيد الأوائل والأواخر» تأليف أحمد بن حجر آل بن علي .
وراجع فيما سبق: ٢٨٨/٣، المحرر الوجيز لابن عطية: ٢٣١/١٢ .

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ
عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ
كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

﴿بل هو آيات بينات﴾، قال الحسن: يعني القرآن آيات بينات، **﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾**، يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة: بل هو ـ يعني محمداً ﷺ ـ ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب، لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم[(1)]، **﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾**.

﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه﴾، كما أنزل على الأنبياء من قبل، قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر: «آية» على التوحيد، وقرأ الآخرون: «آيات من ربه»، لقوله عزّ وجلّ: **﴿قل إنما الآيات عند الله﴾**، وهو القادر على إرسالها إذا شاء أرسلها، **﴿وإنما أنا نذير مبين﴾**، أنذر أهل المعصية بالنار، وليس إنزال الآيات بيدي.

﴿أولم يكفهم﴾، هذا الجواب لقوله: «لولا أنزل عليه آيات من ربه» قال: **﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم﴾**، [يعني: أو لم يكفهم من الآيات القرآن يتلى عليهم][(2)]، **﴿إن في ذلك﴾**، في إنزال القرآن، **﴿لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾**، أي: تذكيراً وعظة لمن آمن وعمل به.

﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾، أني رسوله وهذا القرآن كتابه، **﴿يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل﴾**، قال ابن عباس: بغير الله. وقال مقاتل: بعبادة الشيطان، **﴿وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾**.

---

(1) ذكر الطبري القولين (٢١/٥-٦) ورجح قول من قال: عنى بذلك: بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتاباً، ولا تخطه بيمينك - آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب.
لأن قوله تعالى: «بل هو آيات بينات...» بين خبرين من إخبار الله عن رسوله محمد ﷺ، فهو بأن يكون خبراً عنه أولى من أن يكون خبراً عن الكتاب الذي قد انقضى الخبر عنه قبل.

(2) ما بين القوسين ساقط من «أ».

بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ
بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ
أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

﴿**ويستعجلونك بالعذاب**﴾، نزلت في النضر بن الحارث حين قال: فأمطر علينا حجارة من السماء[1]، ﴿**ولولا أجل مسمى**﴾، قال ابن عباس: ما وعدتك أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة كما قال: «بل الساعة موعدهم» (القمر ـ ٤٦)، وقال الضحاك: مدة أعمارهم، لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب، وقيل: يوم بدر، ﴿**لجاءهم العذاب وليأتينّهم**﴾، يعني: العذاب وقيل الأجل، ﴿**بغتة وهم لا يشعرون**﴾، بإتيانه.

﴿**يستعجلونك بالعذاب**﴾، أعاده تأكيداً، ﴿**وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين**﴾، جامعة لهم لا يبقى أحد منهم إلا دخلها.

﴿**ويوم يَغْشَاهُمُ العذابُ من فوقِهم ومن تحتِ أرجلِهم**﴾، يعني: إذا غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم، كما قال: «لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش» (الأعراف ـ ٤١)، ﴿**ويقولُ ذوقوا**﴾، قرأ نافع، وأهل الكوفة: «ويقول» بالياء، أي: ويقول لهم الموكل بعذابهم: ذوقوا، وقرأ الآخرون بالنون؛ لأنه لما كان بأمره نسب إليه، ﴿**ما كنتم تعملون**﴾، أي: جزاء ما كنتم تعملون.

﴿**ياعباديَ الذين آمنوا إنّ أرضِيْ واسعة فإيايَ فاعبدونِ**﴾، قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة، يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة، إن أرضي ـ يعني المدينة ـ واسعة آمنة[2].

قال مجاهد: إنّ أرضي المدينة واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها[3].

وقال سعيد بن جبير: إذا عمل في أرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة. وقال عطاء: إذا أُمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة. وكذلك يجب على كل من كان في بلد يُعمل فيها

(١) انظر فيما سبق: ٣٥١/٣.
(٢) انظر: البحر المحيط: ١٥٧/٧، القرطبي: ٣٥٧/١٣، زاد المسير: ٢٨١/٦.
(٣) أخرجه الطبري: ٩/٢١.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ
۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ
يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠﴾

بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له العبادة[١].

وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة، وقالوا: نخشى، إن هاجرنا، من الجوع وضيق المعيشة، فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج.

وقال مطرف بن عبدالله: «أرضي واسعة» أي: رزقي لكم واسع فاخرجوا[٢].

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾، خوّفهم بالموت لِيُهوِّن عليهم الهجرة، أي: كل واحد ميت أينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت، **﴿ثم إلينا ترجعون﴾**، فنجزيكم بأعمالكم، وقرأ أبو بكر: «يرجعون» بالياء.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّئنّهم﴾، قرأ حمزة، والكسائي: بالثاء ساكنة من غير همز، يقال: ثوى الرجل إذا أقام، وأثويته: إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه. وقرأ الآخرون بالباء وفتحها وتشديد الواو وهمزة بعدها، أي: لننزلنّهم، **﴿من الجنة غرَفاً﴾**، علالي، **﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾**.

﴿الذين صبروا﴾، على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدةٍ لحقتهم، **﴿وعلى ربّهم يتوكلون﴾**، يعتمدون.

﴿وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها﴾، وذلك أن النبي ﷺ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون: «هاجروا إلى المدينة»، فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله: **﴿وكأين من دابّة﴾**[٣] ذات حاجة إلى غذاء، **﴿لا تحمل رزقها﴾**، أي: لا ترفع رزقها معها ولا تدخر شيئاً لغد مثل البهائم والطير، **﴿الله يرزقها**

---

(١) الطبري: ٩/٢١، الدر المنثور: ٤٧٤/٦، زاد المسير: ٢٨١/٦.

(٢) أخرجه الطبري عنه: ١٠/٢١، ورجح القول الأول، لدلالة قوله تعالى: «فإياي فاعبدون» على ذلك، وأن ذلك هو أظهر معنييه، وذلك أن الأرض إذا وصفها بِسَعة، فالغالب من وصفه إياها بذلك أنها لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب.

(٣) ذكره ابن الجوزي عن ابن عباس دون سند: ٢٨٢/٦، والقرطبي: ٣٦٠/١٣، وفيه الحديث الضعيف الآتي.

وإيّاكم﴾، حيث كنتم، **﴿وهو السميع العليم﴾**، السميع لأقوالكم: لا نجد ما ننفق بالمدينة، العليم بما في قلوبكم .

وقال سفيان عن علي بن الأقمر: وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها، قال : لا تدخر شيئاً لغد .

قال سفيان: ليس شيء من خلق الله يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة(1) .

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني أبو عبدالله الحسين بن محمد الثقفي، أخبرنا عبدالله بن عبدالرحمن الدقاق، أخبرنا محمد بن عبدالعزيز، أخبرنا إسماعيل بن زرارة الرقي، أخبرنا أبو العطوف الجراح بن منهال، عن الزهري، عن عطاء بن أبي / ٦٩/أ رباح، عن ابن عمر قال: دخلت مع رسول الله ﷺ [حائطاً من حوائط الأنصار، فجعل رسول الله ﷺ](2) يلقط الرطب بيده ويأكل، فقال: كلْ يا ابن عمر، قلت: لا أشتهيها يارسول الله، قال: لكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة منذ لم أطعم طعاماً ولم أجده، فقلت إنا لله، الله المستعان، قال: يابن عمر لو سألتُ ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافاً مضاعفة، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فكيف بك يابن عمر إذا عمّرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين، فنزلت(3): **﴿وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها﴾** الآية .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس السراج، أخبرنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس أن النبي ﷺ: كان لا يدخر شيئاً لغد(4) .

---

(1) انظر هذه الأقوال في: الطبري: ١١/٢١، الدر المنثور: ٤٧٥/٦ .

(2) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(3) عزاه السيوطي: (٤٧٥/٦) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر بسند ضعيف. وأخرجه الواحدي في أسباب النزول ص (٣٩٦-٣٩٧) .

قال الحافظ ابن كثير: (٤٢١/٣): «هذا حديث غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف» .

وقال القرطبي: (٣٦٠/١٣): «وهذا ضعيف، يضعفه أنه عليه الصلاة والسلام كان يدخر لأهله قوت سَنَتِهِم، (اتفق البخاري ومسلم عليه) وكانت الصحابة يفعلون ذلك، وهم القدوة وأهل اليقين والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين» .

وقال الشوكاني في «فتح القدير» (٢١٣/٤): «وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته لما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة. وفي إسناده أبو العطوف الجزري وهو ضعيف» .

(4) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله: ٢٦/٧، وقال: «هذا حديث غريب. وقد روى هذا غير جعفر بن سليمان عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلاً»، وصححه ابن حبان برقم (٢١٣٩) ص (٥٢٥) من موارد الظمآن. والمصنف في شرح السنة: ٢٥٣/١٣، وقال المناوي في «فيض القدير» (١٨٣/٥): وسند الحديث جيد .

ولا ينافي هذا الحديث ما سبق من أن النبي ﷺ كان يدخر لعياله قوت سنة، فهو كان لا يدخر لنفسه ﷺ وإنما كان يدخر لغيره كأهله، أو يملّكهم ذلك ويقسمه لهم أسوة بغيرهم فيما كان يقسم للمسلمين مما أفاء الله عليه. والله أعلم .

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾

وروينا أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكّلون على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[1].

أخبرنا أبو منصور محمد بن عبدالملك المظفري، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه، أخبرنا أبو نصر بن حمدويه المطوعي، أخبرنا أبو الموجه محمد بن عمرو، أخبرنا عبدان، عن أبي حمزة، عن إسماعيل هو ابن أبي خالد، عن رجلين أحدهما زبيد اليامي، عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس ليس من شيء يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتُكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين قد نفث في رُوْعِي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفيَ رزقها، فاتقوا الله وأَجْمِلُوا في الطلب، ولا يحملنّكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته»[2] وقال هشيم عن إسماعيل عن زبيد عمن أخبره عن ابن مسعود.

قوله تعالى: **﴿ولئن سألتهم﴾**، يعني كفار مكة، **﴿من خلق السمواتِ والأرضَ وسخر الشمسَ والقمرَ ليقولُنّ الله فأنّى يُؤفكون﴾**[3].

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم﴾[4].

﴿ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماءً فأحيا به الأرضَ من بعد موتها ليقولُنّ الله، قلِ الحمد لله﴾، على أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله، **﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾**، وقيل: قل الحمد لله على

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا: ٨/٧، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في الزهد، باب التوكل واليقين، برقم (٤١٦٤): ١٣٩٤/٢، وصححه الحاكم في المستدرك: ٣١٨/٤، وأخرجه الإمام أحمد: ٣٠/١، ٥٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٠١/١٤.

(٢) أخرجه الحاكم: ٤/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٠٣/١٤-٣٠٤، وعزاه في المشكاة: (١٤٥٨/٣) للبيهقي في شعب الإيمان وله شواهد من حديث جابر والمطلب ساقها المصنف في شرح السنة والحاكم في المستدرك، فيتقوى الحديث بها.

(٣) أي: فأنّى يصرفون عمن صنع ذلك، فيعدلون عن إخلاص العباده له. الطبري: ١١/٢١.

(٤) يقول تعالى ذكره: الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه، ويضيق فيُقتّر لمن يشاء منهم، يقول: فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدي دون كل أحد سواي، أبسط لمن شئت منها، وأقتر على من شئت... (إن الله بكل شيء عليم) يقول: إن الله عليم بمصالحكم، ومن لا يصلح له إلا البسط في الرزق، ومن لا يصلح له إلا التقتير عليه، وهو عالم بذلك. الطبري: ١٢/٢١.

لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ
إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا
رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا
هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمۡ
يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ
وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾

إقرارهم لزوم الحجة عليهم، ﴿**بل أكثرهم لا يعقلون**﴾، ينكرون التوحيد مع إقرارهم بأنه الخالق لهذه الأشياء.

قوله تعالى: ﴿**وما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهوٌ ولعب**﴾، اللهو هو: الاستمتاع بلذات الدنيا، واللَّعِب: العبث، سميت بهما لأنها فانية. ﴿**وإنّ الدارَ الآخرةَ لهي الحيوان**﴾، أي: الحياة الدائمة الباقية، و«الحيوان»: بمعنى الحياة، أي: فيها الحياة الدائمة، ﴿**لو كانوا يعلمون**﴾، فناء الدنيا وبقاء الآخرة.

قوله تعالى: ﴿**فإذا ركبوا في الفُلْكِ**﴾، وخافوا الغرق، ﴿**دعوا الله مخلصين له الدين**﴾، وتركوا الأصنام، ﴿**فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون**﴾، هذا إخبار عن عنادهم وأنهم عند الشدائد يقرّون أن القادر على كشفها هو الله عزّ وجلّ وحده، فإذا زالت عادوا إلى كفرهم. قال عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت بهم الريح ألقوها في البحر وقالوا يارب يارب.

﴿**ليكفروا بما آتيناهم**﴾، هذا لام الأمر، ومعناه التهديد والوعيد، كقوله: «اعملوا ما شئتم» (فصلت ـ ٤٠)، أي: ليجحدوا نعمة الله في إنجائه إيّاهم، ﴿**وليتمتعُوا**﴾، قرأ حمزة، والكسائيُ: ساكنة اللام، وقرأ الباقون بكسرها نسقاً على قوله: «ليكفروا»، ﴿**فسوف يعلمون**﴾، وقيل: مَنْ كسر اللام جعلها لام كي وكذلك في ليكفروا، والمعنى لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة.

﴿**أوَلَم يروا أنا جعلنا حَرَماً آمناً ويُتَخطّفُ الناسُ من حولهم**﴾، يعني العرب، يسبي بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون، ﴿**أفبالباطل**﴾، بالأصنام والشيطان، ﴿**يؤمنون وبنعمة الله**﴾، بمحمد والإسلام، ﴿**يكفرون**﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ومن أظلمُ ممن افترى على الله كذباً﴾، فزعم أن لله شريكاً وأنه أمر بالفواحش، **﴿أو كذّب بالحق﴾**، بمحمد ﷺ والقرآن، **﴿لمّا جاءه أليس في جهنّم مثوىً للكافرين﴾**، استفهام بمعنى التقرير، معناه: أما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم.

﴿والذين جاهدوا فينا﴾، الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا، **﴿لنهدينّهم سُبلنا﴾**، لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه.

وقيل: لنزيدنّهم هدىً كما قال: «ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً» (مريم – ٧٦)، وقيل: لنوفقنّهم لإصابة الطريق المستقيمة، والطريق المستقيمة هي التي يوصل بها إلى رضا الله عزّ وجلّ.

قال سفيان بن عيينة: إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل[١] الثغور، فإن الله قال: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبلنا﴾**.

وقيل: المجاهدة هي الصبر على الطاعات. قال الحسن: أفضل الجهاد مخالفة الهوى.

وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينّهم سُبل العمل به. وقال سهل ابن عبدالله: والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينّهم سبل الجنة. وروي عن ابن عباس: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينّهم سُبل ثوابنا.

﴿وإن الله لمع المحسنين﴾، بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عُقْباهم.

(١) ساقط من «أ».

سُورَةُ الرُّومِ

سُورَةُ الرُّومِ

مكية(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣﴾

﴿الٓمٓ غُلبتِ الروم في أدنى الأرض﴾، سبب نزول هذه الآية على ـ ما ذكره المفسرون :ـ أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان(2) المشركون يودّون أن تغلب فارس الروم، لأن أهل فارس كانوا مجوساً أميين، والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس، لكونهم أهل كتاب، فبعث كسرى جيشاً إلى الروم واستعمل عليها / رجلاً يقال له شهريراز، وبعث قيصر جيشاً إلى فارس واستعمل ٦٩/ب
عليهم رجل يدعى يحفّس، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم، فغلبت فارسُ الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشقَّ عليهم، وفرح به كفار مكة، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميّون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار، فقال: فرحتم بظهور إخوانكم، فلا تفرحوا فوالله ليظهرنّ على فارس [على ما](3) أخبرنا بذلك نبينا، فقام إليه أُبيّ بن خلف الجمحي فقال: كذبت، فقال: أنت أكذب ياعدو الله، فقال: اجعل بيننا أجلاً أُناحِبُك عليه ـ والمناحبة: المراهنة ـ على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمتُ وإن ظهرت فارس غرمتَ، ففعلوا، وجعلوا الأجل ثلاث سنين، فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك، وذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ: «ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايِدْه في الخطر ومادَّه في الأجل، فخرج

---

(1) مكية بالإجماع دون خلاف. انظر: الدر المنثور: ٤٧٨/٦، المحرر الوجيز: ٢٤١/١٢، زاد المسير: ٢٨٦/٦، القرطبي: ١/١٤ .

(2)، (3) ساقط من « أ ».

أبو بكر ولقي أُبيّاً، فقال: لعلك ندمت؟ قال: لا، فتعال أزايدك في الخطر وأمادّك في الأجل، فاجعلها مائة قلوص [ومائة قلوص][1] إلى تسع سنين، وقيل إلى سبع سنين، قال قد فعلت. فلما خشي أُبيّ بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه، وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة فأقِمْ لي كفيلاً، فكفل له ابنه عبدالله بن أبي بكر، فلما أراد أُبيّ بن خلف أن يخرج إلى أُحد أتاه عبدالله ابن أبي بكر فلزمه، فقال: لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً. ثم خرج إلى أُحد ثم رجع أُبيّ بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله ﷺ حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم. وقيل: كان يوم بدر.

قال الشعبي: لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناحبة بين أهل مكة، وفيها صاحبُ قمارهم أُبيّ ابن خلف، والمسلمون وصاحب قمارهم أبو بكر، وذلك قبل تحريم القمار، حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنو الرومية فقمر أبو بكر أُبيّاً وأخذ مال الخطر من ورثته، وجاء به يحمله إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «تصدَّقْ به».

وكان سبب غلبة الروم فارساً ـ على ما قال عكرمة وغيره ـ: أن شهريراز بعدما غلبت الروم لم يزل يطؤهم ويخرّب مدائنهم حتى بلغ الخليج، فبينا أخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لأصحابه: لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى، فبلغت كلمته كسرى، فكتب إلى شهريراز: إذا أتاك كتابي فابعث إلي برأس فرخان، فكتب إليه: أيها الملك إنك لن تجد مثل فرخان، إن له نكاية وصوتاً في العدو، فلا تفعل، فكتب إليه: إن في رجال فارس خلفاً منه، فعجِّل برأسه، فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه، وبعث بريداً إلى أهل فارس أني قد نزعت عنكم شهريراز واستعملت عليكم فرخان الملك، ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة أمره فيها بقتل شهريراز، وقال: إذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطِه، فلما قرأ شهريراز الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ونزل عن سريره وجلس فرخان ودفع إليه الصحيفة، فقال: ائتوني بشهريراز، فقدّمه ليضرب عنقه، فقال: لا تعجل عليّ حتى أكتب وصيتي. قال: نعم، فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى، وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد؟ فرد الملك إلى أخيه، وكتب شهريراز إلى قيصر ملك الروم إن لي إليك حاجة لا تحملها البُردُ، ولا تبلغها الصحف، فالْقَني، ولا تلقني إلا في خمسين رومياً، فإني ألقاك في خمسين فارسياً. فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي، وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق، وخاف أن يكون قد مكر به، حتى أتاه عيونه أنه ليس معه إلا خمسون رجلاً، ثم بسط لهما فالتقيا في قبة ديباج ضربت لهما، ومع كل واحد منهما سكين، فدعوا بترجمان بينهما،

(١) ساقط من «أ».

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

فقال شهريراز: إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا وأراد أن أقتل أخي فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعاً فنحن نقاتله معك. قال: قد أصبتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرَّ بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا، فقتلا الترجمان معاً بسكينهما، فأُدِيْلت الروم على فارس عند ذلك، فاتبعوهم يقتلونهم، ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية ففرح ومن معه[1]، فذلك قوله عزّ وجلّ :

﴿الٓمٓ غُلبت الروم في أدنى الأرض﴾، أي: أقرب أرض الشام إلى أرض فارس، قال عكرمة: هي أذرعات وكسكَر، وقال مجاهد: أرض الجزيرة. وقال مقاتل: الأردن وفلسطين. ﴿وهم من بعد غَلَبهم﴾، أي: الروم من بعد غلبة فارس إياهم، والغلب والغلبة لغتان، ﴿سيغلِبُون﴾، فارساً .

﴿في بضع سنين﴾، والبضع ما بين الثلاث إلى السبع، [وقيل: ما بين الثلاثة إلى التسع،][2] وقيل: ما دون العشرة .

وقرأ عبدالله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، والحسن، وعيسى بن عمر: «غَلَبَت» بفتح الغين واللام، «سيُغْلَبون» بضم الياء وبفتح اللام. وقالوا: نزلت حين أخبر النبي ﷺ عن غلبة الروم فارساً .

ومعنى الآية: الٓمٓ غلبت الروم فارساً في أدنى الأرض إليكم، وهم من بعد غلبهم سيغلبون، يغلبهم المسلمون في بضع سنين. وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم[3] .

والأول أصح، وهو قول أكثر المفسرين .

﴿لله الأمر من قَبْلُ ومن بَعْدُ﴾، أي: من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها، فأي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله / وقضائه وقدره. ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون﴾ . ٧٠/أ

﴿بنصر الله﴾، الرومَ على فارس. قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على

---

(١) هذه السياقات التي ذكرها المفسرون عن الشعبي وعكرمة وعطاء، ذكرها ابن كثير في التفسير (٣/٤٢٤-٤٢٥) قال: ومن أغرب هذه السياقات ما رواه الإمام سنيد بن داود في تفسيره حيث قال.. وساق جملة ما نقله البغوي عن المفسرين.. ثم قال: «فهذا سياق غريب وبناء عجيب» .
وجملة القصة وسبب النزول وردا بروايات متعددة ثابتة، فقدأخرجها الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وغيرهم .
وانظر: الدر المنثور: ٦/٤٧٩-٤٨٣، أسباب النزول ص (٣٩٨)، الطبري: ٢١/١٦-١٩ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٣) انظر: الطبري: ٢١/٢١، المحرر الوجيز: ١٢/٢٤١ .

وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ
ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ
أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩

المشركين يوم بدر، وظهورِ أهل الكتاب على أهل الشرك، ﴿**ينصر من يشاء وهو العزيز**﴾، الغالب، ﴿**الرحيم**﴾، بالمؤمنين .

﴿**وَعْدَ الله**﴾، نصب على المصدر، أي: وعد الله وعداً بظهور الروم على فارس، ﴿**لا يخلف الله وعده ولكنَّ أكثر الناسِ لا يعلمون**﴾ .

﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا**﴾، يعني: أمر معاشهم، كيف يكتسبون ويتجرون، ومتى يغرسون ويزرعونَ ويحصدون، وكيف يبنون ويعيشون، قال الحسن: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطيء وهو لا يحسن يصلي(1) ﴿**وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾، ساهون عنها جاهلون بها، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها .

﴿**أوَلَمْ يتفكروا في أنفسِهم ما خلقَ الله السمواتِ والأرضَ وما بينهما إلاّ بالحق**﴾، أي: للحق، وقيل: لإقامة الحق، ﴿**وأجلٍ مسمّىً**﴾، أي: لوقت معلوم إذا انتهت إليه فنيت، وهو القيامة، ﴿**وإنّ كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون**﴾ .

﴿**أوَلَم يسيروا في الأرضِ فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم**﴾، أولم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا، ﴿**كانوا أشدَّ منهم قوةً وأثاروا الأرض**﴾، حرثوها وقلبوها للزراعة، ﴿**وعَمَروها أكثرَ ممّا عَمَروها**﴾، [أي: أكثر مما عمرها](2) أهل مكة، قيل: قال

---

(1) أخرجه عنه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. الدر المنثور: ٤٨٤/٦ .
(2) ساقط من « أ » .

ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ
بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾

ذلك لأنه لم يكن لأهل مكة حرث، ﴿**وجاءتهم رسلهم بالبينات**﴾، فلم يؤمنوا فأهلكهم الله، ﴿**فما كان الله ليظلمهم**﴾، بنقص حقوقهم، ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾، ببخس حقوقهم.

﴿**ثم كان عاقبة الذين أساءوا**﴾، أي: أساؤوا العمل، ﴿**السُّوأى**﴾، يعني: الخلة التي تسوؤهم وهي النار، وقيل: «السوأى» اسم لجهنم، كما أن «الحسنى» اسم للجنة[1]، ﴿**أن كذَّبوا**﴾، أي: لأن كذبوا.

وقيل تفسير «السوأىٰ» ما بعده، وهو قوله: «أن كذبوا» يعني: ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيئات على أن كذبوا، ﴿**بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون**﴾.

قرأ أهل الحجاز والبصرة: «عاقبةُ» بالرفع، أي: ثم كان آخر أمرهم السوء، وقرأ الآخرون بالنصب على خبر كان، تقديره: ثم كان السوأى عاقبة الذين أساؤوا.

قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يبدأُ الخلق ثم يُعيده**﴾، أي: يخلقهم ابتداءً ثم يعيدهم بعد الموت أحياءً، ولم يقل: يعيدهم، ردّه إلى الخلق، ﴿**ثم إليه ترجعون**﴾، فيجزيهم بأعمالهم. قرأ أبو عمرو، وأبو بكر: «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿**ويوم تقوم الساعة يُبْلِسُ المجرمون**﴾، قال قتادة، والكلبي: ييأس المشركون من كل خير. وقال الفرّاء: ينقطع كلامهم وحجتهم[2]. وقال مجاهد: يفتضحون.

﴿**ولم يكن لهم من شركائهم شفعاءُ وكانوا بشركائهم كافرين**﴾، جاحدين متبرئين يتبرؤون منها وتتبرأ منهم.

﴿**ويوم تقوم الساعةُ يومئذٍ يتفرَّقُون**﴾، أي: يتميز أهل الجنة من أهل النار. وقال مقاتل: يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٣٢٢، المحرر الوجيز: ١٢/٢٤٨.

(٢) في معاني القرآن: ٣/٣٢٢:... وحججهم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝١٦ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾

﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ فهم في روضة﴾، وهي البستان الذي في غاية النضارة، **﴿يُحْبَرُون﴾**، قال ابن عباس: يكرمون. وقال مجاهد وقتادة: ينعمون. وقال أبو عبيدة: يسرون. و«الحَبْرة»: السرور. وقيل: «الحبرة» في اللغة: كل نعمة حسنة، والتحبير التحسين.

وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: «تحبرون» هو السماع في الجنة[1]. وقال الأوزاعي: إذا أخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة إلاّ وردت، وقال: ليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم.

﴿وأمّا الذين كفروا وكذَّبوا بآياتنا ولقاءِ الآخرة﴾، أي: البعث يوم القيامة، **﴿فأولئك في العذاب مُحضَرُون﴾**.

قوله تعالى: **﴿فسبحانَ اللّهِ﴾**، أي: سبِّحوا الله، ومعناه: صلُّوا لله، **﴿حين تُمسون﴾**، أي: تدخلون في المساء، وهو صلاة المغرب والعشاء، **﴿وحين تُصبحون﴾**، أي: تدخلون في الصباح، وهو صلاة الصبح.

﴿وله الحمد في السمواتِ والأرض﴾، قال ابن عباس: يحمده أهل السموات والأرض ويصلون له، **﴿وعشياً﴾**، أي: صلُّوا لله عشياً، يعني صلاة العصر، **﴿وحين تُظْهِرُون﴾**، تدخلون في الظهيرة، وهو صلاة الظهر.

قال نافع بن الأزرق لابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وقرأ هاتين الآيتين، وقال: جمعت الآية الصلوات الخمس ومواقيتها[2].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن سُمَيٍّ مولى أبي بكر بن عبدالرحمن، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة،

---

(١) الطبري: ٢١/٢٧-٢٨، الدر المنثور: ٦/٤٨٦، المحرر الوجيز: ١٢/٢٤٩، زاد المسير: ٦/٢٩٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢١/٢٩، وصححه الحاكم: ٢/٤١١، والطبراني في الكبير: ١٠/٣٠٤، وزاد السيوطي نسبته لعبد الرزاق والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم: ٦/٤٨٨.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ

أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(١).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، حدثنا السَّرِيُّ بن خزيمة الأَبِيوَرْدِي، حدثنا المعلى بن سعد، أخبرنا عبدالعزيز بن المختار، عن سهيل، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلاّ أحد قال مثل ما قال أو زاد»(٢).

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرتا قتيبة بن سعيد، أخبرنا محمد بن فضيل، أخبرنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(٣).

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا علي بن المديني، أخبرنا ابن عيينة، عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة قال: سمعت كريباً أبا رشدين / يحدّث عن ابن عباس، ٧٠/ب
عن جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، أن النبي ﷺ خرج ذات غداة من عندها، وكان اسمها برّة فحوّله رسول الله ﷺ وسماها جويرية، وكره أن يقال خرج من عند برة، فخرج وهي في المسجد(٤)، ورجع بعدما تعالى النهار، فقال: ما زلتِ في مجلسكِ هذا منذ خرجتُ بعد؟ قالت: نعم، فقال: «لقد قلتُ بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزِنَتْ بكلماتك لوزنتهنّ: سبحان الله وبحمده عددَ خلقه، ورضاءَ نفسه، وزِنَةَ عرشِهِ، ومدادَ كلماتِهِ»(٥).

قوله تعالى: ﴿يُخرج الحيّ من الميت ويُخرج الميت من الحيّ ويحيي الأرضَ بعد موتها وكذلك

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ١/٢٠٩ـ٢١٠، والبخاري في الدعوات، باب فضل التسبيح: ١١/٢٠٦، ومسلم في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح برقم (٢٦٩١): ٤/٢٠٧١، والمصنف في شرح السنة: ٥/٤٠.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء برقم (٢٦٩٢): ٤/٢٠٧١، والمصنف في شرح السنة: ٥/٤٢.

(٣) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم: ١١/٥٦٦، وفي مواضع أخرى، ومسلم في الموضع السابق، برقم (٢٦٩٤): ٤/٢٠٧٢، والمصنف في شرح السنة: ٥/٤٢.

(٤) في صحيح مسلم. «مسجدها». وهو موضع صلاتها.

(٥) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء برقم (٢٧٢٦): ٤/٢٠٩٠، والمصنف في شرح السنة: ٥/٤٥.

تَخْرُجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ
﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ

تُخرجُون﴾ قرأ حمزة، والكسائي: «تَخْرُجُون» بفتح التاء وضم الراء، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الراء.

﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾، أي: خلق أصلكم يعني آدم من تراب، **﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾**، تنبسطون في الأرض.

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾، قيل: من جنسكم من بني آدم. وقيل: خلق حواء من ضلع آدم[1]، **﴿لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**، جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادّان ويتراحمان، وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما، **﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾**، في عظمة الله وقدرته.

﴿ومن آياته خلْقُ السمواتِ والأرض واختلافُ ألسنتِكم﴾، يعني: اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما، **﴿وألوانِكم﴾**، أبيض وأسود وأحمر، وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة، **﴿إن في ذلك لآيات للعالِمين﴾**، قرأ حفص: **﴿للعالِمين﴾**[2] بكسر اللام.

﴿ومن آياته منامُكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾، أي: منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار، أي: تصرفكم في طلب المعيشة، **﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾**، سماع تدبر واعتبار.

﴿ومن آياته يريكُمُ البرقَ خوفاً﴾، للمسافر من الصواعق، **﴿وطمعاً﴾**، للمقيم في المطر. **﴿وينزّل من السماء ماءً فيُحيي به﴾**، يعني بالمطر[3]، **﴿الأرض بعد موتها﴾**، أي: بعد يبسها

(١) تقدم فيما سبق أنه ليس هناك نص صحيح عن النبي ﷺ في ذلك. والله أعلم.
(٢) في الأصل ضبطت بفتح اللام على ما اختاره المصنف.
(٣) ساقط من «أ».

خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ
ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ
عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

وجدوبتها، ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾ .

﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**﴾، قال ابن مسعود: قامتا على غير عمد بأمره. وقيل: يدوم قيامهما بأمره[1]، ﴿**ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض**﴾، قال ابن عباس: من القبور، ﴿**إذا أنتم تخرجون**﴾، منها، وأكثر العلماء على أن معنى الآية: ثم إذا دعاكم دعوة إذا أنتم تخرجون من الأرض .

﴿**وله من في السموات والأرض كل له قانتون**﴾، مطيعون، قال الكلبي: هذا خاص لمن كان منهم مطيعاً. وعن ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة[2] .

﴿**وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده**﴾، يخلقهم أولاً ثم يعيدهم بعد الموت للبعث، ﴿**وهو أهون عليه**﴾، قال الربيع بن خيثم، والحسن، وقتادة، والكلبي: أي: هو هين عليه وما شيء عليه بعزيز، وهو رواية العوفي عن ابن عباس. وقد يجيء أفعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق .

إنَّ الذي سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا ... بَيْتاً دعائِمُه أعزُّ وأطْـوَلُ[3]

أي: عزيزة طويلة .

وقال مجاهد وعكرمة: «وهو أهون عليه»: أي: أيسر[4]، ووجهه أنه على طريق ضرب المثل،

---

(١) أي: تثبت، كقوله تعالى: «وإذا أظلم عليهم قاموا»، وهذا كثير، قاله ابن عطية: ٢٥٣/١٢، وانظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٥٤/٥ .

(٢) انظر شرحاً لهذا في: المحرر الوجيز: ٢٥٤/١٢ـ٢٥٥ .

(٣) البيت في ديوان الفرزدق ص (٧١٤) وهو من شواهد الطبري: ٣٧/٢١، وأبي عبيدة: ١٢١/٢. وانظر المحرر الوجيز: ٢٥٥/١٢، معاني القرآن للنحاس: ٢٥٦/٥، وهو ترجيح الطبري .

(٤) قال الفراء: ٣٢٤/٢ تعقيباً على قول مجاهد: «ولا أشتهي ذلك. والقول فيه أنه مثل ضربه الله، فقال: أتكفرون بالبعث؟ فابتداء خلقكم من لا شيء أشدّ، فالإنشاءة من شيء عندكم يا أهل الكفر ينبغي أن تكون أهون عليه. ثم قال: (وله المثل =

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

أي: هو أهون عليه على ما يقع في عقولكم، فإن الذي يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون أهون من الإنشاء، أي: الابتداء.

وقيل: هو أهون عليه عندكم[١].

وقيل: هو أهون عليه، أي: على الخلق، يقومون بصيحة واحدة، فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاً، ثم علقاً ثم مضغاً إلى أن يصيروا رجالاً ونساءً، وهذا معنى رواية ابن حِبَّان عن الكلبي عن أبي صالح ابن عباس[٢].

﴿وله المثل الأعلى﴾، أي: الصفة العليا ﴿في السموات والأرض﴾، قال ابن عباس: هي أنه ليس كمثله شيء. وقال قتادة: هي أنه لا إله إلا هو[٣]، ﴿وهو العزيز﴾، في ملكه، ﴿الحكيم﴾، في خلقه.

﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾، أي: بيَّن لكم شبهاً بحالكم، وذلك المثل من أنفسكم، ثم بيّن المثل فقال: ﴿هل لكم من ما ملكت أيمانكم﴾، أي: عبيدكم وإمائكم، ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾، من المال، ﴿فأنتم﴾، وهم، ﴿فيه سواء﴾، أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم؛ ﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾، أي: تخافون أن يشاركوكم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحرّ شريكه الحرّ في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمر دونه، وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث، وهو يحب أن ينفرد به.

قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً فإذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولم ترضوا ذلك لأنفسكم، فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي؟[٤].

= الأعلى)، فهذا شاهد أنه مثل ضربه الله وهذا بمعنى ما فسره المصنف من قول مجاهد. والله أعلم.

(١) أي: خاطب العباد بما يعقلون، فأعلمهم أنه يجب أن يكون عندهم البعث أسهل من الابتداء في تقديرهم وحكمهم. انظر: زاد المسير: ٢٩٨/٦، المحرر الوجيز: ٢٥٦/١٢.

(٢) معاني القرآن للفراء: ٣٢٤/٢، والنحاس: ٢٥٥/٥.

(٣) انظر: الطبري ٣٨/١٩، الدر المنثور: ٤٩١/٦، ابن كثير: ٤٣٢/٣.

(٤) انظر: زاد المسير ٢٩٩/٦، المحرر الوجيز: ٢٥٦/١٢-٢٥٧.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

ومعنى قوله: «أنفسكم»، أي: أمثالكم من الأحرار كقوله: «ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً» (النور ـ ١٢)، أي: بأمثالهم.

﴿كذلك نُفصِّل الآيات لقوم يعقلون﴾، ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم.

﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾، أشركوا بالله، ﴿أهواءهم﴾، في الشرك، ﴿بغير علم﴾، جهلاً بما يجب عليهم، ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾، [أي: أضله الله][1]، ﴿وما لهم من ناصرين﴾، مانعين يمنعونهم من عذاب الله عزّ وجلّ.

قوله تعالى: ﴿فأقمْ وجهكَ للدِّين﴾، أي: أخلص دينك لله، قاله سعيد بن جبير، وإقامة الوجه: إقامة الدين، وقال غيره: سدد عملك. والوجه ما يتوجه إليه الإنسان، ودينه وعمله مما يتوجه إليه لتسديده[2]، ﴿حنيفاً﴾، مائلاً مستقيماً عليه، ﴿فطرةَ الله﴾، دين الله، وهو نصب على الإغراء، أي: إلزمْ فطرة الله، ﴿التي فطر الناس عليها﴾، أي: خلق الناس عليها، وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة: الدين، وهو الإسلام[3].

وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين، وهم الذين فطرهم الله على الإسلام:

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُولد يُولد على الفطرة، فأبواه يُهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه كما تُنْتِجُونَ البهيمة، هل تجدون فيها من جَدْعَاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها»؟، قالوا /: يارسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[4]. ٧١/أ

(١) ساقط من «أ».
(٢) زاد المسير: ٦/٣٠٠، ابن كثير: ٣/٤٣٣.
(٣) انظر: الطبري ٢١/٤٠، ابن كثير: ٣/٤٣٣.
(٤) أخرجه البخاري في القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين: ٧/٤٩٣، وروى جزءاً منه في الجنائز وفي التفسير: ومسلم في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.. برقم (٢٦٥٨): ٤/٢٠٤٨، والمصنف في شرح السنة: ١/١٥٤. وانظر: صحيفة همام بن منبه تحقيق د. رفعت فوزي عبد المطلب ص (٢٥٩-٢٦٠).

ورواه الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة من غير ذكر من يموت وهو صغير، وزاد: ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿**فطرةَ الله التي فطر الناس عليها**﴾[1].

قوله: «من يولد يولد على الفطرة» يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقول: «ألستُ بربكم قالوا بلى» (الأعراف ـ ١٧٢)، وكل مولود في العالم على ذلك الإقرار، وهو الحنيفية التي وقعت الخِلْقة عليها وإنْ عبد غيره، قال تعالى: «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله» (الزخرف ـ ٨٧)، وقالوا: «ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى» (الزمر ـ ٣)، ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل، ألا ترى أنه يقول: «فأبواه يهوِّدانه»؟ فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكومٌ له بحكم أبويه الكافرين، وهذا معنى قوله ﷺ: «يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم»[2]. ويحكى معنى هذا عن الأوزاعي، وحماد بن سلمة[3].

وحكي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: معنى الحديث إن كل مولود يولد على فطرته، أي: على خلقته التي جُبل عليها في علم الله تعالى من السعادة أو الشقاوة، فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليها، وعاملٌ في الدنيا بالعمل المُشَاكِل لها، فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين، فيحملانه ـ لشقائه ـ على اعتقاد دينهما[4].

وقيل: معناه أن كل مولود يولد في مبدأ الخلقة [على الفطرة أي على الجِبِلَّة السليمة][5] والطبع المتهيء لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمرَّ على لزومها، لأن هذا الدين موجودٌ حُسْنُه في العقول، وإنما يَعْدل عنه من يعدل إلى غيره لآفة من آفات النشوء والتقليد، فلو سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره... ثم يتمثل بأولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والمحجة المستقيمة. ذكر أبو سليمان الخطابي هذه المعاني في كتابه[6].

---

(١) البخاري في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، ٢١٩/٣.

(٢) قطعة من حديث عياض بن حمار المجاشعي، أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥): ٢١٩٧/٤.

(٣) انظر: شرح السنة: ١٥٧/١ـ١٥٨، معالم السنن للخطابي: ٨٣/٧.

(٤) شرح السنة: ١٥٩/١، معالم السنن للخطابي: ٨٤/٧ـ٨٥.

(٥) في معالم السنن للخطابي: (٨٨/٧) (.. وأصل الجبلّة على الفطرة السليمة).

(٦) معالم السنن: ٨٣/٧ـ٨٨. وانظر في هذا المبحث: فتح الباري: ٢٤٨/٣ـ٢٥١، تفسير ابن كثير: ٤٣٣/٣ـ٤٣٤، تفسير القرطبي: ٢٥/١٤ـ٣٠، شفاء العليل لابن القيم ص ٥٦٨ وما بعدها، تعليق ابن القيم على سنن أبي داود ـ مع معالم السنن ـ: ٨١/٧ـ٨٧، صحيفة همام بن منبه ص (٢٦٠ـ٢٦٧)، وراجع فيما سبق: ٢٩٨/٣ـ٢٩٩.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾
مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾
وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

قوله : ﴿**لا تبديلَ لخلق الله**﴾ فمن حمل الفطرة على الدين قال: معناه لا تبديل لدين الله، وهو خبر بمعنى النهي، أي: لا تبدلوا دين الله. قال مجاهد، وإبراهيم: معنى الآية الزموا فطرة الله، أي دين الله، واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك[1] ﴿**ذلك الدِّين القيم**﴾، المستقيم، ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾.

وقيل: لا تبديل لخلق الله أي: ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة لا يتبدل، فلا يصير السعيد شقياً ولا الشقي سعيداً.

وقال عكرمة ومجاهد: معناه تحريم إخصاء البهائم[2].

﴿**منيبين إليه**﴾ أي: فأقم وجهك أنت وأمتك منيبين إليه لأن مخاطبة النبي ﷺ يدخل معه فيها الأمة، كما قال: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء» (الطلاق ـ ١)، ﴿**منيبين إليه**﴾، أي: راجعين إليه بالتوبة مقبلين إليه بالطاعة، ﴿**واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين**﴾.

﴿**من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً**﴾، أي: صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى[3]. وقيل: هم أهل البدع من هذه الأمة[4]، ﴿**كل حزب بما لديهم فَرِحُون**﴾، أي: راضون بما عندهم.

قوله تعالى : ﴿**وإذا مسَّ الناسَ ضرٌّ**﴾، قحط وشدة، ﴿**دَعَوْا ربَّهم منيبين إليه**﴾، مقبلين إليه بالدعاء، ﴿**ثم إذا أذاقهم منه رحمةً**﴾، خصباً ونعمة، ﴿**إذا فريق منهم بربِّهم يُشركون**﴾.

﴿**ليكفروا بما آتيناهم**﴾، ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد فقال: ﴿**فتمتعوا فسوف تعلمون**﴾، حالكم في الآخرة.

---

(١) المحرر الوجيز: ١٢/٢٥٩، الدر: ٦/٤٩٣، القرطبي: ١٤/٣١.
(٢) انظر: الطبري ٢١/٤١-٤٢، القرطبي: ١٤/٣١.
(٣) رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة. انظر الطبري: ٢١/٤٢، الدر: ٦/٤٩٥، المحرر الوجيز: ١٢/٢٥٩.
(٤) وهو قول عائشة وأبي هريرة وأبي أمامة رضي الله عنهم. القرطبي: ١٤/٣٢.

أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ
رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ
ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ
ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ
فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾

﴿**أم أنزلنا عليهم سلطاناً**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حجة وعذراً. وقال قتادة: كتاباً، ﴿**فهو يتكلم**﴾، ينطق، ﴿**بما كانوا به يشركون**﴾، أي: ينطق بشركهم ويأمرهم به.

﴿**وإذا أذقنا الناسَ رحمةً**﴾، أي: الخصب وكثرة المطر، ﴿**فرحوا بها**﴾، يعني فرح البَطَر، ﴿**وإن تُصِبْهُمْ سيئة**﴾، أي: الجدب وقلة المطر، ويقال: الخوف والبلاء ﴿**بما قدمت أيديهم**﴾، من السيئات، ﴿**إذا هم يَقْنَطُون**﴾، ييأسون من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن، فإنه يشكر الله عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدة.

﴿**أَوَ لم يروا أن الله يبسطُ الرزقَ لمن يشاءُ وَيَقدِرُ إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾.

قوله تعالى: ﴿**فآتِ ذَا القُربَى حقَّه**﴾، من البر والصلة، ﴿**والمسكينَ**﴾، وحقه أن يتصدق عليه، ﴿**وابنَ السبيل**﴾، يعني: المسافر، وقيل: هو الضيف، ﴿**ذلك خيرٌ للذين يريدون وجه الله**﴾، يطلبون ثواب الله بما يعملون، ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وما آتيتم من ربا**﴾، قرأ ابن كثير: «أتيتم» مقصوراً، وقرأ الآخرون بالمدّ، أي: أعطيتم، ومن قصر فمعناه: ما جئتم من ربا، ومجيؤهم ذلك على وجه الإعطاء كما تقول: أتيت خطئاً، وأتيت صواباً، فهو يؤول في المعنى إلى قول مَنْ مدّ. ﴿**ليربوا في أموال الناس**﴾، قرأ أهل المدينة، ويعقوب: «لتُربُوا» بالتاء وضمها وسكون الواو على الخطاب، أي: لتُربُوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها، ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله: ﴿**فلا يربُوا عند الله**﴾، في أموال الناس، أي: في اختطاف أموال الناس واجتذابها.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤٠)

واختلفوا في معنى الآية، فقال سعيد بن جبير، ومجاهد، وطاووس، وقتادة، والضحاك، وأكثر المفسرين: هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيب أكثر منها فهذا جائز حلال، ولكن لا يثاب عليه في القيامة، وهو معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿فلا يربوا عند الله﴾، وكان هذا حراماً على النبي ﷺ خاصة لقوله تعالى: ﴿ولا تمننْ تستكثرْ﴾ (المدثر ـ ٦)، أي: لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت[١].

وقال النخعي: هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله[٢].

وقال الشعبي: هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله التماس عونه، لا لوجه الله، فلا يربوا عند الله لأنه لم يرد به وجه الله تعالى[٣].

﴿وما آتيتم من زكاة﴾، أعطيتم من صدقة **﴿تريدون وجه الله فأولئك هم المُضعِفُون﴾**، يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها / فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات، تقول العرب: القوم مهزولون ومسمونون: إذا هزلت أو سمنت إبلهم[٤]. ٧١/ب

﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عمّا يشركون﴾[٥].

---

(١) انظر الطبري: ٢١/٤٦ـ٤٧، الدر المنثور: ٦/٤٩٥ـ٤٩٦، القرطبي: ١٤/٣٦ـ٣٧، المحرر الوجيز: ١٢/٢٦٣.

(٢) الطبري: ٢١/٤٧ وهو مروي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) زاد المسير: ٦/٣٠٤ قال ابن عطية: وهو قريب من التفسير الأول.

(٤) في معاني القرآن للفراء: (٢/٣٢٥): تقول العرب: أصبحتم مُسْمِنِينَ مُعْطِشين إذا عطشت إبلهم أو سَمِنَتْ.

(٥) يقول الله تعالى ذكره للمشركين به، معرّفهم قبح فِعْلهم، وخُبْث صنيعهم: الله ـ أيها القوم ـ الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره، هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً، ثم رزقكم وخوّلكم، ولم تكونوا تملكون قبل ذلك، ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء، ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث القيامة..

وقوله: ﴿هل من شركائكم...﴾ هل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونها لله في عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شيء، فيخلق أو يرزق، أو يميت أو ينشر.

وهذا من الله: تقريع لهؤلاء المشركين. وإنما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيئاً من ذلك، فكيف يعبد من دون الله مالا يفعل شيئاً من ذلك.

ثم برّأ نفسه ـ تعالى ذكره ـ عن الفرية التي افتراها هؤلاء المشركون عليه ـ بزعمهم أن آلهتهم له شركاء ـ فقال جل ثناؤه: ﴿سبحانه﴾ أي: تنزيهاً وتبرئة. ﴿وتعالى﴾ يقول: وعلوّاً له. ﴿عما يشركون﴾ يقول: عن شرك هؤلاء المشركين به.

انظر: الطبري: ٢١/٤٨.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾، يعني: قحط المطر وقلة النبات، وأراد بالبر البوادي والمفاوز، وبالبحر المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية. قال عكرمة: العرب تسمي المصر بحراً، تقول: أجدب البر وانقطعت مادة البحر(١)، ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾، أي: بشؤم ذنوبهم، وقال عطية وغيره: «البر» ظهر الأرض من الأمصار وغيرها، و«البحر» هو البحر المعروف، وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلوا أجواف الأصداف لأن الصدف إذا جاء المطر يرتفع إلى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع في فيه من المطر صار لؤلؤاً.

وقال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد: الفساد في البر: قتل أحد ابني آدم أخاه، وفي البحر: غصب الملك الجائر السفينة.

قال الضحاك: كانت الأرض خضرة مونقة لا يأتي ابنُ آدم شجرةً إلا وجد عليها ثمرة، وكان ماء البحر عذباً وكان لا يقصد الأسدُ البقرَ والغنم، فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحاً زعافاً وقصد الحيوان بعضها بعضاً(٢).

قال قتادة: هذا قبل مبعث النبي ﷺ، امتلأت الأرض ظلماً وضلالة، فلما بعث الله محمداً ﷺ رجع راجعون من الناس بما كسبت أيدي الناس من المعاصي، يعني كفار مكة(٣).

﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾، أي: عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب، ﴿لعلّهم يرجعون﴾، عن الكفر وأعمالهم الخبيثة.

---

(١) معاني القرآن للفراء: ٢/٣٢٥.

(٢) قال الطبري (٢١/٥٠): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الله تعالى ذكره، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر عند العرب في الأرض والقفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب، فهما جميعاً عندهم بحر، ولم يخصص ـ جلّ ثناؤه ـ الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر، عذباً كان أو ملحاً. وإذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار».

وقال ابن عطية: (١٢/٢٦٥): وظهور الفساد فيما هو بارتفاع البركات ونزول رزايا، وحدوث فتن، وتغلّب عدو كافر، وهذه الثلاثة توجد في البر والبحر.. وقلما توجد أمة فاضلة مطيعة، مستقيمة الأعمال، إلا يدفع الله عنها هذه. والأمر بالعكس في أهل المعاصي وبطر النعمة، وكذلك كان أمر البلاد في وقت مبعث النبي ﷺ، قد كان الظلم عمَّ الأرض براً وبحراً، وقد جعل الله هذه الأشياء ليجازي بها على المعاصي فيذيق الناس عاقبة إذنابهم (مصدر أذنب) لعلهم يتوبون ويراجعون بصائرهم في طاعة الله تعالى».

(٣) البحر المحيط: ٧/١٧٦.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ
مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ
وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا
نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾، لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية، **﴿كان أكثرهم مشركين﴾**، أي: كانوا مشركين، فأهلكوا بكفرهم.

﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾، المستقيم وهو دين الإسلام **﴿من قبل أن يأتي يومٌ لا مردَّ له من الله﴾**، يعني: يوم القيامة، لا يقدر أحد على رده من الله، **﴿يومئذ يَصَّدَّعُون﴾**، أي: يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿من كفر فعليه كُفْره﴾، أي: وبال كفره، **﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يَمْهَدُون﴾**، يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور.

﴿ليجزيَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم، **﴿إنه لا يحب الكافرين﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ومن آياته أن يرسلَ الرياحَ مبشّراتٍ﴾**، تبشر بالمطر، **﴿وليذيقكم من رحمته﴾**، نعمة، المطر وهي الخصب، **﴿ولتجري الفُلْكُ في البحر﴾**، بهذه الرياح، **﴿بأمره ولتبتغوا من فضله﴾**، لتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر، **﴿ولعلّكم تشكرون﴾**، ربَّ هذه النعم.

قوله تعالى: **﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾**، بالدلالات الواضحات على صدقهم، **﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾**، عذّبنا الذين كذبوهم، **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾**، وإنجاؤهم من العذاب، ففي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء. قال الحسن: أنجاهم مع الرسل من عذاب الأمم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد ابن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أخبرنا أحمد بن زنجويه، أخبرنا أبو شيخ الحراني، أخبرنا أبوموسى بن أعين، عن ليث بن أبي سليم، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يردّ عن عِرض أخيه إلاَّ كان حقاً على الله أن يردّ عنه نار جهنم يوم القيامة»، ثم تلا هذه الآية «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين»[(١)] .

﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾، أي: ينشره، **﴿فيبسطه في السماء كيف يشاء﴾**، مسيرة يوم أو يومين وأكثر على من يشاء، **﴿ويجعله كِسَفاً﴾**، قطعاً متفرقة، **﴿فترى الوَدْقَ﴾**، المطر، **﴿يخرج من خلاله﴾**، وسطه، **﴿فإذا أصاب به من يشاء﴾**، أي: بالودق، **﴿من عباده إذا هم يستبشرون﴾**، يفرحون بالمطر .

﴿وإن كانوا﴾، وقد كانوا، **﴿من قبل أن يُنَزَّلَ عليهم من قبله لَمُبْلِسين﴾**، أي آيسين، وقيل: «وإن كانوا»، أي: وما كانوا إلا مبلسين، وأعاد قوله: «من قبله» تأكيداً[(٢)] .

وقيل: الأولى ترجع إلى إنزال المطر، والثانية إلى إنشاء السحاب[(٣)] .

وفي حرف عبدالله بن مسعود: وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين، غير مكرر .

---

(١) أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن المسلم: ٦/٥٨، وقال: «هذا حديث حسن». والطبراني في الكبير: ٢٤/١٧٥-١٧٦ .

قال ابن حجر: «ورواه إسحاق والطبراني وأبو يعلى وابن عدي من طريق شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد نحوه مرفوعاً، وإسناده ضعيف، واختلف فيه على شهر بن حوشب، فقال القداح عنه: هكذا، وقال ليث: عنه عن أبي هريرة، أخرجه ابن مردويه» .

انظر الكافي الشاف ص (١٢٩)، الفتح السماوي: ٢/٩٠٧-٩٠٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٥/٢٩٠-٢٩٥ .

(٢) رجحه الطبري: ٢١/٥٤، وانظر: المحرر الوجيز: ١٢/٢٦٩، زاد المسير: ٦/٣٠٩ .

(٣) قال ابن الأنباري: والمعنى من قبل نزول المطر، من قبل المطر، وهذا مثلما يقول القائل: آتيك من قبل أن تتكلم، من قبل أن تطمئن في مجلسك. فلا تنكر عليه الإعادة، لاختلاف الشيئين» .

انظر: زاد المسير: ٦/٣٠٩، الطبري: ٢١/٥٤ .

﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ
ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ
بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم
مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ
جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

﴿**فانظرْ إلى آثارِ رحمة الله**﴾، هكذا قرأ أهل الحجاز، والبصرة، وأبو بكر[١]. وقرأ الآخرون: ﴿**إلى آثار رحمة الله**﴾، على الجمع، أراد برحمة الله: المطر، أي: انظر إلى حسن تأثيره في الأرض، وقال مقاتل: أثر رحمة الله أي: نعمته وهو النبت، ﴿**كيف يحيي الأرضَ بعد موتها إنّ ذلك لمحيي الموتى**﴾، يعني: أن ذلك الذي يحيي الأرض لمحيي الموتى، ﴿**وهو على كل شيء قدير**﴾ .

﴿**ولئن أرسلنا ريحاً**﴾، باردة مضرة فأفسدت الزرع، ﴿**فرأوه مُصْفَرّاً**﴾، أي: رأوا النبت والزرع مصفَرّاً بعد الخضرة، ﴿**لظَلّوا**﴾، لصاروا، ﴿**مِنْ بعدِه**﴾، أي: بعد إصفرار الزرع، ﴿**يكفرون**﴾، يجحدون ما سلف من النعمة، يعني: أنهم يفرحون عند الخصب، ولو أرسلت عذاباً على زرعهم جحدوا سالف نعمتي .

﴿**فإنك لا تُسمِعُ الموتى ولا تُسمِع الصمَّ الدعاءَ إذا وَلّوا مدبرين وما أنت بهادِ العمي عن ضلالتهم إنْ تسمع إلا من يُؤمن بآياتنا فهم مسلمون**﴾[٢] .

﴿**الله الذي خلقكم من ضَعْف**﴾، قرىء بضم الضاد وفتحها، فالضم لغة قريش، والفتح لغة تميم، ومعنى «من ضعف»، أي: من نطفة، يريد من ذي ضعف، أي: من ماء ذي ضعف كما قال

---

(١) إشارة إلى أن المصنف رحمه الله قدم الإفراد «أثر» وهي المثبتة في المخطوطة. وقد تكرر مثل هذا، وسيأتي أيضاً .

(٢) يقول تعالى: كما أنك ليس في قدرتك أن تُسْمِع الأموات في أجداثها، ولا تُبلغ كلامك الصمّ الذين لا يسمعون، وهم مع ذلك مُدْبِرون عنك، كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق وردّهم عن ضلالتهم، بل ذلك إلى الله، فإنه تعالى بقدرته يُسْمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، وليس ذلك لأحدٍ سواه، ولهذا قال تعالى: «إنْ تسمع من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون» أي: خاضعون مستجيبون مطيعون، فأولئك هم الذين يسمعون الحقّ ويتبعونه وهذا حال المؤمنين، والأول مثل الكافرين» .
انظر: تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٣ .

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

تعالى : «ألم نخلقكم من ماء مهين» (المرسلات ـ ٢٠)، **﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾**، من بعد ضعف الطفولية شباباً، وهو وقت القوة، **﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً﴾**، هرماً، **﴿وشَيْبَةً يخلق ما يشاء﴾** /، من الضعف والقوة والشباب والشيبة، **﴿وهو العليم﴾**، بتدبير خلقه، **﴿القدير﴾**، على ما يشاء . ٧٢/أ

﴿ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون﴾، يحلف المشركون، **﴿ما لبثوا﴾**، في الدنيا، **﴿غيرَ ساعة﴾**، إلا ساعة، استقلُّوا أجل الدنيا لمّا عاينوا الآخرة. وقال مقاتل والكلبي: ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال: «كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار» (الأحقاف ـ ٣٥) .

﴿كذلك كانوا يُؤفكون﴾، يصرفون عن الحق في الدنيا، قال الكلبي ومقاتل: كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث .

والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء تبين لأهل الجمع أنهم كاذبون فيه[(١)]، وكان ذلك بقضاء الله وبقدره بدليل قوله: «يؤفكون»، أي: يصرفون عن الحق .

ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال :

﴿وقال الذين أُوتوا العلمَ والإيمانَ لقد لبثتم في كتاب الله﴾، أي: فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور[(٢)]. وقيل: «في كتاب الله» أي: في حكم الله[(٣)]، وقال قتادة ومقاتل: فيه تقديم وتأخير معناه: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان: لقد لبثتم إلى يوم البعث، يعني الذين يعلمون كتاب الله[(٤)]، وقرأوا قوله تعالى: «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» (المؤمنون ـ ١٠٠)، أي: قالوا للمنكرين: لقد لبثتم، **﴿إلى يوم البعث فهذا يوم البعث﴾**، الذي كنتم تنكرونه في الدنيا، **﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾**، وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى :

---

(١) زاد المسير: ٣١١/٦، معاني القرآن للفراء: ٣٢٦/٢ .

(٢) الطبري: ٥٨/٢١، زاد المسير: ٣١٢/٦ .

(٣) البحر المحيط: ١٨٠/٧ .

(٤) نقل الطبري عن قتادة غير هذا فقال: وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم: لقد لبثتم في كتاب الله .
وَرد ذلك ابن عطية فقال: ولا يحتاج إلى هذا، بل ذكر العلم يتضمن الإيمان، ولا يصف اللَّهُ بعلمٍ من لم يعلم كل ما يوجب الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعد ذلك تنبيهاً عليه وتشريفاً لأمره، فنبّه على مكان الإيمان وخصّه بالذكر تشريفاً .
انظر: الطبري: ٥٧/٢١، المحرر الوجيز: ٢٧٢/١٢ .

فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾
فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿**فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم**﴾، يعني عذرهم، ﴿**ولا هم يُستعتبون**﴾، لا يطلب منهم العُتبى والرجوع في الآخرة، قرأ أهل الكوفة: ﴿**لا ينفع**﴾ بالياء هاهنا وفي «حمٓ» المؤمن [ووافق نافع في «حم» المؤمن][1]، وقرأ الباقون بالتاء فيهما.

﴿**ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مَثَلٍ ولئن جئتم بآية ليقُولَنّ الذين كفروا إنْ أنتم إلاَّ مبطلون**﴾، ما أنتم إلاَّ على باطل.

﴿**كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون**﴾ توحيد الله.

﴿**فاصبر إن وعد الله حق**﴾، في نصرتك وإظهارك على عدوك ﴿**ولا يستخِفَّنّك**﴾، لا يستجهلنك، معناه: لا يحملنّك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي. وقيل: لا يستخفن رأيك وحلمك، ﴿**الذين لا يوقنون**﴾، بالبعث والحساب.

---

(١) ساقط من «ب».

سُورَةُ لُقْمَانْ

سُورَةُ لُقْمَانَ

مكية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾

﴿الٓمٓ تلك آياتُ الكتاب الحكيم هدىً ورحمةً﴾، قرأ حمزة: «رحمةٌ» بالرفع على الابتداء، أي: هو هدى ورحمة، وقرأ الآخرون بالنصب على الحال **﴿للمحسنين﴾**.

﴿الذين يقيمون الصلاة ويُؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يُوقنون * أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾.

﴿ومن الناس من يشتري لَهْوَ الحديث﴾، الآية. قال الكلبي، ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة كان يتّجر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشاً، ويقول: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملِحُون

---

(١) أخرج ابن الضريس، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت سورة لقمان بمكة .
وأخرج النحاس في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سورة لقمان نزلت بمكة سوى ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ إلى تمام الآيات الثلاث .
وأخرج النسائي وابن ماجه عن البراء رضي الله عنه قال: كنا نصلي خلف النبي ﷺ الظهر، ونسمع منه الآية بعد الآية من سورة لقمان والذاريات. انظر: الدر المنثور ٥٠٣/٦ .

حديثه ويتركون استماع القرآن، فأنزل الله هذه الآية[1].

وقال مجاهد: يعني شراء القيان والمغنيين[2]، ووجه الكلام على هذا التأويل: من يشتري [ذات لَهوٍ أو] ذَا لَهْوِ الحديث.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المزكي، حدثنا جدي محمد بن إسحاق بن خزيمة، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا مشمعل بن ملحان الطائي، عن مطرح بن يزيد، عن عبدالله بن زجر، عن علي بن يزيد، عن القاسم ابن عبد العزيز، عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام»، وفي مثل هذا أنزلت هذه الآية: «ومن الناس من يشتري لَهْوَ الحديث لِيُضلَّ عن سبيل الله»، وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين: أحدهما على هذا المنكب، والآخر على هذا المنكب، فلا يزالاَنِ يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت[3].

أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد القفال، أخبرنا أبو منصوز أحمد بن الفضل البروجُردي، أخبرنا أبو أحمد بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي، أخبرنا محمد بن غالب بن تمام، أخبرنا خالد بن أبي يزيد، عن هشام هو ابن حسان، عن محمد هو ابن سيرين، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ «نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة»[4].

قال مكحول: من اشترى جارية ضرَّابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيماً عليه حتى يموت لم أصلِّ عليه، لأن الله يقول: «ومن الناس من يشتري لهو الحديث» الآية[5].

وعن عبد الله بن مسعود، وابن عباس، والحسن، وعكرمة، وسعيد بن جبير قالوا: «لهو الحديث» هو الغناء، والآية نزلت فيه.

ومعنى قوله: ﴿**يشتري لهو الحديث**﴾، أي: يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن، قال أبو الصباء البكري سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال: هو الغناء، والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات[6].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٤٠٠).

(٢) انظر: اسباب النزول للواحدي ص (٤٠٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه: التجارات، باب: مالا يحل بيعه برقم: (٢١٦٨) ٢/٧٣٣، والإمام أحمد: ٥/٢٥٢، والطبري: ٢١/٦٠، وأخرجه بنحوه الترمذي: في التفسير: ٩/٥٤ــ٥٥، وقال: (هذا حديث غريب إنما يروى من حديث القاسم عن أبي أمامة، والقاسم ثقة، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث، قاله محمد بن إسماعيل.

(٤) أخرجه البيهقي: ٦/١٢٦، والخطيب في تاريخ بغداد: ٧/٣٦٩، ٨/٣٠٤ والمصنف في شرح السنة: ٨/٢٣.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٦/٥٠٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٢١/٦١.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾

وقال إبراهيم النخعي: الغناء ينبت النفاق في القلب[1]، وكان أصحابنا يأخذون بأفواه السكك يخرقون الدفوف. وقيل: الغناء رُقيةُ الزنا[2].

وقال ابن جريج: هو الطبل[3]. وعن الضحاك قال: هو الشرك[3]. وقال قتادة: هو كل لهو ولعب[4].

﴿ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾، أي: يفعله عن جهل. قال قتادة: بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق.

قوله تعالى: ﴿ويتخذها هُزُواً﴾، أي: يتخذ آيات الله هزواً. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص، ويعقوب: ﴿ويتخذَها﴾ بنصب الدال عطفاً على قوله: «ليضل»، وقرأ الآخرون بالرفع نسقاً على قوله: «يشتري».

﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾.

﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأنْ لم يسمعها كأنّ في أذنيه وَقْراً فبشّره بعذابٍ أليم﴾.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم﴾.

﴿خالدين فيها وعد الله حقاً وهو العزيز الحكيم * خلق السموات بغير عَمَدٍ ترونها وألقى في الأرض / رواسي أن تَمِيْدَ بكم وبثَّ فيها من كل دابّة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾، حسن. ٧٢/ب

---

(١) أخرجه البيهقي: ١٠/٢٢٣، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٦/٥٠٥ نسبته لابن أبي الدنيا.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٥٠٦ لابن أبي الدنيا والبيهقي.

(٣) أخرجه الطبري: ٢١/٦٣.

(٤) وهو ما رجحه الطبري: ٢١/٦٣ إذ قال: (عنى به كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله، لأن الله تعالى عمَّ بقوله: (لهو الحديث) ولم يخصص بعضاً دون بعض فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك).

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿هذا﴾، يعني الذي ذكرت مما تعاينون، ﴿خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾، من آلهتكم التي تعبدونها، ﴿بل الظالمون في ضلال مبين﴾ .

قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾، يعني: العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور. قال محمد بن إسحاق: وهو لقمان بن ناعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر. وقال وهب: كان ابن أخت أيوب(١)، وقال [مقاتل: ذكر أنه كان ابن خالة أيوب(١)](٢). قال الواقدي: كان قاضياً في بني إسرائيل(١) .

واتفق العلماء على أنه كان حكيماً، ولم يكن نبياً، إلا عكرمة فإنه قال: كان لقمان نبياً. وتفرَّد بهذا القول .

وقال بعضهم: خيّر لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة(٣) .

وروي أنه كان نائماً نصف النهار فنُودي: يالقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض لتحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوتَ فقال: إن خيرني ربي قبلت العافية، ولم أقبل البلاء، وإن عزم عليّ فسمعاً وطاعةً، فإني أعلم إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لِمَ يالقمان؟ قال: لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاها الظلم من كل مكان أن يعدل فبالحري أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة، ومنْ يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون

---

(١) انظر البحر المحيط: ٧/١٨٦ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في التفسير: ٣/٤٤٤: (اختلف السلف في لقمان هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين، الأكثرون على الثاني، (يعني أنه لم يكن نبياً) ثم ذكر بعض الآثار، منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً، ومنها ما هو مشعر بذلك، وفي بعضها ما يشعر أنه كان عبداً قد مسَّه الرق، فقال: وكونه عبداً قد مسَّه الرق ينافي كونه نبياً، لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها، قال: ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً، قال: وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة إن صح السند إليه قال: فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة، قال: كان لقمان نبياً، قال: وجابر هذا، هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، والله أعلم. ثم قال ابن كثير: والذي رواه سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى : (ولقد آتينا لقمان الحكمة) أي: الفقه في الإسلام، ولم يكن نبياً، ولم يوحَ إليه) أ.هـ. فهذا يدل على أنه كان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً .

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾

شريفاً، ومن يخير الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولايصيب الآخرة. فعجبت الملائكة من حسن منطقه، فنام نومة فأعطي الحكمة، فانتبه وهو يتكلم بها، ثم نُودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان، فهوى في الخطيئة غير مرة، كلُّ ذلك يعفو الله عنه، وكان لقمان يؤازره بحكمته(١).

وعن خالد الربعي قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً(٢). وقال سعيد بن المسيب: كان خياطاً(٣). وقيل: كان راعي غنم. فروي أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال: ألست فلاناً الراعي فيمَ بلغتَ ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك مالا يعنيني(٤). وقال مجاهد: كان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين(٥).

قوله عزّ وجلّ: **﴿أَنِ اشكرْ لله ومَنْ يشكرْ فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾**.

﴿وإذْ قال لقمان لابنه﴾، واسمه أنعم، ويقال: مشكم، **﴿وهو يعظه: يابني لا تشركْ بالله إنّ الشرك لظلم عظيم﴾**، قرأ ابن كثير: «يابنيْ لا تشرك بالله» بإسكان الياء، وفتحها حفص، والباقون بالكسر، **﴿يابني إنها﴾** بفتح الياء حفص، والباقون بالكسر، **﴿يابني أقم الصلاة﴾**، بفتح الياء البزي عن ابن كثير وحفص، وبإسكانها القواس، والباقون بكسرها.

﴿ووصيَّنا الإنسان بوالديه حملته أُمه وَهْناً على وَهْنٍ﴾، قال ابن عباس: شدة بعد شدة. وقال الضحاك: ضعفاً على ضعف. قال مجاهد: مشقة على مشقة. وقال الزجاج: المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة. ويقال: الحمل ضعف، والطلق ضعف، والوضع ضعف. **﴿وفصاله﴾**، أي: فطامه، **﴿في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾**، المرجع، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٥١٠-٥١١ للحكيم الترمذي في نوادر الأصول. والعزو إليه مؤذن بالضعف.

(٢) أخرجه الطبري: ٢١/٦٧-٦٨.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٥١٠ لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن المنذر.

(٤) انظر: الطبري ٢١/٦٨، والدر المنثور: ٦/٥١٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٢١/٦٧.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿وإن جاهداك على أن تشركَ بي ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهما وصاحِبْهما في الدنيا معروفاً﴾، أي: بالمعروف، وهو البر والصلة والعشرة الجميلة، **﴿واتّبعْ سَبيلَ من أنابَ إليّ﴾**، أي: دين من أقبل إلى طاعتي، وهو النبي ﷺ وأصحابه .

قال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا بكر، وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، فقالوا له: قد صدّقت هذا الرجل وآمنت به؟ قال: نعم، هو صادق، فآمنوا به، ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا، فهؤلاء لهم سابقة الإسلام، أسلموا بإرشاد أبي بكر(١) .

قال الله تعالى : **﴿واتبعْ سبيل من أناب إليّ﴾**، يعني أبا بكر، **﴿ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾** .

وقيل: نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه، وقد مضت القصة

وقيل: الآية عامة في حق كافة الناس .

﴿يابُنَيَّ إنها إن تكُ مثقالَ حبةٍ من خَرْدَلٍ﴾، الكناية في قوله: «إنها» راجعة إلى الخطيئة، وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال: **﴿يابني إنها إن تكُ مثقالَ حبة من خردل فتكن في صخرة﴾**، قال قتادة: تكن في جبل. وقال ابن عباس: في صخرة تحت الأرضين السبع، وهي التي تكتب فيها أعمال الفجار(٢)، وخضرة السماء منها .

قال السدي: خلق الله الأرض على حوت ـ وهو النون الذي ذكر الله عزّ وجل في القرآن «نٓ والقلم» ـ والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة،

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ١/٢٥٠-٢٥٢، الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠١ .

(٢) انظر: ابن كثير: ٣/٤٤٧ وقد قال معقباً: (كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب)، البحر المحيط: ٧/١٨٨ .

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۝١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ۝١٩﴾

وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، والصخرة على الريح[1].

﴿أو في السموات أو في الأرض يأتِ بها الله إنّ الله لطيف﴾، باستخراجها، ﴿خبير﴾ عالم بمكانها، قال الحسن: معنى الآية هي الإحاطة بالأشياء، صغيرها وكبيرها، وفي بعض الكتب إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات.

﴿يا بُنَيَّ أقمِ الصلاةَ وأمرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبرْ على ما أصابك﴾، يعني من الأذى، ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾، يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى فيهما، من الأمور الواجبة التي أمر الله بها، أو من الأمور التي يُعْزم عليها لوجوبها.

﴿ولا تُصعِّرْ خدّكَ للناس﴾، قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: «ولا تصعِّر» بتشديد العين من غير ألف، وقرأ الآخرون: «تصاعر» بالألف، يقال: صعر وجهه وصاعر: إذا مال وأعرض تكبراً، ورجل أصعر: أي: مائل العنق.

قال ابن عباس: يقول: لا تتكبر فتحقِّر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك.

وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه.

وقال عكرمة: هو الذي إذا سُلِّم عليه لَوَى عنقه تكبراً.

٧٣/أ وقال الربيع بن أنس وقتادة: ولا تحتقر الفقراء ليكن / الفقير والغني عندك سواء، ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾، خيلاء ﴿إن الله لا يحب كل مختال﴾، في مشيه ﴿فخور﴾، على الناس.

﴿واقصِدْ في مشيك﴾، أي: ليكن مشيك قصداً لا تخيلاً ولا إسراعاً. وقال عطاء: امشِ بالوقار والسكينة، كقوله: «يمشون على الأرض هوناً» (الفرقان ــ ٦٣)، ﴿واغضض من صوتك﴾ انقص من صوتك، وقال مقاتل: اخفض صوتك، ﴿إن أنكر الأصوات﴾، أقبح الأصوات، ﴿لصوت الحمير﴾، أوله زفير وآخره شهيق، وهما صوت أهل النار.

---

(١) انظر البحر المحيط: ٧/١٨٨، الدر المنثور: ٦/٥٢٢-٥٢٣.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾

وقال موسى بن أعين: سمعت سفيان الثوري يقول في قوله : ﴿**إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**﴾، قال: صياح كل شيء تسبيح لله إلا الحمار[1] .

وقول جعفر الصادق في قوله : ﴿**إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**﴾، قال: هي العطسة القبيحة المنكرة .

قال وهب: تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة، أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم. وحكمه : قال خالد الربعي: كان لقمان عبداً حبشياً فدفع مولاه إليه شاة وقال: اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها، فأتاه باللسان والقلب، ثم دفع إليه شاة أخرى، وقال: اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب، فسأله مولاه، فقال: ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا[2] .

قوله تعالى : ﴿**ألم تَرَوْا أنّ الله سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم**﴾، أتم وأكمل، ﴿**نعمه**﴾ قرأ أهل المدينة، وأبو عمرو، وحفص: «نعَمهُ» بفتح العين وضم الهاء على الجمع، وقرأ الآخرون منونة على الواحد، ومعناها الجمع أيضاً كقوله : «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» (إبراهيم ــ ١٤)، ﴿**ظاهرة وباطنة**﴾، قال عكرمة عن ابن عباس: النعمة الظاهرة: الإسلام والقرآن، والباطنة: ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة .

وقال الضحاك : الظاهرة: حسن الصورة وتسوية الأعضاء، والباطنة: المعرفة. وقال مقاتل: الظاهرة: تسوية الخلق، والرزق، والإسلام. والباطنة: ما ستر من الذنوب .

وقال الربيع : بالجوارح، والباطنة: بالقلب .

وقيل: الظاهرة: الإقرار باللسان، والباطنة: الاعتقاد بالقلب .

وقيل: الظاهرة: تمام الرزق والباطنة: حسن الخلق. وقال عطاء: الظاهرة: تخفيف الشرائع، والباطنة: الشفاعة .

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣٢٣/٦ .

(٢) أخرجه الطبري: ٦٧/٢١-٦٨، والإمام أحمد في الزهد ص ٤٩ وابن أبي شيبة: ٢١٤/١٣ .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ
فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

وقال مجاهد: الظاهرة: ظهور الإسلام والنصر على الأعداء، والباطنة: الإمداد بالملائكة. وقيل: الظاهرة: الإمداد بالملائكة، والباطنة: إلقاء الرعب في قلوب الكفار.

وقال سهل بن عبدالله: الظاهرة: اتباع الرسول، والباطنة: محبته.

﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**﴾، نزلت في النضر بن الحارث، وأُبيّ بن خلف، وأُمية بن خلف، وأشباههم كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم[1]، ﴿**ولا هدى ولا كتاب منير**﴾.

﴿**وإذا قيل لهم اتبِعُوا ما أنزل الله قالوا بل نتبعُ ما وجدنا عليه آباءنا**﴾، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**أوَلو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير**﴾، وجواب «لو» محذوف، ومجازه: يدعوهم فيتبعونه، يعني: يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير.

﴿**ومَنْ يُسلم وجهَهُ إلى الله**﴾، يعني: لله، أي: يخلص دينه لله، ويفوض أمره إلى الله، ﴿**وهو مُحسنٌ**﴾، في عمله، ﴿**فقدِ استمسك بالعروة الوثقى**﴾، أي: اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه، ﴿**وإلى الله عاقبة الأمور**﴾.

﴿**ومن كفر فلا يَحْزُنْكَ كفرُه إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور**﴾.

﴿**نُمتعهم قليلاً**﴾، أي: نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلاً إلى انقضاء آجالهم، ﴿**ثم نَضْطَرُّهُمْ**﴾، ثم نلجئهم ونردهم في الآخرة، ﴿**إلى عذاب غليظ**﴾، وهو عذاب النار.

﴿**ولئن سألتهم مَنْ خلق السمواتِ والأرضَ لَيَقُولُنَّ الله قلِ الحمد لله بلْ أكثرهم لا يعلمون**﴾.

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٣٥١/٦.

لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن
شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ
ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾

﴿لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد﴾ .

قوله عزّ وجلّ : **﴿ولو أنّ ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ﴾**، الآية. قال المفسرون: نزلت بمكة، قوله سبحانه وتعالى: «ويسئلونك عن الروح»، إلى قوله : «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» (الإسراء ـ ٨٥)، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار اليهود فقالوا: يامحمد، بلغنا عنك أنك تقول : «وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً» أفعنيتنا أمْ قومَك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: كُلاًّ قد عنيت، قالوا: ألست تتلو فيما جاءك أنا أُوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فقال رسول الله ﷺ : «هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم»، قالوا: يامحمد كيف تزعم هذا وأنت تقول : «ومن يُؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» (البقرة ـ ٢٦٩)، فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير؟ فأنزل الله هذه الآية(١) .

قال قتادة: إن المشركين قالوا: إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفد فينقطع، فنزلت: **﴿ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام﴾**(٢)، أي: بريت أقلاماً، **﴿والبحر يمده﴾**، قرأ أبو عمرو ويعقوب: «والبحرَ» بالنصب عطفاً على «ما»، والباقون بالرفع على الاستئناف **﴿يمده﴾**، أي: يزيده، وينصبّ فيه **﴿من بعده﴾**، من خلفه، **﴿سبعةُ أبحرٍ ما نَفِدَتْ كلمات الله﴾**، وفي الآية اختصار تقديره: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفدت كلمات الله .

﴿إن الله عزيز حكيم﴾، وهذه الآية على قول عطاء بن يسار مدنية، وعلى قول غيره مكية، وقالوا: إنما أمر اليهود وفد قريش أن يسألوا رسول الله ﷺ ويقولوا له ذلك وهو بعدُ بمكة، والله أعلم .

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١/٨١، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٥٢٦ لابن إسحاق وابن أبي حاتم، والواحدي في أسباب النزول ص: ٤٠١ـ٤٠٢ إذ قال: (قال المفسرون: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن الروح فأنزل الله بمكة «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار اليهود....) .

(٢) أخرجه الطبري: ٢١/٨١، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٥٢٨ لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة ولأبي نصر السجزي في الإبانة .

مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ
كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**﴾، [يعني كخلق نفس واحدة][1] وبعثها لا يتعذر عليه شيء، ﴿**إن الله سميع بصير**﴾.

﴿**ألم ترَ أنّ الله يُولج الليل في النهار ويُولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير**﴾.

﴿**ذلك بأن الله هو الحق**﴾، أي: ذلك الذي ذكرت لتعلموا أن الله هو الحق، ﴿**وأنّ ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير**﴾.

﴿**ألم ترَ أنّ الفُلْكَ تجري في البحر بنعمة الله**﴾، يريد أن ذلك من نعمة الله عليكم، ﴿**ليريكم
من آياته**﴾، عجائبه، ﴿**إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار**﴾، على أمر الله / ﴿**شكور**﴾، لنعمه. ٧٣/ب

﴿**وإذا غشيَهم موجٌ كالظُّلَلِ**﴾، قال مقاتل: كالجبال. وقال الكلبي: كالسحاب. والظل جمع الظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها، وجعل الموج، وهو واحد، كالظلل وهي جمع، لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء، ﴿**دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مُقْتَصِدٌ**﴾، أي: عدل موفٍ في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له، يعني: ثبت على إيمانه قبل.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من « أ ».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

نزلت في عكرمة بن أبي جهل هرب عام الفتح إلى البحر فجاءهم ريح عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجاني الله من هذا لأرجعن إلى محمد ﷺ ولأضعن يدي في يده، فسكنت الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه[1].

وقال مجاهد: فمنهم مقتصد في القول مضمر للكفر. وقال الكلبي: مقتصد في القول، أي: من الكفار، لأن بعضهم كان أشد قولاً وأغلى في الافتراء من بعض، **﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختّارٍ كفور﴾**، والختر أسوأ الغدر.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي﴾، لا يقضي ولا يغني، **﴿والدٌ عن ولده ولا مولود هو جازٍ﴾**، مُغْنٍ، **﴿عن والده شيئاً﴾**، قال ابن عباس: كل امرىء يهمه نفسه، **﴿إنّ وَعْدَ الله حقّ فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور﴾**، يعني الشيطان. قال سعيد بن جبير: هو أن يعمل المعصية ويتمنى المغفرة.

﴿إن الله عنده علم الساعة﴾، الآية نزلت في الوارث[2] بن عمرو، بن حارثة، بن محارب، ابن حفصة، من أهل البادية أتى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال: إن أرضنا أجدبت فمتى

(١) قال ابن حجر في الإصابة: ٤/٥٣٨-٥٣٩ (وقد أخرج قصة مجيئه موصولة الدارقطني، والحاكم، وابن مردويه، من طريق أسباط بن نصر، عن السدي، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: لما كان يوم فتح مكة أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، فذكر الحديث، وفيه: وأما عكرمة فركب البحر فأصابهم عاصف، فقال أصحاب السفينة: أخلصوا، فإن آلهتكم لا تغني عنكم هاهنا شيئاً. فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص لا ينجني في البر غيره، اللهم إن لك علي عهداً إن عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده، فلا أجدنه إلا عفواً كريماً. فقال: فجاء فسلم.

(٢) في المخطوطتين (الوارث بن عمرو)، وفي الدر المنثور: ٦/٥٣٠ (الوارث من بني مازن بن حفصة)، وفي البحر المحيط: ٧/١٩٤ (الحارث بن عمارة المحاربي) وفي تفسير الكشاف: ٣/٢١٧ (الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب)، وفي تفسير القرطبي: ١٤/٨٣ عن مقاتل (الوارث بن عمرو بن حارثة).

ينزل الغيث؟ وتركتُ امرأتي حبلى، فمتى تلد؟ وقد علمتُ أين ولدتُ فبأي أرض أموت؟ فأنزل الله هذه الآية[1] : **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت﴾** .

وقرأ أُبيّ بن كعب : «بآية أرض»، والمشهور: «بأيّ أرض» لأن الأرض ليس فيها من علامات التأنيث شيء .

وقيل: أراد بالأرض المكان: أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبدالعزيز بن عبدالله، أخبرنا إبراهيم بن ساعدة عن ابن شهاب، عن سالم بن عبدالله، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت»[2] .

﴿إن الله عليم خبير﴾ .

---

(١) الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠٢ .

(٢) أخرجه البخاري: في الاستسقاء، باب: لا يدري متى يجيء المطر إلا الله: ٢/٥٢٤، والمصنف في شرح السنة: ٤/٤٢٢ .

سُورَةُ السَّجْدَة

سُورَةُ السَّجْدَة

مكية[1]، قال عطاء: إلا ثلاث آيات من قوله : ﴿أفمن كان مؤمناً﴾ [إلى آخر ثلاث آيات[2]][3] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣
ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ

﴿الٓمٓ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾، قال مقاتل: لا شك فيه أنه تنزيل من رب العالمين .

﴿أم يقولون﴾، بل يقولون **﴿افتراه﴾**، وقيل الميم صلة، أي: أيقولون افتراه؟ استفهام توبيخ. وقيل: «أم» بمعنى الواو، أي: ويقولون افتراه. وقيل: فيه إضمار، مجازه فهل يؤمنون، أم يقولون افتراه، ثم قال: **﴿بل هو﴾**، يعني القرآن، **﴿الحقُّ من ربك لتُنذر قوماً ما أتاهم﴾** أي: لم يأتهم، **﴿من نذير من قبلك﴾**، قال قتادة: كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ[4]. وقال ابن عباس، ومقاتل: ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما[5] **﴿لعلّهم يهتدون﴾** .

﴿الله الذي خلق السموات والأرضَ وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٤/٦ لابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت (ألم) السجدة بمكة .

(٢) أخرجه النحاس في معاني القرآن الكريم عن ابن عباس: ص ٢٩٧ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٤) أخرجه الطبري: ٩٠/٢١ .

(٥) انظر: البحر المحيط: ١٩٧/٧ .

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥﴾

من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ .

﴿**يدبّر الأمر**﴾، أي: يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر، ﴿**من السماء إلى الأرض**﴾، وقيل: ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض، ﴿**ثم يعرج**﴾، يصعد، ﴿**إليه**﴾، جبريل بالأمر، ﴿**في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**﴾، أي: في يوم واحد من أيام الدنيا وقدر مسيرة ألف سنة، خمسمائة نزوله، وخمسمائة صعوده، لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، يقول: لو سار فيه أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة، والملائكة يقطعون في يوم واحد، هذا في وصف عروج الملك من الأرض إلى السماء، وأما قوله : «تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» (المعارج ـ ٤)، أراد مدة المسافة بين الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل، يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا. هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك[1]، وقوله : «إليه» أي: إلى الله. وقيل: على هذا التأويل، أي: إلى مكان الملك الذي أمره الله عزّ وجلّ أن يعرج إليه .

وقال بعضهم: ألف سنة [وخمسون ألف][2] سنة كلها في القيامة، يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم أقصر، معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا، ثم يعرج أي: يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا، وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحكام في يوم كان مقداره ألف سنة، وهو يوم القيامة، وأما قوله : «خمسين ألف سنة» فإنه أراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة، وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث : «أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا»[3] .

وقال إبراهيم التيمي: لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر[4] .

---

(١) انظر: الطبري: ٢١/٩١ .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) أخرج الإمام أحمد: ٣/٧٥ عن أبي سعيد الخدري: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا» وبهذا النص أخرجه المصنف في شرح السنة: ١٥/١٢٩ وقال الشيخ الأرناؤوط وفيه ابن لهيعة سيء الحفظ، ودراج أبو السمح في حديثه عن أبي الهيثم ضعيف، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٣٣٧ على ضعف في راويه .

(٤) أورده الحاكم: ١/٨٤ بلفظ: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر» .

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٩ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ١٠﴾

ويجوز أن يكون هذا إخباراً عن شدته وهوله ومشقته. وقال ابن أبي مليكة: دخلت أنا وعبدالله ابن فيروز مولى عثمان بن عفان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن قوله خمسين ألف سنة؟ فقال له ابن عباس: أيام سماها الله لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله مالا أعلم[١].

﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾، يعني: ذلك الذي صنع ما ذكره من خلق السموات والأرض / عالم ما غاب عن الخلق وما حضر، ﴿العزيز الرحيم﴾. ٧٤/أ

﴿الذي أحسن كل شيء خلَقه﴾، قرأ نافع وأهل الكوفة: ﴿خلَقه﴾ بفتح اللام على الفعل وقرأ الآخرون بسكونها، أي: أحسنَ خلْقَ كل شيء، قال ابن عباس: أتقنه وأحكمه. قال قتادة: حسّنه. وقال مقاتل: علم كيف يخلق كل شيء، من قولك: فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه. وقيل: خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض، فكل حيوان كامل في خلقه حسن، وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح به معاشه. ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾، يعني آدم.

﴿ثم جعل نسله﴾، يعني ذريته، ﴿من سلالة﴾، نطفة، سميت سلالة لأنها تسل من الإنسان ﴿من ماء مهين﴾، أي: ضعيف وهو نطفة الرجل.

﴿ثم سوّاه﴾، ثم سوى خلقه، ﴿ونفخ فيه من روحه﴾، ثم عاد إلى ذريته، فقال: ﴿وجعل لكم﴾، بعد أن كنتم نطفاً، ﴿السمعَ والأبصارَ والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾، يعني: لا تشكرون ربَّ هذه النعم فتوحّدونه.

﴿وقالوا﴾، يعني منكري البعث، ﴿أئذا ضللنا﴾، هلكنا، ﴿في الأرض﴾، وصرنا تراباً، وأصله

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٥٣٧–٥٣٨ لعبدالرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وصححه عن عبدالله بن أبي مليكة.

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ
إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا
نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

من قولهم: ضلَّ الماء في اللبن إذا ذهب، ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾، استفهام إنكار. قال الله عزّ وجلّ: ﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾، أي: بالبعث بعد الموت.

﴿قل يتوفاكم﴾، يقبض أرواحكم، ﴿مَلَك الموت الذي وُكّل بكم﴾، أي: وكل بقبض أرواحكم وهو عزرائيل، والتوفي استيفاء العدد، معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت. وروي أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة، فهو يقبض أنفس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب[1].

وقال ابن عباس: إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب[2].

وقال مجاهد: جعلت له الأرض مثل طست يتناول منها حيث يشاء[3].

وفي بعض الأخبار: أن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فينزع أعوانُه روح الإنسان فإذا بلغ ثغره نحره قبضه ملك الموت.

وروى خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال: إن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، وهو يتصفح وجوه الناس، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين، فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة، وقال: الآن يزار بك عسكر الأموات.

قوله: ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾، أي: تصيرون إليه أحياءً فيجزيكم بأعمالكم.

﴿ولو ترى إذِ المجرمون﴾، المشركون، ﴿ناكسوا رؤوسهم﴾، مطأطؤ رؤوسهم، ﴿عند ربهم﴾، حياءً وندماً، ﴿ربنا﴾، أي: يقولون ربنا، ﴿أبصَرْنا﴾، ما كنا به مكذبين، ﴿وسمعنا﴾، منك تصديق ما أتتنا به رسلك. وقيل: أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا، ﴿فارجعنا﴾ فأرددنا إلى الدنيا، ﴿نعمل صالحاً إنا موقنون﴾، وجواب لو مضمر مجازه لرأيت العجب.

---

(١) انظر: الطبري: ٢١/٥٤١.
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٥٤٣ لأبي الشيخ عن ابن عباس موقوفاً.
(٣) أخرجه الطبري: ٢١/٩٧–٩٨.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها**﴾، رشدها وتوفيقها للإيمان، ﴿**ولكنْ حقَّ**﴾، وجب، ﴿**القول منّي لأملأنّ جهنّم من الجِنّة والناس أجمعين**﴾، وهو قوله لإبليس: «لأملأن جهنّم منك وممن تبعك منهم أجمعين» (صٓ ـ ٨٥).

ثم يقال لأهل النار ـ وقال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ـ:

﴿**فذوقوا بما نسيتم لقاءَ يومِكم هذا**﴾، أي: تركتم الإيمان به في الدنيا، ﴿**إنا نسيناكم**﴾، تركناكم، ﴿**وذوقوا عذابَ الخُلْدِ بما كنتم تعملون**﴾، من الكفر والتكذيب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**إنّما يُؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكّروا بها**﴾، وعظوا بها، ﴿**خرّوا سُجّداً**﴾، سقطوا على وجوههم ساجدين، ﴿**وسبحوا بحمد ربهم**﴾، قيل: صلّوا بأمر ربهم. وقيل: قالوا سبحان الله وبحمده، ﴿**وهم لا يستكبرون**﴾، عن الإيمان والسجود له.

﴿**تتجافى**﴾، ترتفع وتنبو، ﴿**جنوبهم عن المضاجع**﴾، جمع مضجع، وهو الموضع الذي يضطجع عليه، يعني الفرش، وهم المتهجدون بالليل، الذين يقومون للصلاة.

واختلفوا في المراد بهذه الآية؛ قال أنس: نزلت فينا معشر الأنصار، كنّا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ[(١)].

وعن أنس أيضاً قال: نزلت في أُناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء[(٢)]، وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر، وقالا: هي صلاة الأوابين[(٣)].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء، وهي صلاة الأوابين.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٦/٦ لابن مردويه، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠٤

(٢) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢١، وانظر: الدر المنثور: ٥٤٦/٦.

(٣) أخرجه البيهقي: ١٩/٣، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٦/٦ أيضاً لمحمد بن نصر.

وقال عطاء: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة.

وعن أبي الدرداء، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم: هم الذين يصلون العشاء الآخرة والفجر في جماعة.

وروينا أن النبي ﷺ قال: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، [ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة»[1]][2].

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن سمي مولى أبي بكر بن عبدالرحمن، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلاّ أن يستهِمُوا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»[3].

وأشهر الأقاويل أن المراد منه: صلاة الليل، وهو قول الحسن، ومجاهد، ومالك، والأوزاعي وجماعة.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله بن بشران، أخبرنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفرنا فأصبحت يوماً قريباً منه وهو يسير فقلت: يارسول الله أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويُباعدني من النار، قال: «قد سألت عن أمر عظيم، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه، تعبدُ الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتُؤتي الزكاةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجُ البيتَ»، ثم قال: «ألا أدلّك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل»، ثم قرأ: «تتجافى

٧٤/ب / جنوبهم عن المضاجع» حتى بلغ «جزاء بما كانوا يعملون»، ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يارسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يانبي الله، قال: فأخذ بلسانه فقال: اكفف عليك هذا، فقلت: يانبي الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يامعاذ وهل يُكبُّ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه مسلم في المساجد، باب: فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة برقم: (٦٥٦) ٤٥٤/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٣١/٢.

(٣) أخرجه البخاري في الجماعة، باب: فضل التهجير إلى الظهر: ١٣٩/٢، ومسلم في الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها برقم: (٤٣٧) ٣٢٥/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٠/٢.

الناسَ في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم، إلاّ حصائد ألسنتهم»[1] .

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد المخلدي، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، أخبرنا حمد بن زنجويه، أخبرنا أبو عبدالله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، حدثني ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي أُمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال : «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم»[2] .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبدالجبار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا روح بن أسلم، أخبرنا حماد بن سلمة، أخبرنا عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «عجب ربُّنا من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته»، فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبةً فيما عندي وشفقاً مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم معه أصحابه، فعلم ما عليه في الإنهزام وما له في الرجوع، فرجع فقاتل حتى أهريق دمه، [فيقول الله لملائكته : «انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقاً مما عندي حتى أهريق دمه»[3]][4] .

---

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة: ٣٦٢/٧-٣٦٥ وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في التفسير: ١٥٦/٢-١٥٨، وابن ماجه في الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة برقم: (٣٩٧٣)، وعبدالرزاق في المصنف: ١٩٤/١١، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند برقم: (١١٢) ص ٦٨-٦٩، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة: ٢٢٠/١، وأخرجه الحاكم مطولاً: ٤١٢/٢-٤١٣ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .
قال ابن رجب: وله طرق عن معاذ كلها ضعيفة ص (٢٥٥) لكن الحديث بمجموع طرقه ورواياته يرتقي إلى درجة الصحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني: ١١٥/٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب: في دعاء النبي ﷺ: ٥٣٦/٩، والبيهقي في السنن: ٥٠٢/٢، والحاكم: ٣٠٨/١ وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، والمصنف في شرح السنة: ٣٤/٤. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٥١/٢: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عبدالله بن صالح كاتب الليث، قال عبد الملك بن شعيب: ابن الليث ثقة مأمون، وضعفه جماعة من الأئمة، وأخرجه الطبراني في الكبير عن سلمان الفارسي، وفيه عبدالرحمن بن سليمان، وثقه دحيم وابن حبان وابن عدي، وضعفه أبو داود وأبو حاتم .
وقد حسَّن الألباني الحديث في إرواء الغليل: ١٩٩/٢-٢٠٢، وانظر: الترغيب والترهيب: ٢١٦/١ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٤) أخرجه الإمام أحمد: ٤١٦/١، وابن حبان في موارد الظمآن برقم (٦٤٣) ص (١٦٨)، والمصنف في شرح السنة: ٤٢/٤-٤٣، ولفقرات الحديث شواهد عند أبي داود في فضل الثبات في الغزو، وعند الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٥٥/٢ .

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ١٧

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن حميد بن عبدالرحمن الحميري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»(١) .

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن ابن معانق، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ : «إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»(٢) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا إصبغ، أخبرني عبدالله بن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب، أخبرنا الهيثم بن أبي سنان، أخبرني أنه سمع أبا هريرة في قصصه يذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «إن أخاً لكم لا يقول الرفث» يعني بذلك عبدالله بن رواحة، قال :

وفينا رسولُ الله يتلو كتابَه إذا انشقَّ معروفٌ من الفجرِ ساطعُ
أرانا الهُدَى بعدَ العمى فقلوبُنا به موقناتٌ أنَّ ما قال واقعُ
يَبيتُ يجافي جنبَهُ عن فراشِهِ إذا استثقلتْ بالكافرين المضاجعُ(٣)

قوله عزّ وجلّ : ﴿يدعون ربَّهم خوفاً وطمعاً﴾، قال ابن عباس: خوفاً من النار وطمعاً في الجنة، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾، قيل: أراد به الصدقة المفروضة. وقيل: عامّ في الواجب والتطوع .

﴿فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم﴾، قرأ حمزة ويعقوب: «أخفيْ لهم» ساكنة الياء، أي: أنا أخفي لهم، ومن حجته قراءة ابن مسعود «نخفي» بالنون. وقرأ الآخرون بفتحها. ﴿من قُرّةِ أعين﴾، مما تقرّ به أعينهم، ﴿جزاءً بما كانوا يعملون﴾ .

---

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب: ما جاء في فضل صلاة الليل: ٥١٦/٢ وقال: (حديث أبي هريرة حديث حسن)، وأخرجه مسلم في الصيام، باب: فضل صوم المحرم برقم: (١١٦٣) ٨٢١/٢ والمصنف في شرح السنة: ٣٥/٤ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (كتاب الجامع للإمام معمر) ٤١٨/١١-٤١٩ ومن طريقه أخرجه الإمام أحمد: ٣٤٣/٥، وصححه ابن حبان برقم: (٦٤١) ص ١٦٨، والطبراني في الكبير: ٣٤٢/٣ قال الهيثمي في المجمع: ٢٥٤/٢ (رجاله ثقات) والمصنف في شرح السنة: ٤٠/٤-٤١، وله شاهد عند الحاكم: ٣٢١/١ من حديث عبدالله بن عمرو، وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) أخرجه البخاري في التهجد، باب: فضل من تعار من الليل فصلى: ٣٩/٣ .

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا إسحاق بن نصر، أخبرنا أبو أسامة عن الأعمش، أخبرنا أبو صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بَلْهَ ما اطلعتم عليه»، ثم قرأ: ﴿**فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قُرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون**﴾[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا مما لا تفسير له. وعن بعضهم قال: أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**﴾، نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي مُعيط أخي عثمان لأمه، وذلك أنه كان بينهما تنازع وكلام في شيء، فقال الوليد بن عقبة لعلي اسكت فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة. فقال له علي: اسكت فإنك فاسق، فأنزل الله تعالى: ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**﴾[2]، ولم يقل: لا يستويان، لأنه لم يرد مؤمناً واحداً وفاسقاً واحداً، بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين.

﴿**أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى**﴾، التي يأوي إليها المؤمنون، ﴿**نُزلاً بما كانوا يعملون**﴾.

﴿**وأمّا الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون**﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٣١٨/٦، ومسلم في الجنة: برقم (٢٨٢٤) ٢١٧٤/٤ والمصنف في شرح السنة: ٢٠٨/١٥.

(٢) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢١، والواحدي في أسباب النزول ص ٤٠٥-٤٠٦، والسيوطي في الدر المنثور: ٥٥٣/٦.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى

﴿**ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر**﴾، أي: سوى العذاب الأكبر، ﴿**لعلهم يرجعون**﴾، قال أُبي بن كعب، والضحاك، والحسن، وإبراهيم: «العذاب الأدنى» مصائب الدنيا وأسقامها، وهو رواية الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما[١]. وقال عكرمة عنه: الحدود[٢]. وقال مقاتل: الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب[٣]. وقال ابن مسعود: هو القتل بالسيف يوم بدر[٤]، وهو قول قتادة والسدي، ﴿**دون العذاب الأكبر**﴾، يعني: عذاب الآخرة، ﴿**لعلّهم يرجعون**﴾، إلى الإيمان، يعني: من بقي منهم بعد بدر وبعد القحط.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ومن أظلم ممن ذُكّر بآياتِ ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين**﴾، يعني: المشركين، ﴿**منتقمون**﴾.

﴿**ولقد آتينا موسى الكتابَ فلا تكن في مِرْيَةٍ من لقائه**﴾، يعني: فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة المعراج، قاله ابن عباس وغيره

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا غندر، عن شعبة، عن قتادة رحمه الله قال: وقال لي خليفة، أخبرنا يزيد بن زريع، أخبرنا سعيد عن قتادة، عن أبي العالية قال: أخبرنا ابن عم نبيكم - يعني ابن عباس - عن النبي ﷺ قال: «رأيت ليلة أُسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط / ٧٥/أ

(١) أخرجه الطبري: ١٠٩/٢١، والسيوطي في الدر المنثور: ٥٥٤/٦.
(٢) أخرجه الطبري: ١٠٩/٢١، والسيوطي في الدر المنثور: ٥٥٤/٦.
(٣) ذكره القرطبي: ١٠٧/١٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٠٩/٢١، والسيوطي في الدر المنثور: ٥٥٤/٦ والحاكم: ٤١٤/٢.
قال الإمام الطبري بعد أن ساق هذه الأقوال: (وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنىٰ أن يذيقموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره، إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفىٰ لهم بما وعدهم.

لِّبَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ
يَخۡتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي
مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى

الرأس، ورأيت مالكاً خازن النار، والدجال في آيات أراهن الله إيّاه فلا تكن في مرية من لقائه»(١) .

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبدالملك المؤذن، أخبرنا عبدالله المحاملي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله ابن إبراهيم البزاز، أخبرنا محمد بن يونس، أخبرنا عمر بن حبيب القاضي، أخبرنا سليمان التيمي، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «لما أُسْري بي إلى السماء رأيت موسى يصلي في قبره»(٢) .

وروينا في المعراج أنه رآه في السماء السادسة ومراجعته في أمر الصلاة(٣) .

قال السدي : «فلا تكن في مرية من لقائه»، أي: من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول .

﴿وجعلناه﴾، يعني: الكتاب وهو التوراة، وقال قتادة: موسى، **﴿هدًى لبني إسرائيل وجعلنا منهم﴾**، يعني: من بني إسرائيل، **﴿أئمةً﴾**، قادة في الخير يقتدى بهم، يعني: الأنبياء الذين كانوا فيهم. وقال قتادة: أتباع الأنبياء، **﴿يهدون﴾**، يدعون، **﴿بأمرنا لما صبروا﴾**، قرأ حمزة، والكسائي، بكسر اللام وتخفيف الميم، أي: لصبرهم، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم، أي: حين صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر، **﴿وكانوا بآياتنا يُوقنون﴾** .

﴿إنّ ربّك هو يَفْصِلُ﴾، يقضي، **﴿بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾** .

﴿أَوَلَـمْ يَهْدِ﴾، لم يتبين، **﴿لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآياتٍ أفلا يسمعون﴾**، آيات الله وعظاته فيتعظون بها .

﴿أَوَلَـمْ يرَوا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز﴾، أي: اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، قال ابن عباس: هي أرض باليمن. وقال مجاهد: هي أرض بابين، **﴿فنخرِج به زرعاً تأكل منه**

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين: ٣١٤/٦، ومسلم في الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ برقم: (١٦٥) ١٥١/١ .

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام برقم: (٢٣٧٥) ١٨٤٥/٤، والمصنف في شرح السنة ٣٥١/١٣ .

(٣) انظر: فيما تقدم أول سورة الإسراء .

﴿ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ٢٧
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠﴾

أنعامُهم﴾، [من العشب والتبن][1]، **﴿وأنفسُهم﴾**، من الحبوب والأقوات، **﴿أفلا يبصرون﴾** .

﴿ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين﴾، قيل: أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد، قال قتادة: قال أصحاب النبي ﷺ للكفار: إن لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم، فقالوا استهزاءً: متى هذا الفتح[2]؟ أي: القضاء والحكم، وقال الكلبي: يعني فتح مكة[3]. وقال السدي: يوم بدر لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون لهم: إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم، فيقولون متى هذا الفتح[4] .

﴿قل يومَ الفتحِ﴾، يوم القيامة، **﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانُهم﴾**، ومن حمل الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال: معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا، **﴿ولا هم يُنظَرون﴾**، لا يمهلون ليتوبوا ويعتذروا .

﴿فأعرِضْ عنهم﴾، قال ابن عباس: نسختها آية السيف، **﴿وانتظر إنهم منتظرون﴾**، قيل: انتظر موعدي لك بالنصر إنهم منتظرون بك حوادث الزمان. وقيل: انتظر عذابنا فيهم فإنهم منتظرون ذلك .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا سفيان، عن سعد بن إبراهيم، عن عبدالرحمن بنْ هرمز، عن أبي هريرة أنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة **﴿الٓمٓ تنزيل﴾**، و**﴿هل أتى على الإنسان﴾**[5] .

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

(٢) أخرجه الطبري: ١١٦/٢١، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٥٧/٦ لابن أبي حاتم .

(٣) انظر: الطبري ١١٦/٢١ .

(٤) قال الحافظ ابن كثير في التفسير: ٤٦٥/٣ (ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريباً من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى: «قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون» وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل .

(٥) أخرجه البخاري في الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الفجر: ٣٧٧/٢ وفي سجود القرآن، باب: سجدة تنزيل السجدة، ومسلم في الجمعة، باب: ما يقرأ في يوم الجمعة برقم: (٨٨٠) ٥٩٩/٢ والمصنف في شرح السنة: ٨١/٣ .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا سفيان، عن ليث، عن أبي الزبير، عن جابر قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ: «تبارك» و«الٓمٓ تنزيل»[1].

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن، باب: ما جاء في سورة الملك: ٨/٢٠١-٢٠٢، والدارمي: ٢/٤٥٥، والإمام أحمد: ٣/٣٤٠، والحاكم: ٢/٤١٢، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة: ٢/١٢٩، والمصنف في شرح السنة: ٤/٤٧٢.

سُورَةُ الأَحْزَاب

سُورَةُ الأَحْزَابِ

مدنية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾

﴿**يا أيها النبي اتقِ الله**﴾، نزلت في أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور عمرو بن سفيان السُّلَمي؛ وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبدالله بن أُبيّ [بن سلول رأس المنافقين][2] بعد قتال أُحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبدالله ابن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ، وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا، اللات والعزى ومناة، وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك، فشقَّ على النبي ﷺ قولهم، فقال عمر: يارسول الله ائذن لنا في قتلهم، فقال: إني قد أعطيتُهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى:

﴿**يا أيها النبي اتق الله**﴾[3]، أي: دُمْ على التقوى، كالرجل يقول لغيره وهو قائم: قم هاهنا، أي: اثبت قائماً.

وقيل الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة[4]. وقال الضحاك: معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم.

---

(١) قال النحاس في معاني القرآن الكريم ص ٣١٧ (قال ابن عباس: وهي مدنية)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٥٨/٦ أيضاً لابن الضريس، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) ذكر ذلك الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠٧ دون إسناد، ونقله القرطبي: ١١٤/١٤ بصيغة التمريض عن الواحدي والقُشيري والثعلبي والماوردي وغيرهم، وانظر معاني القرآن للفراء: ٣٣٤/٢.

(٤) انظر: البحر المحيط ٢١٠/٧، زاد المسير: ٣٤٨/٦.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾

﴿ولا تطع الكافرين﴾ من أهل مكة، يعني: أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور، ﴿والمنافقين﴾، من أهل المدينة، عبدالله بن أُبيّ، وعبدالله بن سعد، وطعمة ﴿إن الله كان عليماً﴾، بخلقه، قبل أن خلقهم، ﴿حكيماً﴾ فيما دبره لهم .

﴿واتبع ما يُوحى إليك من ربك إنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾، قرأ أبو عمرو: «يعملون خبيراً» و«يعملون بصيراً» بالياء فيهما، وقرأ غيره بالتاء .

﴿وتوكلْ على الله﴾ ثِق بالله، ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾، حافظاً لك، وقيل: كفيلاً برزقك .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾، نزلت في أبي معمر، جميل بن مَعْمَر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلاّ وله قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم، فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال انهزموا، قال: فما لك إحدى / نعليك في يدك والأخرى ٧٥/ب
في رجلك؟ فقال أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده(١) .

وقال الزهري، ومقاتل: هذا مَثَلٌ ضربه الله عزّ وجلّ للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة للمظاهر أمّه حتى تكون أُمّان، ولا يكون له ولد واحد ابن رجلين(٢) .

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠٧ـ٤٠٨ دون إسناد، وانظر: البحر المحيط: ٢١١/٧، زاد المسير: ٣٤٩/٦ .

(٢) انظر: الطبري: ١١٩/٢١، ثم قال مرجحاً: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما، على النحو الذي روي عن ابن عباس، وجائز أن يكون ذلك تكذيباً من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون تكذيباً لمن سمّى القرشي الذي ذكر أنه سمي ذا القلبين من دهيه، وأي الأمرين كان فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة» .
وانظر: معاني القرآن الكريم للنحاس ص ٣١٨ـ٣٢٠ .

﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾

﴿وما جعل أزواجكم اللائي تُظاهرون منهنّ أمهاتكم﴾، قرأ أهل الشام والكوفة: «اللائي» هاهنا وفي سورة الطلاق بياء بعد الهمزة، وقرأ قالون عن نافع ويعقوب بغير ياء بعد الهمزة، وقرأ الآخرون بتليين الهمزة، وكلها لغات معروفة، «تظاهرون» قرأ عاصم بالألف وضم التاء وكسر[1] الهاء مخففاً، [وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مخففاً][2]، وقرأ ابن عامر بفتحها وتشديد الظاء، وقرأ الآخرون بفتحها وتشديد الظاء والهاء من غير ألف بينهما.

وصورة الظهار: أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي. يقول الله تعالى: ما جعل نساءكم اللائي تقولون لهن هذا في التحريم كأمهاتكم، ولكنه منكر وزور، وفيه كفارة نذكرها [إن شاء الله تعالى][2] في سورة المجادلة.

﴿وما جعل أدعياءكم﴾ يعني: من تبنيتموه ﴿أبناءكم﴾، فيه نسخ التبني، وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود له، يدعوه الناس إليه، ويرث ميراثه، وكان النبي ﷺ أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وتبناه قبل الوحي، وآخى بينه وبين حمزة بن عبدالمطلب، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية ونسخ التبني[3]، ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾، لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد ﷺ وادعاء نسب لا حقيقة له، ﴿والله يقول الحق﴾، أي: قوله الحق، ﴿وهو يهدي السبيل﴾، أي: يرشد إلى سبيل الحق.

﴿ادعوهم لآبائهم﴾، الذين ولدوهم، ﴿هو أقسط﴾، أعدل، ﴿عند الله﴾، أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا معلى بن أسد، أخبرنا عبدالعزيز بن المختار، أخبرنا موسى بن عقبة، حدثني سالم عن عبدالله بن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ قال: ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن[4].

(١) ساقط من «أ».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠٨ دون إسناد.

(٤) أخرجه البخاري في تفسير سورة الأحزاب، باب: «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله» ٥١٧/٨، ومسلم في فضائل الصحابة باب: فضائل زيد بن حارثة برقم: (٢٤٢٥) ١٨٨٤/٤.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾، ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم﴾، [أي: فهم إخوانكم][(١)]، ﴿في الدين ومواليكم﴾، إن كانوا محررين وليسوا ببنيكم، أي: سمُّوهم بأسماء إخوانكم في الدين. وقيل: «مواليكم» أي: أولياءكم في الدين، ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾، قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه، ﴿ولكن ما تعمَّدتْ قلوبُكم﴾ من دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي .

وقال قتادة: «فيما أخطأتم به» أن تدعوه لغير أبيه، وهو يظن أنه كذلك. ومحل «ما» في قوله تعالى: «ما تعمدت» خفض رداً على «ما» التي في قوله «فيما أخطأتم به» مجازه: ولكن فيما تعمدت قلوبكم .

﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا غندر، أخبرنا شعبة عن عاصم، قال: سمعت أبا عثمان قال: سمعت سعداً، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأبا بكرة وكان قد تسور حصن الطائف في أناس، فجاءا إلى النبي ﷺ فقالا : سمعنا النبي ﷺ يقول : «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام»[(٢)] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾، يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته عليهم. وقال ابن عباس وعطاء: يعني إذا دعاهم النبي ﷺ ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من طاعتهم أنفسهم[(٣)]. وقال ابن زيد: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيما قضى فيهم، كما أنت أولى بعبدك فيما قضيت عليه. وقيل: هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه .

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب: غزوة الطائف: ٤٥/٨، ومسلم في الإيمان، باب: بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم برقم: (٦٣) ٨٠/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٧٢/٩ .

(٣) انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٦ .

وقيل: كان النبي ﷺ يخرج إلى الجهاد فيقول قوم: نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا، فنزلت الآية .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا أبو عامر، أخبرنا فليح، عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «ما من مؤمن إلاّ أنا أولى به في الدنيا والآخرة»، اقرأوا إن شئتم ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبته [مَنْ كانوا]، ومن ترك دَيناً أو ضَياعاً فليأتني فأنا مولاه»[1] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾، وفي حرف أُبيّ : «وأزواجه وأمهاتهم وهو أبٌ لهم» وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأبيد، لا في النظر إليهن والخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب، قال الله تعالى : «وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجاب» (الأحزاب ــ ٥٣)، ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن وأخواتهن هم أخوال المؤمنين وخالاتهم[2] .

قال الشافعي: تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر، وهي أخت أم المؤمنين، ولم يقل هي خالة المؤمنين[2] .

واختلفوا في أنهن هل كنّ أمهات النساء المؤمنات؟ قيل: كن أمهات المؤمنين والمؤمنات جميعاً .

وقيل كنّ أمهات المؤمنين دون النساء، روى الشعبي عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: يا أُمّه! فقالت لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم[3]، فبان بهذا أن معنى هذه الأمومة تحريم نكاحهنّ .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾، يعني: في الميراث، قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة. قال الكلبي: آخى رسول الله ﷺ بين الناس، فكان يؤاخي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت هذه الآية : ﴿**وأولوا الأرحام / بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾[4] في حكم الله، ﴿**من المؤمنين**﴾، الذين آخى رسول الله ٧٦/أ

---

(١) أخرجه البخاري في الاستقراض، باب: الصلاة على من ترك ديناً ٦١/٥، ومسلم في الفرائض، باب: من ترك مالاً فلورثته برقم: (١٦١٩) ١٢٣٨/٣ بمعناه، والمصنف في شرح السنة: ٣٢٤/٨ .

(٢) انظر: القرطبي: ١٢٣/١٤ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٦٧/٦ لابن سعد وابن المنذر والبيهقي في سننه، وانظر الكافي الشاف ص ١٣٢ .

(٤) انظر: ابن كثير في التفسير: ٤٦٩/٣، القرطبي: ١٢٣/١٤ــ١٢٤ .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾

ﷺ بينهم، ﴿والمهاجرين﴾، يعني ذوي القرابات، بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرث بالإيمان والهجرة، فنسخت هذه الآيةُ الموارثةَ بالمؤاخاة والهجرة وصارت بالقرابة.

قوله: ﴿إلاّ أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾، أراد بالمعروف الوصية [للذين يتولونه من المعاقدين، وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه][(١)].

وقال مجاهد: أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة لحق الإيمان والهجرة.

وقيل: أراد بالآية إثبات الميراث بالإيمان والهجرة، يعني: وأولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض، أي: لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً، أي: إلا أن توصوا لذوي قراباتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة، وهذا قول قتادة وعطاء وعكرمة[(٢)].

﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾، أي: كان الذي ذكرت من أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً. وقال القرظي: في التوراة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾، على الوفاء بما حملوا وأن يُصدِّق بعضهم بعضاً ويبشِّر بعضهم ببعض. قال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله ويصدّق بعضهم بعضاً وينصحوا لقومهم، ﴿ومنك ومن نوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى ابنِ مريم﴾، خصّ هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل، وقدّم النبي ﷺ بالذكر لِما.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) ذكر هذه الأقوال الطبري: ٢١/١٢٤ ثم قال مرجحاً: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله ﷺ آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفاً من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم، وما أشبه ذلك، لأن كل ذلك من المعروف الذي حدث الله عليه عباده. وإنما اخترت هذا القول وقلت: هو أولى بالصواب من قيل من قال: عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك، لأن القريب من المشرك، وإن كان ذا نسب فليس بالمولى، وذلك لأن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم ولياً بقوله: «لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء» وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء ثم يصفهم جل ثناؤه بأنهم هم أولياء).

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد الحديثي، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن يعقوب المقرىء، أخبرنا محمد بن محمد بن سليمان الساعدي، أخبرنا هارون بن محمد بن بكار بن بلال، أخبرنا أبي، أخبرنا سعيد ــ يعني: ابن بشير ــ عن قتادة عن الحسن، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كنتُ أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث»[1].

قال قتادة: وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾، فبدأ به ﷺ قبلهم.

﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾، عهداً شديداً على الوفاء بما حمّلوا.

﴿ليسألَ الصادقين عن صدقهم﴾، يقول: أخذنا ميثاقهم [لكي نسأل الصادقين عن صدقهم، يعني النبيين عن تبليغهم][2] الرسالةَ. والحكمةُ في سؤالهم، مع علمه أنهم صادقون، تبكيتُ[3] من أرسلوا إليهم.

وقيل: ليسأل الصادقين عن عملهم لله عزّ وجلّ. وقيل: ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم. ﴿وأعد للكافرين عذاباً أليماً﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم﴾، وذلك حين حُوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق، ﴿إذ جاءتكم جنودٌ﴾، يعني الأحزاب، وهم قريش، وغطفان، ويهود قريظة، والنضير، ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً﴾، وهي الصَّبَا، قال عكرمة: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقي ننصر رسول الله ﷺ فقالت الشمال إن الحرة لا تسري بالليل، وكانت الريح التي أرسلت عليهم الصَّبا[4].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢١، وعزاه ابن كثير في التفسير: ٤٧٠/٣ لابن أبي حاتم، وقال: (سعيد بن بشير فيه ضعف، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلاً، وهو أشبه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً. والله أعلم).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) في «ب» بتكذيب.

(٤) انظر: القرطبي: ١٤٣/١٤ــ١٤٤.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا آدم، أخبرنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلكتْ عادٌ بالدَّبُور»[1].

قوله تعالى: ﴿وجنوداً لم تروها﴾، وهم الملائكة، ولم تقاتل الملائكة يومئذ، فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحاً باردةً فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيِّدُ كلِّ حي يقول: يابني فلان هلم إليّ، فإذا اجتمعوا عنده قال: النجاءَ النجاءَ، لِما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال.

﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾، قال محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير، ومن لاَ أتّهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، وعن الزهري، وعاصم ابن عمر بن قتادة، عن عبدالله بن أبي بكرة بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن محمد بن كعب القرظي، وعن غيرهم من علمائنا، دخل حديث بعضهم في بعض: أن نفراً من اليهود، منهم سلام ابن أبي الحقيق، وَحُيَي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهودة بن قيس وأبي عمار الوائلي، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، فديننا خيرٌ أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منهم، قال: فهم الذين أنزل الله فيهم: «ألم ترَ إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت»، إلى قوله: «وكفى بجهنّم سعيراً» (النساء ٥١ـ٥٥).

فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ما قالوا ونشطوا لِما دَعوهم إليه من حرب رسول الله، فأجمعوا لذلك، ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس غيلان، فدعوهم إلى ذلك وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد بايعوهم على ذلك، فأجابوهم.

فخرجت قريش، وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان، وقائدها عيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر في فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومسعود بن

---

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء، باب: قول النبي ﷺ: (نصرت بالصبا) ٢/٥٢، ومسلم في الاستسقاء، باب: في ريح الصبا والدبور، برقم (٩٠٠) ٢/٦١٧، والمصنف في شرح السنة: ٤/٣٨٧.
والصَّبا: ريح، ومهبها المستوي أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار.
والدَّبَور: الريح التي تقابل الصبا، وقال النووي: هي الريح الغربية.

رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع / . ٧٦/ب

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة .

وكان الذي أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان الفارسي، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حرّ، فقال: يارسول الله إنّا كنّا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى أحكموه[1] .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد الأصبهاني، أخبرنا محمد بن جعفر الطبري، حدثنا حماد بن الحسن، حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، حدثنا كثير بن عبدالله، عن عمرو بن عوف، حدثني أبي عن أبيه قال: خطّ رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، قال: فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منّا، وقال الأنصار: سلمان منّا، فقال النبي ﷺ : «سلمان منا أهل البيت»[2] .

قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المازني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا حتى إذا كنا تحت ذي ناب أخرج الله في بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: ياسلمان ارقَ إلى رسول الله ﷺ وأخبِره خبر هذه الصخرة، فإما أن يعدل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيه بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه، قال: فرقى سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يارسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك، فإنّا لا نحب أن نجاوز خطك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق والتسعة على شق الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها ـ يعني المدينة ـ حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتحٍ وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية وبرق منها برقٌ أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ فكسرها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتحٍ، وكبر المسلمون، فأخذ بيد سلمان ورقى، فقال

---

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة عن ابن هشام: ٢١٤/٣ وما بعدها، وأخرجه الطبري: ١٢٩/٢١ـ١٣١ .

(٢) أخرجه الطبري: ١٣٣/٢١ـ١٣٤، والحاكم: ٥٩٨/٣ وسكت عنه، وقال الذهبي: سنده ضعيف، والطبراني: ٢٦١/٦. وانظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس : ٥٥٨/١، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٣٠/٦ رواه الطبراني، وفيه كثير بن عبدالله المزني، وقد ضعفه الجمهور، وحسّن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات .

سلمان: بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم فقال: «أرأيتم ما يقول سلمان»؟ قالوا: نعم يارسول الله، قال : «ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا»، فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعدَ صدقٍ، وُعِدْنا النصر بعد الحصر، فقال المنافقون: ألا تعجبون من محمد يعدكم ويمنيكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرةومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفَرَق لا تستطيعون أن تبرزوا؟ قال فنزل القرآن : ﴿**وإذْ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً**﴾، وأنزل الله في هذه القصة: «قل اللهم مالك الملك»(1) الآية (آل عمران ـ ٢٦) .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا معاوية بن عمرو، أخبرنا أبو إسحاق، عن حميد قال: سمعت أنساً يقول : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غَدَاةٍ باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك عنهم، فلما رأى ما بهم من النَّصَبِ والجوع، قال: «اللهمَّ إنَّ العيشَ عيشُ الآخرة، فاغفِرْ للأنصار والمهاجِرَةْ»، فقالوا مجيبين له :

نحنُ الذين بايَعُوا محمدا على الجهادِ ما بَقِينَا أبدا(2)

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغْمَرَ بطنَه ـ أو اغبرَّ ـ وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدَيْنا ولا تَصدَّقْنا ولا صلَّيْنَا
فأنْزِلَنْ سكينةً علينا وثَبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَيْنَا
إنَّ الأُلَى قد بَغَوا علينا إذا أرادوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

ويرفع بها صوته: أبينا أبينا(3) .

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١/١٣٤، قال الهيثمي في المجمع: ٦/١٣١: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما حيي بن عبدالله وثقه ابن معين وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح، وانظر: سيرة ابن هشام: ٣/٢١٤-٢١٩ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب: غزوة الخندق: ٧/٣٩٢ والمصنف في شرح السنة: ١٤/٤ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الخندق: ٧/٣٩٩، ومسلم في الجهاد والسير، باب: غزوة الأحزاب برقم (١٨٠٣) =

رجعنا إلى حديث ابن إسحاق، قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُوْمَة من الجُرُفِ والغابة[1] في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نَقْمَىٰ إلى جانب أُحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالنساء والذراري فرُفعوا في الآطام.

وخرج عدو الله حيي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القُرَظِيّ، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ / على قومه وعاهده على ذلك، فلما سمع كعب بِحُيَي بن أخطب أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: ياكعب افتح لي، فقال: وَيْحَكَ ياحُيَي إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمداً، فلست بناقضٍ ما بيني وبينه، ولم أرَ منه إلا وفاءً وصدقاً. قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إنْ أغلقت دوني إلا على جشيشتك أن آكل معك منها، فأحْفَظَ الرجلَ، ففتح له، فقال: ويحك ياكعب جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رُوْمة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمىٰ إلى جانب أُحد، قد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه. قال له كعب بن أسد: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه برعد وبرق، ليس فيه شيء، فدعني ومحمداً وما أنا عليه، فإني لم أرَ من محمد إلاّ صدقاً ووفاءً، فلم يزل حيي بن أخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له، على أن أعطاه من الله عهداً وميثاقاً. لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده وتبرأ مما كان عليه فيما كان بينه وبين رسول الله ﷺ. ٧٧/أ

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بعث رسولُ الله ﷺ سعدَ بن معاذ، أحدَ بني عبد الأشهل، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعدَ بن عبادة أحد بني ساعدة، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بني الحارث بن الخزرج، وخَوَّات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان

= ٣/١٤٣٠-١٤٣١، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٤-٥ .

(١) في سيرة ابن هشام: ٣/٢٢٠ (زَغَابة) قال أبو ذر: «كذا وقع هنا بالزاء مفتوحة، ورغابة بالراء المفتوحة هو الجيد، وكذلك رواه الوقشي» .

حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتُّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به جهراً للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم منهم، ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن معاذ: دعْ عنك مشاتمتهم فإن ما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه وقالوا: عضَلٌ والقارة، لغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ، أصحاب الرجيع: خبيب بن عدي وأصحابه؛ فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر أبشروا يامعشر المسلمين.

وعظم عند ذلك البلاءُ واشتدَّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كلَّ ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال مُعَتِّبُ بن قُشَيْرٍ، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يَعِدُنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً، وحتى قال أوس بن قيظي، أحد بني حارثة بن قيظي: يارسول الله إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك على ملأ من رجال قومه، فائذن لنا فلنرجع إلى ديارنا فإنها خارجة من المدينة.

فأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصى.

فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عمر، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فجرى بينه وبينهم الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة، فذكر ذلك رسولُ الله ﷺ لسعد ابن معاذ، وسعد بن عبادة، واستشارهما فيه، فقالا: يارسول الله أشيء أمرك الله به لابدّ لنا من العمل به أم أمر تحبه فنصنعه، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: لا، بل [شيء أصنعه](1) لكم، والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكْسِر عنكم شوكتهم، فقال له سعد بن معاذ: يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منّها ثمرةً واحدة إلاّ قِرَىً أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزّنا بك نعطيهم أموالنا! مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، [فقال رسول الله ﷺ](2): فأنت وذاك. فتناول سعد الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا.

---

(1) غير وارد في المخطوطتين وقد أخذ من السيرة ولا يتم المعنى إلا به.

(2) ساقط من «ب».

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون، وعدوُّهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلاّ أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود، أخو بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، ونوفل بن عبدالله، وضرار بن الخطاب، ومرداس أخو بني محارب بن فهر، قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني كنانة فقالوا: تهيئوا للحرب يابني كنانة، فستعلمون اليوم مَنِ الفرسانُ، ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسَلْع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تُعْنِقُ نحوهم، وكان عمرو بن عبد ودٍّ قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، [فلم يشهد أحداً][1] فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلَماً لِيُرَىٰ مكانه، فلما وقف هو وخيله، قال له علي: ياعمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خَلَّتين إلا أخذت منه إحداهما، قال: أجل، فقال له علي / بن أبي طالب: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، ٧٧/ب
قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى البراز[2]، قال: ولِمَ يابن أخي، فوالله ما أُحبُّ أن أقتلك، قال علي: ولكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتناولا وتجاولا، فقتله عليٌّ، فخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندقَ هاربة، وقتل مع عمرو رجلان: منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار، أصابه سهم، فمات منه بمكة، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي، وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة، فقال: يامعشر العرب قتله أحسن من هذه، فنزل إليه علي فقتله، فغلب المسلمون على جسده، فسألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا في جسده وثمنه، فشأنكم به، فخلّى بينهم وبينه.

قالت عائشة أم المؤمنين: كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة، وكان من أحرز حصون المدينة، وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، فمرّ سعد بن معاذ وعليه درع مقلَّصَة، قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربة وهو يقول:

لَبِّثْ قليلاً يدركِ الهيجا حَمَلْ لا بأسَ بالموتِ إذا حانَ الأَجَلْ

فقالت له أمه: الحق يابني فقدْ والله أجزت، قالت عائشة فقلت لها: يا أم سعد والله لوددت أن

(١) ساقط من «أ».
(٢) في «ب»: النزال.

درع سعد كانت أسبغ مما هي، قالت: وخفتُ عليه حيث أصاب السهم منه، قالت: فرمي سعد يومئذ بسهم، وقُطع منه الأَكْحَلُ، رماه خباب بن قيس بن العَرِقَة، أحد بني عامر بن لؤي، فلما أصابه قال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال سعد: عرّق الله وجهك في النار، ثم قال سعد: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إليّ من أن أجاهدهم من قومٍ آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، وإن كنت قد وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تُمِتْنِي حتى تُقِرّ عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية[1].

وقال محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبَّاد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عبَّاد قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع، حصن حسان بن ثابت، قالت: وكان حسان معنا فيه، مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمرّ بنا رجل من اليهود فجعل[2] يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة، فقطعت ما بيننا وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إذْ أتانا آت. قالت: فقلت: ياحسان، إن هذا اليهودي كما ترى، يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا مَنْ وراءنا من يهود، وقد شُغل عنّا رسولُ الله ﷺ وأصحابه[2]، فأنزلْ إليه فاقتله، فقال: يغفر الله لك يابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً اعتجرت، ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: ياحسان انزلْ إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بِسَلَبِهِ من حاجة يابنت عبد المطلب[3].

قالوا: أقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدة لتظاهرِ عدوهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

ثم إن نُعيم بن مسعود بن عامر من غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد فخذِّل عنّا إنِ استطعتَ، فإن الحرب خُدْعة، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال لهم: يابني قريظة قد عرفتم وُدي إيّاكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان جاؤوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيئتكم، البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم،

---

(١) انظر الرواية بتمامها في السيرة لابن هشام: ٣/٢١٩ــ٢٢٧.
(٢) ساقط من «أ».
(٣) انظر: سيرة ابن هشام: ٣/٢٢٨ـ٢٣٠.

لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان، أموالهم وأولادهم ونساؤهم بعيدة، إن رأوا نُهْزَةً وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل، والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً، حتى تناجزوه. قالوا: لقد أشرت برأي ونصح .

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: يامعشر قريش قد عرفتم وُدي إيّاكم وفراقي محمداً، وقد بلغني أمرٌ رأيت أن حقاً عليّ أن أبلغكم نصحاً لكم، فاكتموا عليّ، قالوا: نفعل، قال: تعلمون أن معشر يهود قد نَدمُوا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: أنْ قد نَدِمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك عنّا أن نأخذ من القبيلتين، من قريش وغطفان، رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم؟ فأرسلَ إليهم: أنْ نَعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رُهُناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يامعشر غطفان، أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إليّ، ولاأراكم تتهموني، قالوا: صدقت، / قال: فاكتموا عليّ، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان مما صنع لرسول الله ﷺ، أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمةَ بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه، فقال بنو قريظة لهم: إن اليوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه مالم يخفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإنا نخشى إن ضَرَسَتْكم الحربُ واشتدَّ عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد، فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمُنَّ والله أن الذي حدَّثكم نعيم بن مسعود لَحَقٌّ، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لَحَقٌّ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُناً، فأبوا عليهم، وخذلَ الله بينهم[1]، وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم . ٧٨/أ

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ٢٣١/٣-٢٣٣ .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

روى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، وروى غيره عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قالا: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبدالله رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه، قال نعم يابن أخي، قال: كيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهَد، فقال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه، وفعلنا وفعلنا، فقال حذيفة: يابن أخي والله لقد رأيتُني ليلة الأحزاب مع رسول الله ﷺ، فقال: من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة؟ فما قام منّا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هُوِيّاً من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم، وما قام منّا رجل ثم صلى رسول الله ﷺ هُوِيّاً من الليل، ثم التفت إلينا فقال: مَنْ رجل يقوم فينظر ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فقال: ياحذيفة، فلم يكن لي بدٌّ من القيام إليه حين دعاني، فقلت: لبيك يارسول الله، وقمت حتى أتيه، وإن جنبيّ ليضطربان، فمسح رأسي ووجهي، ثم قال: ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتى ترجع إليّ، ثم قال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، فأخذتُ سهمي، وشددت عليَّ سلاحي، ثم انطلقتُ أمشي نحوهم كأني أمشي في حمام، فذهبت فدخلت في القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً لله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً، وأبو سفيان قاعد يصطلي، فأخذت سهماً فوضعته في كبد قوسي فأردت أن أرميَه، ولو رميتُه لأصبته، فذكرت قول النبي ﷺ لا تحدثنّ حدثاً حتى ترجع إليّ، فرددت سهمي في كنانتي. فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم، لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، قام فقال: يامعشر قريش ليأخذْ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو، فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت، فقال: سبحان الله أما تعرفني أنا فلان ابن فلان، فإذا هو رجل من هوازن .

فقال أبو سفيان: يامعشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف، وأخلفَتْنا بنو قريظة، وبلغنا منهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلاّ وهو قائم .

وسمعت غطفان بما فعلتْ قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأني أمشي في حمام فأتيته وهو قائم يصلي، فلما سلم أخبرته الخبر، فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل، قال: فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء،

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾

فأدناني النبي ﷺ منه، وأنامني عند رجليه، وألقى عليّ طرف ثوبه، وألزق صدري ببطن قدميه فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال: قمْ يانومان[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿إذْ جاؤكم من فوقكم﴾، أي: من فوق الوادي من قِبَلِ المشرق، وهم أسد، وغطفان، وعليهم مالكُ بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود بني قريظة، ﴿ومِنْ أسْفَلَ منكم﴾، يعني: من بطن الوادي، من قِبَل المغرب، وهم قريش وكنانة، عليهم أبو سفيان بن حرب في قريش ومَنْ تبعه، وأبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق.

وكان الذي جر غزوة الخندق ـ فيما قيل ـ إجلاء رسول الله ﷺ بني النضير من ديارهم.

﴿وإذْ زاغتِ الأبصار﴾، مالت وشخصت / من الرعب، وقيل: مالت عن كل شيء فلم تنظر ٧٨/ب
إلا إلى عدوها، ﴿وبلغتِ القلوبُ الحناجر﴾، فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع، والحَنْجَرة: جوف الحلقوم، وهذا على التمثيل، عَبّر به عن شدة الخوف، قال الفراء: معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته فإذا انتفخت الرئة رفعت القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره.

﴿وتظنون بالله الظنونا﴾، أي: اختلفت الظنون؛ فظن المنافقون استئصال محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وظن المؤمنون النصر والظفر لهم.

قرأ أهل المدينة، والشام، وأبو بكر: «الظنونا» و«الرسولا» و«السبيلا» بإثبات الألف وصلاً ووقفاً، لأنها مثبتة في المصاحف، وقرأ أهل البصرة وحمزة بغير الألف في الحالين على الأصل، وقرأ الآخرون بالألف في الوقف دون الوصل لموافقة رؤوس الآي.

﴿هنالك ابْتُلِي﴾، أي: عند ذلك اختبر المؤمنون، بالحصر والقتال، ليتبين المخلص من المنافق، ﴿وزُلزلوا زلزالاً شديداً﴾، حُرّكوا حركة شديدة.

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد، باب: غزوة الأحزاب برقم (١٧٨٨): ٣/١٤١٤-١٤١٥.

وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا
﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ
فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟
بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾

﴿**وإذْ يقولُ المنافقون**﴾، معتِّب بن قشير، وقيل: عبدالله بن أُبيّ وأصحابه، ﴿**والذين في قلوبهم مرض**﴾ شك وضعف اعتقاد: ﴿**ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً**﴾، وهو قول أهل النفاق: يَعِدُنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوزَ رحله، هذا والله الغرور.

﴿**وإذْ قالت طائفة منهم**﴾، أي: من المنافقين، وهم أوس بن قيظي وأصحابه، ﴿**يا أهل يثرب**﴾، يعني المدينة، قال أبو عبيدة: «يثرب»: اسم أرضٍ، ومدينةُ الرسول ﷺ في ناحيةٍ منها.

وفي بعض الأخبار أن النبي ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب، وقال: «هي طابة»، كأنه كره هذه اللفظة[1].

﴿**لا مُقَام لكم**﴾، قرأ العامة بفتح الميم، أي: لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه، وقرأ أبو عبدالرحمن السلمي، وحفص: بضم الميم، أي: لا إقامة لكم، ﴿**فارجعوا**﴾، إلى منازلكم عن اتباع محمد ﷺ، وقيل: عن القتال إلى مساكنكم.

﴿**ويستأذن فريق منهم النبي**﴾، وهم بنو حارثة وبنو سلمة، ﴿**يقولون إنّ بيوتنا عورة**﴾، أي: خالية ضائعة، وهو مما يلي العدو ونخشى عليها السرّاق. وقرأ أبو رجاء العطاردي «عَوِرَة» بكسر الواو، أي: قصيرة الجدران يسهل دخول السراق عليها، فكذبهم الله فقال: ﴿**وما هي بعورة إنْ يريدون إلاّ فراراً**﴾، أي: ما يريدون إلا الفرار.

﴿**ولو دُخِلَت عليهم**﴾، أي: لو دَخَلَتْ عليهم المدينة، يعني هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم، وهم الأحزاب، ﴿**من أقطارها**﴾، جوانبها ونواحيها جمع قطر، ﴿**ثم سُئِلوا الفتنة**﴾، أي: الشرك،

---

(١) روى مسلم في الجهاد: ٢/١٠٠٧ من حديث جابر بن سمرة مرفوعاً: «إن الله سمى المدينة طابة»، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده ص (١٠٤) عن شعبة عن سماك بلفظ: «كانوا يسمون المدينة يثرب، فسماها النبي ﷺ طيبة» وأخرجه أبو عوانة. وانظر: فتح الباري: ٤/٨٨-٨٩.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾
قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾

﴿**لآتوها**﴾، لأعطوها، وقرأ أهل الحجاز لأتوها مقصوراً، أي: لجاؤوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام، ﴿**وما تلبثوا بها**﴾، أي: ما احتبسوا عن الفتنة، ﴿**إلاّ يسيراً**﴾، ولأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيّبةً به أنفسهم، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلاً حتى يهلكوا[1].

﴿**ولقد كانوا عاهدوا الله من قَبْلُ**﴾، أي: من قبل غزوة الخندق، ﴿**لاَ يُوَلّوْنَ الأدبارَ**﴾، من عدوهم أي: لا ينهزمون، قال يزيد بن رومان: هم بنو حارثة، همُّوا يوم أُحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها[2].

وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر [ورأوا ما أعطى الله أهل بدر][3]، من الكرامة والفضيلة، قالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلنّ، فَسَاقَ الله إليهم ذلك[4].

وقال مقاتل والكلبي: هم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وقالوا: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبي ﷺ: أشترطُ لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يارسول الله؟ قال: لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، قالوا: قد فعلنا ذلك. فذلك عهدهم[5].

وهذا القول ليس بمَرْضِيٍّ، لأن الذين بايعوا ليلة العقبة كانوا سبعين نفراً، لم يكن فيهم شَاكٌّ ولا من يقولُ مثلَ هذا القول، وإنما الآية في قومٍ عاهدوا الله أن يقاتلوا ولا يفروا، فنقضوا العهد.

﴿**وكان عهد الله مسؤولاً**﴾ عنه.

﴿**قلْ**﴾، لهم، ﴿**لنْ ينفعَكُمُ الفرارُ إنْ فررتم من الموت أو القتل**﴾، الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل، ﴿**وإذاً لا تُمتَّعُون إلاّ قليلاً**﴾، أي: لا تمتعون بعد الفرار إلا مدة آجالكم وهي قليل.

---

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن: ٣٣٧/٢.
(٢) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢١.
(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٤) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢١، وانظر: زاد المسير: ٣٦٢/٦، البحر المحيط: ٢١٩/٧.
(٥) ذكره القرطبي: ١٥٠/١٤، وانظر: زاد المسير: ٣٦٣/٦، البحر المحيط: ٢١٩/٧.

قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً
وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ
وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا
جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ

﴿**قل من ذَا الذي يعصمكم من الله**﴾، أي: يمنعكم من عذابه، ﴿**إن أراد بكم سوءًا**﴾، هزيمة، ﴿**أو أراد بكم رحمةً**﴾، نصرة، ﴿**ولا يجدون لهم من دون الله ولياً**﴾، أي: قريباً ينفعهم، ﴿**ولا نصيراً**﴾، أي: ناصراً يمنعهم.

﴿**قد يعلم الله المعوِّقين منكم**﴾، أي: المثبطين للناس عن رسول الله ﷺ ﴿**والقائلين لإخوانهم هَلُمَّ إلينا**﴾، أي: ارجعوا إلينا، ودَعُوا محمداً، فلا تشهدوا معه الحرب، فإنا نخاف عليكم الهلاك.

قال قتادة: هؤلاء ناس من المنافقين، كانوا يثبطون أنصار النبي ﷺ، ويقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلاّ أكلة رأس، ولو كانوا لحماً لالتهمهم، أي: ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا الرجل فإنه هالك[1].

وقال مقاتل: نزلت في المنافقين، وذلك أن اليهود أرسلت إلى المنافقين، وقالوا: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه، فإنهم إن قدروا عليكم في هذه المرّة لم يَسْتَبْقُوا منكم أحداً، وإنّا نشفق عليكم، أنتم إخواننا وجيراننا هلمُّوا إلينا، فأقبل عبدالله بن أُبي وأصحابه على المؤمنين يعوِّقونهم ويخوِّفونهم بأبي سفيان ومَنْ معه، وقالوا: لئن قدروا عليكم لم يَسْتَبْقُوا منكم أحداً ما ترجون من محمد؟ ما عنده خير، ما هو إلا أن يقتلنا هاهنا، انطلقوا بنا إلى إخواننا، يعني اليهود، فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيماناً واحتساباً[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ولا يأتون البأسَ**﴾ /، الحرب، ﴿**إلاّ قليلاً**﴾، رياء وسمعة من غير احتساب، ٧٩/أ
ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً.

﴿**أشِحَّةً عليكم**﴾، بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة، وقال قتادة: بخلاء عند الغنيمة، وصفهم الله بالبخل والجبن، فقال: ﴿**فإذا جاء الخوفُ رأيتَهم ينظرون إليك تدور أعينهم**﴾، في الرؤوس من الخوف والجبن، ﴿**كالذي يُغْشَى عليه من الموت**﴾، أي: كدوران الذي يُغشى عليه من الموت،

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١/١٣٩.
(٢) انظر: زاد المسير: ٦/٣٦٥.

فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟
فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ
لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ
عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ
فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾

وذلك أن من قرب من الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره، فلا يطرف، **﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم﴾**، آذوكم ورموكم في حالة الأمن، **﴿بألسنةٍ حِدادٍ﴾**، ذَرِبَةٍ، جمع حديد. يقال للخطيب الفصيح الذَّرِب اللسان: مِسْلَق ومصلق وسَلاَّق وصَلاَّق. قال ابن عباس: سلقوكم أي: عضدوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة. وقال قتادة: بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا فإنا قد شهدنا معكم القتال، فلستم أحق بالغنيمة منّا[1]، فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم، **﴿أَشِحَّةً على الخير﴾**، أي: عند الغنيمة يشاحون المؤمنين، **﴿أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم﴾**، قال مقاتل: أبطل الله جهادهم، **﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾**.

﴿يحسبون﴾، يعني: هؤلاء المنافقين، **﴿الأحزابَ﴾**، يعني: قريشاً وغطفان واليهود، **﴿لم يذهبوا﴾**، لم ينصرفوا عن قتالهم جبناً وفرقاً وقد انصرفوا، **﴿وإنْ يأتِ الأحزابُ﴾**، أي: يرجعوا إليهم للقتال بعد الذهاب، **﴿يودُّوا لو أنهم بادون في الأعراب﴾**، أي: يتمنَّوا لو كانوا في بادية الأعراب من الخوف والجبن، يقال: بدا يبدو بداوةً، إذا خرج إلى البادية، **﴿يسألون عن أنبائكم﴾**، أخباركم وما آل إليه أمركم، وقرأ يعقوب: «يَسَّاءلون» مشددة ممدودة، أي: يتساءلون، **﴿ولو كانوا﴾**، يعني: هؤلاء المنافقين، **﴿فيكم ما قاتلوا إلاّ قليلاً﴾**، تعذيراً، أي: يقاتلون قليلاً يقيمون به عذرهم، فيقولون قد قاتلنا. قال الكلبي: إلا قليلاً أي: رمياً بالحجارة. وقال مقاتل: إلا رياءً وسمعةً من غير احتساب[2].

قوله عزّ وجلّ: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾**، قرأ عاصم: «أُسوة» حيث كان، بضم الهمزة، والباقون بكسرها، وهما لغتان، أي: قدوة صالحة، [وهي فعلة من الائتساء][3]، كالقدوة من الاقتداء، اسم وضع موضع المصدر، أي: به اقتداء حسن إن تنصروا دين الله وتؤازروا

(١) انظر: زاد المسير: ٦/٣٦٦ .
(٢) انظر: زاد المسير: ٦/٣٦٧ .
(٣) في «أ» (والأسوة من الائتساء).

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

الرسول ولا تتخلفوا عنه، وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذْ كُسِرَتْ رباعيتُه وجُرح وجهه، وقُتل عمّه وأوذي بضروب الأذى، فَوَاسَاكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم كذلك أيضاً واستنّوا بسنته، ﴿لمن كان يرجو الله﴾، بدل من قوله: «لكم» وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين، يعني: أن الأسوة برسول الله ﷺ لمن كان يرجو الله، قال ابن عباس: يرجو ثواب الله. وقال مقاتل: يخشى الله[1]، ﴿واليومَ الآخر﴾، أي: يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال، ﴿وذكر الله كثيراً﴾، في جميع المواطن على السراء والضراء.

ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال:

﴿ولما رأى المؤمنونَ الأحزابَ قالوا﴾، تسليماً لأمر الله وتصديقاً لوعده: ﴿هذا ما وعدَنا اللهُ ورسولُه وصدقَ اللهُ ورسولُه﴾، وعد الله إيّاهم ما ذكر في سورة البقرة: «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم»، إلى قوله: «ألا إنَّ نصر الله قريب» (البقرة ـ ٢١٤)، فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء، فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، ﴿وما زادهم إلاّ إيماناً وتسليماً﴾، [أي: تصديقاً لله وتسليماً لأمر الله][2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾، أي: قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به، ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾، أي: فرغ من نذره، ووفّى بعهده، فصبر على الجهاد حتى استشهد، والنَّحْبُ: النذر، والنحب: الموت أيضاً، قال مقاتل: «قضى نحبه»، يعني: أَجَلَه فقتل على الوفاء، [يعني حمزة وأصحابه. وقيل: «قضى نحبه» أي: بذل جهده في الوفاء][3]، بالعهد من قول العرب: نَحَبَ فلان في سَيْره يومه وليلته أجمع، إذا مدّ فلم ينزل، ﴿ومنهم من ينتظر﴾، الشهادة.

(١) انظر: زاد المسير: ٦/٣٦٨ .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) ساقط من «أ» .

وقال محمد بن إسحاق: «فمنهم من قضى نحبه» من استشهد يوم بدر وأُحد(١)، «ومنهم من ينتظر» يعني: من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين؛ إمّا الشهادة أو النصر(٢)، **﴿وما بدّلوا﴾**، عهدهم **﴿تبديلاً﴾**.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن سعيد الخزاعي،أخبرنا عبد الأعلى، عن حميد قال: سألت أنساً /ح/ وحدثني عمرو بن زرارة، أخبرنا زياد، حدثني حميد الطويل، عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلتَ المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليَرَيَنَّ اللّهُ ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: ياسعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعتُ يارسولَ الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نظن أو نُرىٰ أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: **﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾**، إلى آخر الآية(٣).

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، أخبرنا محمد بن حماد، أخبرنا معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن خباب بن الأرت قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله، فمنّا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أُحد، فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجتْ رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه / خرج رأسه، ٧٩/ب
فقال رسول الله ﷺ : «ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه من الإذخر، قال: ومن أينعت له ثمرته فهو يهد بها»(٤).

أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي نصر، أخبرنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأطرابُلسي، أخبرنا محمد بن سليمان الجوهري

---

(١) في ابن هشام: ٣/٢٤٨: «من قضى نحبه» أي: فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر وأحد.

(٢) انظر سيرة ابن هشام: ٣/٢٤٨ـ٢٤٩.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب قول الله عزّ وجلّ : «من المؤمنين رجال صَدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً»: ٦/٢١، ومسلم في الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد.برقم (١٩٠٣): ٣/١٥١٢.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب: غزوة أُحد ٧/٣٥٤، والمصنف في شرح السنة: ٥/٣١٩.

لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

بأنطاكية، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا الصلت بن دينار، عن أبي نصرة، عن جابر بن عبدالله قال: نظر النبي ﷺ إلى طلحة بن عبيد الله فقال: «من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى هذا»[(1)] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبدالله بن أبي شيبة، أخبرنا وكيع بن إسماعيل، عن قيس قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أُحد[(2)] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**لِيجزيَ الله الصادقين بصدقِهم**﴾، أي: جزاءَ صدقِهم، وصدقُهم هو الوفاءُ بالعهد، ﴿**ويُعذِّبَ المنافقين إنْ شاءَ أو يتوبَ عليهم**﴾، فيهديهم إلى الإيمان، ﴿**إنّ الله كان غفوراً رحيماً**﴾ .

﴿**وردَّ الله الذين كفروا**﴾، من قريش وغطفان، ﴿**بغيظِهم**﴾، لم يشفِ صدورَهم بنيلِ ما أرادوا، ﴿**لم ينالوا خيراً**﴾، ظفراً، ﴿**وكفى الله المؤمنين القتال**﴾، بالملائكة والريح، ﴿**وكان الله قوياً عزيزاً**﴾، [قوياً في ملكه عزيزاً][(3)] في انتقامه .

﴿**وأنزلَ الذين ظاهروهم من أهلِ الكتاب**﴾، أي: عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ والمسلمين وهم بنو قريظة، ﴿**من صياصيهم**﴾، حصونهم ومعاقلهم، واحدها صيصية، [ومنه قيل للقرن ولشوكة الديك والحاكة صيصية][(3)]، وذلك أن رسول الله ﷺ لما

---

(1) أخرجه الترمذي في المناقب: ٢٤٢/١٠ وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الصلت بن دينار، وقد تكلم بعض أهل العلم في الصلت بن دينار وضعفه وتكلموا في صالح بن موسى»، وابن ماجه في المقدمة برقم: (١٢٥) ٤٦/١ لكن بلفظ: (أن طلحة مر على النبي ﷺ فقال: شهيد يمشي على وجه الأرض)، والمصنف في شرح السنة: ١٢٠/١٤ .

(2) أخرجه البخاري في المغازي، باب: «إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا»: ٣٥٩/٧، والمصنف في شرح السنة: ١٢١/١٤ .

(3) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

أصبح من الليلة التي انصرف الأحزاب راجعين إلى بلادهم وانصرف النبي ﷺ والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة، ووضعواالسلاح فلما كان الظهر أتى جبريل رسولَ الله ﷺ معتجراً بعمامة من استبرق على بلغة عليها رحالة[1] وعليها قطيفة من ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه، فقال: قد وضعت السلاح يارسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلاّ من طلب القوم .

وروي أنه كان الغبار على وجه جبريل عليه السلام وفرسه فجعل النبي ﷺ يمسح الغبار عن وجهه وعن فرسه، فقال: إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فانْهَدْ[2] إليهم[3]، فإني قد قطعت أوتارهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال وبلبال، فأمر النبي ﷺ منادياً فأذن: أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلاّ في بني قريظة، وقدّم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه برايته إليهم، وابتدرها الناس فسار علي رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يارسول الله لا عليك أن تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لِمَ، أظنك سمعتَ لي منهم أذىً؟ قال: نعم يارسول الله، قال: لو قد رأَوْني لم يقولوا من ذلك شيئاً .

فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: يا إخوان القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ .

قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً .

ومرّ رسول الله ﷺ على أصحابه بالصَّوْرَين[4] قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال هل مرّ بكم أحد؟ فقالوا: نعم يارسول الله مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال عليه السلام: ذاك جبريل بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم .

فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم، فتلاحق به الناس فأتاه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلّين أحد العصر إلاّ في بني قريظة»، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك

---

(١) الرحالة: السَّرج .

(٢) انهض إليهم، ونَهَدَ القوم لعدوهم إذا صمدوا له وشرعوا في قتاله .

(٣) انظر البخاري: ٤٠٧/٧، شرح السنة: ١٠/١٤ـ١١ .

(٤) موضع قرب المدينة .

ولا عنفهم به رسول الله ﷺ، قال وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب.

وكان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده.

فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد: يامعشر يهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هن؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنوا على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنتخذنّ النساء والأبناء، فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنُوا فيها فانْزِلُوا لعلّنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: أنفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يكن أحدث فيه من كان قبلنا؟ أما من قد عملت فأصابهم من المسخ مالم يخف عليك؟ فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة في الدهر حازماً؟ قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعثْ إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقّ لهم، فقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، [قالوا: ماذا يفعل بنا إذا نزلنا][1]؟ فأشار بيده إلى حلقة أنه الذبح، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت
أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت / رسول الله ﷺ حتى ارتبط ٨٠/أ
في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت، وعاهد الله لا يطأ بني قريظة أبداً، ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وأبطأ عليه[2]، قال: أما لو جاءني لاستغفرتُ له، فأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه، ثم إن الله تعالى أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة، قالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يضحك فقلت مما تضحك يارسول

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) زيادة من «ب».

الله أضحك الله سنك؟ قال: تيب على أبي لبابة، فقلت: ألا أبشره بذلك يارسول الله؟ فقال: بلى إن شئت، فقامتْ على باب حجرتها وذلك قبل أن يُضرب عليهن الحجاب، فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، قال فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده، فلما مرّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى الصبح أطلقه، ثم قال: إن ثعلبة بن شعبة وأسيد بن شعبة، وأسيد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سُعْدي القرظي فمرّ بحرس رسول الله ﷺ وعليها محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة، فلما رآه قال: من هذا؟ قال: عمرو بن سُعديُ، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، فقال: لا أغدر بمحمد أبداً، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني عثرات الكرام ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: ذاك رجل قد نجاه الله بوفائه(١). وبعض الناس يزعم أنه كان قد أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رمته ملقاة لا يدري أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة، والله أعلم. فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله فتواثبت الأوس فقالوا : يارسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت، وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه فسألهم إيّاه عبدالله بن أُبي بن سلول، فوهبهم له فلما كلمه الأوس قال رسول الله ﷺ : «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟» قالوا: بلى، قال: فذاك إلى سعد بن معاذ، وكان سعد بن معاذ جعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة في مسجده، وكانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب، فلما حكّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من أدم، وكان رجلاً جسيماً ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاّك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي

(١) أخرجه الطبري: ٢١/١٥٢، وانظر: ابن هشام: ٣/٢٣٨-٢٣٩ .

سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال: قوموا إلى سيدكم فأنزلوه، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد ولاَّك مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيها ما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، [وهو معرض عن رسول الله ﷺ][1] إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتُسبي الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ لسعد: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»[2]، ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خندقاً ثم بعث إليهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالاً وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رئيس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول كانوا بين ثمانمائة إلى تسعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: ياكعب ما ترى ما يصنع بنا فقال كعب: أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع وإن من يذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل، فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي ﷺ وأتى حيي بن أخطب عدو الله عليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضرب عنقه .

وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة قالت والله إنها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسيوف
٨٠/ب إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانه قالت / : أنا والله قلت: ويلك مالك؟ قالت: أقتل، قلت: ولِمَ؟ قالت: حدثٌ أحدثته، قالتْ: فانطلق بها فضرُب عنقُها، وكانت عائشة تقول: ما أنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك، وقد عرفت أنها تقتل. قال الواقدي: وكان اسم تلك المرأة شبابة، امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد، رمتْ عليه رحىً فدعا رسول الله ﷺ بها فضرب عنقها بخلاد بن سويد[3]، قال: وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة، ورسول الله ﷺ جالس هنالك .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٢) أخرجه الطبري: ٢١/١٥٣، وأخرجه الشيخان في صحيحيهما بلفظ: (لقد حكمت فيهم بحكم الملك)، وبهذا اللفظ المصنف في شرح السنة ١١/٩١-٩٢، وانظر: الكافي الشاف: ص (١٣٣)، ابن هشام ٣/٢٣٩-٢٤٠ فقد أورده عن علقمة بن وقاص الليثي مرسلاً .

(٣) أخرجه الطبري: ٢١/١٥٣-١٥٤، وابن إسحاق: ٣/٢٤٢ .

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي، وكان يكنّى أبا عبد الرحمن، كان قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث، أخذه فجز ناصيته، ثم خلى سبيله، فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبدالرحمن هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إني أردت أن أجزيك بيدك عندي، قال: إن الكريم يجزي الكريم، قال: ثم أتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله قد كانت للزبير عندي يدٌ وله عليّ منة، وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه، فقال رسول الله ﷺ: «هو لك» فأتاه فقال له إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك، قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة، فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله أهله وماله؟ قال: هم لك فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ أعطاني امرأتك وولدك فهم لك، قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك، فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: مالهُ يارسول الله؟ قال: هو لك، قال: فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني مالك فهو لك، فقال: أي ثابت ما فعل الله بمن كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد، قال: قتل، قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مقدمنا إذا شددنا وحامينا إذا كررنا عزّال بن شموئيل؟ قال: قتل، قال: فما فعل المجلسان يعني بني كعب ابن قريظة وبني عمرو بن قريظة؟ قال: ذهبوا وقتلوا، قال: فإني أسألك بيدي عندك ياثابت إلا ما ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء خير، فما أنا بصابر لله فترة دلو نضح حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت فضُرب عنقُهُ، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله ألقى الأحبة، قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً[(١)] .

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل من أنبت منهم[(٢)]، ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم، وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً وكان أول فيء وقع فيه السهمان، ثم بعث رسول الله ﷺ سعد ابن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع لهم بهم خيلاً وسلاحاً، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ يحرص عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يارسول الله بل تتركني

(١) انظر: ابن هشام: ٣/٢٤٢ـ٢٤٣ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد: ٢/٧٦ـ٧٧ عن عطية بن سعد القرظي .

في ملكك فهو أخف عليّ وعليك. فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه بذلك من أمرها، فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة بن شعبة يبشرني بإسلام ريحانة، فجاءه فقال: يارسول الله قد أسلمت ريحانة، فسره ذلك[1].

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ، وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال: اللهم إنك قد علمت أنه لم يكن قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقني لها وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك، فانفجر كَلْمُهُ فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضُربت عليه في المسجد، قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرتي، قالت: وكانوا كما قال الله تعالى: «رحماء بينهم»[2] (الفتح - ٢٩)، وكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا يحيى بن آدم، أخبرنا إسرائيل، سمعت أبا إسحاق يقول، سمعت سليمان بن صرد يقول، سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم»[3].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا قتيبة، أخبرنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعزّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده»[4].

قال الله تعالى في قصة قريظة: **﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون﴾**، وهم الرجال، يقال: كانوا ستمائة، **﴿وتأسرون فريقاً﴾**، وهم النساء والذراري، يقال: كانوا سبعمائة وخمسين، ويقال: تسعمائة[5].

---

(١) انظر: ابن هشام: ٣/٢٤٢-٢٤٣.
(٢) أخرجه الإمام أحمد: ٦/١٤١-١٤٢.
(٣) أخرجه البخاري في المغازي: باب غزوة الخندق: ٧/٤٠٥، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٧-٨.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب: غزوة الخندق: ٧/٤٠٦، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر مالم يعمل، برقم: (٢٧٢٤) ٤/٢٠٨٩ عن قتيبة، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٨.
(٥) انظر: سياق القصة في سيرة ابن هشام: ٣/٢٣٣-٢٤٣.

وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها﴾، بعد، قال ابن زيد ومقاتل: يعني خيبر، قال قتادة: كنا نحدث أنها مكة. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة[1]. ﴿وكان الله على كل شيءٍ قديراً﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها النبي قُلْ لأزواجك إنْ كنتنّ ترِدْنَ الحياة الدنيا وزينتها فتعالَيْن أمتعكنّ﴾، متعة الطلاق، ﴿وأُسرحكنّ سراحاً جميلاً﴾.

﴿وإن كنتنّ تردنَ اللّهَ ورسولَه والدارَ الآخرة فإنّ الله أعدَّ للمحسناتِ منكنّ أجراً عظيماً﴾، سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي ﷺ سألنه شيئاً / من عَرَض الدنيا، وطلبن منه زيادة في النفقة، وآذينه بغيرة بعضهن على بعض، فهجرهنّ رسول الله ﷺ وآلى أن لا يقربهنّ شهراً ولم يخرج إلى أصحابه، فقالوا: ما شأنه؟ وكانوا يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقال عمر: لأعلمنّ لكم شأنه، قال: فدخلتُ على رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله أطلقتهنّ؟ قال: لا، قلت: يارسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهنّ؟ قال: نعم إن شئت، فقمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه، فنزلت هذه الآية: «وإذا جاءهم أمرٌ من الأمنِ أو الخوفِ أذاعوا به ولو ردُّوه إلى الرسولِ وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» (النساء ـ ٨٣)، فكنت أنا استنبطت ذاك الأمر، وأنزل الله آية التخيير، وكانت تحت رسول الله ﷺ يومئذ تسع نسوة خمس من قريش: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أُمية، وسودة بنت زمعة، وغير القرشيات: زينب بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقيّة، رضوان الله عليهنّ فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة، وكانت أحبهن إليه فخيّرها وقرأ عليها القرآن

٨١/أ

(١) أنظر: البحر المحيط ٧/٢٢٥.

فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فرؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ وتابعتها على ذلك[1] .

قال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله شكرهنّ الله على ذلك وقصره عليهن فقال: ﴿**لا يحلّ لك النساء من بعد**﴾ .

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا عبدالغفار بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا زهير بن حرب، أخبرنا روح ابن عُبادة، أخبرنا زكريا بن إسحاق، أخبرنا أبو الزبير عن جابر بن عبدالله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً، فقال: لأقولنّ شيئاً أضحك النبي ﷺ، فقال: يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ، وقال: هُنَّ حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: لا تسألي رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهنّ شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت هذه الآية: ﴿**يا أيها النبي قلْ لأزواجِك**﴾، حتى بلغ: ﴿**للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً**﴾، قال: فبدأ بعائشة فقال: ياعائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يارسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يارسول الله أستشير أبويّ؟ بل أختار اللّهَ ورسولَه والدارَ الآخرة، وأسألك أن لا تخبرَ امرأةً من نسائك بالذي قلت، قال: «لا تسألني امرأةٌ منهن إلا أخبرتُها، إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً»[2] .

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري أن النبي ﷺ أقسم أنْ لا يدخل على أزواجه شهراً، قال الزهري فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: فلما مضت تسع وعشرون أعدُّهن دخل عليّ رسولُ الله ﷺ فقالت: بدأ بي فقلت: يارسول الله إنك أقسمت ألاّ تدخل علينا شهراً وإنك دخلت في تسع وعشرين أعدهنّ؟ فقال: «إن الشهر تسع وعشرون»[3] .

---

(١) انظر: فتح الباري: ٨/٥١٩، مسلم: (١٤٧٥): ٢/١١٠٥-١١٠٨، الطبري: ٢١/١٥٦-١٥٧، شرح السنة: ٩/٢١٥-٢١٦، الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١١٧-١٢٠ .

(٢) أخرجه مسلم في الطلاق، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية برقم: (١٤٧٨): ٢/١١٠٤-١١٠٥ .

(٣) أخرجه معمر بن راشد في كتاب الجامع رواية عبد الرزاق في المصنف: ١٠/٤٠١، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٥٩٦ لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾

واختلف العلماء في هذا الخيار أنه هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا؟ فذهب الحسن، وقتادة، وأكثر أهل العلم: إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق، وإنما خيرهنّ على أنهنّ إذا اخترن الدنيا فارقهن، لقوله تعالى: ﴿**فتعالين أمتعكنّ وأسرحكنّ سراحاً جميلاً**﴾، بدليل أنه لم يكن جوابهن على الفور فإنه قال لعائشة: «لا تعجلي حتى تستشيري أبويك»، وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور.

وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق لو اخترن أنفسهن كان طلاقاً.

واختلف أهل العلم في حكم التخيير: فقال عمر، وابن مسعود، وابن عباس: إذا خيّر الرجلُ امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء، وإن اختارت نفسها يقع طلقة واحدة، وهو قول عمر بن عبدالعزيز، وابن أبي ليلى، وسفيان، والشافعي، وأصحاب الرأي، إلا عند أصحاب الرأي تقع طلقة بائنة إذا اختارت نفسها، وعند الآخرين رجعية.

وقال زيد بن ثابت: إذا اختارت الزوج تقع طلقة واحدة، وإذا اختارت نفسها فثلاث، وهو قول الحسن وبه قال مالك.

وروي عن علي أيضاً أنها إذا اختارت زوجها تقع طلقة واحدة وإن اختارت نفسها فطلقة بائنة.

وأكثر العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عمر بن حفص، أخبرنا أبي، أخبرنا الأعمش، أخبرنا مسلم، عن مسروق، عن عائشة قالت: خيّرنا رسول الله ﷺ فاخترنا الله ورسولَه فلم يعدّ ذلك علينا شيئاً[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**يانساء النبي من يأتِ منكنّ بفاحشةٍ مُبيِّنةٍ**﴾، بمعصية ظاهرة، قيل: هو كقوله عزّ وجلّ: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك» (الزمر ــ ٦٥) لا أن منهن من أتت بفاحشة. وقال ابن عباس: المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق. ﴿**يضاعف لها العذاب ضعفين**﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر: «نضعف» بالنون وكسر العين وتشديدها، «العذاب» نصب، وقرأ الآخرون بالياء وفتح العين «العَذاب» / رفع ويشددها أبو جعفر وأهل البصرة، وشدد أبو عمرو هذه وحدها لقوله: ٨١/ب

(١) أخرجه البخاري في الطلاق، باب: من خير أزواجه: ٩/٣٦٧، ومسلم في الطلاق، باب: بيان أن تخيير المرأة لا يكون طلاقاً برقم: (١٤٧٧) ٢/١١٠٣.

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

«ضعفين»، وقرأ الآخرون: «يضاعَف» بالألف وفتح العين، «العذاب» رفع، وهما لغتان مثل بعَّد وباعد، قال أبو عمرو وأبو عبيدة: ضعفت الشيء إذا جعلته مثليه وضاعفته إذا جعلته أمثاله. ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾، قال مقاتل: كان عذابها على الله هيناً وتضعيف عقوبتهن على المعصية لشرفهنّ كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن، وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين .

﴿ومن يقنتْ﴾، يطع، ﴿منكنّ لله ورسوله﴾، قرأ يعقوب: «من تأت منكن، وتقنت» بالتاء فيهما، وقرأ العامة بالياء لأن «مَنْ» أداةٌ تقوم مقام الإسم يعبّر به عن الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ﴿وتعمل صالحاً نُؤتِها أجرَها مرتين﴾، أي: مثلي أجر غيرها، قال مقاتل: مكان كل حسنة عشرين حسنة .

وقرأ حمزة والكسائي: «يعمل، يؤتها» بالياء فيهما نسقاً على قوله: «ومن يأت، ويقنت» وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿وأعتدنا لها رِزْقاً كريماً﴾، حسناً يعني الجنة .

﴿يانساء النبي لستنّ كأحدٍ من النساء﴾، قال ابن عباس: يريد ليس قَدْرُكنّ عندي مثل قدر غيركنّ من النساء الصالحات، أنتن أكرم عليّ، وثوابُكنّ أعظمُ لديّ، ولم يقل: كواحدة، لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، قال الله تعالى : «لا نفرق بين أحد من رسله» (البقرة ــ ٢٨٥)، وقال: «فما منكم من أحد عنه حاجزين» (الحاقة ــ ٤٧) .

﴿إنِ اتقيتنّ﴾، الله فأطعتنّه، ﴿فلا تخضعنَ بالقول﴾، لا تَلِنَّ بالقول للرجال ولا ترققن الكلام، ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾، أي: فجور وشهوة، وقيل نفاق، والمعنى: لا تقلن قولاً يجد منافق أو فاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكنّ .

والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع .

﴿وقلنَ قولاً مَعْرُوفاً﴾ لوجه الدين والإسلام بتصريح وبيان من غير خضوع .

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وقرنَ في بيوتكنّ﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم: «وقَرن» بفتح القاف، وقرأ الآخرون بكسرها، فمن فتح القاف فمعناه، اقررن أي: الزمن بيوتَكُن، من قولهم: قررت بالمكان أقَرُّ قراراً، يقال: قررت أقر وقررت أقر، وهما لغتان، فحذفت الراء الأولى التي هي عين الفعل لثقل التضعيف ونقلت حركتها إلى القاف كقولهم: في ظللت ظلت، قال الله تعالى: «فظلتم تفكهون» (الواقعة ـ ٦٥)، «وظلت عليه عاكفاً» (طه ـ ٩٧).

ومن كسر القاف فقد قيل: هو من قررت أقر، معناه اقررن ـ بكسر الراء ـ فحذفت الأولى ونقلت حركتها إلى القاف كما ذكرنا، وقيل: ـ وهو الأصح ـ أنه أمر من الوقار، كقولهم من الوعد: عدن، ومن الوصل: صلن، أي: كُنَّ أهل وقار وسكون، من قولهم وقر فلان يقر وقوراً إذا سكن واطمأن.

﴿ولا تبرجنَ﴾ قال مجاهد وقتادة: التبرج هو التكسر والتغنج، وقال ابن أبي نجيح: هو التبختر. وقيل: هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال، ﴿تبرجَ الجاهلية الأولى﴾. [اختلفوا في الجاهلية الأولى][(1)]. قال الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد ﷺ[(2)].

وقال أبو العالية: هي في زمن داود وسليمان عليهما السلام، كانت المرأة تلبس قميصاً من الدر غير مخيط من الجانبين فيُرى خلقها فيه[(3)].

وقال الكلبي: كان ذلك في زمن نمرود الجبار، كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال[(4)].

وروى عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الجاهلية الأولى فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وأن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صِباحاً وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صِباحاً وفي الرجال دمامة، وأن إبليس أتى رجلاً

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٢) انظر: الطبري: ٢٢/٤، البحر المحيط: ٧/٢٣١.
(٣) انظر: البحر المحيط: ٧/٢٣١.
(٤) انظر: البحر المحيط: ٧/٢٣٠.

من أهل السهل وأجَّر نفسه منه، فكان يخدمه واتخذ شيئاً مثل الذي يزمر به الرعاء فجاء بصَوت لم يسمع الناس مثله، فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يستمعون إليه، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج النساء للرجال ويتزين الرجال لهن، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك [فتحولوا إليهم][1] فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهم[2]، فذلك قوله تعالى: «ولا تبرجْنَ تبرجَ الجاهلية الأولى».

وقال قتادة: هي ما قبل الإسلام[3].

وقيل: الجاهلية الأولى: ما ذكرنا، والجاهلية الأخرى: قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان.

وقيل: قد تذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى، كقوله تعالى: «وأنّه أهلك عاداً الأولى» (النجم ـ ٥٠)، ولم يكن لها أخرى.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وأقمنَ الصلاةَ وآتينَ الزكاة وأطعنَ الله ورسولَه إنما يُريد اللهُ ليذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت**﴾، أراد بالرجس: الإثم الذي نهى الله النساء عنه، قاله مقاتل. وقال ابن عباس: يعني: عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى، وقال قتادة: يعني: السوء. وقال مجاهد: الرجس الشك.

وأراد بأهل البيت: نساء النبي ﷺ لأنهنّ في بيته، وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، وتلا قوله: «واذكرنَ ما يُتلى في بيوتكنّ من آيات الله»، وهو قول عكرمة ومقاتل.

وذهب أبو سعيد الخدري، وجماعة من التابعين، منهم مجاهد، وقتادة، وغيرهما: إلى أنهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين[4].

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن محمد الأنصاري، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعدي، أخبرنا أبو همام الوليد بن شجاع، أخبرنا يحيى بن زكريا ابن زائدة، أخبرنا أبي عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة الحجبية، عن عائشة أم المؤمنين قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه [ثم جاء عليّ فأدخله فيه][5]، ثم جاء حسن فأدخله فيه، ثم جاء حسين فأدخله فيه، ثم قال: «إنّما يريد الله لِيُذهبَ عنكم الرِّجسَ أهلَ البيت ويطهرَكم تطهيراً»[6].

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) انظر: الطبري: ٢٢/٤.

(٣) انظر: الطبري: ٢٢/٤ـ٥، الدر المنثور: ٦/٦٠١.

(٤) انظر: زاد المسير: ٦/٣٨١.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٦) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب: فضل أهل البيت، برقم: (٢٤٢٤) ٤/١٨٨٣، والمصنف في شرح السنة: ١٤/١١٦.

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد الحميدي، أخبرنا عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن بن مكرم، أخبرنا عثمان بن عمر، حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار، عن شريك بن أبي نمر، عن / عطاء بن يسار، عن أم سلمة قالت: في بيتي أنزلت: ﴿**إنما يريد** ٨٢/أ
الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أهل البيت﴾، قالت: فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فقال: «هؤلاء أهل بيتي»، قالت: فقلت يارسول الله أمَا أنا من أهل البيت؟ قال: «بلى إن شاء الله»[١].

قال زيد بن أرقم: أهل بيته مَنْ حَرُمَ الصدقةُ عليه بعده، آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس[٢].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**واذكرنَ مايُتلى في بيوتِكُنَّ من آياتِ الله**﴾، يعني: القرآن، ﴿**والحكمة**﴾، قال قتادة: يعني السنة. وقال مقاتل: أحكام القرآن ومواعظه. ﴿**إنّ الله كان لطيفاً خبيراً**﴾، أي: لطيفاً بأوليائه خبيراً بجميع خلقه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**إنّ المسلمين والمسلمات**﴾، الآية. وذلك أن أزواج النبي ﷺ قلن: يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نُذكر به، إنا نخاف أن لا يقبل منّا طاعةً، فأنزل الله هذه الآية[٣].

قال مقاتل: قالت أم سلمة بنت أبي أمية ونيسة[٤] بنت كعب الأنصارية للنبي ﷺ: ما بال ربّنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه، نخشى أن لا يكون فيهن خير؟ فنزلت هذه الآية[٥].

---

(١) أخرجه الحاكم: ١٤٦/٣ دون قوله: (قالت: فقلت يارسول الله أما أنا من أهل البيت؟ قال: بلى إن شاء الله)، وهو في المسند: ٤٩٢/٦ من طريق آخر بنحوه وسنده ضعيف، وانظر: ابن كثير: ٤٨٥/٣-٤٨٦، شرح السنة: ١١٧/١٤. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم: (٢٤٠٨) ١٨٧٣/٤.

(٣) رواه الطبري: ١٠/٢٢ وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان، قال الحافظ ابن حجر عنه في التقريب: «فيه لين» وزاد السيوطي نسبته للطبراني. انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٦ مع حاشية المحقق، البحر المحيط: ٢٣٣/٧.

(٤) في «ب» أنيسة.

(٥) انظر: الروايات عن أم سلمة في الطبري: ١٠/٢٢.

وَالْخَٰشِعِينَ وَالْخَٰشِعَٰتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَٰتِ وَالصَّٰٓئِمِينَ وَالصَّٰٓئِمَٰتِ وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

وروي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا. فأتت النبي ﷺ فقالت: يارسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: ومِمَّ ذاك؟ قالت: لأنهنّ لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله هذه الآية: ﴿**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين**﴾[1]، المطيعين، ﴿**والقانتات والصادقين**﴾، في إيمانهم وفيما ساءهم وسرهم، ﴿**والصادقات والصابرين**﴾، على ما أمر الله به، ﴿**والصابرات والخاشعين**﴾، المتواضعين، ﴿**والخاشعات**﴾، وقيل: أراد به الخشوع في الصلاة، ومن الخشوع أن لا يلتفت، ﴿**والمتصدقين**﴾، ممّا رزقهم الله، ﴿**والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم**﴾، عمّا لا يحل، ﴿**والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات**﴾، قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً[2].

ورُوينا أن النبي ﷺ قال: «قد سبق المفرِّدون»، قالوا: وما المفردون يارسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[3].

قال عطاء بن أبي رباح: من فوض أمره إلى الله عزّ وجلّ فهو داخل في قوله: «إن المسلمين والمسلمات»، ومن أقرّ بأن الله ربُّه ومحمداً رسولُه، ولم يخالف قلبه لسانه، فهو داخل في قوله: «والمؤمنين والمؤمنات»، ومن أطاع الله في الفرض، والرسول في السنة: فهو داخل في قوله : «والقانتين والقانتات، ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله: «والصادقين والصادقات»، ومن صبر على الطاعة، وعن المعصية، وعلى الرزية: فهو داخل في قوله: «والصابرين والصابرات»، ومن صلى ولم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله: «والخاشعين والخاشعات»، ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله: «والمتصدقين والمتصدقات»، ومن صام في كل شهر أيام البيض: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، فهو داخل في قوله: «والصائمين والصائمات»، ومن حفظ فرجه عمّا لا يحل فهو داخل في قوله: «والحافظين فروجهم والحافظات»، ومن صلى

---

(١) ذكره الواحدي ص (٤١٣)، وصاحب زاد المسير: ٣٨٤/٦ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٠٩/٦ لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى، برقم (٢٦٧٦) ٢٠٦٢/٤ .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله: «والذاكرين الله كثيراً والذاكرات» .

﴿أعدّ لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللّهُ ورسولُه أمراً أن يكونَ لهمُ الخِيَرَةُ من أمرِهم﴾ .

نزلت الآية في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمهما أمية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، خطب رسول الله ﷺ لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ اشترى زيداً في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه، فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابنة عمتك يارسول فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة فيها حدة، وكذلك كره أخوها ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿وما كان لمؤمن﴾[1]، يعني: عبد الله بن جحش، ﴿ولا مؤمنة﴾ يعني: أخته زينب، ﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾، أي: إذا أراد الله ورسوله أمراً وهو نكاح زينب لزيد، ﴿أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾، قرأ أهل الكوفة: «أن يكون» بالياء، للحائل بين التأنيث والفعل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث «الخيرة» من أمرهم، والخيرة: الاختيار .

والمعنى: أن يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به .

﴿ومن يعصِ اللّه ورسولَه فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً﴾، أخطأ خطأ ظاهراً، فلما سمعا ذلك رضيا بذلك وسلّما، وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها، فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً، فدخل بها وساق رسولُ الله ﷺ إليها عشرة دنانير، وستين درهماً، وخماراً، ودرعاً، وإزاراً[2] وملحفة، وخمسين مدّاً من طعام، وثلاثين صاعاً من تمر .

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢/١١، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٦١٠) .

(٢) زيادة من «ب» .

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: **﴿وإذْ تقول للذي أنعمَ الله عليه وأنعمتَ عليه أمسكْ عليك زوجَك﴾**، الآية، نزلت في زينب[١]، وذلك أن رسول الله ﷺ لما زوج زينب من زيد مكثت عنده حيناً، ثم إن رسول الله ﷺ أتى زيداً ذات يوم لحاجة، فأبصر زينب قائمة في درع وخمار، وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش، فوقعت في نفسه وأعجبه حسنها، فقال: سبحان الله مقلب القلوب وانصرف، فلما جاء زيد ذكرت ذلك له، ففطن زيد، فألقي في نفس زيد كراهيتها في الوقت[٢]،

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب: «وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» ٥٢٣/٨ .

(٢) هذه الرواية وإن ساقها عدد من المفسرين إلا أن المحققين من أهل العلم ردوها، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٥٢٤/٨ «ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، والذي أوردته هو المعتمد» وهذه شهادة لها قيمتها، وقد ذكر رحمه الله قبل هذا روايات في الموضوع وعلق عليها إذ قال: «وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقاً واضحاً حسناً ولفظه «بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ بعدُ أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً. وعنده من طريق علي بن زيد عن علي بن الحسين بن علي قال: أعلم الله نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها إليه قال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال الله: قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه» .

هذا واعلم ـ حفظك الله ـ أن :

١ ـ الروايات في هذه القصة ضعيفة من حيث السند .

٢ ـ تتنافى مع عصمة النبي ﷺ ومكانته .

٣ ـ لو كان الذي أخفاه عليه الصلاة والسلام هو محبته لها لأظهره الله تعالى ـ كما ذكر البغوي ـ ولكن الله تعالى أظهر أنه سيتزوجها .

٤ ـ وقد كان ﷺ هو الذي خطبها على زيد بن حارثة، وكانت ابنة عمته، وهو يراها مذ كانت طفلة حتى كبرت فلم لم يقع حبها في قلبه؟ وكيف يقع هذا الحب في قلبه بعد أن يتزوجها مولاه؟ وإن أردت أن تتوسع فانظر : الشفا للقاضي عياض: ٨٧٨/٢ـ٨٨٠، حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص ٣٢٢ـ٣٢٦ ـ الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبو شهبة ص ٤٥٢ـ٤٥٨، روح المعاني للآلوسي: ٢٤/٢٢ـ٢٥، البحر المحيط: ٢٣٤/٧ـ٢٣٥، في ظلال القرآن: ٢٨٦٥/٥ـ٢٨٦٩، وللدكتور زاهر عواض الألمعي كتاب: «مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش».

فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: «إني أُريد أن أفارق صاحبتي»، قال: ما لك أَرابكَ منها شيء؟ قال: لا والله يارسول الله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم عليّ لشرفها وتؤذيني بلسانها، فقال له النبي ﷺ : «أمسك عليك زوجك»، يعني: زينب بنت جحش، ﴿واتق الله﴾، في أمرها، ثم طلَّقها زيد[٣]، فذلك قوله عزّ وجلّ :

﴿وإذْ تقول للذي أنعم الله عليه﴾، بالإسلام، ﴿وأنعمت عليه﴾، بالإعتاق، وهو زيد بن حارثة /: ﴿أمسِك عليك زوجك واتق الله﴾ فيها ولا تفارقها، ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ ٨٢/ب
أي: تسرّ في نفسك ما الله مظهره، أي: كان في قلبه لو فارقها لتزوجها .

وقال ابن عباس: حبها. وقال قتادة: ودَّ أنه طلقها .

﴿وتخشى الناس﴾، قال ابن عباس والحسن: تستحييهم .

وقيل: تخاف لائمة الناس أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها[٢] .

﴿والله أحقُّ أن تخشاه﴾، قال عمر، وابن مسعود، وعائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية[٣] .

وروي عن مسروق قال: قالت عائشة: لو كتم النبي ﷺ شيئاً مما أوحي إليه لكتم هذه الآية: «وتخفي في نفسك ما الله مُبديه»[٤] .

وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس واللهُ أحق أن تخشاه﴾؟ قلت: يقول لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يانبي الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك، فقال: أمسك عليك زوجك واتق الله، فقال علي بن الحسين: ليس كذلك، كان الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها، فلما جاء زيد وقال: إني أريد أن أطلقها قال له: أمسك عليك زوجك، فعاتبه الله وقال: لِمَ قلتَ: أمسِكْ عليك زوجك وقد أعلمتُك أنها ستكون من أزواجك[٥]؟ .

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٢٣٤/٧ .

(٢) انظر: زاد المسير: ٣٨٧/٦ .

(٣) انظر: الطبري: ١٣/٢٢، وراجع التعليق الآتي .

(٤) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الأحزاب: ٧١/٩ـ٧٢ وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والطبري: ١٣/٢٢، وانظر: البخاري في التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء: ٤٠٤/١٣ لكن عن أنس، مسلم في الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجلّ : «ولقد رآه نزلة أخرى» وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ برقم: (١٧٧) ١٦٠/١ .

(٥) انظر: ابن كثير: في التفسير ٤٩٢/٣ .

وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال: «زوجناكها» فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على أنه إنّما عُوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له، وإنما أخفاه استحياءَ أن يقول لزيد: التي تحتك وفي نكاحك ستكون امرأتي، وهذا قول حسن مرضٍ، وإن كان القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الأنبياء، لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء مالم يقصد فيه المأثم، لأن الود وميل النفس من طبع البشر.

وقوله: «أمسك عليك زوجك واتقِ الله» أمر بالمعروف، وهو خشيةٌ لا إثم فيه.

وقوله تعالى: ﴿والله أحق أن تخشاه﴾، لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه السلام قد قال: «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له»، ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله تعالى أحق بالخشية في عموم الأحوال وفي جميع الأشياء.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فلما قضى زيدٌ منها وَطَراً﴾، أي: حاجة من نكاحها، ﴿زوجناكَهَا﴾، وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبني تحلُّ بعد الدخول بها.

قال أنس: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجَكُنَّ أهالِيكُنّ وزوجني الله من فوق سبع سموات[1].

وقال الشعبي: كانت زينب تقول للنبي ﷺ: إني لأدلُ عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدل بهنّ: جدي وجدك واحد، إني أنكحنيك الله في السماء، وإن السفير لجبريل عليه السلام[2].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغفار بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن الحجاج، حدثني محمد بن حاتم بن ميمون، أخبرنا بهز، أخبرنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «فاذكرها عليّ»، قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمّر عجينها، قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتُها ظهري ونكصت على عقبي، فقلت: يازينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك.

قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن.

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء: ١٣/٤٠٣-٤٠٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٢/١٤، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: ١٣/٤١٢: أخرجه الطبري وأبو القاسم الطحاوي في كتاب «الحجة والتبيان» من مرسل الشعبي.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾

قال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم، حتى امتد النهار، [فخرج الناس](١) وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ فاتبعته فجعل يتتبع حُجَرَ نسائه يسلم عليهن، ويقلن: يارسول الله كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني.

قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب(٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سليمان بن حرب، أخبرنا حماد، عن ثابت، عن أنس قال: ما أَوْلَمَ النبي ﷺ على شيء من نسائه ما أَوْلَم على زينب، أولَمَ بشاة(٣).

أخبرنا محمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا محمد بن هشام بن ملاس النمري، أخبرنا مَرْوَان الفزاري، أخبرنا حميد عن أنس قال: أولم رسول الله ﷺ حين ابتنى بزينب بنت جحش فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً(٤).

قوله عزّ وجلّ: **﴿لكيلا يكونَ على المؤمنين حرجٌ﴾**، إثم، **﴿في أزواج أدعيائهم إذا قَضَوْا منهن وَطَرَاً﴾**، و«الأدعياء»: جمع الدَّعِيّ، وهو المتبني، يقول: زوجناك زينب، وهي امرأة زيد الذي تبنيته، ليعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبني، [وإن كان قد دخل بها المُتَبَنَّى](٥) بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب.

﴿وكان أمرُ الله مفعولاً﴾، أي: كان قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ما كانَ على النبي من حرجٍ فيما فرضَ الله له﴾**، أي: فيما أحل الله له، **﴿سُنَّةَ الله﴾**، أي: كسنة الله / نصب بنزع الخافض، وقيل: نصب على الإغراء، أي: الزموا ٨٣/أ

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه مسلم في النكاح: باب: زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب برقم: (١٤٢٨): ٢/١٠٤٨.

(٣) أخرجه البخاري في النكاح، باب الوليمة بشاة: ٩/٢٣٢، ومسلم في النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب برقم: (١٤٢٨) ٢/١٠٤٩، والمصنف في شرح السنة: ٩/١٣٧.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير (تفسير سورة الأحزاب) ٨/٥٢٨، والمصنف في شرح السنة: ٩/١٣٧.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

سنّة الله، ﴿في الذين خلوا من قبل﴾، أي: في الأنبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم.

قال الكلبي، ومقاتل: أراد داودَ حين جمع بينه وبين المرأة التي هويها فكذلك جمع بين محمد ﷺ وبين زينب.

وقيل: أشار بالسنة إلى النكاح فإنه من سنة الأنبياء عليهم السلام.

وقيل: إلى كثرة الأزواج مثل داود وسليمان عليهما السلام[1].

﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾، قضاءً مقضياً كائناً ماضياً.

﴿الذين يُبلّغون رسالاتِ الله﴾، [يعني سنة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله][2]، ﴿ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله﴾، لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم، ﴿وكفى بالله حسيباً﴾، حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم.

ثم إن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب قال الناس: إن محمداً تزوج امرأة ابنه فأنزل الله عزّ وجلّ:

﴿ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم﴾[3]، يعني: زيد بن حارثة، أي: ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إيّاها.

فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء: القاسم، والطيب، والطاهر، وإبراهيم، وكذلك: الحسن والحسين، فإن النبي ﷺ قال للحسن: إن ابني هذا سيد؟

قيل: هؤلاء كانوا صغاراً لم يكونوا رجالاً.

والصحيح ما قلنا: إنه أراد أبا أحد من رجالكم[4].

﴿ولكنْ رسولَ اللهِ وخاتمَ النبيين﴾، ختم الله به النبوة، وقرأ عاصم: «خاتَم» بفتح التاء على الإسم، أي: آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل، لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم.

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٧/٢٣٥–٢٣٦ وفيه: أن اليهود عابوه أي: النبي ﷺ – بكثرة النكاح وكثرة الأزواج فرد الله عليهم بقوله: «سنة الله».

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٣) انظر: الطبري: ٢٢/١٦.

(٤) انظر: مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل ص (٢٨٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾

قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابناً يكون بعده نبياً[(١)].

وروي عن عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلاً، ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد الخذاشاهي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم، حدثنا أبكر الجوربذي، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلي ومَثَلُ الأنبياء كمَثَلِ قصر أُحسن بنيانُه، تُركَ منه موضع لَبِنَةٍ فطاف به النظَّارُ يتعجبون من حسنِ بنيانِه إلا موضعُ تلك اللَّبنةِ لا يعيبون سواها فكنت أنا سددتُ موضع تلك اللبنة، خُتم بي البنيانُ وخُتم بي الرسلَ»[(٢)].

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كلب الشاشي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، وغير واحد قالوا، أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي»[(٣)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾، قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة[(٤)] إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإنه لم يجعل له حداً يُنتهى إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله[(٥)]، وأمرهم به في

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣٩٣/٦.

(٢) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٠١/١٣، وأخرج البخاري: ٥٥٨/٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين» ومسلم: ١٧٩١/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين».

(٣) أخرجه الترمذي في الأدب، باب: ما جاء في أسماء النبي ﷺ: ١٢٨/٨-١٣٠، وقال: «هذا حديث حسن صحيح» وأخرجه البخاري في المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ: ٥٥٤/٦، والمصنف في شرح السنة: ٢١١/١٣.

(٤) ساقط من «أ».

(٥) أخرجه الطبري: ١٧/٢٢، وابن كثير: ٤٩٦/٣.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝٤٤﴾

كل الأحوال، فقال: «فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم» (النساء - ١٠٣). وقال: **﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾**، أي: بالليل والنهار، في البر والبحر وفي الصحة والسقم، في السر والعلانية. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبداً.

﴿وسبحوه﴾، أي: صلُّوا له، **﴿بكرة﴾**، يعني: صلاة الصبح، **﴿وأصيلاً﴾**، يعني: صلاة العصر. وقال الكلبي: «وأصيلاً» صلاة الظهر والعصر والعشاءين.

وقال مجاهد: يعني: قولوا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فعبّر بالتسبيح عن أخواته.

وقيل: المراد من قوله: «ذكراً كثيراً» هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث(١).

﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾، فالصلاة من الله: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار للمؤمنين.

قال السدي قالت بنو إسرائيل لموسى: أيصلي ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى، فأوحى الله إليه: أنْ قل لهم: إني أصلي، وأن صلاتي رحمتي، وقد وسعت رحمتي كلَّ شيء(٢).

وقيل: الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده. وقيل: الثناء عليه.

قال أنس: لما نزلت: **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾**، قال أبو بكر: ما خصك الله يارسول الله بشرف إلا وقد أُشركنا فيه، فأنزل الله هذه الآية(٣).

قوله: **﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾**، أي: من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، يعني: أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور، **﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾**.

﴿تحيتُهم﴾، أي: تحية المؤمنين، **﴿يوم يلقَوْنه﴾**، أي: يرون الله، **﴿سلام﴾**، أي: يسلم الله عليهم، ويسلمهم من جميع الآفات.

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٧/٢٣٧، زاد المسير: ٦/٣٩٧-٣٩٨.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٦/٦٢٢.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٢٢ لعبد بن حميد وابن المنذر.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ

وروي عن البراء بن عازب قال: «تحيتهم يوم يلقونه»، يعني: يلقون ملك الموت، لا يقبض روح مؤمن إلا يسلم عليه[1].

وعن ابن مسعود قال: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام[2].

وقيل: تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم[3]، ﴿**وأعدّ لهم أجراً كريماً**﴾، يعني: الجنة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً**﴾، أي: شاهداً للرسل بالتبليغ، ومبشراً لمن آمن بالجنة، ونذيراً لمن كذب بآياتنا بالنار.

﴿**وداعياً إلى الله**﴾، إلى توحيده وطاعته، ﴿**بإذنه**﴾، بأمره، ﴿**وسراجاً منيراً**﴾، سماه سراجاً لأنه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة.

﴿**وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً**﴾.

﴿**ولا تُطِعِ الكافرين والمنافقين**﴾، ذكرنا تفسيره في أول السورة، ﴿**ودَعْ أذاهم**﴾، قال ابن عباس وقتادة: اصبر على أذاهم. وقال الزجاج: لا تجازهم عليه. وهذا منسوخ بآية القتال / . ٨٣/ب

﴿**وتوكلْ على الله وكفى بالله وكيلاً**﴾، حافظاً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتمُ المؤمناتِ ثم طلقتموهنّ**﴾، فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح، حتى لو قال لامرأة أجنبية: إذا نكحتك فأنت طالق، وقال: كل امرأة أنكِحُها فهي طالق، فنكح، لا يقع الطلاق. وهو قول

---

(١) أخرجه الحاكم: ٣٥١/٢-٣٥٢ وقال: صحيح قلت (الذهبي): عبدالله قال ابن عدي: مظلم الحديث ومحمد قال ابن حبان: لا يحتج به. وعزاه السيوطي أيضاً: في الدر المنثور: ٦٢٣/٦ لابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٢٣/٦ للمروزي في الجنائز وابن أبي الدنيا وأبي الشيخ، وذكره صاحب البحر المحيط: ٢٣٧/٧.

(٣) انظر: البحر المحيط: ٢٣٧/٧.

تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا
جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا

علي، وابن عباس، وجابر، ومعاذ، وعائشة، وبه قال سعيد بن المسيب، وعروة، وشريح وسعيد بن جبير، والقاسم وطاووس، والحسن، وعكرمة، وعطاء، وسليمان بن يسار، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، وأكثر أهل العلم رضي الله عنهم، وبه قال الشافعي .

وروي عن ابن مسعود: أنه يقع الطلاق، وهو قول إبراهيم النخعي، وأصحاب الرأي .

وقال ربيعة، ومالك، والأوزاعي: إن عيّن امرأة يقع، وإن عمّ فلا يقع .

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: كذبوا على ابن مسعود، إن كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول: إن تزوجت فلانة فهي طالق، يقول الله تعالى : «وإذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهنّ»، ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن[1] .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد الديموري، أخبرنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري بمكة، أخبرنا الربيع بن سليمان، أخبرنا أيوب بن سويد، أخبرنا ابن أبي ذئب عن عطاء، عن جابر قال رسول الله ﷺ : «لا طلاق قبل النكاح»[2] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**من قبل أن تمسوهن**﴾، تجامعوهن، ﴿**فما لكم عليهن من عدّة تعتدّونها**﴾، تحصونها بالأقراء والأشهر، ﴿**فمتعوهنّ**﴾، أي: أعطوهنّ ما يستمتعن به. قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً فلها المتعة، فإن كان قد فرض لها صداقاً فلها نصف الصداق ولا متعة لها .

وقال قتادة: هذه الآية منسوخة بقوله : «فنصف ما فرضتم» (البقرة ـ ٢٣٧) .

وقيل: هذا أمر ندب، فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر .

وذهب بعضهم إلى أنها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية .

﴿**وسرحوهن سراحاً جميلاً**﴾، خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار .

قوله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيها النبيُّ إنَّا أحللْنا لك أزواجَك اللاتي آتيْتَ أجورَهنّ**﴾، أي: مهورهن،

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢٣٢/٥ـ٢٣٦ .

(٢) أخرجه الحاكم: ٤٢٠/٢ وقال: مدار سند هذا الحديث على إسنادين واهيين: جرير عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي، وعمرو بن شعيب عن جده فلذلك لم يقع الاستقصاء من الشيخين في طلب هذه الأسانيد الصحيحة والله أعلم . وللحديث طرق أخرى عن عدد من الصحابة يتقوى بها، انظر: تخريجه بالتفصيل في: نصب الراية: ٢٣٠/٣ـ٢٣٣، تلخيص الحبير: ٢١٠/٣ـ٢١٢، إرواء الغليل: ١٧٣/٦ـ١٧٤، و١٥٢/٧ـ١٥٣ .

مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

﴿وما ملكتْ يمينُك مما أفاءَ الله عليك﴾، ردّ عليك من الكفار بأن تسبي فتملك مثل صفية وجويرية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له إبراهيم، ﴿وبناتِ عمِك وبناتِ عماتِك﴾، يعني: نساء قريش، ﴿وبناتِ خالك وبناتِ خالاتِك﴾، يعني: نساء بني زهرة، ﴿اللاتي هاجرنَ معك﴾، إلى المدينة فمن لم تهاجر منهن معه لم يجز له نكاحها .

وروى أبو صالح عن أم هانىء أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة خطبني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له، لأني لم أكن من المهاجرات وكنت من الطلقاء، ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل(1) .

﴿وامرأةً مؤمنةً إنْ وهبتْ نفسَها للنبي إن أرادَ النبي أن يستنكحَها خالصةً لك من دونِ المؤمنين﴾، أي: أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق، فأما غير المؤمنة فلا تحل له إذا وهبت نفسها منه .

واختلفوا في أنه هل كان يحل للنبي ﷺ نكاح اليهودية والنصرانية بالمهر ؟

فذهب جماعة إلى أنه كان لا يحل له ذلك، لقوله: «وامرأة مؤمنة»، وأوّل بعضهم الهجرة في قوله: «اللاتي هاجرن معك» على الإسلام، أي: أسلمن معك. فيدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة، وكان النكاح ينعقد [في حقه](2) بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر، وكان ذلك من خصائصه ﷺ في النكاح لقوله تعالى: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾، كالزيادة على الأربع، ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه ولا مشاركة لأحد معه فيه .

---

(1) أخرجه الترمذي في التفسير: ٩/٧٤-٧٦ وقال: (هذا حديث حسن، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي)، والطبري: ٢٢/٢٠-٢١، وصححه الحاكم: ٢/٤٢٠ ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن: ٧/٥٤، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٢٨ نسبته لابن سعد وعبد بن حميد وابن راهويه وابن أبي حاتم وابن مردويه . .

(2) زيادة من «ب» .

۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ

واختلف أهل العلم في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة؟ فذهب أكثرهم إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ الإنكاح والتزويج، وهو قول سعيد بن المسيب، والزهري، ومجاهد، وعطاء، وبه قال ربيعة ومالك والشافعي .

وذهب قوم إلى أنه ينعقد بلفظ الهبة والتمليك، وهو قول إبراهيم النخعي، وأهل الكوفة .

ومن قال لا ينعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج اختلفوا في نكاح النبي ﷺ: فذهب قوم إلى أنه كان ينعقد بلفظ الهبة، لقوله تعالى: «خالصة لك من دون المؤمنين» .

وذهب آخرون إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج كما في حق الأمة لقوله عزّ وجلّ : ﴿إنْ أراد النبي أن يستنكحها﴾، وكان اختصاصه ﷺ في ترك المهر لا في لفظ النكاح[1] .

واختلفوا في التي وهبتْ نفسَها لرسول الله ﷺ وهل كانت عنده امرأة منهن؟ .

فقال عبد الله بن عباس، ومجاهد: لم يكن عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها منه، ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين، [وقوله: «إن وهبت نفسها» على طريق الشرط والجزاء .

وقال آخرون: بل كانت عنده موهوبة، واختلفوا فيها][2] فقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة الهلالية، يقال لها: أم المساكين .

وقال قتادة: هي ميمونة بنت الحارث .

وقال علي بن الحسين، والضحاك ومقاتل: هي أم شريك بنت جابر من بني أسد .

وقال عروة بن الزبير: هي خولة بنت حكيم من بني سليم[3] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾، أي: أوجبنا على المؤمنين، ﴿في أزواجهم﴾، من الأحكام أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر، ﴿وما ملكت أيمانهم﴾، أي: ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين، ﴿لكيلا يكونَ عليك حرجٌ﴾، وهذا يرجع إلى أول الآية أي: أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكي لا يكون عليك حرج وضيق .

﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ .

﴿تُرجي﴾، أي: تؤخر، ﴿من تشاء منهنّ وتُؤوي﴾، أي: تضم، ﴿إليك من تشاء﴾ .

اختلف المفسرون في معنى الآية: فأشهر الأقاويل أنه في القسم بينهن، وذلك أن التسوية بينهن

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ٥/٢٣٦-٢٣٨ .
(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .
(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ٥/٢٣٩ .

﴿عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾

في القسم كان واجباً عليه، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن .

٨٤/أ قال أبو رزين، وابن زيد /: نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة، فهجرهنّ النبي ﷺ شهراً حتى نزلت آية التخيير، فأمره الله عزّ وجلّ أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة، وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله والدار الآخرة، على أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبداً، وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن، ويرجي من يشاء، فيرضين به قسم لهنّ أو لم يقسم، أو قسم لبعضهنّ دون بعض، أو فضل بعضهنّ في النفقة والقسمة، فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف يشاء، وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط[١] .

واختلفوا في أنه هل أخرج أحداً منهن عن القسم؟ فقال بعضهم: لم يخرج أحداً، بل كان رسول الله ﷺ ـ مع ما جعله الله له من ذلك ـ يسوي بينهن في القسم إلا سودة فإنها رضيت بترك حقها من القسم، وجعلت يومها لعائشة .

وقيل: أخرج بعضهن .

روى جرير عن منصور عن أبي رزين قال: لما نزل التخيير أشفقن أن يطلقهن، فقلن: يانبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودَعْنا على حالنا، فنزلت هذه الآية، فأرجى رسولُ الله ﷺ بعضهن وآوى إليه بعضهن، وكان ممن آوى إليه: عائشة، وحفصة، وزينب، وأم سلمة، فكان يقسم بينهنّ سواء، وأرجى منهن خمساً: أم حبيبة، وميمونة، وسودة، وصفية وجويرية، فكان يقسم لهن ما شاء[٢] .

وقال مجاهد: «ترجي من تشاء منهن» يعني: تعزل من تشاء منهن بغير طلاق، وترد إليك من تشاء بعد العزل بلا تجديد عقد .

وقال ابن عباس: تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء .

وقال الحسن: تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء أمتك .

وقال: كان النبي ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله ﷺ .

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٤١٣) عازياً للمفسرين .

(٢) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٢، والواحدي في أسباب النزول ص (٤١٤) .

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ۝٥٢﴾

وقيل: تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن لك فتؤويها إليك وتترك من تشاء فلا تقبلها .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن سلام، أخبرنا ابن فضيل، أخبرنا هشام عن أبيه قال: كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾، قلت: يارسول الله ما أرى ربك إلاّ يسارع في هواك(1) .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وَمَنِ ابتغيتَ ممنْ عزلتَ﴾، أي: طلبت وأردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن عن القسم، ﴿فلا جُناحَ عليك﴾ لا إثم عليك، فأباح الله له ترك القسم لهن حتى إنه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها، ويرد إلى فراشه من عزلها تفضيلاً له على سائر الرجال، ﴿ذلك أدنى أن تقرَّ أعينُهن ولا يحزَنَّ﴾، أي: التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب إلى رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله عزّ وجلّ، ﴿ويَرْضَيْنَ بما آتيتَهن﴾، أعطيتهن، ﴿كلهن﴾، من تقرير وإرجاء وعزل وإيواء، ﴿واللّهُ يعلمُ ما في قلوبكم﴾، من أمر النساء والميل إلى بعضهن، ﴿وكان الله عليماً حليماً﴾ .

قوله عزّ وجلّ : ﴿لا يحلُّ لك النساءُ من بعدُ ولا أن تبدَّلَ بهنَّ من أزواجٍ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب: «لا تحل» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، «من بعد»: يعني من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك، وذلك أن النبي ﷺ لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن، هذا قول ابن عباس وقتادة(2) .

واختلفوا في أنه هل أبيح له النساء من بعد ؟

قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أُحِلّ له النساءُ سواهن(3) .

---

(1) أخرجه البخاري في النكاح، باب: هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد ٩/١٦٤، ومسلم في الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها برقم: (١٤٦٤) ٢/١٠٨٥-١٠٨٦ .

(2) راجع فتح الباري: ٨/٥٢٦ .

(3) أخرجه الترمذي في التفسير: ٩/٧٨-٧٩ وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في النكاح، باب: ما افترض الله عزّ وجلّ على رسوله عليه السلام وحرمه على خلقه : ٦/٥٦، والدارمي في النكاح، باب قول الله تعالى : (لا يحل لك النساء من بعد) ٢/١٥٣ وابن حبان في موارد الظمآن برقم: (٢١٢٦) ص (٥٢٣)، وصححه الحاكم: ٢/٤٣٧ ووافقه الذهبي، والبيهقي: ٧/٥٤، والإمام أحمد في المسند: ٦/٤١، ١٨٠، وانظر: فتح الباري ٨/٥٢٦، التلخيص الحبير: ٣/١٢٣ .

وقال أنس: مات على التحريم.

وقال عكرمة، والضحاك: معنى الآية لا يحل لك النساء إلا اللاتي أحللنا لك وهو قوله: ﴿إنا أحللنا لك أزواجك﴾ الآية، ثم قال: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ إلا التي أحللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها.

وقيل لأُبيّ بن كعب: لو مات نساء النبي ﷺ أكان يحل له أن يتزوج؟ قال: وما يمنعه من ذلك؟ قيل: قوله عزّ وجلّ: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾، قال: إنما أحل الله له ضرباً من النساء، فقال: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾، ثم قال: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾.

قال أبو صالح: أُمر أن لا يتزوج أعرابية ولا عربية، ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخالة إن شاء ثلاثمائة: وقال مجاهد: معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا أن تبدل بهن، يقول: ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى، يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية، إلاّ ما ملكت يمينك، أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهنّ.

وروي عن الضحاك: يعني ولا أن تبدل بهن ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هنّ في حيالك أزواجاً غيرهن بأن تطلقهن فتنكح غيرهن، فحرم عليه طلاق النساء اللواتي كن عنده إذ جعلهن أمهات المؤمنين، وحرمهن على غيره حين اخترنه، فأما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿**ولا أن تبدل بهن من أزواج**﴾، كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم، يقول الرجل للرجل: بادلني بامرأتك، وأبادلك بامرأتي، تنزل لي عن امرأتك، وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله: ﴿**ولا أن تبدل بهن من أزواج**﴾[1]، يعني لا تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجك وتأخذ زوجته، إلا ما ملكت يمينك لا بأس أن تبدل بجاريتك / ما شئت، فأما الحرائر فلا. ٨٤/ب

وروي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: دخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ بغير إذن، وعنده عائشة، فقال له النبي ﷺ: «ياعيينة فأين الاستئذان»؟ قال: يارسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت، ثم قال: من هذه الحميراء إلى جنبك؟ فقال: هذه عائشة أم المؤمنين، فقال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد حرّم ذلك»، فلما خرج قالت عائشة: من هذا يارسول الله؟ فقال: «هذا أحمقٌ مطاعٌ وإنه على ما تَرَيْنَ لَسيدُ قومِه»[2].

---

(١) ذكر هذه الأقوال الطبري: ٢٢/٢٩-٣٣ مع ترجيحات تراجع.

(٢) أخرجه الدارقطني في النكاح: ٣/٢١٨-٢١٩، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٣٨ للبزار وابن مردويه، قال الهيثمي في المجمع: ٧/٩٢ (رواه البزار، وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك). وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: «حديث =

قوله عزّ وجل : ﴿ولو أعجبك حسنهنّ﴾، يعني: ليس لك أن تطلق أحداً من نسائك وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها .

قال ابن عباس: يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد جعفر أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها فنهى عن ذلك[1] .

﴿إلا ما ملكت يمينك﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ملك بعد هؤلاء مارية .

﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾، حافظاً .

وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء. روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا خطب أحدُكم المرأةَ فإن استطاعَ أن ينظرَ إلى ما يدعوه إلى نكاحِها فلْيفعل»[2] .

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد بن محمد بن علي بن شريك الشافعي، أخبرنا عبدالله بن محمد بن مسلم،، أخبرنا أبو بكر الجوربذي قال: أخبرنا أحمد بن حرب، أخبرنا أبو معاوية، عن عاصم هو ابن سليمان، عن بكر بن عبد الله، عن المغيرة بن شعبة قال: خطبتُ امرأةً، فقال لي النبي ﷺ: «هل نظرتَ إليها؟» قلت: لا، قال: «فانظرْ إليها فإنه أحرى أن يُؤدم بينكما»[3] .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا حامد ابن محمد، أخبرنا بشر بن موسى، أخبرنا الحميدي، أخبرنا سفيان، أخبرنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ : «انظرْ إليها فإن في أعينِ نساءِ الأنصار شيئاً»[4]، قال الحميدي: يعني الصغر .

= أبي هريرة في نكاح البدل ضعيف جداً» .

(١) انظر: البحر المحيط: ٧/٢٤٤ .

(٢) أخرجه أبو داود في النكاح، باب: الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزوجها: ٣/٢٥-٢٦، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢/٨، والبيهقي: ٧/٨٤، والحاكم: ٢/١٦٥ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والإمام أحمد: ٣/٣٣٤، والمصنف في شرح السنة: ٩/١٧، وانظر: نصب الراية: ٤/٢٤١، التلخيص الحبير: ٣/١٤٧، إرواء الغليل: ٦/٢٠٠ .

(٣) أخرجه الترمذي في النكاح، باب: ما جاء في النظر إلى المخطوبة ٤/٢٠٦ وقال: «هذا حديث حسن»، والنسائي في النكاح، باب: إباحة النظر قبل التزويج: ٦/٦٩-٧٠، وابن ماجة في النكاح: باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها: ١/٦٠٠ وصححه ابن حبان في موارد الظمآن برقم: (١٢٣٦) ص ٣٠٣، والحاكم: ٢/١٦٥ على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة في المصنف: ٤/٣٥٥، والدارمي في النكاح، باب: الرخصة في النظر للمرأة عند الخطبة: ٢/٥٩، والبيهقي في السنن ٧/٨٤-٨٥، والإمام أحمد: ٤/٢٤٦ والمصنف في شرح السنة: ٩/١٧، وانظر: تلخيص الحبير: ٣/١٤٦-٢٥٢، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٦): ١/١٥٠-١٥٢ .

(٤) أخرجه مسلم في النكاح، باب: النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها برقم : (١٤٢٤) ٢/١٠٤٠ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾

قوله عزّ وجلّ : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يُؤذنَ لكم﴾**، الآية. قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله ﷺ .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا يحيى بن بكير، أخبرنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مَقدَم رسول الله ﷺ المدينة، قال: وكانت أم هانىء تواظبني على خدمة النبي ﷺ، فخدمته عشر سنين، وتوفي النبي ﷺ وأنا ابن عشرين سنة، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، فكان أول ما أنزل في مبتنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، أصبح النبي ﷺ بها عروساً فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط منهم عند النبي ﷺ فأطالوا المكث، فقام النبي لله فخرج وخرجتُ معه لكي يخرجوا، فمشى النبي ﷺ ومشيت حتى جاء حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا، فرجع النبي ﷺ، ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الستر، وأنزل الحجاب(١) .

وقال أبو عثمان ــ واسمه الجعد ــ عن أنس قال: فدخل يعني رسول الله ﷺ البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة، وهو يقول: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يُؤذن لكم﴾** إلى قوله: **﴿والله لا يستحي من الحق﴾**(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب الوليمة حق: ٩/٢٣٠، وفي الاستئذان باب آية الحجاب: ١١/٢٢ وفي مواضع أخرى .

(٢) أخرجه البخاري في النكاح، باب الهدية للعروس: ٩/٢٢٦ــ٢٢٧ .

وروي عن ابن عباس أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يُدرَك ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت[1] :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ يقول: إلا أن تُدْعَوْا، ﴿إلى طعام﴾، فيؤذن لكم فتأكلونه، ﴿غير ناظرين إناه﴾، غير منتظرين إدراكه ووقت نضجه، يقال: أَنَى الحميم: إذا انتهى حره، وإِنَى أن يفعل ذلك: إذا حان، إِنًى بكسر الهمزة مقصورة، فإذا فتحتَها مددتَ فقلتَ الإناء، وفيه لغتان إني يأنى، وآن يئين، مثل: حان يحين .

﴿ولكن إذا دُعيتم فادخلوا فإذا طَعِمْتُم﴾، أكلتم الطعام، ﴿فانتشروا﴾، تفرقوا واخرجوا من منزله، ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾، ولا طالبين الأنس للحديث، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلاً فنُهوا عن ذلك .

﴿إن ذلكم كان يُؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق﴾، أي: لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياءً .

﴿وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسئلوهنّ من وراء حجاب﴾، أي: من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله ﷺ متنقبة كانت أو غير متنقبة، ﴿ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ﴾ من الريب .

وقد صح في سبب نزول آية الحجاب ما أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا يحيى بن بكير، أخبرنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أن أزواج النبي ﷺ كنّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول للنبي ﷺ : احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك ياسودة ـ حرصاً على أن ينزل الحجاب ـ، فأنزل الله تعالى آية الحجاب[2] .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب ابن أحمد الطوسي، أخبرنا عبد الرحيم بن منيب، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا حميد، عن أنس
٨٥/أ قال: قال عمر: وافقني ربي في ثلاث /، قلت: يارسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٦٤١/٦ .
(٢) أخرجه البخاري في الوضوء، باب: خروج النساء إلى البراز: ٢٤٨/١، وفي تفسير سورة الأحزاب وفي الاستئذان .

﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤﴾

فأنزل الله : «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى»، وقلت: يارسول الله إنه يدخل عليك البَرُّ والفاجر فلو أُمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني بعض ما آذى به رسولَ الله ﷺ نساؤُه، قال: فدخلتُ عليهنّ أستقر بهنّ واحدة واحدة، قلت: والله لتنتهُنّ أو ليبدلنّه الله أزواجاً خيراً منكنّ، حتى أتيت على زينب فقالت: ياعمر ما كان في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت، قال: فخرجت فأنزل الله عزّ وجلّ : «عسى ربه إن طلقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ» (التحريم ـ ٥)، إلى آخر الآية(١) .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسولَ الله﴾، ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء، ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾، نزلت في رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: لئن قُبضَ رسولُ الله ﷺ لأنكحنَّ عائشة(٢) .

قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة بن عبيد الله، فأخبر الله عزّ وجلّ أن ذلك محرم(٣)، وقال: ﴿إنّ ذلكم كان عند الله عظيماً﴾، أي: ذنباً عظيماً .

وروى معمر عن الزهري، أن العالية بنت ظبيان التي طلق النبيُّ ﷺ تزوجت رجلاً وولدت له، وذلك قبل تحريم أزواج النبي ﷺ على الناس(٤) .

﴿إنْ تبدو شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾، نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله ﷺ(٥) .

وقيل: قال رجل من الصحابة: ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا؟ فنزلت هذه الآية .

ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: ونحن أيضاً نكلمهن من وراء الحجاب؟ فأنزل الله :(٦) .

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ١٦٨/٨، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضائل عمر برقم: (٢٣٩٩) ١٨٦٥/٤ مختصراً، والمصنف في شرح السنة: ٩٣/١٤ـ٩٤، وللسيوطي رسالة في موافقات عمر، منشورة في الحاوي للفتاوي: ٣٧٧/١ بعنوان (قطف الثمر في موافقات عمر) وانظر فيما سبق: ١٤٧/١ تعليق: ٢،١ .

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤١٧ـ٤١٨ بدون إسناد، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٤٣/٦ لابن مردويه عن ابن عباس .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي بلاغاً، وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة، انظر: الدر المنثور: ٦٤٣/٦ .

(٤) أخرجه البيهقي في السنن: ٧٣/٧ عن يونس عن ابن شهاب بلاغاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٤٤/٦ لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) أخرجه ابن جرير: ٤٠/٢٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٤٤/٦ للبيهقي وابن سعد .

(٦) انظر: الطبري: ٤١/٢٢ـ٤٢ .

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿**لا جُناحَ عليهنّ في آبائهنّ ولا أبنائهنّ ولا إخوانِهنّ ولا أبناءِ إخوانِهنّ ولا أبناءِ أخواتِهنّ**﴾، أي: لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب من هؤلاء، ﴿**ولا نسائهنّ**﴾، قيل: أراد به النساءَ المسلمات، حتى لا يجوز للكتابيات الدخول عليهن، وقيل: هو عام في المسلمات والكتابيات، وإنما قال: «ولا نسائهنّ»، لأنهنّ من أجناسهنّ، ﴿**ولا ما ملكتْ أيمانُهنّ**﴾ .

واختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون محرماً لها أم لا؟ .

فقال قوم يكون محرماً لقوله عزّ وجلّ : «ولا ما ملكت أيمانهنّ» .

وقال قوم: هو كالأجانب، والمراد من الآية الإماء دون العبيد .

﴿**واتقِينَ اللهَ**﴾ أن يراكن غير هؤلاء، ﴿**إن الله كان على كل شيء**﴾، من أعمال العباد ﴿**شهيداً**﴾ .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**إن اللّهَ وملائكتَهُ يصلون على النبي**﴾، قال ابن عباس: أراد إن الله يرحم النبي، والملائكة يدعون له. وعن ابن عباس أيضاً : «يصلون» يتبركون .

وقيل: الصلاة من الله: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار .

﴿**يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه**﴾، ادعوا له بالرحمة، ﴿**وسلّموا تسليماً**﴾، أي: حيّوه بتحية الإسلام .

وقال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء .

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه ببغداد، أخبرنا أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب، أخبرنا موسى بن إسماعيل، أخبرنا أبو سلمة، أخبرنا عبد الواحد بن زياد، أخبرنا أبو فروة، حدثني عبدالله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى [سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى](١)، يقول: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى فاهدها لي، فقال: سألنا

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

رسول الله ﷺ، فقلنا: يارسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(1) .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليمان الزرقي أنه قال: أخبرني أبو حميد الساعي أنهم قالوا: يارسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ : «قولوا اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(2) .

أخبرنا أبو عمرو ومحمد بن عبد الرحمن النسوي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا العباس بن محمد الدوري، أخبرنا خالد بن مخلد القطواني، أخبرنا موسى بن يعقوب الزمعي، عن عبدالله بن كيسان، أخبرني عبدالله بن شداد، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أَولى الناس بي يوم القيامة أكثرُهم عليّ صلاةً»(3) .

أخبرنا أبو عبدالله بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أخبرنا عبدالله ابن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حُجر، أخبرنا إسماعيل بن جعفر، أخبرنا العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من صلى عليّ واحدةً صلى الله عليه عشراً»(4) .

---

(1) أخرجه البخاري في التفسير، باب: «إن الله وملائكته يصلون على النبي.. الآية» ٥٣٢/٨، والمصنف في شرح السنة: ١٩٠/٣ .

(2) أخرجه البخاري في الدعوات، باب: هل يصلى على غير النبي ﷺ ١٦٩/١١، ومسلم في الصلاة، باب: الصلاة على النبي بعد التشهد برقم: (٤٠٧) ٣٠٥/١، والمصنف في شرح السنة: ١٩١/٣ .

(3) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب: ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ: ٦٠٧/٢-٦٠٨ وقال: (هذا حديث حسن غريب) وابن حبان في موارد الظمآن برقم: (٢٣٨٩) ص ٥٩٤، والمصنف في شرح السنة: ١٩٧/٣. وقال السخاوي في «القول البديع» صفحة (١٩١-١٩٢): «وفي سنده موسى بن يعقوب الزمعي» قال الدار قطني: إنه تفرد، قلت: وقد اختلف عليه فيه، فقيل عن عبدالله بن شداد عن ابن مسعود بلا واسطة. هذه رواية الترمذي والبخاري في «تاريخه الكبير» وابن أبي عاصم، وكذا هي عند أبي الحسين النَّرسي في «مشيخته» من الطريق التي أخرجها الترمذي، وقيل: عن عبدالله ابن شداد عن أبيه عن ابن مسعود، هكذا أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، ومن طريقه رواه ابن حبان في «صحيحه» وأبو نعيم وابن بشكوال، وهكذا رواه ابن أبي عاصم أيضاً في «فضل الصلاة» له، وابن عدي في «كامله» والدينوري في «مجالسته» والدارقطني في «الأفراد» والتيمي في «الترغيب» وابن الجراح في «أماليه» وأبو اليمن ابن عساكر من طريق أبي الطاهر الذهلي وغيرهم. وهذه الرواية أكثر وأشهر. والزَّمَعي: قال فيه النسائي ليس بالقوي، لكن وثقه يحيى بن معين فحسبك به، وكذا وثقه أبو داود وابن حبان وابن عدي وجماعة، وأشار البخاري في «التاريخ» أيضاً إلى أن الزَّمعي رواه عن ابن كيسان عن عتبة بن عبدالله عن ابن مسعود، والله أعلم .

(4) أخرجه مسلم في الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد برقم: (٤٠٨) ٣٠٦/١ والمصنف في شرح السنة: ١٩٥/٣ .

أخبرنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، [أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال](1)، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن سليمان مولى الحسن بن علي، عن عبدالله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه جاء ذات يوم والبشرى في وجهه، فقال: «إنه جاءني جبريل فقال: [إن ربك يقول](1) أما يرضيك يامحمد أن لا يُصلّ عليك أحدٌ من أمتك إلا صلّيتُ عليه عشراً [ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً](1)»(2) .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن عاصم هو ابن عبيد الله قال: سمعت عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من صلى عليّ صلاةً صلّتْ عليه الملائكة ما صلى عليّ فَلْيُقِلَّ العبدُ من ذلك أو ليكثر»(3) .

حدثنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني، أخبرنا جناح بن يزيد المحاربي بالكوفة، أخبرنا أبو
٨٥/ب جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم، أخبرنا عبدالله بن موسى / وأبو نعيم، عن سفيان، عن عبيد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكةً سيّاحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»(4) .

---

(1) ساقط من «أ».

(2) أخرجه النسائي في السهو، باب: الفضل في الصلاة على النبي ﷺ: ٥٠/٣، والإمام أحمد: ٢٩/٤-٣٠، والحاكم: ٤٢٠/٢، وابن حبان في موارد الظمآن برقم (٢٣٩١) ص ٥٩٤، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم: ١ و٢ وهو حديث صحيح بطرقه، والمصنف في شرح السنة: ١٩٦/٣، وانظر: جلاء الأفهام لابن القيم ص ٦٣-٩٤ .

(3) أخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ برقم (٩٠٧) ٢٩٤/١، قال في الزوائد: إسناده ضعيف، لأن عاصم بن عبيد الله، قال فيه البخاري وغيره: منكر الحديث، وأبو نعيم في الحلية: ١٨٠/١، والمصنف في شرح السنة: ١٩٨/٣، قال السخاوي في «القول البديع» ص ١٦٩: (رواه سعيد بن منصور وأحمد وأبو بكر بن أبي شيبة والبزار وابن ماجه والطيالسي وأبو نعيم وابن أبي عاصم والتيمي والرشيد العطار، وفي سنده عاصم بن عبيد الله، وهو وإن كان واهي الحديث فقد مشّاه بعضهم، وصحح له الترمذي، وحديثه هذا حسن في المتابعات، قاله المنذري وكذا حسّن شيخنا هذا الحديث على أنه قد اختلف على عاصم فيه كما سلف في حديث عمر، ولكن قد رواه الطبراني من غير طريقه بسند لين، وبالله التوفيق) .

(4) أخرجه النسائي في السهو، باب: السلام على النبي ﷺ: ٤٣/٣، والدارمي: ٢٢٥/٢، وصححه الحاكم: ٤٢١/٢ ووافقه الذهبي والإمام أحمد: ٣٨٧/١، ٤٤١، وابن حبان في موارد الظمآن برقم (٢٣٩٣) ص (٥٩٥)، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٢٢) ص (١١) والمصنف في شرح السنة: ١٩٧/٣، قال ابن القيم في «جلاء الأفهام» ص (٦٠): «وهذا إسناد صحيح» .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّ الذين يُؤذونَ اللّهَ ورسولَه لعنَهُم اللّهُ في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً﴾، قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى والمشركون. فأما اليهود فقالوا: عزير ابن الله، ويد الله مغلولة، وقالوا: إن الله فقير، وأما النصارى فقالوا: المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، وأما المشركون فقالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه.

وروينا أن النبي ﷺ قال: «يقول الله سبحانه وتعالى: شتمني عبدي، يقول: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد»(١).

وروينا عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «يؤذيني ابنُ آدم يسبُّ الدهرَ وأنا الدهر، بيدي الأمرُ أقلّبُ الليلَ والنهارَ»(٢).

وقيل: معنى «يؤذون الله» يلحدون في أسمائه وصفاته.

وقال عكرمة: هم أصحاب التصاوير.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن العلاء، أخبرنا ابن فضيل، عن عمارة، عن أبي زرعة، سمع أبا هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة»(٣).

وقال بعضهم: «يؤذون الله» أي: يؤذون أولياء الله، كقوله تعالى: «واسئلِ القرية» (يوسف ـ ٨٢)، أي: أهل القرية.

وروينا عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وقال من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة «قل هو الله أحد»: ٧٣٩/٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، و... وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الجاثية: ٥٧٤/٨، ومسلم في الألفاظ، باب: النهي عن سب الدهر برقم: (٢٢٤٦) ١٧٦٢/٤.

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: (والله خلقكم وما تعملون) ٥٢٨/١٣، ومسلم في اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان برقم: (٢١١١) ١٦٧١/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٢٩/١٢.

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق، باب: التواضع ٣٤٠/١١-٣٤١.

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾

ومعنى الأذى: هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه، ذكره على ما يتعارفه الناس بينهم، والله عزّ وجلّ منزه عن أن يلحقه أذى من أحد، وإيذاء الرسول، قال ابن عباس: هو أنه شج في وجهه وكسرت رباعيته. وقيل: شاعر، ساحر، معلم، مجنون.

﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾، من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم، وقال مجاهد: يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم، ﴿فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾.

وقال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب [وذلك أن ناساً من المنافقين] كانوا يؤذونه ويشتمونه(1).

وقيل: نزلت في شأن عائشة(2).

وقال الضحاك، والكلبي: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيغمزون المرأة، فإن سكتت اتبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل كان واحداً، يخرجن في درع وخمار، الحرةُ والأمة، فشكون ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات﴾(3) الآية.

ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء فقال جل ذكره:

﴿يا أيها النبي قلْ لأزواجِك وبناتِك ونساءِ المؤمنين يُدنِينَ عليهن من جَلابِيبهن﴾، جمع الجلباب، وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار.

وقال ابن عباس وأبو عبيدة: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عيناً واحدة ليعلم أنهن حرائر.

---

(1) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٤٢٠)، وما بين القوسين استدركناه منه، وانظر: القرطبي: ٤٢٠/١٤.

(2) راجع فيما سبق تفسير سورة النور: الآية (١١) وما بعدها.

(3) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٤٢٠) وقال: الدليل على صحة هذا قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك... الآية) وساق بإسناده عن هشيم عن حصين عن أبي مالك قال: كانت النساء المؤمنات يخرجن بالليل إلى حاجاتهن، وكان المنافقون يتعرضون لهن ويؤذونهن فنزلت هذه الآية، وانظر: الدر المنثور ٦٥٩/٦، ابن كثير: ٥١٩/٣-٥٢٠.

۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ
لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا
أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ
وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا
﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي

﴿ذلك أدنى أن يعرفن﴾، أنهن حرائر، **﴿فلا يُؤذَيْنَ﴾**، فلا يتعرض لهن، **﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾**، قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة، وقال يالكاع أتتشبهين بالحرائر، ألقي القناع[1].

قوله عزّ وجلّ: **﴿لئن لم ينته المنافقون﴾**، عن نفاقهم، **﴿والذين في قلوبهم مرض﴾**، فجور، يعني الزناة، **﴿والمرجفون في المدينة﴾**، بالكذب، وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجتْ سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس أنهم قتلوا وهزموا، ويقولون: قد أتاكم العدو ونحوها[2].

وقال الكلبي: كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الأخبار.

﴿لنُغرينك بهم﴾، لنحرشنّك بهم ولنسلطنّك عليهم، **﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾**، لا يساكنونك في المدينة **﴿إلاّ قليلاً﴾**، حتى يخرجوا منها، وقيل: لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة.

﴿ملعونين﴾، مطرودين، نصب على الحال، **﴿أينما ثقفوا﴾**، وجدوا وأدركوا، **﴿أخذوا وقتلوا تقتيلاً﴾**، أي: الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به.

﴿سنة الله﴾، أي: كسنة الله، **﴿في الذين خلوا من قبل﴾**، من المنافقين والذين فعلوا مثل فعل هؤلاء، **﴿ولنْ تجدَ لسنة الله تبديلاً﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿يسئلُكَ الناسُ عن الساعةِ قلْ إنما عِلْمُهَا عندَ الله وما يُدريْكَ﴾**، أي: أيُّ شيء يعلمك أمر الساعة، ومتى يكون قيامها؟ أي: أنت لا تعرفه، **﴿لعلَّ الساعةَ تكونُ قريباً﴾**.

﴿إنّ الله لعنَ الكافرين وأعدَّ لهم سعيراً * خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً يومَ

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٦/٦٦٠.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٦/٦٦٢، الطبري: ٢٢/٤٨.

النَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا
سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ
لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا
قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

تُقلَّبُ وجوهُهم في النارِ﴾، ظهراً لبطن حين يسحبون عليها، **﴿يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾**، في الدنيا .

﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا﴾، قرأ ابن عامر، ويعقوب: «ساداتنا» بكسر التاء والألف قبلها على جمع الجمع، وقرأ الآخرون بفتح التاء بلا ألف قبلها، **﴿وكبراءَنا فأضلونا السبيلا﴾** .

﴿ربَّنا آتِهم ضِعفين من العذاب﴾، أي: ضعفي عذاب غيرهم، **﴿والعنهُم لَعْناً كبيراً﴾**، قرأ عاصم: كبيراً بالباء. قال الكلبي: أي: عذاباً كثيراً، وقرأ الآخرون بالثاء لقوله تعالى: «أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» (البقرة ـ ١٦١)، وهذا يشهد للكثرة، أي: مرة بعد مرة .

قوله عزّ وجلّ : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذَوْا موسى فبرَّأهُ الله مما قالوا﴾**، فطهره الله مما قالوا: **﴿وكان عند الله وجيهاً﴾**، كريماً ذَا جاهٍ، يقال: وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه، إذا كان ذا جاه وقدر .

قال ابن عباس: كان حظياً عند الله لا يسأل شيئاً إلا أعطاه .

وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة .

وقيل : كان محبباً مقبولاً .

واختلفوا فيما أوذي به موسى :

فأخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا رَوْح بن عبادة، أخبرنا عوف، عن الحسن ومحمد وخلاس، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «إن موسى كان رجلاً حيِيًّا ستيراً لايرى من جلده شيء استحياءً منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إمّا برص أو أدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجرَ عَدَا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإ من بني إسرائيل،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً»[1]، فذلك قوله عزّ وجلّ: «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً».

وقال قوم: إيذاؤهم إيّاه أنه لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى أنه قتله، فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله، فبرأه الله مما قالوا[2].

وقال أبو العالية: هو أن قارون استأجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملإ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك، وأهلك قارون[3].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا شعبة، عن الأعمش قال: سمعت أبا وائل قال: سمعت عبدالله قال: قسَمَ النبي ﷺ قَسْماً، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أُريدَ بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: «يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[4].

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾، قال ابن عباس: صواباً. وقال قتادة: عدلاً. وقال الحسن: صدقاً. وقيل: مستقيماً. وقال عكرمة هو: قول لا إله إلا الله.

﴿يُصلحْ لكم أعمالكم﴾، قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم. وقال مقاتل: يزكِّ أعمالكم، ﴿ويغفرْ لكم ذنوبَكم ومَنْ يُطعِ الله ورسولَه فقد فازَ فوزاً عظيماً﴾، أي: ظفر بالخير كله.

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء: ٤٣٦/٦.

(٢) انظر الطبري: ٥٢/٢٢، الدر المنثور: ٦٦٦/٦ قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٣٨/٨: «وقد روى أحمد بن منيع في مسنده، والطبري وابن أبي حاتم بإسناد قوي عن ابن عباس عن علي قال: «صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون، فقال بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته، كان ألين لنا منك وأشد حباً فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته فمرت به على مجالس بني إسرائيل فعلموا بموته».

(٣) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٦-٤٤٢، زاد المسير: ٤٢٦/٦.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب، باب: الصبر على الأذى: ٥١١/١٠، ومسلم في الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام برقم: (١٠٦٢) ٧٣٩/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٩/١٣.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿إنّا عرضنا الأمانةَ على السمواتِ والأرضِ والجبالِ﴾، الآية. أراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده، عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، وهذا قول ابن عباس .

وقال ابن مسعود: الأمانة: أداء الصلوات، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وصدق الحديث، وقضاء الدين، والعدل في المكيال والميزان، وأشد من هذا كله الودائع .

وقال مجاهد: الأمانة: الفرائض، وحدود الدِّين .

وقال أبو العالية: ما أمروا به ونهوا عنه .

وقال زيد بن أسلم: هو الصوم، والغسل من الجنابة، وما يخفى من الشرائع .

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال: هذه أمانة استودعتكها، فالفرج أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، واليد أمانة، والرِّجْل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له .

وقال بعضهم: هي أمانات الناس، والوفاء بالعهود، فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً ولا معاهداً في شيء قليل ولا كثير، وهي رواية الضحاك عن ابن عباس، فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال، هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف، فقال لهن أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن، فقلن: لا يارب، نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله أن لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة، وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها، والجمادات كلها خاضعة لله عزّ وجلّ مطيعة ساجدة له كما قال جلّ ذكره للسموات والأرض: «ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» (فصلت ـ ١١)، وقال للحجارة: «وإن منها لما يهبط من خشية الله» (البقرة ـ ٧٤)، وقال تعالى : «ألم ترَ أن الله يسجد له من في السمواتِ ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب» (الحج ـ ١٨) الآية .

وقال بعض أهل العلم: ركّب الله عزّ وجلّ فيهنّ العقل والفهم حين عرض الأمانة عليهن حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن .

وقال بعضهم: المراد من العرض على السموات والأرض هو العرض على أهل السموات والأرض، عرضها على من فيها من الملائكة .

وقيل: على أهلها كلها دون أعيانها، كقوله تعالى: «واسئل القرية» (يوسف ـ ٨٢)، أي: أهل القرية .

والأول أصح، وهو قول العلماء .

﴿فأبينَ أن يحملنَها وأشفقنَ منها﴾، أي: خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب، ﴿وحملها الإنسان﴾، يعني: آدم عليه السلام، فقال الله لآدم: إني عرضت الأمانة على السمواتِ والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يارب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت عوقبت، فتحملها آدم، وقال: بين أذني وعاتقي، قال الله تعالى: أمّا إذا تحملت فسأعينك، أجعل لبصرك حجاباً فإذا خشيت أن تنظر إلى مالا يحل لك فارخِ عليه حجابه، وأجعل للسانك لحيين غلقاً فإذا غشيت فأغلق، وأجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرمت عليك .

قال مجاهد: فما كان بين أن تحمّلها وبين أن خرج من الجنة إلاّ مقدار ما بين الظهر والعصر(١) .

وحكى النقاش بإسناده عن ابن مسعود أنه قال: مُثِّلَتِ الأمانة كصخرة ملقاة، ودُعيت السمواتُ والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها، وقالوا: لا نطيق حملها، وجاء آدم من غير أن يُدعى، وحرك الصخرة، وقال: لو أمرت بحملها لحملتُها، فقلن له: احملها، فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها، وقال والله لو أردت أن أزداد لزدت، فقلن له: احملها فحملها إلى حقوه، ثم وضعها، وقال: والله لو أردت أن أزداد لزدت، فقلن له / : احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه، فأراد أن يضعها ٨٦/ب
فقال الله: مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة .

﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾، قال ابن عباس: ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر الله وما احتمل من الأمانة .

وقال الكلبي: ظلوماً حين عصى ربه، جهُولاً لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة .

وقال مقاتل: ظلوماً لنفسه جهولاً بعاقبة ما تحمّل .

وذكر الزجاج وغيره من أهل المعاني، في قوله وحملها الإنسان قولان، فقالوا: إن الله ائتمن آدم وأولاده على شيء وائتمن السموات والأرض والجبال على شيء، فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا في الطاعة والقيام بالفرائض، والأمانة في حق السموات والأرض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقهن له. وقيل: قوله: ﴿فأبينَ أن يحملنَها﴾، أي: أدّينَ الأمانة، يقال: فلان لم يتحمل الأمانة أي: لم يخن فيها وحملها الإنسان أي: خان فيها، يقال: فلان حمل الأمانة أي: أثِمَ فيها بالخيانة.

---

(١) انظر: ابن كثير: ٣/٥٢٣ـ٥٢٤ .

لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

قال الله تعالى : «وليحملُنَّ أثقالهم» (العنكبوت ـ ١٣)، إنه كان ظلوماً جهولاً .

حكى عن الحسن على هذا التأويل: إنه قال وحملها الإنسان يعني الكافر والمنافق، حملاَ الأمانة أي: خانا .

وقول السلف ما ذكرنا .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**لِيُعذِّبَ الله المنافقين والمنافقاتِ والمشركين والمشركاتِ**﴾، قال: مقاتل: ليعذبهم بما خانوا الأمانة ونقضوا الميثاق، ﴿**ويتوبَ الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً**﴾، يهديهم ويرحمهم بما أَدَّوْا من الأمانة .

وقال ابن قتيبة: أي: عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله، ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه، أي: يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات .

سُورَةُ سَبَإٍ

سُورَةُ سَبَإٍ

مكية(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾

﴿الحمدُ لله الذي له ما في السمواتِ وما في الأرضِ﴾، ملكاً وخلقاً، **﴿وله الحمدُ في الآخرةِ﴾**، كما هو له في الدنيا، لأن النعم في الدارين كلها منه.

وقيل: الحمد لله في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما قال الله تعالى: «وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن» (فاطر ـ ٣٤)، و«الحمد لله الذي صدقنا وعده» (الزمر ـ ٧٤). **﴿وهو الحكيم الخبير﴾**.

﴿يعلمُ ما يَلجُ في الأرضِ﴾، أي: يدخل فيها من الماء والأموات، **﴿وما يخرج منها﴾**، من النبات والأموات إذا حشروا، **﴿وما ينزلُ من السماء﴾**، من الأمطار، **﴿وما يعرجُ﴾**، يصعد، **﴿فيها﴾**، من الملائكة وأعمال العباد، **﴿وهو الرحيمُ الغفورُ﴾**.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت سورة سبأ بمكة. وأخرج ابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال: سورة سبأ مكية.
انظر: الدر المنثور: ٦/٦٧٣.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ
لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٣ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ
ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٦

﴿**وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعةُ قُلْ بلى وربّي لَتأتينَّكم عالمِ الغيبِ**﴾، قرأ أهل المدينة والشام: «عالمُ» بالرفع على الاستئناف، وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب، أي: وربّي عالم الغيب، وقرأ حمزة والكسائي: «عَلاَّمِ» على وزن فعال، وجر الميم. ﴿**لا يعزب**﴾، لا يغيب[1]، ﴿**عنه مثقال ذرة**﴾ وزن ذرة ﴿**في السمواتِ ولا في الأرضِ ولا أصغرُ من ذلك**﴾، أي: من الذرة، ﴿**ولا أكبرُ إلاّ في كتابٍ مبين**﴾.

﴿**ليجزيَ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ أولئك**﴾، يعني: الذين آمنوا، ﴿**لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريم**﴾، حسن، يعني: في الجنة.

﴿**والذين سَعَوْا في آياتنا معاجزين**﴾، يحسبون أنهم يفوتوننا، ﴿**أولئك لهم عذابٌ من رِجْزٍ أليم**﴾، قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب: «أليمٌ» بالرفع هاهنا وفي الجاثية على نعت العذاب، [وقرأ الآخرون بالخفض على نعت الرجز، وقال قتادة: الرجز سوء العذاب][2].

﴿**ويَرَى الذين**﴾، [أي: ويرى الذين][2]، ﴿**أوتوا العلم**﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب: عبدالله ابن سلام وأصحابه. وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ، ﴿**الذي أُنزل إليك من ربّك**﴾، يعني: القرآن، ﴿**هو الحقّ**﴾، يعني: أنه من عند الله، ﴿**ويهدي**﴾، يعني: القرآن، ﴿**إلى صراط العزيز الحميد**﴾، وهو الإسلام.

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) ساقط من «ب».

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى
خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾

﴿وقال الذين كفروا﴾، منكرين للبعث متعجبين منه: **﴿هَل نَدلُّكم على رجلٍ يُنبّئُكم﴾**، يخبركم، يعنون محمداً ﷺ، **﴿إذا مُزِّقتم كلَّ ممزَّقٍ﴾**، قُطّعتم كل تقطيع وفُرِّقتم كل تفريق وصرتم تراباً **﴿إنكم لَفي خلقٍ جديد﴾**، يقول لكم: إنكم لفي خلق جديد.

﴿أفترى﴾، ألف استفهام دخلت على ألف الوصل ولذلك نصبت، **﴿على الله كذباً أم به جِنّة﴾**، يقولون: أزعم كذباً أم به جنون؟.

قال الله تعالى رداً عليهم: **﴿بلِ الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾**، من الحق في الدنيا.

﴿أفلم يَرَوْا إلى ما بين أيديهم وما خلفَهُم من السماءِ والأرض﴾، فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم لا يخرجون من أقطارها، وأنا القادر عليهم، **﴿إنْ نشأ نَخسِفْ بهم الأرض﴾**، قرأ الكسائي: «نخسف بهم» بإدغام الفاء في الباء، **﴿أو نُسقِطْ عليهم كِسَفاً من السماء﴾**، قرأ حمزة والكسائي: «إن يشأ يخسف أو يسقط»، بالياء فيهن لذكر الله من قبل، وقرأ الآخرون بالنون فيهن، **﴿إن في ذلك﴾**، أي: فيما ترون من السماء والأرض، **﴿لآيةً﴾**، تدل على قدرتنا على البعث، **﴿لكل عبدٍ مُنيب﴾**، تائب راجع إلى الله بقلبه.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ولقد آتينا داود منّا فضلاً﴾**، يعني النبوة والكتاب، وقيل: الملك. وقيل: جميع ما أُوتي من حسن الصوت وتليين الحديد وغير ذلك مما خُص به، **﴿ياجبال﴾**، أي: وقلنا ياجبال، **﴿أوّبي﴾**، أي: سبحي، **﴿معه﴾**، إذا سبح، وقيل: هو تفعيل من الإياب وهو الرجوع، أي: رجِّعي معه وقال القتيبي: أصله من التأويب في السير، وهو أن يسير النهار كله وينزل ليلاً كأنه قال أوبي النهار كله بالتسبيح معه. وقال وهب: نوحي معه.

﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١﴾

﴿والطيرَ﴾، عطف على موضع الجبال، لأن كلَّ منادَى في موضع النصب. وقيل: معناه: وسخرنا وأمرنا الطير أن تسبح معه، وقرأ يعقوب: «والطيرُ» بالرفع ردّاً على الجبال، أي: أوّبي أنت والطيرُ. وكان داود إذا نادى بالناحية أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه، فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك.

وقيل: كان داود إذا تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح.

وقيل: كان داود عليه السلام إذا لحقه فتور أسمعه الله تسبيح الجبال تنشيطاً له[1].

٨٧/أ ﴿وألنّا له الحديد﴾، حتى / كان الحديد في يده كالشمع والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة.

وكان سبب ذلك على ما روي في الأخبار: أن داود عليه السلام لما ملك بني إسرائيل كان من عادته أن يخرج للناس متنكراً، فإذا رأى رجلاً لا يعرفه تقدم إليه وسأله عن داود ويقول له: ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو؟ فيثنون عليه، ويقولون خيراً، فقيض الله له مَلَكاً في صورة آدمي، فلما رآه داود تقدم إليه على عادته فسأله، فقال المَلَك: نعم الرجل هو لولا خصلة فيه، فراع داود ذلك وقال: ما هي ياعبد الله؟ قال: إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال، قال فتنبه لذلك وسأل الله أن يسبب له سبباً يستغني به عن بيت المال، فيتقوت منه ويطعم عياله، فألان الله تعالى له الحديد وعلمه صنعة الدرع، وإنه أول من اتخذها[2].

ويقال: إنه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم، فيأكل ويطعم منها عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين.

ويقال إنه كان يعمل كل يوم درعاً يبيعها بستة آلاف درهم، فينفق ألفين منها على نفسه وعياله، ويتصدق بأربعة آلاف على فقراء بني إسرائيل[3]، قال رسول الله ﷺ: «كان داود عليه السلام لا يأكل إلاّ من عمل يده»[4].

﴿أنِ اعملْ سابغاتٍ﴾، دروعاً كوامل واسعات طوالاً تسحب في الأرض، ﴿وَقدِّرْ في السرد﴾، والسرد نسج الدروع، يقال لصانعه: السراد والزراد، يقول: قدر المسامير في حلق الدرع

---

(١) انظر: القرطبي ١٤/٢٦٥-٢٦٦.

(٢) ذكره ابن كثير: ٣/٥٢٨.

(٣) أخرجه ابن كثير: ٣/٥٢٨، والسيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٧٦ وهو ضعيف.

(٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري في البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده: ٤/٣٠٣، والمصنف في شرح السنة: ٨/٦.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

أي: لا تجعل المسامير دقاقاً فتفلت ولا غلاظاً فتكسر الحلق، ويقال: «السرد» المسمار في الحلقة، يقال: درع مسرودة أي: مسمورة الحلق، وقدر في السرد اجعله على القصدِ وقدرِ الحاجة، ﴿**واعملوا صالحاً**﴾، يريد: داودَ وآله، ﴿**إني بما تعملون بصير**﴾.

﴿**ولسليمان الريحَ**﴾، أي: وسخرنا لسليمان الريح، وقرأ أبو بكر عن عاصم: الريح بالرفع أي: له تسخير الريح، ﴿**غُدُوُّها شهرٌ وَرَوَاحُهَا شهرٌ**﴾، أي: سير غُدوٍّ تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر، وسير رواحها مسيرة شهر، وكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين.

قال الحسن: كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر، ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع.

وقيل: إنه كان يتغذى بالري ويتعشى بسمرقند[١].

﴿**وأسَلْنَا له عينَ القِطْرِ**﴾، أي: أذَبْنا له عين النحاس، و«القِطْرُ»: النحاس.

قال أهل التفسير: أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وكان بأرض اليمن، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان[٢].

﴿**ومن الجنِّ مَنْ يعملُ بينَ يديه بإذنِ ربِّه**﴾، بأمر ربه، قال ابن عباس: سخر الله الجن لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، ﴿**ومن يزغ**﴾، أي: يعدل، ﴿**منهم**﴾، من الجن، ﴿**عن أمرنا**﴾، الذي أمرنا به من طاعة سليمان، ﴿**نذقه من عذاب السعير**﴾، في الآخرة، وقال بعضهم: في الدنيا وذلك أن الله عزّ وجلّ وكّل بهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته.

﴿**يعملون له ما يشاء من محاريب**﴾، أي: مساجد، والأبنية المرتفعة، وكان مما عملوا له بيت المقدس ابتدأه داود ورفعه قدر قامة رجل، فأوحى الله إليه إني لم أقض ذلك على يدك ولكن ابنٌ

---

(١) انظر فيما سبق تفسير سورة الأنبياء.

(٢) هذا القول ملفق من روايتين ذكرهما ابن كثير: ٥٢٩/٣، السيوطي في الدر المنثور: ٦٧٨/٦.

لك أملّكه بعدك اسمه سليمان أقضي تمامه على يده، فلما توفاه الله استخلف سليمان فأحب إتمام بناء بيت المقدس، فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخصّ كل طائفة منهم بعمل يستخلصها له، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض من معادنه، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح، وجعلها اثنى عشر ربضاً، وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط، وكانوا اثنى عشر سبطاً، فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه[1] الشياطين فرقاً فرقاً يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر، وفرقاً يقلعون الجواهر والحجارة من أماكنها، وفرقاً يأتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من أماكنها، فأتى من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله عزّ وجلّ، ثم أحضر الصناعين وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحاً وإصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلىء، فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت وسائر الجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه لله عزّ وجلّ، وأن كل شيء فيه خالص لله، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً .

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنين، وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة، سأل حكماً يصادف حكمه، فأعطاه إيّاه وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه إيّاه، وسأله أن لا يأتي هذا البيت أحد يصلي فيه ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك»[2] .

قالوا: فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد، وأخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر، فحمله إلى دار مملكته من أرض العراق، وبنى الشياطين لسليمان باليمن حصوناً كثيرة [عجيبة][3] من الصخر .

---

(١) في «ب» مفرّق .

(٢) أخرجه ابن ماجه في الإقامة، باب: ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس: ٤٥٢/١ قال: (وأن لا يأتي هذا المسجد) في الزوائد: اقتصر أبو داود على طرفه الأول من هذا الوجه دون هذه الزيادة. ورواه النسائيّ في الصغرى من هذا الوجه عن عمرو بن منصور، عن أبي مسهر عن سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن بريد، عن أبي إدريس الخولاني عن ابن الديلمي به. وإسناد طريق ابن ماجه ضعيف، لأن عبيد الله ابن الجهم لا يعرف حاله، وأيوب بن سويد متفق على ضعفه .

(٣) زيادة من «ب» .

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿**وتماثيل**﴾، أي: كانوا يعملون له تماثيل، أي: صوراً من نحاس وصُفْر وشبة وزجاج ورخام. وقيل: كانوا يصورون السباع والطيور. وقيل: كانوا يتخذون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة، ولعلها كانت مباحة في شريعتهم، كما أن عيسى كان يتخذ صوراً من الطين فينفخ فيها فتكون طيراً [بإذن الله][1] .

٨٧/ب ﴿**وجِفانٍ**﴾، أي: قصاع واحدتها جفنة /، ﴿**كالجَوَابِ**﴾، كالحياض التي يجبى فيها الماء، أي: يجمع، واحدتها جابية، يقال: كان يعقد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها ﴿**وقدور راسيات**﴾ ثابتات لها قوائم لا يحركن عن أماكنها لعظمهن، ولا ينزلن ولا يعطّلن، وكان يصعد عليها بالسلالم، وكانت باليمن .

﴿**اعملوا آلَ داودَ شكراً**﴾، أي: وقلنا اعملوا آل داود شكراً، مجازه: اعملوا يا آل داود. بطاعة الله شكراً له على نعمه .

﴿**وقليلٌ من عبادي الشكور**﴾، أي: العامل بطاعتي شكراً لنعمتي .

قيل: المراد من «آل داود» هو داود نفسه. وقيل: داود وسليمان وأهل بيته .

وقال جعفر بن سليمان: سمعت ثابتاً يقول: كان داود نبي الله عليه السلام قد جزّأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي[2] .

﴿**فلما قضينا عليه الموت**﴾، أي: على سليمان .

قال أهل العلم: كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه، فأدخله في المرة التي مات فيها، وكان بدء ذلك أنه كان لا يصبح يوماً إلا نبتت في محراب بيت المقدس شجرة، فيسألها: ما اسمك؟ فتقول: اسمي كذا، فيقول: لأي شيء أنت؟ فتقول: لكذا وكذا، فيأمر بها فتقطع، فإن كانت نبتت لغرس غرسها، وإن كانت لدواء كتب، حتى نبتت الخروبة، فقال لها: ما أنت؟ قالت: الخروبة، قال: لأي شيء نَبَتِّ؟ قالت: لخراب مسجدك، فقال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حي، أنت التي على

---

(١) زيادة ليست في الأصل .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٨٠ لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن ثابت البناني .

وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ! فنزعها وغرسها في حائط له، ثم قال: اللهم عمِّ على الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما في غد، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات قائماً وكان للمحراب كُوًى بين يديه وخلفه، فكانت الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته، وينظرون إليه يحسبون أنه حي، ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك، فمكثوا يدأبون له بعد موته حولاً كاملاً حتى أكلت الأَرَضَةُ عصا سليمان، فخرّ ميتاً فعلموا بموته[1] .

قال ابن عباس: فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب[2]، فذلك قوله: ﴿**ما دلّهم على موته إلا دابّة الأرض**﴾، وهي الأَرَضَة ﴿**تأكل مِنسَأتَهُ**﴾، يعني: عصاه، قرأ أهل المدينة، وأبو عمرو: «منساته» بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز، وهما لغتان، ويسكن ابن عامر الهمز، وأصلها من: نسأت الغنم، أي: زجرتها وسقتها، ومنه: نسأ الله في أجله، أي: أخّره .

﴿**فلما خرّ**﴾، أي: سقط على الأرض، ﴿**تبينت الجن**﴾، أي: علمت الجن وأيقنت، ﴿**أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين**﴾، أي: في التعب والشقاء مسخّرين لسليمان وهو ميت يظنونه حياً، أراد الله بذلك أن يُعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب، لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب، لغلبة الجهل. وذكر الأزهري: أن معنى «تبينت الجن»، أي: ظهرت وانكشفت الجن للإنس، أي: ظهر أمرهم أنهم لا يعلمون الغيب، لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك، وفي قراءة ابن مسعود، وابن عباس: تبينت الإنس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، أي: علمت الإنس وأيقنت ذلك .

وقرأ يعقوب: «تبينت» بضم التاء وكسر الياء [أي: أعلمت الإنس الجن، ذكر بلفظ مالم يسم فاعله، و«تبيَّن» لازم ومتعد][3] .

وذكر أهل التاريخ أن سليمان كان عمره ثلاثاً وخمسين سنة، ومدة ملكه أربعون سنة، وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه .

---

(١) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٨٢/٦-٦٨٣ لابن أبي حاتم. قال ابن كثير: ٥٣٠/٣: «وفي رفعه غرابة ونكارة والأقرب أن يكون موقوفاً وعطاء بن أبي مسلم الخراساني له غرابات، وفي بعض حديثه نكارة» .

(٢) ذكره ابن كثير: ٥٣١/٣ وقال: «وهذا الأثر والله أعلم إنما هو مما تلقي من علماء أهل الكتاب وهي وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق، والباقي لا يصدق ولا يكذب» .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿لقد كان لسبإٍ في مسكنهم﴾، روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك العُطيفي، قال: قال رجل: يارسول الله أخبرني عن سبأ كان رجلاً أو امرأة أو أرضاً؟ قال: «كان رجلاً من العرب وله عشرة من الولد، تيامن منهم ستة، وتشاءم أربعة، فأما الذين تيامنوا: فكندة، والأشعريون، وأزد، ومذحج، وأنمار، وحمير، فقال رجل: وما أنمار؟ قال الذين منهم خثعم وبجيلة : وأما الذين تشاءموا: فعاملة، وجذام، ولخم، وغسان، وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان»(١) .

﴿في مسكنهم﴾، قرأ حمزة، وحفص: «مسكنهم» بفتح الكاف، على الواحد، وقرأ الكسائيّ بكسر الكاف، وقرأ الآخرون: «مساكنهم» على الجمع، وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن، ﴿آية﴾، دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا، ثم فسر الآية فقال: ﴿جنتان﴾، أي: هي جنتان بستانان، ﴿عن يمين وشمال﴾، أي: عن يمين الوادي وشماله. وقيل: عن يمين من أتاهم وشماله، وكان لهم وادٍ قيل أحاطت الجنتان بذلك الوادي ﴿كلوا﴾، أي: وقيل لهم كلوا، ﴿من رزق ربكم﴾، يعني: من ثمار الجنتين، قال السديّ ومقاتل: كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلىء مكتلها من أنواع الفواكه من غير أن تمس شيئاً بيدها(٢)، ﴿واشكرُوا له﴾، أي: على ما رزقكم من النعمة، والمعنى: اعملوا بطاعته، ﴿بلدةٌ طيبةٌ﴾، أي: أرض سبأ بلدة طيبة ليست بسبخة، قال ابن زيد: لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وكان الرجل يمرّ ببلدهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهواء(٣)، فذلك قوله تعالى: ﴿بلدة طيبة﴾، أي: طيبة الهواء، ﴿وربٌّ غفور﴾، قال مقاتل: وربُّكم إنْ شكرتموه فيما رزقكم ربٌّ غفور للذنوب .

﴿فأعرضوا﴾، قال وهب: فأرسل الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبياً فدعوهم إلى الله وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه. فكذبوهم، وقالوا: ما نعرف لله عزّ وجلّ علينا نعمة فقولوا لربكم

(١) أخرجه أبو داود في الحروف: ٨/٦ مختصراً، والترمذي في التفسير: ٩/٨٨-٨٩ وقال: «هذا حديث غريب حسن» والحاكم: ٢/٢٢٤، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٨٦-٦٨٧ أيضاً لعبد بن حميد والبخاري في التاريخ وابن المنذر وابن مردويه. وانظر: مجمع الزوائد: ٧/٩٤٠ .

(٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٧٧ لكن عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٨٧ لعبد بن حميد عن قتادة أيضاً .

(٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٧٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٨٧ لابن أبي حاتم .

فليحبس هذه النعم عنّا إن استطاع[1]، فذلك قوله تعالى: ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيلَ العَرِمِ﴾
/، و«العرم»: جمع عرمة، وهي السِّكر الذي يحبس به الماء. ٨٨/أ

وقال ابن الأعرابي: «العرم» السيل الذي لا يطاق، وقيل: كان ماء أحمر، أرسله الله عليهم من حيث شاء، وقيل: «العرم»: الوادي، وأصله من العرامة، وهي الشدة والقوة.

وقال ابن عباس، ووهب، وغيرهما: كان ذلك السدّ بنته بلقيس، وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم، فأمرت بواديهم فسدّ بالعرم، وهو المُسنّاة بلغة حمير، فسدت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء، وإذا استغنوا سدوها، فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن، فاحتبس السيل من وراء السدّ فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك، فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذاً يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرَّق الماء جناتهم وخرب أرضهم[2].

قال وهب: وكان مما يزعمون ويجدون في علمهم وكهانتهم أنه يخرب سدهم فأرة، فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما أراد الله عزّ وجلّ بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء كبيرة إلى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة، فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد فنقبت وحفرت حتى أوهنته للسيل، وهم لا يدرون بذلك فلما جاء السيل وجد خللاً فدخل فيه حتى قطع السد، وفاض على أموالهم فغرّقها ودفن بيوتهم الرمل، ففرقوا وتمزقوا حتى صاروا مثلاً عند العرب، يقولون: صار بنو فلان أيدي سبأ وأيادي سبأ، أي: تفرقوا وتبددوا، فذلك قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم سيل العَرِمِ﴾[3].

﴿وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أُكل خمْطٍ﴾، قرأ العامة بالتنوين، وقرأ أهل البصرة: «أُكلِ خمطٍ» بالإضافة، الأُكُل: الثمر، والخمط: الأراك وثمره يقال له: البرير، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال المبرد والزجاج: كل نبت قد أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو خمط[4].

(١) ذكره الطبري: ٧٨/٢٢.
(٢) ذكره الطبري: ٧٩/٢٢.
(٣) أخرج الطبري جزءاً منه: ٧٩/٢٢.
(٤) انظر: لسان العرب مادة (خمط) ٢٩٦/٧.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

وقال ابن الأعرابي: الخمط: ثمر شجرة يقال له فسوة الضبع، على صورة الخشخاش يَتَفَرَّكُ ولا يُنتفعُ به، فمن جعل الخمط اسماً للمأكول فالتنوين في «أُكُل» حسن، ومن جعله أصلاً وجعل الأُكل ثمرة فالإضافة فيه ظاهرة، والتنوين سائغ، تقول العرب: في بستان فلان أعناب كرم، يترجم الأعناب بالكرم لأنها منه.

﴿وأثْلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليل﴾، فالأثل هو الطرفاء، وقيل: هو شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه، والسدر شجر معروف، وهو شجر النبق ينتفع بورقه لغسل الرأس ويغرس في البساتين، ولم يكن هذا من ذلك، بل كان سدراً برياً لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء.

قال قتادة: كان شجر القوم من خير الشجر فصيّره الله من شر الشجر بأعمالهم.

﴿ذلك جزيناهم بما كفروا﴾، أي: ذلك الذي فعلنا بهم جزيناهم بكفرهم، ﴿وهل نجازي إلاّ الكفور﴾، قرأ حمزة، والكسائي، وحفص، ويعقوب: «وهل نجازِي» بالنون وكسر الزاي، «الكفورَ» نصب لقوله: «ذلك جزيناهم»، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الزاي، «الكفورُ» رفع، أي: وهل يجازي مثل هذا الجزاء إلاّ الكفور.

وقال مجاهد: يجازي أي: يعاقب. ويقال في العقوبة: يجازي، وفي المثوبة يجزي.

قال مقاتل: هل يكافأ بعمله السيء إلا الكفور لله في نعمه.

قال الفراء: المؤمن يُجزى ولا يجازى، أي: يجزى للثواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته.

﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها﴾ بالماء والشجر، هي قرى الشام، ﴿قرىً ظاهرة﴾، متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام.

وقيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام.

﴿وقدرنا فيها السير﴾، أي: قدرنا سيرهم بين هذه القرى، وكان مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، [فإذا ساروا نصف يوم][1] وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠﴾

وقال قتادة: كانت المرأة تخرج ومعها مغزلها، وعلى رأسها مكتلها فتمتهن بمغزلها فلا تأتي بيتها حتى يمتلىء مكتلها من الثمار، وكان ما بين اليمن والشام كذلك[1].

﴿سيروا فيها﴾، أي: وقلنا لهم سيروا فيها، وقيل: هو أمر بمعنى الخبر أي: مكناهم من السير فكانوا يسيرون فيها، ﴿ليالي وأياماً﴾، أي: بالليالي والأيام أيّ وقت شئتم، ﴿آمنين﴾، لا تخافون عدواً ولا جوعاً ولا عطشاً، فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية، وقالوا: لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهيه.

﴿فقالوا ربنا باعِدْ بين أسفارنا﴾، فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزوّد الأزواد، فعجل الله لهم الإجابة. وقال مجاهد: بطروا النعمة وسئموا الراحة.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بعِّد بالتشديد من التبعيد، وقرأ الآخرون: باعد، بالألف، وكلٌّ على وجه الدعاء والسؤال، وقرأ يعقوب: «ربُّنا» برفع الباء، «باعَدَ» بفتح العين والدال على الخبر، كأنهم استبعدوا أسفارهم القريبة بطروا وأشروا.

﴿وظلموا أنفسهم﴾، بالبطر والطغيان. ﴿فجعلناهم أحاديث﴾، عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم، ﴿ومزقناهم كل ممزّق﴾، فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق. قال الشعبي: لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد، أما غسان فلحقوا بالشام ومرَّ الأزد إلى عمان، وخزاعة إلى تهامة، ومرَّ آل خزيمة إلى العراق، والأوس والخزرج إلى يثرب، وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر، وهو جدّ الأوس والخزرج.

﴿إن في ذلك لآيات﴾، لعبراً ودلالات، ﴿لكل صبار﴾، عن معاصي الله، ﴿شكور﴾، لأنعمه،
٨٨/ب قال مقاتل: يعني / المؤمن من هذه الأمة صبورٌ على البلاء شاكرٌ للنعماء. قال مطرف: هو المؤمن إذا أُعطِي شكر وإذا ابْتُلِي صبر.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه﴾، قرأ أهل الكوفة: «صدَّق» بالتشديد أي: ظن فيهم ظناً حيث قال: «فبعزتك لأغوينّهم أجمعين» (ص ٨٢)، «ولا تجد أكثرهم شاكرين» (الأعراف ١٧)

---

(١) انظر فيما سبق قوله تعالى: ﴿كلوا من رزق ربكم﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: صدق عليهم في ظنه بهم، أي: على أهل سبأ. وقال مجاهد: على الناس كلهم إلا من أطاع الله، ﴿**فاتّبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين**﴾، قال السدي عن ابن عباس: يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين، وقد قال الله تعالى : «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان» (الحجر ـ ٤٢)، يعني: المؤمنين. وقيل: هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه .

قال ابن قتيبة: إن إبليس لما سأل النظرة فأنظره الله، قال لأغوينّهم ولأضلنّهم، لم يكن مستيقناً وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظناً، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم .

قال الحسن: إنه لم يسلّ عليهم سيفاً ولا ضربهم بسوط وإنما وعدهم ومنّاهم فاغتروا[1] .

قال الله تعالى : ﴿**وما كان له عليهم من سلطان**﴾، أي: ما كان تسليطنا إياه عليهم، ﴿**إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك**﴾، أي: إلا لنعلم، لنرى ونميز المؤمن من الكافر، وأراد علم الوقوع والظهور، وقد كان معلوماً عنده بالغيب، ﴿**وربّك على كل شيء حفيظ**﴾، رقيب .

﴿**قل**﴾، يامحمد لكفار مكة، ﴿**ادعوا الذين زعمتم**﴾، أنهم آلهة، ﴿**من دون الله**﴾، وفي الآية حذف، أي: ادعوهم ليكشفوا الضرّ الذي نزل بكم في سني الجوع، ثم وصفها فقال: ﴿**لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض**﴾، من خير وشر ونفع وضر ﴿**وما لهم**﴾، أي: للآلهة، ﴿**فيهما**﴾، في السموات والأرض، ﴿**من شرك**﴾، شركة، ﴿**وما له**﴾، أي: وما لله، ﴿**منهم من ظهير**﴾، عون .

﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾، الله في الشفاعة، قاله تكذيباً لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله في أن يشفع له، وقرأ أبو عمرو

---

(١) انظر: ابن كثير: ٣/٥٣٦، الدر المنثور: ٦/٦٩٥-٦٩٦ .

وحمزة والكسائي: ﴿أُذن﴾ بضم الهمزة .

﴿حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم﴾، قرأ ابن عامر، ويعقوب بفتح الفاء والزاي، وقرأ الآخرون بضم الفاء وكسر الزاي أي: كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم، فالتفزيع إزالة الفزع كالتمريض والتفريد .

واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة، فقال قوم: هم الملائكة، ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم: إنما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عزّ وجلّ. وروينا عن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم ﴿قالوا: ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾»[(١)] .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، قال: أنبأني محمد بن الفضل بن محمد، أخبرنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، أخبرنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري، أخبرنا نعيم بن حماد، أخبرنا أبو الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي زكريا، عن رجاء بن حيوة، عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أوقال: رعدة شديدة خوفاً من الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرّ جبريل على الملائكة كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا ياجبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله»[(٢)] .

وقال بعضهم إنما يفزعون حذراً من قيام الساعة .

قال مقاتل والكلبي والسدي: كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، خمسمائة وخمسين سنة، وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحياً، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالرسالة فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة، لأن محمداً ﷺ عند أهل السموات من أشراطِ الساعة، فصعقوا مما سمعوا خوفاً من قيام الساعة، فلما انحدر جبريل جعل يمرّ بأهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: قال الحق[(٣)]، يعني الوحي، وهو العلي الكبير .

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير ـ تفسير سورة الحجر ـ ٨/٣٨٠ .

(٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٩١، وابن خزيمة في «التوحيد وآيات الصفات» ص (٩٥)، الطبعة المنيرية، والبيهقي في الأسماء والصفات: ١/٣٢٦ وابن أبي عاصم في السنة: ١/٢٢٧، وقال الهيثمي في المجمع: ٧/٩٥ «رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان ابن صالح، وقد وُثّق، وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات»، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة»: ١/٢٢٧.

(٣) انظر: ابن كثير: ٣/٥٣٨، زاد المسير: ٦/٤٥٣ .

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وقال جماعة: الموصوفون بذلك المشركون.

قال الحسن وابن زيد: حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم إقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا؟ قالوا: الحق، فأقروا به حين لم ينفعهم الإقرار[1].

قوله تعالى: ﴿**قل من يرزقكم من السموات والأرض**﴾، فالرزق من السموات: المطر، ومن الأرض: النبات، ﴿**قل الله**﴾، أي: إن لم يقولوا رازقنا الله فقل أنت إن رازقكم هو الله، ﴿**وإنا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾، ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج، كما يقول القائل للآخر: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب.

والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال، فالنبي ﷺ ومن اتبعه على الهدى، ومن خالفه في ضلال، فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب.

وقال بعضهم: «أو» بمعنى الواو، والألف فيه صلة، كأنه قال: وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، يعني: نحن على الهدى وأنتم في الضلال.

﴿**قل لا تُسئلون عمّا أجرمنا ولا نُسئل عمّا تعملون**﴾.

﴿**قل يجمع بيننا ربنا**﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿**ثم يفتح**﴾، يقضي، ﴿**بيننا بالحق وهو الفتاح العليم**﴾.

﴿**قل أروني الذين ألحقتم به شركاء**﴾، أي: أعلموني الذين ألحقتموهم به، أي: بالله، شركاء في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون، ﴿**كلا**﴾، لا يخلقون ولا يرزقون، ﴿**بل هو الله العزيز**﴾، الغالب على أمره، ﴿**الحكيم**﴾ في تدبيره لخلقه فأنى يكون له شريك في ملكه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾، يعني: للناس عامة أحمرهم وأسودهم، ﴿**بشيراً ونذيراً**﴾، أي: مبشراً ومنذراً، ﴿**ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون**﴾، وروينا عن جابر أن النبي ﷺ

---

(١) انظر: زاد المسير: ٤٥٣/٦.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ
لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ
بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟
أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ

٨٩/أ قال: «كان النبي يبعث إلى قومه / خاصّة وبعثت إلى الناس عامة»[1].

وقيل: كافة أي: كافاً يكفهم عمّا هم عليه من الكفر، والهاء للمبالغة.

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾، يعني القيامة.

﴿قل لكم ميعاد يوم لا تستأخِرُون عنه ساعةً ولا تستقدمون﴾، أي: لا تتقدمون عليه يعني يوم القيامة، وقال الضحاك: يوم الموت لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون بأن يزاد في أجلكم أو ينقص منه.

﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾، يعني: التوراة والإنجيل، **﴿ولو ترى﴾**، يامحمد، **﴿إذ الظالمون موقوفون﴾**، محبوسون، **﴿عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾**، يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدال، **﴿يقول الذين استُضْعِفوا﴾**، استحقروا وهم الأتباع، **﴿للذين استكبروا﴾**، وهم القادة والأشراف، **﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾**، أي: أنتم منعتمونا عن الإيمان بالله ورسوله.

﴿قال الذين استكبروا﴾، أجابهم المتبوعون في الكفر، **﴿للذين استُضْعِفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذْ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾**، بترك الإيمان.

﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾، أي: مكركم بِنَا في الليل

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في التيمم: ١/٤٣٥-٤٣٦ وفي المساجد، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم: (٥٢١) ١/٣٧٠-٣٧١، والمصنف في شرح السنة: ١٣/١٩٦.

بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي
أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ
أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

والنهار، والعرب تضيف الفعل إلى الليل والنهار على توسع الكلام، كما قال الشاعر :

وَنِمْتُ وَمَا لَيْلُ المَطِيِّ بِنَائِمِ(١)

وقيل: مكر الليل والنهار هو طول السلامة وطول الأمل فيهما، كقوله تعالى : «فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم» (الحديد ــ ١٦) .

﴿**إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا**﴾، أظهروا ﴿**الندامة**﴾، وقيل: أخفوا، وهو من الأضداد، ﴿**لمّا رأوُا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا**﴾، في النار الأتباع والمتبوعين جميعاً. ﴿**هل يجزون إلا ما كانوا يعملون**﴾ من الكفر والمعاصي في الدنيا .

﴿**وما أرسلنا في قرية من نذير إلاّ قال مترفوها**﴾، رؤساؤها وأغنياؤها، ﴿**إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾ .

﴿**وقالوا**﴾، يعني: قال المترفون للفقراء الذين آمنوا : ﴿**نحن أكثر أموالاً وأولاداً**﴾، ولو لم يكن الله راضياً بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ﴿**وما نحن بمعذبين**﴾، أي: إن الله أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا .

﴿**قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**﴾،يعني: أن الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاءً وامتحاناً

(١) هذا عجز بيت لجرير بن عطية الخطفي، الشاعر الإسلامي، وصوره :

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت...

وهو من شواهد الطبري أيضاً: (٩٨/٢٢)، استشهد به على أنك تقول: يافلان نهارك صائم، وليلك قائم، فتسند الصيام والقيام إلى الليل والنهار، إسناداً مجازياً عقلياً، والأصل فيه أن يسند الصيام والقيام للرجل لا للزمان، ذلك من باب التوسع المجازي، فالعلاقة هنا الزمانية... (من تعليق المحقق على الطبري) .

قال الفراء في معاني القرآن: (٣٦٣/٢): «المكر ليس لليل ولا للنهار إنما المعنى: بل مكركم بالليل والنهار. وقد يجوز أن نضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونا كالفاعلين، لأن العرب تقول: نهارك صائم وليلك قائم ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار، وهو في المعنى للآدميين، كما تقول العرب: نام ليلك، وعزم الأمر، إنما عَزَمَهُ القوم. فهذا مما يعرف معناه، فتتسع به العرب» .

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ
فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ
ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ
خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾

لا يدل البسط على رضا الله عنه ولا التضييق على سخطه، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، أنها كذلك.

﴿وما أموالكم ولا أودلاكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾، أي: قربى، قال الأخفش: «قربى» اسم مصدر كأنه قال بالتي تقربكم عندنا تقريباً، ﴿إلاّ من آمن﴾، يعني: لكن من آمن، ﴿وعمل صالحاً﴾، قال ابن عباس: يريد إيمانه وعمله يقربه مني، ﴿فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا﴾، أي: يضعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشر إلى سبعمائة قرأ يعقوب: «جزاء» منصوباً منوناً «الضعف» رفع، تقديره: فأولئك لهم الضعف جزاء، وقرأ العامة بالإضافة، ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾، قرأ حمزة: «في الغُرفة» على واحدة، وقرأ الآخرون بالجمع لقوله: «لنبوأنّهم من الجنة غُرفاً» (العنكبوت ـ ٥٨).

﴿والذين يسعون﴾، يعملون، ﴿في آياتنا﴾، في إبطال حجتنا، ﴿معاجزين﴾، معاندين يحسبون أنهم يُعجزوننا ويفوتوننا، ﴿أولئك في العذاب محضرون﴾.

﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يُخلفه﴾، أي: يعطي خَلَفَه، قال سعيد بن جبير: ما كان في غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه.

وقال الكلبي: ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم في الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق، إمّا أن يعجله في الدنيا وإمّا أن يدخره له في الآخرة.

﴿وهو خير الرازقين﴾، خير من يعطي ويرزق.

وروينا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: أَنفِقْ أُنفق عليك»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب: «يريدون أن يبدلوا كلام الله» ١٣/٤٦٤، ومسلم في الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف برقم: (٩٩٣) ٢/٦٩٠-٦٩١، والمصنف في شرح السنة: ٦/١٥٤.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إسماعيل، حدثنا أُبي، عن سليمان هو ابن بلال، عن معاوية بن أبي مزرد، عن أبي الحبحاب، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلاّ ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً»[1].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا ابن أبي أويس، أخبرنا عبد العزيز بن محمد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصتْ صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلاّ عزاً، وما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله»[2].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد ابن زنجويه، أخبرنا أبو الربيع، أخبرنا عبدالحميد بن الحسن الهلالي، أخبرنا محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كُتب له صدقة، وما وقى الرجل به عرضه كتب له بها صدقة»، قلت: ما يعني وقى الرجل عرضه؟ قال: «ما أعطى الشاعر وذا اللسان للمتقى، وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خَلَفُها ضامناً إلاّ ما كان من نفقة في بنيان أو في معصية الله عزّ وجلّ»[3].

قوله: «قلت ما يعني» يقول عبد الحميد لمحمد بن المنكدر.

قال مجاهد: إذا كان في يَدِ أحدكم شيء فليقتصد، ولا يتأول هذه الآية: «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه»، فإن الرزق مقسوم[4] لعلّ رزقه قليل، وهو ينفق نفقة الموسع عليه. ومعنى الآية: وما كان من خلف فهو منه.

---

(١) أخرجه البخاري في الزكاة، باب: قول الله تعالى: «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى» ٣٠٤/٣، ومسلم في الزكاة باب: في المنفق والممسك برقم: (١٠١٠) ٧٠٠/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٥٥/٦-١٥٦.

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع برقم: (٢٥٨٨) ٢٠٠١/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٣٣/٦.

(٣) أخرجه الدارقطني: ٢٨/٣، وعبد بن حميد في المنتخب برقم (١٠٨٣) ص (٣٢٧)، وصححه الحاكم: ٥٠/٢ فتعقبه الذهبي بقوله: «عبدالحميد بن الحسن الهلالي ضعفه الجمهور»، وابن عدي في الكامل: ١٢٥٤/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٤٦/٦، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٨٩٨): ٣٠١/٢، وقال: «لكن الجملتان الأوليان من الحديث صحيحتان لأن لهما شواهد كثيرة في الصحيحة وغيرها».

(٤) ذكره ابن كثير: ٥٤٣/٣.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى : ﴿ويوم يحشرهم﴾، قرأ يعقوب وحفص: «يحشرهم»، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿جميعاً﴾، يعني:هؤلاء الكفار، ﴿ثم نقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون﴾، في الدنيا، قال قتادة: هذا استفهام تقرير، كقوله تعالى لعيسى: «أأنتَ قلتَ للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله» (مريم ــ ١١٦)، فتتبرأ منهم الملائكة .

﴿قالوا سبحانك﴾، تنزيهاً لك، ﴿أنت ولينا من دونهم﴾، أي: نحن نتولاك ولا نتولاهم، ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾، يعني: الشياطين، فإن قيل لهم كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله: ﴿يعبدون الجن﴾، قيل: أراد الشياطين / زينوا لهم عبادة الملائكة، فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة، فقوله ﴿يعبدون﴾ أي: يطيعون الجن، ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾، يعني: مصدقون للشياطين . ٨٩/ب

ثم يقول الله : ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً﴾، بالشفاعة، ﴿ولا ضرًّا﴾ بالعذاب، يريد أنهم عاجزون، لا نفع عندهم ولا ضر، ﴿ونقول للذين ظلموا ذُوقُوا عذابَ النار التي كنتم بها تكذبون﴾ .

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قالوا ما هذا﴾، يعنون محمداً ﷺ، ﴿إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلاّ إفكٌ مفترى﴾، يعنون القرآن، ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إنْ هذا إلاّ سحر مبين﴾، أي: بيّن .

﴿وما آتيناهم﴾، يعني: هؤلاء المشركين، ﴿من كتب يدرسونها﴾، يقرؤونها، ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾، أي: لم يأت العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب .

وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ
تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ
شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

﴿**وكذب الذين من قبلهم**﴾، من الأمم رسلنا، وهم: عاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط وغيرهم، ﴿**وما بلغوا**﴾ يعني: هؤلاء المشركين، ﴿**معشار**﴾، أي: عُشر، ﴿**ما آتيناهم**﴾، أي: أعطينا الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر، ﴿**فكذبوا رسلي فكيف كان نكير**﴾، أي: إنكاري وتغييري عليهم، يُحذّر كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية .

﴿**قل إنما أعظكم بواحدة**﴾، آمركم وأوصيكم بواحدة، أي: بخصلة واحدة، ثم بيّن تلك الخصلة فقال: ﴿**أن تقوموا لله**﴾ لأجل الله، ﴿**مثنى**﴾، أي: اثنين اثنين، ﴿**وفرادى**﴾، أي: واحداً واحداً، ﴿**ثم تتفكروا**﴾، جميعاً أي: تجتمعون فتنظرون وتتحاورون وتنفردون، فتفكرون في حال محمد ﷺ فتعلموا، ﴿**ما بصاحبكم من جنّة**﴾، جنون، وليس المراد من القيام القيامَ الذي هو ضد الجلوس، وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق، كقوله : «وأن تقوموا لليتامى بالقسط» (النساء ــ ١٢٧). ﴿**إنْ هو**﴾، ما هو، ﴿**إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد**﴾، قال مقاتل: تم الكلام عند قوله: «ثم تتفكروا» أي: في خلق السموات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له، ثم ابتدأ فقال: «ما بصاحبكم من جنة» .

﴿**قل ما سألتكم عليه**﴾، على تبليغ الرسالة، ﴿**من أجر**﴾، جُعْل ﴿**فهو لكم**﴾، يقول: قل لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً فتتهموني، ومعنى قوله: «فهو لكم» أي: لم أسألكم شيئاً كقول القائل: ما لي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء، ﴿**إنْ أجري**﴾، ما ثوابي، ﴿**إلاّ على الله وهو على كل شيء شهيد**﴾ .

﴿**قل إنّ ربي يقذف بالحق**﴾، والقذف الرمي بالسهم والحصى، والكلام، ومعناه: يأتي بالحق وبالوحي ينزله من السماء فيقذفه إلى الأنبياء، ﴿**علاّمُ الغيوب**﴾، رفع بخبر أن، أي: وهو علام الغيوب .

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى
وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟
فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ
مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾

﴿قُلْ جاء الحق﴾، يعني: القرآن والإسلام، ﴿وما يُبدىء الباطل وما يُعيد﴾، أي: ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدىء شيئاً أو يعيد، كما قال تعالى : «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه» (الأنبياء ـ ٤٨)، وقال قتادة: «الباطل» هو إبليس، وهو قول مقاتل والكلبي، وقيل: «الباطل»: الأصنام .

﴿قُلْ إنْ ضللت فإنّما أضلّ على نفسي﴾، وذلك أن كفار مكة كانوا يقولون له: إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك، فقال الله تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾، أي: إثم ضلالتي على نفسي، ﴿وإنِ اهتديتُ فبما يُوحي إليّ ربي﴾، منَ القرآن والحكمة، ﴿إنه سميع قريب﴾ .

﴿ولو ترى إذ فَزِعُوا﴾، قال قتادة عند البعث حين يخرجون من قبورهم، ﴿فلا فَوْتَ﴾، أي: فلا يفوتونني كما قال : «ولاَتَ حينَ مناص» (ص ـ ٣)، وقيل: إذ فزعوا فلا فوت ولا نجاة، ﴿وأُخذوا من مكان قريب﴾، [قال الكلبي من تحت أقدامهم، وقيل: أُخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها، وحيثما كانوا فهم من الله قريب][(١)]، لا يفوتونه. وقيل: من مكان قريب يعني عذاب الدنيا. وقال الضحاك: يوم بدر. وقال ابن أَبزي: خسف بالبيداء[(٢)]، وفي الآية حذف تقديره: ولو ترى إذْ فزعوا لرأيتَ أمراً تعتبرُ به .

﴿وقالوا آمنا به﴾، حين عاينوا العذاب، قيل: عند اليأس. وقيل: عند البعث. ﴿وأنى﴾، من أين، ﴿لهم التناوش﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر: التناوش بالمد والهمزة، وقرأ الآخرون بواو صافية من غير مدّ ولا همز، ومعناه التناول، أي: كيف لهم تناول ما بَعُدَ عنهم، وهو الإيمان والتوبة، وقد كان قريباً في الدنيا فضيعوه، ومَنْ همز قيل: معناه هذا أيضاً .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٢) انظر: ابن كثير: ٣/٥٤٥ .

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

وقيل التناوش بالهمزة من النبش وهو حركة في إبطاء، يقال: جاء نبشاً أي: مبطئاً متأخراً، والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه، وعن ابن عباس قال: يسألون الرد إلى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد إلى الدنيا[1] .

﴿من مكان بعيد﴾، أي: من الآخرة إلى الدنيا .

﴿وقد كفروا به من قبل﴾، أي: بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ، من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة، ﴿وَيَقْذِفون بالغيب من مكان بعيدٍ﴾، قال مجاهد: يرمون محمداً بالظن لا باليقين، وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن، ومعنى الغيب: هو الظن لأنه غاب علمه عنهم، والمكان البعيد: بعدهم عن علم ما يقولون، والمعنى يرمون محمداً بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون. وقال قتادة: يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار .

﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾، أي: الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا. وقيل: نعيم الدنيا وزهرتها، ﴿كما فُعِل بأشياعهم﴾، أي: بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار، ﴿من قبل﴾، أي: لم يقبل منهم الإيمان والتوبة في وقت اليأس، ﴿إنهم كانوا في شك﴾، من البعث ونزول العذاب بهم، ﴿مُريب﴾، موقع لهم الريبة والتهمة .

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٦/٧١٥ .

سُورَةُ فَاطِرٍ

سُورَةُ فَاطِرٍ

مكية[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

﴿**الحمد لله فاطرِ السمواتِ والأرضِ**﴾، خالقها ومبدعها على غير مثال سبق، ﴿**جاعلِ الملائكة رسلاً أولي أجنحة**﴾، ذوي أجنحة ﴿**مثنى وثلاث ورُباع**﴾، قال قتادة ومقاتل: بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أجنحة، وبعضهم له أربعة أجنحة[2]، ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله، ﴿**يزيد في الخلق ما يشاء**﴾.

وقال ابن مسعود في قوله عزّ وجلّ: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» (النجم ــ ١٨)، قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح[3].

وقال ابن شهاب في قوله: «يزيد في الخلق ما يشاء» قال: حسن الصوت[4] / . ٩٠/أ

وعن قتادة قال: هو الملاحَة في العينين[5]. وقيل: هو العقل والتمييز.

﴿**إنّ الله على كل شيء قدير**﴾.

---

(١) أخرج ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت سورة فاطر بمكة، وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال: سورة الملائكة مكية. انظر: الدر المنثور: ٣/٧ .

(٢) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤/٧ أيضاً لعبدبن حميد وابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين..: ٣١٣/٦، ومسلم في الإيمان، باب: ذكر سدرة المنتهى برقم (١٧٤) ١٥٨/١ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤/٧ لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤/٧ للبيهقي .

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ
خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم
بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾

﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾، [قيل: من مطر ورزق][1]، **﴿فلا ممسك لها﴾**، لا يستطيع أحد على حبسها، **﴿وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز﴾**، فيما أمسك **﴿الحكيم﴾**، فيما أرسل .

أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا عبيد الله بن أسباط، أخبرنا أبي، أخبرنا عبد الملك بن عمير، عن ورَّادٍ، عن المغيرة بن شعبة، أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[2] .

﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله﴾، قرأ حمزة والكسائي «غيرِ» بجر الراء، وقرأ الآخرون برفعها على معنى هل خالق غير الله، لأن «مِنْ» زيادة، وهذا استفهام على طريق التقرير كأنه قال: لا خالق غير الله، **﴿يرزقكم من السماء والأرض﴾**، أي: من السماء المطر ومن الأرض النبات، **﴿لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾** .

﴿وإن يكذبوك فقد كُذبتْ رسلٌ من قبلك﴾، يُعزي نبيه ﷺ، **﴿وإلى الله تُرجع الأمور﴾** .

﴿يا أيها الناس إنّ وعد الله حق﴾، يعني وعد يوم القيامة، **﴿فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾**، وهو الشيطان .

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

(٢) أخرجه البخاري في الأذان، باب: الذكر بعد الصلاة: ٢/٣٢٥، ومسلم في المساجد، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة برقم: (٥٩٣) ١/٤١٥، والمصنف في شرح السنة: ٣/٢٢٥ .

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿**إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدواً**﴾، أي: عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه، ﴿**إنما يدعو حزبه**﴾، أي: أشياعه وأولياءه ﴿**ليكونوا من أصحاب السعير**﴾، أي: ليكونوا في السعير، ثم بيّن حال موافقيه ومخالفيه فقال:

﴿**الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرةٌ وأجر كبير**﴾.

قوله تعالى: ﴿**أفمن زُيّن له سوء عمله**﴾، قال ابن عباس: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة.

وقال سعيد بن جبير: نزلت في أصحاب الأهواء والبدع[1].

وقال قتادة: منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم، فأما أهل الكبائر فليسوا منهم، لأنهم لا يستحلون الكبائر.

﴿**أفمن زُيّن**﴾ شُبّه ومُوّه عليه وحُسّنَ ﴿**له سوء عمله**﴾، أي: قبيح عمله، ﴿**فرآه حسناً**﴾، زين له الشيطان ذلك بالوسواس.

وفي الآية حذف مجازه: أفمن زُيّن له سوء عمله فرأى الباطل حقاً كمن هداه الله فرأى الحق حقاً والباطل باطلاً؟ ﴿**فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء**﴾.

وقيل: جوابه تحت قوله: ﴿**فلا تَذْهَبْ نفسُك عليهم حسرات**﴾، فيكون معناه: أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة، أي: تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير مجازه: أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسناً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر، ومعنى الآية: لا تغتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا.

---

(١) انظر: زاد المسير: ٦/٤٧٥.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ
ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ
وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

وقرأ أبو جعفر: «فلا تُذْهِب» بضم التاء وكسر الهاء «نَفْسَك» نصب، **﴿إن الله عليم بما يصنعون﴾** .

﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾، من القبور .

قوله عزّ وجلّ : **﴿من كان يريد العزة فللّهِ العزة جميعاً﴾**، قال الفراء: معنى الآية من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعاً[1] .

وقال قتادة: من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله معناه الدعاء إلى طاعة من له العزة، أي: فليطلب العزة من عند الله بطاعته[2]، كما يقال: من كان يريد المال فالمال لفلان، أي: فليطلبه من عنده، وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا به التعزيز كما قال الله : «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا» (مريم ـ ٨١)، وقال: «الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً» (النساء ـ ١٣٩) .

﴿إليه﴾، أي: إلى الله، **﴿يصعد الكلم الطيب﴾**، وهو قوله لا إله إلا الله، وقيل: هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد ابن زنجويه، أخبرنا الحجاج بن نصر، أخبرنا المسعودي عن عبدالله بن المخارق، عن أبيه، عن ابن مسعود قال: إذا حدثتكم حديثاً أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عزّ وجلّ: ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله، إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٦٧/٢ .
(٢) انظر: البحر المحيط: ٣٠٣/٧ .

يحيي بها وجه رب العالمين، ومصداقه من كتاب الله عزّ وجلّ قوله: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾، ذكره ابن مسعود[١].

وقيل: «الكلم الطيب»: ذكر الله. وعن قتادة: «إليه يصعد الكلم الطيب» أي: يقبل الله الكلم الطيب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**والعمل الصالح يرفعه**﴾، أي: يرفع العمل الصالح الكلم الطيب، فالهاء في قوله يرفعه راجعة إلى الكلم الطيب، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، وعكرمة، وأكثر المفسرين.

وقال الحسن وقتادة: الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رُدّ كلامُه على عمله[٢]، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال حسناً وعمل غير صالح رَدّ الله عليه قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾[٣]، وجاء في الحديث: «لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا قولاً ولا عملاً إلاَّ بنية»[٤].

وقال قوم: الهاء في قوله «يرفعه» راجعة إلى العمل الصالح [أي: الكلم الطيب يرفع العمل الصالح][٥]، فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادراً عن التوحيد، وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل.

وقيل: الرفع من صفة الله عزّ وجلّ / معناه: العمل الصالح يرفعه الله عزّ وجلّ. ٩٠/ب

وقال سفيان بن عيينة: العمل الصالح هو الخالص، يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال، دليله قوله عزّ وجلّ: «فليعمل عملاً صالحاً ولا يشركْ بعبادة ربه أحداً» (الكهف ــ ١١٠)، فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء، ﴿**والذين يمكرون السيئات**﴾، قال الكلبي: أي: الذين يعملون السيئات. وقال مقاتل: يعني الشرك. وقال أبو العالية: يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، كما قال الله تعالى: «وإذْ يمكر بك الذين كفروا ليُثبتوك» (الأنفال ــ ٣٠).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢/١٢٠، وصححه الحاكم: ٢/٤٢٥ ووافقه الذهبي. والبيهقي في الأسماء والصفات: ٢/٣٤، وزاد السيوطي نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني انظر: الدر المنثور: ٧/٨ــ٩.

(٢) هذا الجزء أخرجه الطبري: ٢٢/١٢١ عن ابن عباس.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/١٠ لعبد بن حميد والبيهقي عن الحسن.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٣٨ــ١٣٩: أخرجه الخطيب في «الجامع» من رواية بقية بن إسماعيل بن عبدالله عن أبان عن أنس بهذا مرفوعاً، وأبان متروك، وله طريق أخرى عن أبي هريرة مرفوعاً، أخرجه ابن عدي وابن حبان، كلاهما في الضعفاء عن خالد بن عبد الدائم، عن نافع بن يزيد عن زهرة بن معبد عن سعيد بن المسيب عنه، بلفظ «قرآن في صلاة خير من قرآن في غير صلاة» الحديث. وفيه: ولا قوة إلا بعمل إلى آخره. ورواه ابن حبان أيضاً من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابن مسعود. وفيه أحمد بن الحسن المصري، وهو كذاب.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ
وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ
وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

وقال مجاهد: وشهر بن حوشب: هم أصحاب الرياء[(١)] .

﴿هم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾، يبطل ويهلك في الآخرة .

قوله عزّ وجلّ : ﴿والله خلقكم من تراب﴾، أي: آدم، ﴿ثم من نطفة﴾، يعني: نسله، ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾، ذكراناً وإناثاً، ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر﴾ لا يطول عمره، ﴿ولا ينقص من عمره﴾، يعني: من عمر آخر، كما يقال لفلان عندي درهم ونصفه أي: نصف درهم آخر، ﴿إلا في كتاب﴾، وقيل: قوله : «ولا ينقص من عمره» منصرف إلى الأول، قال سعيد بن جبير: مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره[(٢)] .

وقال كعب الأحبار حين حضر عمر رضي الله عنه الوفاة: والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لأخر، فقيل له إن الله عزّ وجلّ يقول: «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» (الأعراف ـ ٣٤) فقال: هذا إذا أحضر الأجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزاد وينقص، وقرأ هذه الآية[(٣)] ﴿إنّ ذلك على الله يسير﴾، أي: كتابة الآجال والأعمال على الله هين .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وما يستوي البحران﴾، يعني: العذب والمالح، ثم ذكرهما فقال: ﴿هذا عذبٌ فرات﴾، طيب، ﴿سائغ شرابه﴾، أي: جائز في الحلق هنيء، ﴿وهذا ملح أجاج﴾، شديد الملوحة. وقال الضحاك: هو المر. ﴿ومن كل تأكلون لحماً طرياً﴾، يعني: الحيتان من العذب والمالح جميعاً، ﴿وتستخرجون حلية﴾، أي: من المالح دون العذب ﴿تلبسونها﴾، يعني اللؤلؤ. وقيل: نسب اللؤلؤ

---

(١) انظر في هذه الأقوال: ابن كثير: ٥٥٠/٣، البحر المحيط: ٣٠٤/٧، الدر المنثور: ١٠/٧ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ١١/٧ لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٣٩: «رواه إسحاق في آخر مسند ابن عباس رضي الله عنهما ـ أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد» .

يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ
يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ
مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ
وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ
مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ
﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿١٧﴾
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ
ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ

إليهما، لأنه يكون في البحر الأجاج عيون عذبة تمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ من بين ذلك، ﴿**وترى الفلك فيه مواخر**﴾، جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة، ﴿**لتبتغوا من فضله**﴾، بالتجارة، ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾، الله على نعمه .

﴿**يُولج الليلَ في النهار ويُولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه**﴾، يعني: الأصنام، ﴿**ما يملكون من قطمير**﴾، وهو لفافة النواة، وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة .

﴿**إن تدعوهم**﴾، يعني: إن تدعو الأصنام، ﴿**لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم**﴾، ما أجابوكم، ﴿**ويوم القيامة يكفرون بشرككم**﴾، يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياها، يقولون: ما كنتم إيانا تعبدون. ﴿**ولا يُنبئك مثل خبير**﴾، يعني: نفسه أي: لا ينبئك أحد مثلي خبير عالم بالأشياء .

﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**﴾، إلى فضل الله والفقير المحتاج، ﴿**والله هو الغني الحميد**﴾، الغني عن خلقه المحمود في إحسانه إليهم .

﴿**إن يشأ يُذهبكم ويأتِ بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز**﴾، شديد .

﴿**ولا تزر وازرةٌ وِزْرَ أُخرى وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ**﴾، أي: نفس مثقلة بذنوبها غيرها، ﴿**إلى حملها**﴾، أي: حمل ما عليه من الذنوب، ﴿**لا يُحْمَلْ منه شيءٌ ولو كان ذَا قربى**﴾، أي: ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنه أو أباه أو أمه أو أخاه. قال ابن عباس: يلقى الأب والأم ابنه فيقول: يابني احمل عني بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع حسبي ما عليّ .

فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾
وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ
وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ
إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ
وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

﴿**إنما تنذر الذين يخشون**﴾، يخافون، ﴿**ربهم بالغيب**﴾، ولم يروه. وقال الأخفش: تأويله أي: إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب، ﴿**وأقاموا الصلاة ومن تزكى**﴾، صلح وعمل خيراً، ﴿**فإنما يتزكى لنفسه**﴾، لها ثوابه، ﴿**وإلى الله المصير**﴾.

﴿**وما يستوي الأعمى والبصير**﴾، يعني: الجاهل والعالم. وقيل: الأعمى عن الهدى والبصير بالهدى، أي: المؤمن والمشرك.

﴿**ولا الظلمات ولا النور**﴾، يعني: الكفر والإيمان.

﴿**ولا الظِّلُّ ولا الحَرُور**﴾، يعني: الجنة والنار، قال ابن عباس: «الحرور»: الريح الحارة بالليل، و«السموم» بالنهار. وقيل: «الحرور» يكون بالنهار مع الشمس.

﴿**وما يستوي الأحياء ولا الأموات**﴾، يعني: المؤمنين والكفار. وقيل: العلماء والجهال.

﴿**إن الله يُسمع من يشاء**﴾، حتى يتعظ ويجيب، ﴿**وما أنت بمسمع مَنْ في القبور**﴾، يعني: الكفار، شبههم بالأموات في القبور حين لم يجيبوا.

﴿**إنْ أنت إلا نذيرٌ**﴾، ما أنت إلاّ منذرٌ تخوّفهم بالنار.

﴿**إنّا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة**﴾، ما من أمة فيما مضى ﴿**إلاّ خلا**﴾، سلف، ﴿**فيها نذير**﴾، نبي منذر.

﴿**وإن يكذبوك فقد كَذَّب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزُّبُرِ وبالكتاب المنير**﴾، الواضح كرر ذلك الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التأكيد.

﴿**ثم أخذتُ الذين كفروا فكيف كان نكير**﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ألم تَرَ أنّ الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفاً ألوانُها ومن الجبال جُدَدٌ﴾، طرق وخطط، واحدتها جدة، مثل: مدة ومدد، **﴿بيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيبُ سود﴾**، يعني:سود غرابيب على التقديم والتأخير، يقال: أسود غربيب، أي: شديد السواد تشبيهاً بلون الغراب، أي: طرائق سود .

﴿ومن الناس والدوابِّ والأنعام مختلف ألوانه﴾، ذكر الكناية لأجل **﴿من﴾**، وقيل: رد الكناية إلى ما في الإضمار، مجازه: ومن الناس والدواب والأنعام ما هو مختلف ألوانه، **﴿كذلك﴾**، يعني كما اختلف ألوان الثمار والجبال، وتم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال :

﴿إنما يخشى اللَّهَ من عباده العلماءُ﴾، قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عمر بن حفص، أخبرنا أبي الأعمش، أخبرنا مسلم، عن مسروق / عن ٩١/أ
عائشة رضي الله عنها: صنع رسول الله ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال : «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[1] .

وقال النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[2] .

وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً. وقال رجل للشعبي: أفتني أيها العالم، فقال الشعبي: إنما العالم من خشي الله عزّ وجلّ .

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب: ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع: ٢٧٦/١٣، ومسلم في الفضائل، باب: علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته برقم: (٢٣٥٦) ١٨٢٩/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٩٩/١-٢٠٠ .

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في التفسير ـ تفسير سورة المائدة ـ باب: قول الله تعالى: (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) ٢٨٠/٨، ومسلم في الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة له برقم: (٢٣٥٩) ١٨٢٣/٤ والمصنف في شرح السنة: ٣٦٨/١٤-٣٦٩ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم
مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ
ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ
ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ
سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

﴿إن الله عزيز غفور﴾، أي: عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده.

قوله تعالى: **﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾**، يعني: قرأوا[(١)] القرآن، **﴿وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيةً يرجون تجارةً لن تبور﴾**، لن تفسد ولن تهلك، والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب.

قال الفراء: قوله: «يرجون» جواب لقوله: «إن الذين يتلون كتاب الله».

﴿ليُوفِّيهم أجورهم﴾، جزاء أعمالهم بالثواب، **﴿ويزيدهم من فضله﴾**، قال ابن عباس: يعني سوى الثواب مما لم ترَ عين ولم تسمع أذن، **﴿إنه غفور شكور﴾**، قال ابن عباس: يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم.

﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾، يعني: القرآن، و**﴿هو الحق مصدقاً لما بين يديه﴾**، من الكتب، **﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾**.

﴿ثم أورثنا الكتاب﴾، يعني: الكتاب الذي أنزلناه إليك الذي ذكر في الآية الأولى، وهو القرآن، جعلناه ينتهي إلى، **﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾**.

ويجوز أن يكون «ثم» بمعنى الواو، أي: وأورثنا، كقوله: «ثم كان من الذين آمنوا» (البلد ـ ١٧)، أي: وكان من الذين آمنوا، ومعنى «أورثنا» أعطينا، لأن الميراث عطاء، قاله مجاهد.

وقيل: «أورثنا» أي: أخرنا، ومنه الميراث لأنه أخّر عن الميت، ومعناه: أخرنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناكموه، وأهّلْناكم له.

﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾، قال ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ، ثم قسمهم ورتبهم فقال:

---

(١) زيادة من «ب».

﴿فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات﴾، روي عن أسامة بن زيد في قوله عزّ وجلّ: «فمنهم ظالم لنفسه» الآية، قال: قال النبي ﷺ: «كلهم من هذه الأمة»(١).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه، أخبرنا محمد بن علي بن الحسين القاضي، أخبرنا بكر بن محمد المروزي، أخبرنا أبو قلابة، حدثنا عمرو بن الحصين، عن الفضل بن عميرة، عن ميمون الكردي، عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾، الآية، فقال: قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له»(٢)، قال أبو قلابة فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه.

واختلف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبد الله الصفار، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن أبي ثابت أن رجلاً دخل المسجد فقال: اللهم ارحم غربتي، وآنس وحشتي، وسُقْ إليّ جليساً صالحاً، فقال أبو الدرداء: لئن كنت صادقاً لأنا أسعد بك منك، سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات» فقال: «أمّا السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، وأمّا المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأمّا الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم، ثم يدخل الجنة»، ثم قرأ هذه الآية: «وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: ١٣١/١، والبيهقي في البعث، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ.
انظر: الدر المنثور: ٢٤/٧، مجمع الزوائد: ٩٦/٧.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٣٩): «رواه البيهقي في الشعب من رواية ميمون بن سياه عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً وهذا منقطع، وأخرجه الثعلبي وابن مردويه من وجه آخر عن ميمون ابن سياه عن أبي عثمان النهدي عن عمر. فيه الفضل بن عميرة: وهو ضعيف، ورواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبدالله الحرازي عمن سمع عمر فذكره موقوفاً»، وعزاه السيوطي لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، والبيهقي في البعث موقوفاً على عمر رضي الله عنه، وللعقيلي وبن لال، وابن مردويه والبيهقي من وجه آخر مرفوعاً، وأخرجه ابن النجار عن أنس مرفوعاً.
انظر: الدر المنثور: ٢٥/٧.

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٩٥/٧ «رواه الطبراني وأحمد باختصار إلا أنه قال: عن الأعمش عن ثابت أو أبي ثابت أن رجلاً... وثابت بن عبيد ومَنْ قبله من رجال الصحيح، وفي إسناد الطبراني غير مسمى»، وأخرجه الحاكم: ٤٢٦/٢ وقال: «وقد اختلفت الروايات عن الأعمش في إسناد هذا الحديث، فروي عن الثوري عن الأعمش عن أبي ثابت عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وقيل عن شعبة عن الأعمش عن رجل من ثقيف عن أبي الدرداء، وقيل عن الثوري أيضاً عن الأعمش قال: ذكر أبو ثابت عن أبي الدرداء، وإذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلاً»، والطبري: ١٣٧/٢٢.

وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾** الآية، فقالت: يابني كلهم في الجنة، أمّا السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وأمّا المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأمّا الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، فجعلت نفسها معنا[1].

وقال مجاهد، والحسن، وقتادة: فمنهم ظالم لنفسه وهم أصحاب المشئمة، ومنهم مقتصد وهم أصحاب الميمنة، ومنهم سابق بالخيرات [بإذن الله][2] هم السابقون المقربون من الناس كلهم[3].

وعن ابن عباس قال: السابق: المؤمن المخلص، والمقتصد: المرائي، والظالم: الكافر نعمة الله غير الجاحد لها، لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾.

وقال بعضهم: يذكر ذلك عن الحسن، قال: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم من رجحت سيئاته على حسناته[4].

وقيل: الظالم من كان ظاهره خيراً من باطنه، والمقتصد الذي يستوي ظاهره وباطنه، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره.

وقيل: الظالم من وحّد الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله، والمقتصد من وحّد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه، والسابق من وحّد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله.

وقيل: الظالم التالي للقرآن، والمقتصد القارىء له العالم به، والسابق القارىء له العالم به العامل بما فيه.

وقيل: الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر، والسابق الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة.

وقال سهل بن عبد الله: السابق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل.

قال جعفر الصادق: بدأ بالظالمين إخباراً أنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه، وأن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء، ثم ثنّى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة.

---

(١) أخرجه الطيالسي في المسند ص (٢٠٩) وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه. وصححه الحاكم: ٤٢٦/٢ وتعقبه الذهبي فقال: «الصلت قال النسائي: ليس بثقة، وقال أحمد: ليس بالقوي». وانظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٣.

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٣) انظر: الطبري: ١٣٥/٢٢.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤٨٩/٧-٤٩٠.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾

وقال أبو بكر الوراق: رتّبهم هذا الترتيب على مقامات الناس، لأن أحوال العبد ثلاثة: معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة، فإذا عصى دخل في حيز الظالمين، وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، وإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين.

وقال بعضهم: المراد بالظالم الكافر ذكره الكلبي.

وقيل: المراد منه المنافق، فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله: «جناتُ / عدنٍ يدخلونها». وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة وإرسال الرسول إليهم وإنزال الكتاب والأول هو المشهور أن المراد من جميعهم المؤمنون، وعليه عامة أهل العلم. ٩١/ب

قوله: ﴿**ومنهم سابق بالخيرات**﴾، أي: سابق إلى الجنة، أو إلى رحمة الله بالخيرات، أي: بالأعمال الصالحات، ﴿**بإذن الله**﴾، أي: أمر الله وإرادته، ﴿**ذلك هو الفضل الكبير**﴾، يعني: إيراثهم الكتاب.

ثم أخبر بثوابهم فقال: ﴿**جناتُ عدنٍ يدخلونها**﴾، يعني: الأصناف الثلاثة، قرأ أبو عمرو «يُدْخَلونها» بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء، ﴿**يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير**﴾.

﴿**وقالوا**﴾، أي: ويقولون إذا دخلوا الجنة: ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنّا الحَزَنَ**﴾، والحَزَنُ واحد كالبَخل والبُخل. قال ابن عباس: حزن النار. وقال قتادة: حزن الموت. وقال مقاتل: حزنوا[1] لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم. وقال عكرمة: حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات. وقال القاسم: حزن زوال النعم وتقليب القلب، وخوف العاقبة، وقيل: حزن أهوال يوم القيامة. وقال الكلبي: ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة. وقال سعيد بن جبير: هَمّ الخبز في الدنيا. وقيل: هَمّ المعيشة. وقال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاشٍ أو لمعادٍ.

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الضحاك الخطيب، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرايني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد الترابي، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال

---

(١) ساقط من «أ».

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ
٣٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم
مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ٣٦ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا
نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ
مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾

رسول الله ﷺ : «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم، ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنّا الحَزَنَ»(١) .

قوله تعالى : ﴿**إنّ ربّنا لغفورٌ شكور**﴾ .

﴿**الذي أحلّنا**﴾، أنزلنا، ﴿**دار المُقامة**﴾، أي: الإقامة، ﴿**من فضله لا يمسنا فيها نصب**﴾، أي: لا يصيبنا فيها عناء ومشقة، ﴿**ولا يمسنا فيها لُغُوب**﴾، إعياء من التعب .

قوله تعالى : ﴿**والذين كفروا لهم نارُ جهنّم لا يُقضى عليهم فيموتوا**﴾، أي: لا يهلكون فيستريحوا كقوله عزّ وجلّ : «فوكزه موسى فقضى عليه» (الشعراء ـ ١٥)، أي: قتله. وقيل: لا يقضي عليهم الموت فيموتوا، كقوله: «ونادوا يامالك ليقضِ علينا ربُّك» (الزخرف ـ ٧٧)، أي: ليقض علينا الموت فنستريح، ﴿**ولا يُخفف عنهم من عذابها**﴾، من عذاب النار، ﴿**كذلك نجزي كل كفور**﴾، كافر، قرأ أبو عمرو: «يجزى» بالياء وضمها وفتح الزاي، «كل» رفع على غير تسمية الفاعل، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاي، «كلَّ» نصب .

﴿**وهم يصطرخون**﴾، يستغيثون ويصيحون، ﴿**فيها**﴾ وهو: يفتعلون، من الصراخ، وهو الصياح، يقولون: ﴿**ربّنا أخرجنا**﴾، منها من النار، ﴿**نعملْ صالحاً غير الذي كنّا نعمل**﴾، في الدنيا من الشرك والسيئات، فيقول الله لهم توبيخاً :

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٣٩) «رواه أبو يعلى وابن أبي حاتم والبيهقي في أول الشعب والطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر. وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف وله طريق أخرى عند الطبراني والنسائي في الكنى عن ابن عمر، وأخرى عند البيهقي في الشعب، وفي الباب عن ابن عباس أخرجه تمام في فوائده والخطيب في ترجمة محمد بن سعيد الطائفي وعن أنس عند ابن مردويه .
وانظر: ابن كثير: ٣/٥٥٨ .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ٣٩﴾

﴿أَوَلَمْ نعمِّرْكم ما يتذكر فيه من تذكر﴾، قيل: هو البلوغ. وقال عطاء وقتادة والكلبي: ثمان عشرة سنة. وقال الحسن: أربعون سنة. وقال ابن عباس: ستون سنة، يروي ذلك عن علي، وهو العمر الذي أعذر الله تعالى إلى ابن آدم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد السلام بن مطهر، حدثنا عمر بن علي، عن معن بن محمد الغفاري، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله تعالى إلى امرىء أخر أجله حتى بلّغه ستين سنة»[(١)].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا إبراهيم بن سهاويه، حدثنا الحسن بن عرفة، أخبرنا المحاربي عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»[(٢)].

﴿وجاءكم النذير﴾، يعني: محمداً ﷺ، هذا قول أكثر المفسرين. وقيل: القرآن. وقال عكرمة، وسفيان بن عيينة، ووكيع: هو الشيب. معناه أوَلم نعمركم حتى شبتم. ويقال: الشيب نذير الموت. وفي الأثر: ما من شعرة تبيضُّ إلا قالت لأختها: استعدي فقد قرب الموت.

﴿فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾.

﴿إن الله عالمُ غيبِ السموات والأرضِ إنّه عليم بذات الصدور﴾.

﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾، أي: يخلف بعضكم بعضاً، وقيل: جعلكم أمة خلفت من قبلها. ورأت فيمن قبلها، ما ينبغي أن تعتبرَ به. ﴿فمن كفر فعليه كفره﴾، أي: عليه وبال كفره

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر: ٢٣٨/١١.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد، باب: ما جاء في أعمار هذه الأمة... ٦٢٦/٦ وقال: (هذا حديث حسن غريب) من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة. وابن ماجه في الزهد، باب: الأمل والأجل: ١٤١٥/٢، وصححه الحاكم: ٤٢٧/٢ على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وابن حبان في موارد الظمآن برقم (٢٤٦٧) ص٦١١، والبيهقي في السنن: ٣٧٠/٣، وحسن الحافظ إسناده في الفتح: ٢٤٠/١١، انظر: فيض القدير للمناوي: ١١/٢، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٣٩٧/٢.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾

﴿ولا يزيد الكافرين كفرُهم عند ربهم إلاّ مقتاً﴾، غضباً **﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم إلاّ خساراً﴾** .

﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله﴾، أي: جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني: الأصنام، **﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شِرْكٌ في السموات أم آتيناهم كتاباً﴾**، قال مقاتل: هل أعطينا كفار مكة كتاباً، **﴿فهم على بيّنة منه﴾**، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وحفص: «بينة» على التوحيد، وقرأ الآخرون : «بينات» على الجمع، يعني دلائل واضحة منه مما في ذلك الكتاب من ضروب البيان .

﴿بل إنْ يَعِدُ﴾، أي: ما يَعِدُ، **﴿الظالمون بعضُهم بعضاً إلاّ غروراً﴾**، والغرور ما يغر الإنسان مما لا أصل له، قال مقاتل: يعني ما يَعِدُ الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة غرور وباطل .

قوله تعالى : **﴿إنّ الله يُمسك السمواتِ والأرضَ أنْ تزولاَ﴾**، أي: كيلا تزولا، **﴿ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده﴾**، أي: ما يمسكهما أحد من بعده، أي: أحد سواه، **﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾**، فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم هاهنا؟ قيل: لأن السموات والأرض همت بما همت به من عقوبة الكفار فأمسكهما الله تعالى عن الزوال بحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة .

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾، يعني: كفار .مكة لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم، وأقسموا بالله وقالوا لو أتانا رسول لنكوننّ أهدى ديناً منهم، وذلك قبل مبعث النبي ﷺ، فلما بعث محمد كذبوه، فأنزل الله عزّ وجلّ : **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير﴾**[1]، رسول، **﴿ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم﴾**،

(١) انظر: البحر المحيط: ٣١٨/٧ .

اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

٩٢/أ يعني : من اليهود والنصارى، / ﴿فلما جاءهم نذير﴾، محمد ﷺ، ﴿ما زادهم إلا نفوراً﴾، أي: ما زادهم مجيئه إلا تباعداً عن الهدى .

﴿استكباراً في الأرض﴾، نصب «استكباراً» على البدل من النفور، ﴿ومكرَ السيىء﴾، يعني : العمل القبيح، أضيف المكر إلى صفته، قال الكلبي: هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي ﷺ، وقرأ حمزة: «مكر السيىء» ساكنة الهمزة تخفيفاً، وهي قراءة الأعمش، ﴿ولا يحيق المكرُ السيىء﴾، أي: لا يحل ولا يحيط المكر السيىء، ﴿إلاّ بأهله﴾، فقتلوا يوم بدر، وقال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك. والمعنى: وبال مكرهم راجع إليهم، ﴿فهل ينظُرون﴾، ينتظرون، ﴿إلاّ سُنّةَ الأولين﴾، إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار، ﴿فلن تجدَ لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ .

﴿أوَلَم يسيروا في الأرض فينظروا كيفَ كان عاقبةُ الذين من قبلهم وكانوا أشدَّ منهم قوةً وما كان الله ليعجزه﴾، يعني : ليفوت عنه، ﴿من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾ .

﴿ولو يُؤاخذ اللّهُ الناسَ بما كسبوا﴾، من الجرائم، ﴿ما ترك على ظهرها﴾، يعني : على ظهر الأرض، كناية عن غير مذكور، ﴿من دابّة﴾، كما كان في زمان نوح أهلك الله ما على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح، ﴿ولكنْ يُؤخرهم إلى أجلٍ مسمىً فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل طاعته وأهل معصيته .